الدكتور مصطفى ابوضيف احمد
أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الحسن الثاني
الدار البيضاء (المغرب)

# أثر القبائل العربية في الحياة المغربية

## الجزء الأول

نذ الفتح العربي الى سقوط الدول المستقلة

(23 ـ 296هـ / 643 ـ 909م)




1986

الدكتور مصطفى ابو ضيف احمد

أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الحسن الثاني

الدار البيضاء (المغرب)




## الجـزء الأول

منذ الفتح العربي الى سقوط الدول المستقلة

(23 ـ 296هـ / 643 ـ 909م )

1986

الطبعة الأولى



الايداع القانوني رقم 175/ 1986

بسم الله الرحمن الرحيم

«وقل رب زدني علما»

﴿سورة طه آية 114﴾

بسم الله الرحمن الرحيم.

## مقدمـة

عقب صدور كتـابي «أثـر القبـائـل العـربية في الحياة المغربية خلال عصري المـوحـدين وبني مرين» في سنـة 1982 بدار النشر المغـربية بالـدار البيضاء، تقبله الباحثون والدارسون لتاريخ المغرب بالاهتمام، ووسائل الاعلام المغربية بالعرض والتنويه .

واتصل بي بعض الزملاء وأشار علي بتتبع الموضوع منذالفتح حتى نهاية العصور الـوسـطى . ولتـوفر بعض مواد الكتاب خلال عملي في هذا البحث منذ كنت طالباً للدراسات العليا وتحضيري لرسالة الماجستير، فعدت لأوراقي القديمة وفيشاتي المتعددة خلال الأعداد لرسالتي الماجستير والدكتوراة وشجعني على ذلك ظهور دراسات حديثة ومترجمة تساعد أولا على تناول الموضوع بشكل مفصل واف إلى حد ما، وكذا على إعادة النظر في بحثي الذي نشر في سنة 1982م من جهة ثانية.

ولذلك خلال السنوات القليلة الماضية أخذت في أعداد هذا البحث، واستكمال جمع مادته وكان منهجي في معالجة الموضوع منذ البداية أن أتتبع القبائل العربية التي دخلت بلاد المغـرب منـذ الفتـوحـات الاسلامية ومناطق استقرارها بالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى وإلقاء الأضواء على أصولها الشمالية (القيسية) أو الجنوبية (اليمنية) ودورها ببلاد المغرب وتأسيسها للأسرات الحاكمة . ونظراً لتضخم مادة الكتاب فقد تقرر اصدار الجزء الأول من الكتاب وهو يتناول«أثر القبائل العربية في الحياة المغربية» منذ الفتح العربي وحتى سقوط الدول المستقلة (23 ـ 296هـ/643 ـ 909م) وهو يشتمل على خطة البحث والمنهج الذي سلكته في معالجة الموضوع، اتبعتها بدراسة لمصادر البحث ثم سبعة فصول على النحو الآتي :

تناولت في الفصل الأول «**القبائل العربية وفتح المغرب**» استعراض القبائل العربية بمدينتي الفسطاط والجيزة بمصر باعتبار أن الفسطاط كانت القاعدة الحربية الأولى التي انطلقت منها الحملات العسكرية إلى بلاد المغرب، ووصف القبائل العربية التي دخلت بلاد المغرب وعددها خلال القرن الأول الهجري منذ حملة العبادلة وحتى ولاية موسى بن نصير اللخمي لبلاد المغرب وأماكن استقرارها وأسباب تأسيسها للمدن العربية مثل القيروان وتونس والعمل على تعريب بلاد المغرب وانشاء الدواوين بإفريقية مثل ديوان الرسائل، وديوان الجند، وبيت المال، وديوان الخراج وكذا العمل على نشر الاسلام بين القبائل البربرية ونتائج ذلك بالنسبة للتواجد العربي بالبلاد.

أما الفصل الثاني «**القبائل العربية والولاة الأمويون**» فقد أوضحت فيه كيف أن القبائل اليمنية بعد أن فتحت بلاد المغرب وضمت شبه الجزيرة الايبيرية إلى الدولة الأموية لم تنعم بالهدوء والراحة، إذ تعرضت للمحن والخطوب بسبب المنازعات القبلية القديمة بين اليمنية والمضرية. وكان ولاة المغرب إمّا يمنيين أو مضريين كثيراً ما كانوا يتحيزون لعصبيتهم وبدلا من أن يعمل خلفاء بني أمية على حسم هذا النزاع إذا بهم ينحازون إلى فريق دون آخر مما ساعد على اتساع الهوة بين العصبيتين. ونتيجة هذا الصراع على القبائل البربرية ببلاد المغرب وموالي اليمنية من البربر، ممّا أدى بالاضافة الى الأسباب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للقبائل البربرية الى الثورة وهزيمة القبائل العربية في معركتي الأشراف ووادي سبو، حتى أدرك العرب يمنية وقيسية أن طردهم من بلاد المغرب ليس بمستحيل وغضب الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي لعصبيته العربية وهدد قائلاً «والله لأغضبن لهم غضبة عربية. . . والله لا تركت حصناً بربرياً إلاّ جعلت الى جانبه خيمة قيسي أو يمني» وتوالت الحملات العربية من جند الشام وجند مصر إلى بلاد المغرب وان فشلت حملة كلثوم بن عياض القيسي بسبب الصراع بين القيسية واليمنية من جهة وبين عرب الشام والعرب البلديون من جهة أخرى فقد نجحت حملة حنظلة بن صفوان الكلبي ـ بسبب اعتداله ـ من القضاء على ثورة الخوارج في موقعتي القرن والأصنام. حيث لعبت المرأة العربية دوراً مجيداً في انتصار العرب عن طريق التشجيع والمساهمة في الحرب بالخطوط الخلفية.

وفي الفصـل الثالث «افريقية ما بين المضرية واليمنية والولاة العباسيون» فهو يتناول ازدياد نفوذ القبائل القيسية إلى أن تمكن عبد الرحمن بن حبيب الفهري زعيم القبـائل العربية البلدية بالمغرب من تأسيس إمارة الفهريين بإفريقية مستغلا ضعف الخلافة الأموية وأشرافها على الانهيار من جهة ونسبه الفهري القريشي من جهة ثانية، خصوصاً وهو حفيد عقبة بن نافع فاتح بلاد المغرب ومؤسس مدينة القيروان. ورغم ذلك ثارت ضده كل من القبائل القيسية والقبائل اليمنية ولكن ما أن سقطت الدولة الأموية في 132هـ/749م حتى انهالت بقايا البيت الأموي، الذين تمكنوا من الهروب من مذبحة العباسيين، ورحب عبد الرحمن بهم مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الدولة العباسية وبني حبيب بإفريقية، ولكن سرعان ما انغمس الأمويون الفارون في التآمر ضد عبـد الرحمن بن حبيب وانتهى الأمر بقتله واندلاع الصراع في بيت بني حبيب الفهريين، حتى انتهى الأمر بانتعاش حركة الخوارج الصفرية مرة ثانية وتمكنت قبيلة ورفجومة وحلفائها من نفزة من الاستيلاء على مدينة القيروان واضطهاد العنصر العربي بصفة عامة والقريشي بصفة خاصة.

ونتيجة لتدهور الأمور بافريقية أرسل العباسيون بني المهلب بن أبي صفرة الأزدي اليمني لاقرار الأمور نظراً لطول باعهم في مناجزة الخوارج بالمشرق وأول أمرائهم ببلاد المغرب هو أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان، الذي فشل في القضاء على ثورة الخوارج ـ رغم شجـاعتـه ـ إذ قتـل خلال حربهم، فعوضته الخلافة بيزيد بن حاتم المهلبي وإمدادات كبيرة من الجند حيث تمكن من القضاء على الخطر الخارجي مما أدى بالخوارج الى الهـروب الى المنـاطق الـرعـوية الصحـراوية وتأسيس دولهم بعيداً عن افريقية، الصفرية بسجلماسة بالمغـرب الأقصى والأباضية بتاهرت بالمغرب الأوسط. ولكن سرعان ما انهار حكم الأسرة المهلبية بسبب تعصبهم لليمنية واضطهاد القبائل القيسية التي تركزت في مدينة تونس مما أدى إلى ثورة ابن الجارود العبدي المضري وطرد المهالبة من افريقية.

أما الفصل الرابع «الحميريون اليمنيون ببلاد الريف» فقد أوضحت فيه أصل هذه الأسرة العربية اليمنية وظروف دخولها بلاد الريف وتأسيس امارتها وعملها على نشر الاسـلام بالمنطقة وتأسيس عاصمتها نكور وتنمية الحياة الاقتصادية ومذهبها الديني

السني المالكي وعلاقاتها بكل من الدولة الادريسية التي تأرجحت بين العداوة لاشتراك حدودهما والمودة والمصاهرة. والدولة الأموية بالأندلس التي تميزت بالتحالف والتضامن سواء ضد غزو النورمان لكل من السواحل الأندلسية أو لسواحل وعاصمة بلاد الريف «نكور» أو ضدثورة عمر بن حفصون زعيم المولدين بالأندلس. وكيف تعرضت هذه الامارة الصغيرة للخطر الفاطمي مرات وحلفائهم من قبيلة مكناسة ألى أن سقطت أيام المرابطين ورغم ذلك لم ينتهي الوجود العربي ببلاد الريف، اذ بعد قدوم الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب تسربت الدماء العربية الى بلاد الريف فمن حدودها الشرقية تسربت بعض بطون عبيد الله من المعقل من اليمنية ومن حدودها الغربية تسربت بعض بطون رياح المضرية التي نقلها الخليفة المنصور الموحدي الى المغرب الأقصى. وتحولت القبائل الغربية مع مرور الزمن الى الاندماج بقبائل البربر والإستقرار والفلاحة وقيادة الحركة العلمية بالمنطقة.

والفصل الخامس «دور العرب في الدولة الادريسية» يوضح كيف أنه في نهاية القرن الثاني الهجري نشأت ببلاد المغرب، دويلات عربية مستقلة قامت بتأسيس مدن عربية اسلامية، كانت مراكز جذب للقبائل العربية من خارج بلاد المغرب وداخلها للعمل بخدمة هذه الدول وكيف ساعدت على نشر الحضارة الاسلامية في المناطق التي خضعت لنفوذها مما ساعد على تعريب المغرب في خلال القرن الثالث الهجري. ودور العرب في تأسيس الدولة الادريسية وهجرة العلويون من شبه الجزيرة العربية الى المغرب الأقصى والأوسط والقاء الضوء على نسب راشد الكناني العربي ويزيد بن الياس العبدي المضري والأسباب التي أدت الى بناء مدينة فاس، وهجرة القبائل العربية الى المغرب الأقصى كأحد هذه الأسباب ودورهم في اختيار موقع المدينة وتشكيل العرب لحكومة الدولة الادريسية العربية ومناطق استقرار العرب بالمدينة وايضاح العناصر القيسية منهم والعناصر اليمنية والربضيون والنشاط الاقتصادي لكل فئة. وأسباب تقسيم الدولة الادريسية وايضاح أنه رغم تأثير هذا التقسيم على تفكك الدولة. إلا أنه أدى الى توزيع الأمراء الأدارسة على مختلف أنحاء الدولة الادريسية ولاشك أنه أتبعهم حلفائهم من العرب ومواليهم الذين استقروا بجوارهم مساهمين في نشر الاسلام وتعريب المغرب الأقصى خصوصا وقد صاحب هذا التقسيم هجرة العرب من افريقية

والأنـدلس وعملوا على تطوير مدينـة فاس المعـماري. ثم تنـاولنا الصراع بين أمراء الأدارسة وأثره على اندلاع ثورات العرب بمدينة فاس وانضمام بعض زعماء العرب الى الحركات المناهضة للدولة الادريسية سواء كانت خارجية بزعامة عبد الرزاق الفهري أو شيعية بزعامة الفاطميين بإفريقية مما أدى إلى انهيار الدولة وانكماشها بقلعة حجر النسر بشمال المغرب الأقصى وتأرجح تبعية الأدارسة بين الفاطميين بإفريقية والأمويين بقرطبة الى أن اضطروا الى الانتقال الى قرطبة ثم الالتجاء الى مصر والعودة مرة ثانية الى المغرب الأقصى، لاسـترداد دولتهم ولكنهم فشلوا وقضي عليهم. وهكـذا انتهت الـدولـة الادريسية (172 ـ 375هـ / 789 ـ 985م).

والفصل السادس «**الأغالبة التميميون في افريقية وصقلية**» ويتناول هذا الفصل انتسـاب الأغـالبـة الى قبيلة تميم العـربية الشـمالية ودور هذه القبيلة في الفتـوحات الاسلامية واستقرارها بمدينتي البصرة والكوفة بالعراق، ثم انتقالها الى ولاية خراسان وكيفية انتقالها الى مصر وبلاد المغرب وتأسيس ابراهيم بن الأغلب للدولة الأغلبية وبناء مدينة العباسية وتطورها المعماري وبداية ثورات الجند العربي من اليمنية ضد الأغالبة المضرية مثـل ثورة خريش الكندي بتونس والعرب البلدية بطرابلس وأخيراً انقلاب القبائل المضرية ضد الأغالبة في ثورة عمران بن مخالد الربعي والصراع بين القبائل العربية بإفريقية واضطهاد هذه القبائل من طرف الأغالبة واضطرارها الى الهجرة الى المغرب الأقصى. ونجاح الأغالبة في التقليل من تأثير هذه الثورات بافريقية بتوجيه نشاط الجند العربي الى فتح جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، حيث استقروا هناك وعملوا على نشر الاسلام والعروبة بهذه المناطق. ودور بنو الفضل الهمدانيون في استكمال فتح جزيرة صقلية وتولى امارة الجزيرة للأغالبة. ودور العرب المعماري بافريقية مثل المسجد الجامع بالقيروان ورباط سوسة وقنطرة أم الربيع بالقيروان وبناء الحصون والمحارس والرباطات والمسجد الجامع بمدينة تونس والمواجل لتوفير المياه لمدينة القيروان الآخذة في الاتساع والامتداد. وبناء مدينة رقادة وتطورها.

كما يتناول الفصل مظاهر تعصب بعض أمراء الأغالبة لقيسيتهم واعتمادهم على أسر عربية تنتمي الى هذه العصبية واندلاع الصراع بين أمراء الأغالبة حول السلطة ودور القبائل العربية في هذا الصراع الذي انتهى بتحول اعتماد الأغالبة على عناصر غير

عربية مثل العبيد من الصقالبة والسودان ودور العرب في سقوط الدولة الأغلبية كنتيجة لمذبحة عرب بلزمة بالزاب والذين لعبوا دورا كبيرا في حماية الحدود الغربية لامارة الأغالبة من جهة واخضاع قبائل كتامة البربرية من جهة ثانية. وما أن نكل بهم حتى نجح الفاطميون في نشر دعوتهم بين قبائل كتامة والزحف الى منطقة الزاب. كذلك حرمت مذبحة زعماء بني تميم بتونس الامارة الأغلبية من الاستفادة من خبرة واخلاص عصبيتها العربية في وقت عصيب، كانت في أشد الحاجة اليها بسبب الخطر الشيعي.

والفصل السابع «دور العرب في الدويلات الخارجية» يتناول أصول عرب خوارج المشرق العربي ودورهم في انتقال المذهب الخارجي الى بلاد المغرب واعتناق بعض عرب افريقية، بجانب القبائل البربرية، لمذهب الخوارج، قبل تأسيس الدول الخارجية بالمغرب الأوسط وجنوب المغرب الأقصى. ثم دور العرب في الدولة الصفرية بسجلماسة التي تأسست في 140هـ / 757م وانتماء عيسى بن يزيد الأسود الى موالي العرب ومساهمة العرب الربضيون في ازدهار مدينة سجلماسة المعماري ومساهمة العرب القيسية في تنمية الثروة الحيوانية الرعوية بالامارة الصفرية.

أما بالنسبة لدور العرب في الدولة الرستمية، فقد كان أكثر وضوحا، سواء في انتماء الدولة الى مؤسس المذهب عبد الله بن أباض التميمي العربي. أو تولى عبد الله بن مسعود التجيبي الكندي، وعبد الجبار بن قيس المرادي، والحارث بن تليد الحضرمي لزعامة خوارج طرابلس الأباضية وجميعهم من عرب اليمن. وحينما تأسست الامارة الرستمية بتاهرت في 161هـ / 777م سرعان ما تطورت العاصمة الرستمية بفضل العناصر العربية التي هاجرت اليها من العراق (البصرة والكوفة) ومن افريقية هربا من اضطهاد الأغالبة وكيف تطور دور العرب من التأثير الى التسيير والاشتراك في ادارة الدولة حتى صبغت العناصر العربية المرحلة الثانية من تاريخ الدولة الرستمية خلال عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي يقظان محمد بالصراع القبلي والعنصري مما أدى الى سقوط الدولة الرستمية في النهاية.

# المصادر ومراجع البحث

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة كبيرة من المصادر الأصلية منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع، كما استفدت من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث من قريب أو بعيد. وسوف أقصر حديثي على تلك التي كان لها أهمية خاصة في استيفاء مادة هذا البحث مراعياً ترتيبها ترتيباً تاريخياً وهي :

- **الوثائق الأثرية القديمة** : وهي المصادر الأصلية من الأوراق الرسمية التي تعرف بالوثائق أو من النقوش والنقود والآثار المعمارية ويعنينا من ذلك الوثائق الرسمية من رسائل وتوقيعات وسجلات ومنشورات وأحكام ومعاهدات وغيرها. وهي تعد من أوثق المصادر في دراسة التاريخ السياسي والاقتصادي وربما الديني والاجتماعي أيضاً. وقد ذكر بعض هذه الوثائق وتم حفظها في ثنايا كتابات المؤرخين بعد أن دثر أصلها وضاع رسمها من دواوين الانشاء والرسائل. وسوف نشير اليها في مواضعها من خلال هذا البحث. كذلك يعنينا من فروع هذا القسم العملات الرسمية المعروفة بالسكة أو النمى. لأنها ذات نفع فائق في دراسة الأحوال السياسية والاقتصادية لقطر من الأقطار.

- **كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس** : لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ/871م) بالفسطاط بمصر. وتعتبر رواية ابن عبد الحكم، أقدم وأدق رواية وصلتنا كاملة عن فتح العرب للمغرب وأهميتها تتلخص في أن ابن عبد الحكم مصري. ومصر وعاصمتها الفسطاط كانت القاعدة الحربية التي تنطلق منها الجيوش العربية لفتح المغرب. كما أن المؤلف كان من أسرة كبيرة ـ مالكية المذهب ـ ضربت بسهم وافر في العلم، وقاصت هذه الأسرة كثيراً من الاضطهاد في عهد الخليفة الواثق العباسي (227ـ232هـ/842ـ847م) لأنها رفضت الأخذ بمذهب خلق القرآن.

ولـذلـك فقد تمكن ابن عبد الحكم المؤرخ من الاطلاع على الوثائق الرسمية والسجلات الخاصة المحفوظة بديوان الفسطاط عن طريق المشايخ والعلماء الذين عملوا بالديوان أو نسخوها. بالاضافة الى ما نقله من الرويات والقصص الشعبية التي كانت متداولة بين أهل مصر عن فتوح المغرب.

ونتيجة للوسط العلمي الذي تربى فيه ابن عبد الحكم، نجده يظهر في كتابه بمظهر المحدث أكثر مما يبدو في مظهر المؤرخ ـ اذ كان أبيه عبد الله بن عبد الحكم قاضياً ورئيس للمالكية بمصر ـ فهو يعتني في كثير من الأحيان بإيراد الروايات المختلفة، كما يهتم بتسجيل الاسناد، وتظهر صفة المحدث هذه في الفصل الأخير، الذي يختم به ابن عبد الحكم كتابه عن الصحابة الذين دخلوا مصر والمغرب. والهدف منه هو سرد الأحاديث النبوية التي رويت نقلاً عنهم. ولقد ترتب على طريقة المحدثين هذه تقديم وتأخير بعض الرويات نتج عنه تقديم وتأخير في بعض الأحداث التاريخية ـ حتى الهامه منها ـ مما جعل ترتيبها زمنياً من الأمور الصعبة.

ولقـد أمدنا ابن عبد الحكم بمعلومات هامة عن أصول القبائل العربية التي دخلت منـطقـة برقة وطرابلس وافريقية واعداد المقاتلين من العرب ودورهم في فتح الشمال الافريقي واستئلاف العرب للبربر عن طريق تجنيدهم في الجيوش الاسلامية وفرض الخدمة العسكرية عليهم جنباً الى جنب مع العرب وتنصيب زعماء البربر كقادة بالجيش الاسلامي، حتى تمكن العرب والبربر من التعاون معاً في فتح شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والبرتغال). ثم يوضح ابن عبد الحكم سياسة ولاة بني أمية الغاشمة تجاه البربر وبداية تذمرهم والصراع بين القبائل اليمنية ومواليهم من الأفارقة والبربر والقبائل القيسية واندلاع ثورة الخوارج ببلاد المغرب. وموقف العرب «البلديون» الذين انتشروا واستقـروا بجميع أنحـاء المغـرب، عليهم رئيس منهم يقوم بشؤون الاقليم لحساب والي افريقية. ويلقي ابن عبد الحكم الضوء على نسب زعماء الخوارج بمنطقة طرابلس، وانتسابهم الى العرب.

ـ **كتاب ابن سلام الأباضي** : وهو أقدم ما كتب عن التاريخ عند الأباضية ببلاد المغرب، بالاضافة الى أنه يعتبر أقدم مؤلف تاريخي للمغرب الاسلامي بأسره، علاوة على ذلك فإن قيمة هذا الكتاب تتمثل في أنه يعتبر من المحاولات الأولى لغير العرب أو

بالأحرى لسكان البلاد الأصليين لوصف أسس الحياة الدينية وللتعريف بتاريخ الاسلام وهذا في إطار هذا الدين الجديد وبواسطة اللغة العربية الاسلامية.

وابن سلام الذي توفي بعد 973هـ/887م من أسرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المغرب الأباضي وشارك بعض أفرادها في موقعتي مغمداس وتاورغا. ويمدنا ابن سلام بمعلومات هامة عن أحد زعماء الأباضية بافريقية وطرابلس وهو أبو الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المعافري العربي وأنصاره من العرب، ودور العرب في نشر الاسلام بين قبائل البربر بجبل نفوسة، وينفرد ابن سلام بتقديم معلومات فريدة، فيما يقدمه من أسماء فقهاء وعلماء ومشايخ المذهب الأباضي بمدينة القيروان وافريقية والذين ينتسبون إلى القبائل العربية ومحاربتهم لحركات الهرطقة التي ظهرت بمدينة القيروان مثل «عابدو الكبش».

«كتاب البلدان» : لأحمد بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت: 284هـ/897م تقريباً) من ذرية واضح مولى أبي جعفر المنصور العباسي وينتمي اليعقوبي إلى أسرة شيعة، واهتم في شبابه بأخبار البلدان وأخذ يتنقل من بلد إلى آخر مستفسراً، مستقصياً اذ يقول: «فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره، فاذا ذكر لي محل داره وموضع قراره، سألته عن بلده ذلك... وزرعه ماهو؟ وساكنيه من هم من عرب أو عجم؟... حتى أسأل عن لباسهم... ودياناتهم ومقالاتهم والغالبين عليه... ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه، واستظهر بمسألة قوم بعد قوم، حتى سألت خلقاً كثيراً...، من أهل المشرق والمغرب، وكتبت أخبارهم».

ولذلك يعتبر كتابه البلدان أقدم مصدر جغرافي وأوثقه وكان اليعقوبي أول جغرافي وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته الخاصة. وأمدنا اليعقوبي بمعلومات هامة عن استقرار القبائل العربية ببلاد المغرب مثل عرب بلى وجهينة وبني مدلج بالرمادة والعرب البلديون (جند قدم قد صار لهم الأولاد والأعقاب) بمدينة برقة وعرب الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من أهل اليمن بالجبل الشرقي ببرقة وعرب غسان وجذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب بالجبل الغربي ببرقة واستقرار عرب خراسان والبصرة

والكـوفـة بزويلة وأخلاط من العرب بطرابلس وتعدد بطون العرب بمدينة القيروان وغيرها من مدن افريقية.

ونظرا لميله الشيعي يهتم اليعقوبي بإمارات العلويين بالمغرب الأوسط بمدينة هاز ومتيجـة ومـدكـرة ومـدينة الخضراء وسوق ابراهيم وتلمسان ومدينة العلويين بجوار تلمسان. وتعمير بعضهم مدينة تامدلت بجنوب المغرب الأقصى.

كما يقدم لنا اليعقوبي معلومات هامة عن ادعاء البربر لأنساب عربية مثل لواته الذين يدعون أنهم من قيس عيلان مرة ومن لخم مرة أخرى وهوارة التي تنتمي الى اليمن.

- «**في ذكـر بعض الأخبـار في الأئمة الرستميين**» : لابن الصغير الذي دونه حوالي سنة 290هـ/903م وتعود أهمية الكتاب الى عدة أسباب : أهمها أن ابن الصغير كان من سكـان مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، فكان مطلعاً على ما يحدث بالعاصمة والدولة، شديد الصلة بمن يعرف الدقيق من أخبارها، كما كان في الوقت نفسه من غير المنتمين الى المذهب الأباضي السائد بها، فكان قادراً على أن ينظر اليها بعين المعايش لها والمراقب الخارجي لأحوالها في آن معاً. يضاف الى هذا أن الباحث يكاد يفتقد المصادر المتعلقة بدراسة الدولة الرستمبة بشكل خاص وحركة الخوارج ببلاد المغرب بشكل عام. ناهيك عن دور العرب بها. وهو الأمر المنطقي بالنسبة لحركات ثورية مناهضة لدولة الخلافة، ودويلات معادية لمجتمع أهل السنة. وفي الوقت الذي نجد فيه كتاب أهل السنة يقفون موقفاً معادياً من جماعات الأباضية والصفرية، نجد كذلك الكتاب الخوارج متعصبون لأهل مذهبهم والأئمة، بالاضافة الى أنهم حولوا كتاباتهم الى أدب سري ليس للتداول خارج نطاق الجماعة مما عرضه للضياع أو التشويه.

وقد تنبه الباحثون الى أهمية كتاب ابن الصغير، فقام المستشرق موتيلينسكي Motylinski بالتنويه به وبتلخيصه باللغة الفرنسية في أواخر القرن الماضي، ثم عاد فنشره كامـلاً مع ترجمته الفرنسية في أوائل هذا القرن، وظلت هذه النشرة على علاتها هي النشرة المعتمدة لدى الباحثين.

وابن الصغير، مالكي من أهل تاهرت، معاصراً للدولة الرستمية وبالرغم من سنيتـه وهذا ما يقرره بنفسه، إلاّ أنه حاول أن يكون موضوعياً في كتابته عن الدولة

الرستمية الأباضية الخارجية بقوله: «انه لن يحرف ولا يزيد ولا ينقص: فالنقص والزيادة ليس من شيم ذوي المروءات، ولا من أخلاق ذوي الديانات، وان كنا للقوم مبغضين، ولسيرهم كارهين، ولمذاهبهم مستقلين».

وأمدنا ابن الصغير، بمعلومات تكاد تكون فريدة عن وفود عرب البصرة من الخوارج الى مدينة تاهرت زمن عبد الرحمن بن رستم وازدهار المدينة التجاري وجذبها للعناصر العربية سواء من العراق (البصرة والكوفة) أو من القيروان واستقرارهم بالمدينة، استقراراً نهائياً. وكيفية تطور مكانة العنصر العربي بالمدينة حتى آلت اليهم أمور الدولة في شخص محمد بن عرفة أحد زعمائهم وصهر الامام الرستمي «حتى كانت الامارة بالاسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة» واندلاع الصراع بين العنصر العربي والبربري بسبب اغتيال محمد بن عرفة وأثره السلبي على تدهور وانهيار الدولة الرستمية.

- «**كتاب طبقات علماء افريقية**» : لكل من أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت 333هـ/44ـ945م) وتلميذه أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني (ت 361هـ/977م) اذ يبدو أن أبا العرب توفي قبل اتمامه فأكمله بعد تلميذه الخشني. وقد نشرهما معاً محمد بن أبي شنب (الجزائر 1914م) في ستة أجزاء متوالية، ثلاثة لأبي العرب وثلاثة للخشني وألحق بهما جزءا سابعا لأبي العرب بإسم «**طبقات علماء تونس**».

وأبو العرب مؤرخ ومحدث، يتبع منهج المحدثين في كتابه التاريخ والتراجم بينما تلميذه الخشني يعتبر من أشهر المؤرخين ببلاد المغرب، عاش في مدينة القيروان ثم انتقل الى الأندلس بدعوة من الخليفة الأموي الحكم المستنصر. وعلى مؤلفات كل من أبي العرب والخشني وغيرهم اعتمد أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي من أهل القرن الخامس الهجري وألف كتابه «**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**» وهو يقع في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول نشره وحققه حسين مؤنس (القاهرة 1951م) ويبدأ بتاريخ الفتح ثم بطبقات الصحابة فالتابعين الذين دخلوا افريقية، فطبقات أصحاب مالك طبقة اثر طبقة وينتهي بسنة 300هـ/912م. كما أعاد بشير البكوش نشر الجزء الأول

2

من الكتاب ببيروت 1983م وقام بنشر وتحقيق الجزء الثاني لأول مرة في بيروت 1981م ويبدأ بسنة 293هـ وترجمة أبو عبد الله محمد ابن أبي حميد بسوسة وينتهي بسنة 356هـ وترجمة أبو اسحاق ابراهيم ابن أحمد السبائي المتعبد. أما الجزء الثالث وهو مفقود، فيضم سير العلماء والزهاد فيما بين منتصف القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وكتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك» للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (476ـ544هـ/1083ـ1149م) والكتاب أرّخ لرجالات الفقه المالكي في فترة ما بين 124هـ الى 462هـ وقدم له المؤلف بمقدمة في ذكر المدينة وفضلها وترجمة مسهبة للامام مالك صاحب المذهب. ثم قسم ما بين عهد مالك والزمن الذي يعيشه الى فترتين : فترة الأصحاب، وفترة الأتباع. ولكل فترة طبقات، فالرواة أصحاب مالك ثلاث طبقات. والأتباع الذين انتهى إليهم مذهب مالك عشر طبقات وعرف بالمشتهرين من كل طبقة مرتباً حسب أوطانهم وما يهمنا التراجم الخاصة بإفريقية والمغرب الأقصى فيذكر اسم المترجم ولقبه ونسبه ومولده وشيوخه مما يلقي الضوء على مساهمة القبائل العربية وبطونهم في الحركة العلمية. وقام الدكتور أحمد بكير محمود بنشره ببيروت 1968م وأعاد تحقيقه ونشره مجموعة من علماء المملكة المغربية بالمحمدية 1981م. وقد امتاز عياض بعلم واسع بالتاريخ وأنساب العرب والنحو واللغة والصرف والحديث.

وكتب التراجم والطبقات السابقة، تعتبر فرعاً من نوع أهم هو كتب تاريخ الدين العامة، إلاّ أنها تخصصت في تاريخ الاسلام ومذاهبه ونحله وانتشاره ببلاد المغرب. ورغم أنها قصدت الترجمة أو التأريخ لعلماء أهل السنة، إلاّ أنها تعرضت الى زعماء المذاهب الاسلامية الأخرى التي عرفها المغرب في القرون الثلاثة الأولى.

وبناء على ذلك فهي تمدنا بأسماء أعلام المالكية ونسبهم العربي، وعصبيتهم القبلية واستقرار القبائل التي ينتمون إليها في حالة وجودها، كما أنها تلقي الضوء على التاريخ الاجتماعي والحضاري ومساهمة العرب فيه، إذ عندما تترجم لشخصياتها لا تهتم بالمعلومات العلمية الجافة فقط، بل تتابع من تترجم لهم في حياتهم الخاصة، في المدن والأسواق والأزقة، والمساكن الخاصة وهي من هذا الوجه ـ تحوي معلومات متنوعة

منها ماهو خاص بخطط المدن واستقرار بعض بطون القبائل العربية بها وما هو خاص بتنظيم الأسواق وأحوال النشاط الاقتصادي ومساهمة العرب، وما يتعلق بالعادات والتقاليد المتعارف عليها مؤثرة أو متأثرة بعادات وتقاليد القبائل العربية، بالاضافة إلى هدفها الأول، وهو تناول العلماء والفقهاء من أهل السنة وانتساب بعضهم إلى العرب وجهادهم في سبيل نشر الاسلام في البلاد كمدافعين عن عامة أهل المدن من العرب وغيرهم وكمرابطين ومساهمين في حركة الرباط لمقاومة الغزو المسيحي للسواحل الافريقية.

- «تاريخ افريقية والمغرب»: للرقيق القيرواني وهو أبو اسحق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني وأيضاً بالرقيق النديم، صاحب ديوان الرسائل للدولة الزيرية الصنهاجية بافريقية لمدة نيف وعشرين سنة. ولا نعلم تاريخ مولد هذا المؤرخ وكذا تاريخ وفاته ولكن المنجي الكعبي محقق قطعة «تاريخ افريقية والمغرب» وأحمد الجندي محقق «قطب السرور في أوصاف الخمور» يرجحان وفاته بعد 417هـ/739م ونظراً لأن النويري ينقل عن الرقيق القيرواني حتى سنة 423هـ/1031 ـ 1032م مما يرجح أن وفاة الرقيق القيرواني كانت بعد 423هـ/1031 ـ 1032م بدلا من 417هـ.

وهو يعتبر أشهر مؤرخي افريقية وبلاد القيروان، ولذلك اعتمد عليه كل من المؤرخين المشارقة مثل ابن الأثير والنويري الذي قام بتلخيص كتابه تاريخ افريقية والمغرب، أو من المغاربة مثل ابن عذاري وابن خلدون. ولتقييم كتاب الرقيق تكفي شهادة ابن الأثير المؤرخ المدقق له عندما ينقل عنه أخبار المغرب، فيرجحها على غيرها بقوله «ورب البيت أدرى بما فيه».

والقطعة الخاصة بتاريخ إفريقية والمغرب، المنسوبة للرقيق القيرواني، والتي قام بتحقيقها المنجي الكعبي بتونس 1968م، تبدأ من ذكر ولاية عقبة ابن نافع الثانية إلى ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب. تدل على أن النقول من كتاب ما، مهما استفاضت، لاتغني الباحثين عن الكتاب الأصيل. ويفضل هذه القطعة، أصبح من السهل توضيح ما أجمله ابن عبد الحكم بالنسبة للفتوحات العربية وكمثل على ذلك موقف العرب خلال الصراع بين زهير بن قيس البلوي، خليفة عقبة بن نافع، وكسيلة

زعيم أوربة، ووصف موقعتي الأصنام والقرن وثورات الخوارج، واضطرابات الجند الافريقي، واستقرار القبائل العربية بالمغرب إذ بعد ثورة البربر في 122هـ/740م وهزيمة العرب يلقي الرقيق الضوء على موقف الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي المتعصب للعروبة، إذ أقسم قائلاً: «والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي، والله لا تركت حصناً بربرياً إلاّ جعلت الى جانبه خيمة قيسي أو يمني». كما سهلت هذه القطعة لنا معالجة موضوع الصراع بين المضرية واليمنية بافريقية حتى قيام الدولة الأغلبية.

- «كتاب سير الأئمة وأخبارهم»: لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ)، وقد قام ماسكارى Masqueray بترجمة الكتاب الى اللغة الفرنسية في 1878م ونظراً لعدم دقة الترجمة، حاول لوتورنو Tourneau إعادة الترجمة في 1960م وقام بنشر قسمًا من هذه الترجمة الفرنسية - حوالي ثلث النص الأصلي - في المجلة الافريقية 1960 Revue Africaine معتمداً على عدة مخطوطات جديدة، كاملة وناقصة. وأخيراً قام اسماعيل العربي بتحقيق الكتاب ونشره بالجزائر في 1979م.

وكتاب أبي زكرياء، يعتبر المصدر الثالث بالاضافة الى كتاب ابن الصغير السني وكتاب ابن سلام الأباضي، الذي يمكن بواسطتهم التعرف على دور القبائل العربية في حركة الخوارج الأباضية والدولة الرستمية ببلاد المغرب ويهتم أبو زكرياء بكيفية انتقال المذهب الخارجي الى بلاد المغرب ودور العرب في هذا الانتقال، كما تشكل المعلومات التي يوردها عن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري العربي، أحد حملة العلم الخمسة من زعماء المذهب الأباضي، أهمية خاصة خصوصاً بعد مقارنتها بما أورده أبن سلام الأباضي. وتلقي هذه المعلومات الأضواء على دولة الزعيم اليمني الأباضية بإفريقية وطرابلس واستمرارها في ابنائه وأحفاده من بعده. واعتماد هذه الأسرة الأباضية المذهب على عصبية عربية بطرابلس كفلت لها تبوأ صدارة الأحداث بالمنطقة خلال القرن الثاني الهجري.

- «كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب»: وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (432 - 487هـ/1040 - 1094م) وهو جغرافي أندلسي من أهل قرطبة، من بيت شرف

وامـارة، فقـد كان آبـاؤه أصحاب وَلبه وشَلْطيش، إذا استبدوا بأمورهما بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس.

ويعتبر دوزي البكري أكبر جغرافي أنجبه الأندلس، ولم يبرح البكري الأندلس، ولهذا فإن مؤلفاته إنما هي في الواقع جمع وتصنيف من مؤلفات غيره مما لا نجده بين أيدينا الآن. وأهم المؤلفـات التي اعتمـد البكري عليها «كتاب مسالك إفريقية وممالكها» لمحمـد بن يوسف الـوراق الملقب بالتاريخي (ت 362هـ ـ 973م) وكذلك ما كتبه الوراق عن افريقية وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتباً جمة، وكذلك ما ألفه في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة.

والجزء الخاص ببلاد المغرب يتميز بأن البكري يقف عند كل موضع وقعت فيه حادثة تاريخية ويتحدث عنها بتفصيل، كما لا يكاد يغادر مدينة أو قرية أو محرساً أو حصنـاً أو رباطاً أو جبلا أو بحيرة أو نهراً، إلّا ذكره بتفصيل يدل على جهد كبير في البحث والاستقصاء، مع ما لابد منه من الاشارات الى الموارد والمحصولات والمعادن والصناعات وأصناف الناس وما تيسر له من المعلومات عن طباعهم. فهو في الواقع ليس مجرد كتاب مسالك وممالك، وإنما هو جغرافية وصفية بشرية اقتصادية من الطراز الأول.

ويمدنا البكري بمعلومات هامة عن استقرار العرب بالشمال الافريقي مثل قبيلة غافق في الـطريق بين قابس وسفـاقص، وبطن من فهر بمدينة القيروان، واستقرار العـرب بمدينة تونس ووصفه لمدينة الانصاريين بجوار مدينة لربس «نسبت الى قوم نزلـوهـا من الأنصار من ولد جابر بن عبد الله» واستقرار العرب بمدينة طبنة وتهودا وسـطيف وميلة وحول مدينة أجز المجاورة للقيروان واستقرار قوم من قريش من ولد الـربيع بن سليمان بمـدينـة المنستير. واستقرار العلويون بمدينة حمزة وسوق حمزة في الطريق بين مدينة أشير ومرسى الدجـاج، وانتشار مساكن العرب فيما بين مدينة طبنة وجبل أوراس واستقرار العرب بمدينة مجانة حيث معدن الفضة، وقرية الجهنيين نسبة إلى قبيلة جهينة العربية في الطريق بين مدينة سبيبة والقيروان.

كما يعتبر البكري أقدم المصادر عن إمارة الحميريين اليمنيين ببلاد الريف وبيان بأسماء أمرائهم وعلاقة هذه الامارة العربية بجيرانها من الأدارسة والأمويين ودورهم في

نشر الاسلام بالمنطقة وتنمية الحياة الاقتصادية والزراعية ودور الفاطميين في القضاء عليها.

كما يضيف البكري معلومات هامة عن استقرار القبائل العربية بالمغرب الأقصى مثل عرب الصدف بمدينة سبتة وعرب خولان بجوار مدينة فاس حيث استقروا في قرية كبيرة بجوار قلعة ابن خروب. وعرب قضاعة بمدينة البصرة والأدارسة العلويون بفاس وبقية أنحاء المغرب الأقصى.

- «كتاب الحلة السيراء» : لابن الآبار (595 ـ 658هـ/1199 ـ 1260م) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد ابن أبي بكر القضاعي ويعرف بإبن الآبار وهو مؤرخ ومحدث، وأديب وشاعر عربي، أصله من أنْـدَة أرض بني قضاعة بالأندلس. كان كاتباً لأمراء الموحدين بالأندلس، وبعد سقوط بلنسية بأيدي النصاري، هاجر مع جميع أفراد أسرته الى تونس حيث تقلب في المناصب الرسمية وانتهى الأمر بقتله في 658هـ/1260م.

ألف ابن الآبار عدة كتب في التاريخ والحديث والأدب والشعر أهمها «كتاب الحلة السيراء» وهو مجموع من تراجم الأمراء الذين نظموا القريض، مع نماذج من ثمرات قرائحهم. ولكن يلاحظ أن ابن الآبار كثيراً ما يستطرد في ترجمة الأمير أو الوالي أو الثائر ويمدنا بمعلومات جديدة وأصيلة عن تاريخ المغرب حتى مدحه دوزي بقوله «وإنني لأقرر دون أي مبالغة، وفي صراحة وبساطة، أنه كتاب عظيم القيمة، فهو يضم قدراً لا يحصى من المعلومات عن شتى الموضوعات، ويصور تاريخ المغرب والأندلس على نحو يدعو إلى الاعجاب وهو ينفرد بكثير مما يحدثنا به فلا نظفر به في موضع آخر».

والكتاب يتناول أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الاسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري وهو مقسم إلى قرون مستقلة تبدأ بالقرن الأول الهجري ثم الثاني وهكذا وما يهمنا من الكتاب القرون الثلاثة الأولى وهو يحتوى على أسماء ولاة إفريقية وتكوين جيوشهم العربية والثوار من زعماء الجند العربي ونسبهم القبلي وعصبيتهم القبلية بافريقية، كما تشكل المادة التي أوردها عن بني حبيب الفهريين وبني المهلب اليمنيين أهمية خاصة وتتكامل مع ما أورده الرقيق القيرواني عن هذه الأسر العربية الحاكمة بإفريقية.

- «كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب» : لأحمد بن عبد الوهاب المشهور بالنويري المتوفي في 732هـ/1332م والكتاب من أهم الموسوعات التاريخية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وهي تقع في ثلاثين مجلداً وما يهمنا من هذه الموسوعة الجزء الثاني والعشرين الذي يتناول تاريخ المغرب منذ الفتح حتى الدولة المرينيّة وأهمية هذا الجزء ترجع الى اعتماد النويري في كتابته الى تلخيص كل من كتابي ابراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخ افريقية، وعز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس في تاريخه «الجمع والبيان في أخبار القيروان وفيمن فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان» واعتماده على مؤلفات تعتبر مفقودة حالياً.

والمعلومات التي يقدمها النويري تكمل المعلومات التي استقيناها من القطعة المنشورة والمنسوبة للرقيق القيرواني وبل وتملأ بعض الفجوات بها وتصحح بعض الكلمات التي لم يوفق المحقق المنجي الكعبي لقراءتها. وخصوصاً وأن النويري تناول تاريخ بلاد المغرب منذ حملة العبادلة التي تناولها بالاسهاب موضحاً القبائل التي دخلت افريقية ثم ولاية معاوية بن حديج الكندي وولاية عقبة الأولى وبناء القيروان واستقرار العرب بها ثم ولاية عقبة الثانية وتتفق معلومات النويري مع قطعة الرقيق منذ ولاية عقبة الثانية الى ولاية أبي العباس عبد الله ابن ابراهيم بن الأغلب ثم يضيف معلومات اضافية حتى سقوط الدولة الأغلبية.

## الفصل الأول

# القبائل العربية وفتح المغرب

يعتبر الفتح العربي لبلاد المغرب، نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة الحركة الاسلامية لتصفية الامبراطورية البيزنطية المعادية للاسلام، خصوصا وان المغرب في ذلك الوقت كان ولاية من الولايات التابعة لها.

ويفهم من كلام المؤرخين المعاصرين سواء كانوا عربا أو بيزنطيين ان سياسة التوسع العربي التي قام بها الأمويون في شمال افريقيا، كانت تهدف في أساسها الى غزو صقلية وجنوب ايطاليا وسواحل البحر الادرياتي، أو بعبارة أخرى غزو الامبراطورية البيزنطية من ناحية الغرب، الى جانب الحملات العربية التي كانت سائدة عليها من ناحية الشام وآسيا الصغرى من جهة الشرق، كي يتم للمسلمين بذلك تطويق القسطنطينية والاستيلاء عليها.

ولذلك تبدأ حملات المسلمين في شمال افريقيا بعد استيلائهم على مصر مباشرة 21هـ/641ـ642م بقيادة **عمرو بن العاص** بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى القرشي السهمي، اذ قام هذا القائد بغزو اقليمي برقة وطرابلس لتأمين حدود مصر الغربية من خطر الروم أو البيزنطيين الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى، اذ كان يخشى أن يحاولوا استعادة مصر عن هذا الطريق الغربي[1].

وكانت كل من الاسكندرية والفسطاط هما القاعدتين الحربيتين لانطلاق القبائل العربية الى بلاد المغرب في الفترة من 23هـ/643م الى 50هـ/670م وهي سنة تولي عقبة بن نافع الفهري ولاية افريقيا وبداية بناء مدينة القيروان العربية فتحولت القاعدة الحربية من الاسكندرية اليها.

(1) انظر أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ص 245 ـ 246.

وبالتالي وقع العبء على القبائل العربية التي استقرت بالمدينتين لاعداد الحملات الى بلاد المغرب ومن هذه القبائل ما أطلق عليهم تسمية اللفيف وهم مجموعة من قبائل الازد من الحجر وغسان وشجاعه والتف بهم نفر من جذام والزحاف وتنوخ من قضاعة وسموا باللفيف لأن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية، أخبر أن مراكب الروم توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين، فبعث عمرو، برسول ليأتيه بالخبر، فمضى وأسرعت هذه القبائل تتبعه فلما رآهم الرسول استكثرهم وقال: تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى «فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا» فبذلك سموا من يومئذ اللفيف. وقد سألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة (حلف) فاعترضت عشائرهم على ذلك، فقالوا لعمرو فأنا نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك. فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بني ابيه[2].

وقبائل أهل الظاهر وهم من العتقاء مع طوائف من الأزد وفهم وعرفوا بأهل الظاهر، لأنهم كانوا من القبائل العربية التي نزلت الاسكندرية، ثم قفلت بعد عودة عمرو بن العاص وبعد تأسيس مدينة الفسطاط واستقرار القبائل العربية بخطط لكل منها. فاشتكت الى عمرو، فقال لهم معاوية ابن حديج: ـ وكان ممن يتولى الخطط يومئذ ـ أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك. أما العتقاء فهم جماع من القبائل كانوا يشتغلون بقطع الطريق أيام الرسول ﷺ فبعث اليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء[3].

وآل ذي أصبح من حمير وهم كثير، ويافع بن زيد من رعين وهمدان

(2) انظر المقريزي: المواعظ والاعتبار 1: 297 ـ 298.
(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار 1: 297 ـ 298.

وطائفة من الأزديين، بني الحجر بن الهبو بن الأزد، وطائفة من الحبشة وديوانهم في الأزد[4].

وأهـل الـراية وهم جماعات من قريش والأنصار وخزاعة وأسلم وغفار وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بني كنانة وليث ابن بكر والعتقاء ويذكر المقريزي أنهم سموا بأهل الراية لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما يكفي لتشكيل فرقة تقيد في الديوان، فكره كل بطن أن يدعي باسم قبيلة غير قبيلته، فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد، فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها.

وقبيلة مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن ملك ابن حمير.

وقبيلة تجيب وهم بنو عدي وسعد ابني الأشرس بن شبيب بن السكن ابن الأشرس بن كندة، اذ من كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب نسبهم الى أمهم.

وقبيلة لخم ومنهم بني لخم بن عدى بن مرة بن أدد، ومنهم بني رية ابن عمرو بن الحارث بن وائل بن وائل بن راشدة، ومنهم راشدة بن أدب ابن جزيلة ومنهم بني خبان بن أدب بن جزيلة.

وقبيلة غافق، وهو غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبد الله ابن الأزد.

وقبيلة الصـدف، واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة.

(4) المقريزي : المواعظ والاعتبار 1 : 206.

وقبائل مذحج وغطيف ووعلان، ومذحج هو مالك بن مرة بن أدد ابن زيد بن كهلان، وغطيف بن مراد، ووعلان بن قرب بن ناجية بن مراد، وكلهم ينتمون الى مذحج.

وبني يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث.

وبني رعين بن زيد بن يسهل.

وبني ذي الكلاع بن شرحبيل بن سعد من حمير.

وبني المغافر بن يعفر بن مرة بن أدد.

وبني السبأ والرحبة بن زرعة بن كعب

وبني السلف بن سعد، وبني وائل بن زيد بن مناة بن أفصى بن أياس ابن حرام بن جذام بن عدى[5]

وتشكلت من هذه القبائل الحملات التي أرسلت لفتح اقليمي برقة وطرابلس، اذ تذكر المصادر أن عمرو بن العاص خرج على رأس حملة من القبائل العربية مشكلة من الفرسان لفتح برقة عن طريق الساحل الشمالي عبر منطقة انطابلس (المدن الخمسة القديمة)، وأن الحملة لم تصادف مقاومة خلال زحفها، الى أن وصلت مدينة برقة فضرب عمرو عليها الحصار وقاتل أهلها على الجزية[6] ولكن يبدو أن أهل برقة سرعان ما استجابوا للإتفاق مع العرب اذ يذكر ابن عذارى « فصالح (عمرو) أهلها على الجزية: دينار على كل حالم »[7] وبلغت الجزية ثلاثة عشر ألف دينار سنويا.

ويضيف كل من ابن عبد الحكم والبكري أن عمرو بن العاص اشترط

(5) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص 91-129، القلقشندي: صبح الأعشى 3: 331. المقريزي: المواعظ والاعتبار 1: 296-298.

(6) البلاذري: فتوح البلدان ص 224.

(7) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 8.

على قبيلة لواتة البربرية «أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم»[8] ويعلق بعض الباحثين على ذلك بقوله «أن عمرا عرف فقر اللواتيين وتخوف من عدم مقدرتهم على أداء الجزية فرأى أن يؤدوها عن هذا الطريق»[9]. ويتولى اليعقوبي تفنيد هذا التعليل، حينما يصف لنا جبلي برقة بقوله: «وفي هذين الجبلين عيون جارية وأشجار وثمار وحصون وآبار للروم قديمة... وخراج برقة قانون قائم، كان الرشيد (العباسي) وجه بمولى له، يقال له بشار، فوزع خراج الأرض بأربعة وعشرين ألف دينار (24 ألف) على كل ضيعة شيء معلوم. سوى الأعشار والصدقات والجوالي (الجماعة من الخيل أو النعم من الابل وتطلق على البقر والغنم). ومبلغ الأعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر ألف دينار (15 ألف)[10]. أي أن ما تدفعه برقة لعاصمة الخلافة 39 ألف دينار سنويا. ويوضح كل من البكري والحميري ما أجمله اليعقوبي فيروي البكري أن برقة «دائمة الرخاء، كثيرة الخير، تصلح بها السائمة، وتنمي على مراعيها، وأكثر ذبائح أهل مصر منها، ويحمل منها الى مصر الصوف والعسل والقطران، وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقة... وهي كثيرة الثمار من الجوز والأترج والسفرجل وأصناف الفواكه»[11] ويضيف الحميري أنه «كان من غلاتها فيها سلف القطن الطيب، وبها ديار لدباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة اليها من أوجله»[12]

وبالرغم من أن هؤلاء الجغرافيين عاشوا ما بين القرن الثالث الهجري الى القرن الثامن الهجري، مما قد يدفع البعض الى الاعتقاد بأن هذه الحالة

(8) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 29، البلاذري : فتوح البلدان ص 224_225.
البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 4.

(9) انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1 : 132.

(10) انظر اليعقوبي : البلدان ص 96_97.

(11) البكري: المغرب ص 5، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص 91.

(12) الحميري : الروض المعطار ص 91.

الاقتصادية لاقليم برقة، تنطبق خلال سيطرة العرب عليها وليس قبل ذلك. ويفندها ابن خلدون الذي يقرر أن «العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب» ويروي أن افريقية والمغرب لما جاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة «وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر»[13] مما يدل على ازدهار الحالة الاقتصادية بإقليم برقة.

ويرجح ذلك أن عبد الله بن عمرو بن العاص، تمنى الاستقرار بها وقوله: «لولا مالي بالحجاز، لنزلت برقة، فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها»[14] واستقرار الكثير من القبائل العربية التي شاركت في فتحها بالاقليم اذ يروي اليعقوبي في وصف مدينة برقة «وحوالي المدينة أرباض لها يسكنها الجند وغير الجند، وفي دور المدينة والأرباض أخلاط من الناس، وأكثر من بها جند قدم، قد صار لهم الأولاد والأعقاب... ولبرقة جبلان: أحدهما يقال له الشرقي، فيه قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من أهل اليمن. والآخر يقال له الغربي، فيه قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب».

ونتيجة لهذا الانتشار العربي بإقليم برقة، ونتائجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نجد أن بطون لواتة وهم من البربر، يختلقون لانفسهم أنسابا عربية ويقولون أنهم من ولد لواتة بن بر بن قيس عيلان، كما يدعي بعضهم أنهم قوم من لخم كان أولهم من أهل الشام فنقلوا إلى هذه الديار[15]. وذلك لكي يتساوو مع جيرانهم العرب في نسبهم الشريف الذي يفتح لهم أبواب المناصب الادارية بالدولة وغيرها من المميزات.

(13) انظر ابن خلدون : العبر 1 : 187، 188.

(14) البلاذري : فتوح البلدان ص 224.

(15) انظر اليعقوبي: البلدان ص 96-97.

واذا كانت فكرة فقر اللواتيين كمبرر لبيع أولادهم مقابل الجزية، مستبعدة، فلا يمكن انكار أن أخذ صغار لواتة والبربر من البنين والبنات لتربيتهم في كنف العرب، كان يحقق ثلاثة أهداف رئيسية أولها ديني بتنشئتهم على العقيدة الاسلامية، وثانيها اجتماعي بتعريبهم عن طريق تعلم اللغة العربية وتربيتهم على العادات والتقاليد العربية، ثم التزاوج معهم، ونشر العروبة كان رسالة القبائل العربية، وثالثها سياسي، وهو توثيق العلاقات بين البربر والعرب[15].

كما أرسل عمرو بن العاص، حملة ثانية، جنوبية، لفتح الأقاليم الجنوبية لبرقة عبر طريق الفيوم أو الصعيد بقيادة عقبة بن نافع الفهري أو بقيادة أبيه نافع بن عبد القيس الفهري اذ كان عقبة يبلغ من العمر ما بين ثلاثة عشرة سنة وأربع عشرة سنة. ويروي ابن عبد الحكم «حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين»[17] أما البلاذري فيشيد بهدوء تلك الأقاليم بقوله: «أن ما بين زويلة وبرقة مسلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدتهم الجزية»[18].

ولذلك زحف عمرو بجنوده غربا «ثم أتى لبدة من أرض طرابلس فأفتتحها»[19] وقام بمحاصرة مدينة طرابلس لمدة شهر «لا يقدر منهم على شيء»[20] الى أن خرج رجل من قبيلة بني مدلج القيسية في مجموعة من أصحابه، فمضوا بغرب المدينة، ولم يكن فيه بين البحر والمدينة سور، وكانت

---

(16) أنظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1 : 132ـ133.

(17) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 30، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 19، البكري : المغرب ص 41.

(18) البلاذري : فتوح البلدان ص 224.

(19) تاريخ خليفة بن خياط 1 : 149.

(20) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 31، رحلة التجاني ص 239، الحميري : الروض المعطار ص 389.

سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم، فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر غاض من ناحية المدينة، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة فكبروا، فلم يكن الروم مفزع إلّا سفنهم وأقبل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم، فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم، وغنم عمرو ما كان في المدينة[21]. بعد أن خذلتهم قبيلة نفوسة البربرية التي كانت تشترك معهم في دين النصرانية[22]

وما أن تمكن العرب من السيطرة على مدينة طرابلس، حتى أرسل عمرو على وجه السرعة فرقة من الفرسان لمفاجئة مدينة صبرة التي يتفق كل من التجاني والحميري بأنها «المدينة العظمى» وأنها «كانت في القديم قاعدة ذلك الموضع كله ولم يكن هناك أحصن منها» لذلك اطمأن أهلها حينما علموا بمحاصرة العرب بطرابلس وفشلهم في اقتحامها.

وصبحت الخيل المدينة وأهلها غافلون وقد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم، فدخلوها فلم ينج منهم أحد إلا ناس قلائل توجهوا في مراكب لهم الى صقلية، واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها وعادوا الى طرابلس[23].

لم يكتف العرب بإخضاع المناطق الساحلية فقط، بل ومن المرجح أن عمرو، أرسل فرقة أخرى بقيادة بسر بن أبي أرطأة العامري القرشي[24]، تشكل أغلبها من قبائل سهم (وهي قبيلة عمرو بن العاص قائد الحملة) وحضرموت، التي سوف تستقر في هذه المنطقة بعد ذلك[25] لفتح الأقاليم الصحراوية جنوب طرابلس فافتتحها وفرض على أهلها ثلاثمائة وستين رأسا[26]

(21) انظر ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 31، البكري: المغرب ص 8ـ9، التجاني: رحلته ص 239، الحميري: الروض المعطار ص 389ـ390.

(22) ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 8.

(23) رحلة التجاني ص 212، الحميري: الروض المعطار ص 354.

(24) أنظر ابن الأبار: الحلة السيراء 2 : 324، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ص 161، 315.

(25) البكري: المغرب ص 11.

(26) ابن الابار: الحلة السيراء 2 : 324.

تطبيقا للسياسة التي أنتهجها عمرو بن العاص، لتحويل البربر الى الاسلام وتعريبهم.

بعد أن أخضع العرب اقليمي برقة وطرابلس (ليبيا حاليا) تطلعوا الى اقليم افريقية وكتب عمرو الى الخليفة عمر بن الخطاب «يخبره بما أفاء الله عليه من النصر والفتح، وأن ليس أمامه إلاّ بلاد افريقية، وملوكها كثير، وأهلها في عدد عظيم، وأكثر ركوبهم الخيل، فأمره بالانصراف عنها، فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلا الى مصر»[27].

ويلقى هذا النص الضوء على سياسة عمر بن الخطاب التي تميزت بالحرص على سلامة أرواح الجند من العرب، فلم يقدم على أي عمل حربي، إلاّ بعد دراسة شاملة وتدبير محكم حفظا لأرواح المسلمين. كما نراه يعمل على اقامة المدن الاسلامية العربية كقواعد حربية في البلاد المفتوحة تنطلق منها الجيوش وتلجأ اليها عند الضرورة.

اذ أن البيزنطيين قاموا بتحصين حدود افريقية الشرقية، بالاضافة الى وجود عدد من الحصون المنيعة في ولاية طرابلس نفسها لم تسقط بعد في أيدي العرب[28].

يضاف الى ذلك عدم استقرار الأمور بشكل نهائي في ولاية مصر البيزنطية التي آلت الى العرب واضطراب أحوال مصر الداخلية وتربص الروم للعرب وهو ما حدث في ثورة الاسكندرية[29] كل هذه العوامل كانت السبب الذي دفع عمرو للعودة الى مصر. ولكن هل كانت العودة لجميع القبائل العربية أم ترك عمرو بعضها في المدن لتحصيل الجزية المفروضة على أهلها من

(27) انظر ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 8.

(28) انظر حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 66-67.

(29) تاريخ خليفة بن خياط 1 : 162.

ناحية وترغيبهم في الاسلام من ناحية أخرى. هذا ما نرجّحه. اذ خلال عودة العرب الى افريقية في حملة العبادلة بعد ذلك بأربع سنوات في 27هـ/647ـ648م، انضم اليهم عقبة بن نافع الفهري وأصحابه عند برقة اذ كانوا مرابطين هناك حسب رواية ابن الأثير[30].

قتل عمر بن الخطاب في 23هـ/643م وتولى عثمان بن عفان الخلافة فولى **عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي العامري** ـ أخوه في الرضاعة ـ فكان عبد الله يبعث العرب في جرائد الخيل فيصيبون من افريقية وكتب بذلك الى عثمان، فاستشار الصحابة وندب الناس الى الغزو بنفسه، فتقاطر الناس من مختلف القبائل للاشتراك فيها وكان أكثرهم من القبائل التي تقطن حول المدينة[31]. وهكذا لم يعد عرب مصر وأغلبهم من اليمنية، هم المصدر الوحيد، للحملات العربية الى افريقية، بل ونافسهم في ذلك عرب الحجاز من القيسية.

ويمدنا الكتاب بتفصيلات عن القبائل العربية التي شاركت في غزوة العبادلة لاشتراك بعض مشاهير المسلمين الذين يبدأ اسمهم بعبد الله وربما كان بعض هذه الأسماء منحولا اخترعه مؤرخو المغرب للتعظيم من شأن افريقية، حيث أنه لم يرد إلاّ في كتبهم كرياض النفوس وكتب مؤرخي المشرق الذين أخذوا عنهم مثل النويري الذي اعتمد على الرقيق القيرواني.

فقد شارك في هذه الحملة من بني هاشم، عبد الله بن عباس وهو ابن عم رسول الله ﷺ وهو الذي «قسم الفيء بين المسلمين في فتح افريقية»[32] وعبيد الله بن عباس.

---

(30) ابن الأثير: الكامل 3 : 43، ويضيف السلاوي أنهم استقروا ببرقة منذ فتحوا زويلة في ولاية عمرو ابن العاص بمصر خلال خلافة عمر بن الخطاب، انظر الاستقصا 1 : 33 وتعليق(3).

(31) البلاذري : فتوح البلدان ص 228، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 9.

(32) المالكي : رياض النفوس 1 : 61.

ومن بني تيم، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن صبيحة في عدة من قومه.

ومن بني عدي، عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب وعبيد الله بن عمر، وعاصم بن عمر في عدة منهم.

ومن بني أسد بن عبد العزى، عبد الله بن الزبير في عدة من قومه.

ومن بني سهم، عبد الله بن عمرو بن العاص، والمطلب بن السائب ابن أبي وداعة في عدة منهم.

ومن بني أمية، مروان بن الحكم وأخوه الحارث في عدة منهم.

ومن بني زهرة، المسور بن مخرمة بن نوفل، وعبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث وعدة منهم.

ومن بني عامر بن لؤى بن غالب السايب بن عامر بن هشام وبسر ابن أبي أرطأة.

وعدة من بني هذيل، منهم أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر وابنه حمزة بن خويلد.[33] وعدة من لخم وجذام[34].

ومن بني مهرة ستمائة رجل.

ومن بني غنث من الأزد سبعمائة رجل.

ومن ميدعان من الأزد سبعمائة رجل[35].

وخرج من جهينة ستمائة رجل.

ومن بني أسلم، حمزة بن عمرو الأسلمي وسلمة بن الأكوع في ثلاثمائة رجل.

(33) أنظر النويري : نهاية الأرب (الجزء الخاص بالمغرب والأندلس) 22 : 176، 177.

(34) اذ يروي ابن عبد الحكم «ان مروان بن الحكم أقبل من افريقية، أرسله عبد الله بن سعد ووجه معه رجلا من العرب من لخم أو جذام» أنظر فتوح افريقية والأندلس ص 42.

(35) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 38، الطاهر أحمد الزواوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 50.

ومن بني مزينة ثمانمائة رجل «وكان لواؤهم على حدة يحمله بلال ابن الحارث المزني»[36].

ومن بني سليم أربعمائة وخمسون رجل.

ومن بني الديل وضمرة وغفار خمسمائة رجل، منهم أبو ذر الغفاري.

ومن بني غطفان وأشجع وفزارة سبعمائة رجل.

ومن بني كعب بن عمرو اربعمائة رجل وكانوا آخر من قدم على عثمان والناس يعسكرون بالجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة[37].

ويروي الرقيق القيرواني أنه خرج مع الحملة المقداد بن عمرو البهراني وعاصم ومعاوية بن حديج وفضالة بن عبيد، ورويفع بن ثابت، وأبو زمعة البلوي، والمسيب بن جون، وجبلة بن عمرو الساعدي، وزياد بن الحارث الصداي، وسفيان بن وهب، وقيس بن يسار بن مسلمة، وزهير بن قيس، وعبد الرحمن بن صخر، وعمرو بن عوف، وعبد الله بن أنس[38].

وكان معظم رجال جيش العبادلة من عرب الحجاز (القيسية)[39] بالاضافة الى نفر من قريش عددهم قليل فيهم الكثير من أبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين رغبهم عثمان في التطوع فوزع عليهم السلاح وعلى ضعفائهم ألف بعير من ماله.

واستعمل عثمان عليهم الحارث بن الحكم خلال الطريق من المدينة الى الفسطاط حيث تؤول القيادة الى عبد الله بن سعد والي مصر، الذي زحف الى

(36) انظر المالكي : رياض النفوس 1 : 76.

(37) البلاذري : فتوح البلدان ص 228، أبو العرب: طبقات علماء افريقية ص 14، المالكي : رياض النفوس 1 : 16، النويري: نهاية الأرب 22 : 177، 178.

(38) النويري : نهاية الأرب 22 : 177.

(39) فالقبائل والبيوتات التي تنتمي الى عدنان: بنو هاشم، عدى، أسد، سهم، أمية، زهرة، عامر، هذيل، أسلم ، مزينة، سليم، غطفان، أشجع، فزارة، كعب.
بينما القبائل التي تنتمي الى قحطان (اليمن) : الأزد، مهرة، جهينة.

افريقية بجيش من عشرين ألف مقاتل مشكل من القبائل العربية التي وفدت عليه من المدينة والبالغ عددها حوالي ستة آلاف رجل وكذا القبائل العربية المستقرة بمدينة الفسطاط بمصر(40).

زحفت القبائل العربية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى افريقية في 27هـ/647ـ648م. وفي برقة انضم اليهم عقبة بن نافع الفهري وقواته، اذ كان مرابطا بها بعد عودة عمرو بن العاص الى مصر فأرسل عبد الله الطلائع والمقدمات أمامه للاستكشاف والحصول على المؤن الكافية من بقر وشاء وعلف للقوات وأنعامها(41).

فقامت احدى هذه الطلائع بمحاصرة مدينة طرابلس التي تمردت على العرب وخلعت الطاعة، وسرعان ما اكتفى العرب بنهب نواحي المدينة والسفن التي كانت راسية بشواطئها، وانضمت الى بقية القوات والقيام بمحاصرة مدينة قابس، ثم الزحف نحو أرض افريقية دون ـ اتمام فتح قابس ـ مبتعدا عن الشاطىء الى أن وصل الى عقوبة وهو فحص متسع يقع بالقرب من مدينة سبيطلة (مسيرة يوم وليلة)(42) التي اتخذها جريجوريوس (جرجير) حاكم افريقية عاصمة له بدلا من قرطاجنة بعد اعلانه استقلاله بالمغرب عن الامبراطورية البيزنطية، حتى يكون بمأمن من تهديد الأسطول البيزنطي الذي فرض سيطرته بحوض البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت(43).

(40) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 35، 37، المالكي: رياض النفوس 1 : 17، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 9، وينفرد أبو العرب في طبقات علماء افريقية ص 14 بأن امدادات المدينة كانت عشرين ألفا، بينما حصر هذه الامدادات يثبت أنها في حدود ستة آلاف رجل فقط.

(41) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 164، ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 45، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 9، النويري: نهاية الأرب 22 : 178.

(42) النويري: نهاية الأرب 22 : 178.

(43) انظر ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، ص 35، ابن الأثير: الكامل 3 : 43، حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ص 46، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1 : 152.

واستمرت المفاوضات بين العرب وجرجير لمدة عدة أيام وانتهت بالفشل بسبب رفض جرجير الاسلام أو الجزية قائلا: «لو سألتموني درهما واحدا لم أفعل»[44] وبدأ القتال بين قوات جرجير البالغة مائتي ألف حسب رواية خليفة بن خياط، ومائة وعشرين ألف حسب رواية المالكي وبقية المصادر[45] ـ وهذا العدد مبالغ فيه من غير شك ـ والقبائل العربية التي عبأها عبد الله بن سعد على هيئة: ميمنة وميسرة وقلب[46] ولاشك أنه التزم بالنظام القبلي ووحدة القبيلة في الجيش حتى تبذل كل قبيلة قصوى جهدها ويتضح بلاء أفرادها في القتال كما فعل خالد بن الوليد في معركة عقرباء مع بني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب حينما كاد ان ينهزم جيشه[47].

ودامت الحرب بين الفريقين، دون نتيجة حاسمة، اذ كان القتال يستمر الى الظهر، ثم ترجع كل طائفة الى معسكرها، وتضع الحرب أوزارها فأشار رجل من القبط، حسب رواية المالكي[48] وعبد الله بن الزبير حسب رواية الرقيق[49]، على عبد الله بن سعد، بتقسيم الجيش الى قسمين: الأول يحارب الى الظهر، والثاني يقوم بعمل كمين في عدة أماكن لقوات جرجير. وما أن انتهت العمليات العسكرية عند الظهر وعاد الروم الى معسكرهم ووضعوا أسلحتهم وسرحوا خيولهم وألقوا أنفسهم على فراشهم حتى خرجت الكمائن عليهم، فانهزمت الروم وقتل ملكهم وقتل منهم ما لا يحصى عدده وغنم العرب

(44) النويري : نهاية الأرب 22 : 179 .

(45) تاريخ خليفة بن خياط 2: 164، المالكي: رياض النفوس 1 : 23، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 10، النويري: نهاية الأرب 22: 179 .

(46) النويري : نهاية الأرب 22 : 179 .

(47) أنظر للمؤلف : دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 194 .

(48) انظر رياض النفوس 1 : 17 .

(49) انظر النويري: نهاية الأرب 22 : 181 .

ما في معسكرهم، ثم حاصروا المدينة حتى افتتحوها فأصابوا فيها خلقا كثيرا وأكثر أموالهم الذهب والفضة[50].

ويروي خليفة بن خياط أن عبد الله بن سعد أقام بسبيطلة «فبعث اليه أهل القصور والمدائن فصالحوه على مائتي ألف رطل ذهب»[51] بينما يروي البلاذري أن المبلغ «ألفي ألف وخمسمائة ألف»[52]. وبلغ «سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهبا، وسهم الراجل ألف مثقال ذهبا»[53]. وبالرغم من شك بعض الباحثين في هذه الأرقام التي تعتبر مبالغ فيها. على زعم أن نسبة الفرسان الى الرجالة بالجيش كانت الربع فقط فتكون قيمة الغنائم حوالي أربعين مليون دينار وهو يوازي أربعة أضعاف جزية مصر ـ دون الاسكندرية ـ تقريبا[54].

إلّا أن جميع المصادر التي تناولت هذا الموضوع، أجمعت على صحة هذه الرواية كما يروي المالكي أن ابن أبي سرح نظرا لكثرة غنائم المسلمين، كتب الى خليفته بمصر يأمره أن ينفذ اليه مراكب في البحر لحملها، عند طرابلس[55]، مما يرجح عظم غنائم المسلمين، ما أورده ابن عذاري أنه «افترع افريقية بكرا»[56] خصوصا وأن اقامة العرب استمرت لمدة خمسة عشر شهرا، بث عبد الله بن سعد خلالها السرايا والغارات من قاعدته سبيطلة الى أرض

(50) المالكي: رياض النفوس 1 : 18، ابن الأثير: الكامل 3 : 43ـ44، النويري : نهاية الأرب 22 : 181ـ182.

(51) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 165.

(52) فتوح البلدان ص 227، النويري : نهاية الأرب 22 : 183.

(53) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 165، ابن عبد الحكم: فتوح ص 46، المالكي : رياض النفوس 1 : 21، ابن الأثير: الكامل 3 : 44، النويري: نهاية الأرب 22 : 183، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 12.

(54) انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2 : 160.

(55) المالكي : رياض النفوس 1 : 27.

(56) انظر البيان المغرب 1 : 12.

قفصة ببلاد الجريد فسبوا وغنموا، ثم جازوا الى مرمجنة وأخيرا حاصروا فلول المنهزمين من الروم بحصن الأجم وهو المعروف بقصر الكاهنة الحصين وتمكنوا من فتحه صلحا[57]. وعاد عبد الله بن سعد الى مصر، دون أن يترك واليا أو حامية عربية بافريقية ولكن ترك قبور من توفي من العرب بأرضها مثل أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر الذي توفي بإفريقية ووراه قبره عبد الله ابن الزبير وأصحابه[58].

ويمقتل عثمان في أواخر 35هـ/656م نشأ صراع على الحكم بين علي والأنصار من جهة ومعاوية وعرب الشام من جهة أخرى، انتهى الى ظهور فئة الخوارج الذين بلغ عددهم اثنى عشر ألفا بعضهم من القراء الأتقياء، وعامتهم من القبائل العربية التي تنتمي الى تميم وحنيفة وربيعة وهم من القبائل العربية المضرية الشمالية البدوية التي ارتدّت في أواخر حياة الرسول ﷺ وتزعمت حركة الردّة في عهد خليفته أبي بكر الصديق. ونتيجة لحروب علي بن أبي طالب ضدهم في 38هـ/658م واخماد معاوية بن أبي سفيان لفتنهم التي نشبت في الكوفة والبصرة، لجأ بعضهم الى جبال المغرب المنيعة وقبائله هربا من قبضة سلطة الدولة حيث أقاموا المذاهب الخارجية به. واتبعهم البعض الآخر نتيجة لاضطهاد بشر بن أبي أرطاه والي معاوية على المدينة لمن بها من الأوس والخزرج[59].

وفي خلال الصراع بين على بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع (35هـ ـ 40هـ) ومعاوية بن أبي سفيان ـ قريب عثمان ـ ووالي الشام، آلت

(57) المالكي : رياض النفوس 1 : 21، ابن الأثير: الكامل 3 : 44، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 12، النويري : نهاية الأرب 22: 183.

(58) النويري : نهاية الأرب 22: 177.

(59) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 2 : 395، 404-407، دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا 1: 49-52، للمؤلف : اثر القبائل العربية في الحياة المغربية ص 33، دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 299، 440، 443.

مصر الى عمرو بن العاص ـ الذي انضم الى حزب معاوية ـ منذ سنة 38هـ/658م واستمرت ولاية عمرو الثانية الى سنة 44هـ/664م. ويبدو أن نشاط عمرو الحربي في جبهة افريقية تأثر بصراع المشرق من جهة وكبر سنه اذ بلغ التسعين من عمره، من جهة ثانية، وتربص ورصد معاوية الذي كان يخشى من طموح وتطلعات عمرو من جهة ثالثة[60].

ورغم ذلك، يعين عمرو، شريك بن سُمن الغطيفي، لغزو لواته من البربر في سنة 40هـ، فصالحهم، إلّا أنهم عادوا مرة أخرى وخلعوا طاعة المسلمين. فبعث عمرو، عقبة بن نافع الفهري ـ ابن خالته ـ لغزوهم مرة ثانية في 41هـ ويؤكد خليفة بن خياط ذلك بوصول عقبة الى لوبية ومراقية كما يضيف: «ان عقبة افتتح غدامس في 42هـ وكورا من بلاد السودان وافتتح ودان في 43هـ»[61].

ويروي الكندي أن عقبة. غزا لواته بناحية طرابلس وهزمهم «فسألوه أن يصالحهم ويعاهدهم فأبى عليهم وقال: انه ليس لمشرك عهد عندنا... ولكن ... ان شئنا أقررناكم وان شئنا بعناكم»[62].

وبعد وفاة عمرو بن العاص في 43هـ/664م[63] قام معاوية بفصل ولاية افريقية عن مصر، وعين لها معاوية بن حديج الكندي أو السَكُوني أو

(60) أنظر حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 111، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1 : 165.

(61) انظر المالكي: رياض النفوس 1 : 93.

(62) أنظر الكندي : الولاة والقضاة ص 44.

(63) أنظر تاريخ خليفة بن خياط 1 : 235، 237، 238. وتنسب بعض المصادر الغزوات التي تمت في ولاية عمرو الثانية الى آخرون غير عقبة مثل معاوية بن حديج التجيبي ويعلق سعد زغلول عبد الحميد على ذلك أنه منذ غزوة عبد الله بن سعد في افريقية أصبحت الخلافة تهتم مباشرة بأمر هذه البلاد، بمعنى أن سلطات والي مصر لم تعد مطلقة على الجيش الافريقي. وبرغم وجاهة هذا الرأي بالنسبة للفترة السابقة والتالية لولاية عمرو الثانية (38ـ44هـ) التي تولاها كثمن إلتحاقه مع معاوية

التجيبي نسبة الى قبيلة كِنده العربية أو الى أحد فروعها السكون أو تُجيب[64] وعلى حد تعبير ابن الأثير في أسد الغاية «كل تجيبي، سكوني، وكل سكوني، كندي» وكان أعور، ذهبت عينه يوم «دمقلة» من بلد النوبة مع ابن أبي سرح سنة 31هـ[65] وهو أحد كبار أنصار معاوية بن أبي سفيان، فوصل ومعه عشرة آلاف مقاتل من القبائل العربية الى مدينة الاسكندرية ومنها دخل افريقية في 45هـ/665م[66].

ولم يكتف معاوية بن أبي سفيان بذلك، بل من المرجح أنه أمر واليه على مصر بتجهيز الامدادات لجيش افريقية كذلك اذ يروي الكندي أن عتبة ابن أبي سفيان (أخو الخليفة) عقد لعلقمة بن يزيد الغطيفي على الاسكندرية في اثنى عشر ألفا من أهل الديوان يكونون بها رابطة، فكتب علقمة يشكي قلة من معه من الجند وأنه يتخوف على نفسه وعليهم. فخرج عُتبة الى الاسكندرية مرابطا في ذي الحجة سنة 44هـ/665م[67].

ويذكر ابن عبد الحكم أن معاوية صحب معه في حملته هذه جماعة «من المهاجرين والأنصار، بشر كثير»[68] ومن أبنائهم ممن كانت لهم خبرة بالحرب في

= ودوره في قصة التحكيم بين علي ومعاوية إلاّ أنه لا ينطبق على فترة عمرو الثانية إذ ولّى معاوية، عمروْ «وجعل إليه الصلاة والخراج جميعا. وكانت مصر جعلت له طعمه بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها» أنظر ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 49 ، الكندي : الولاة والقضاة ص 31، 32، المسعودي: مروج الذهب 2 : 398ـ402. وسعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 165

(64) الكندي: الولاة والقضاة ص 32.

(65) تاريخ خليفة بن خياط 1 : 238، ابن قتيبة: المعارف ص 124، المسعودي: مروج الذهب 3: 23

(66) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 403.

(67) تاريخ خليفة بن خياط 1، 241: ابن عذاري: البيان المغرب 1: 16، الطاهر أحمد الزواوي: تاريخ الفتح العربي ص 63.

(68) ابن عبد الحكم» فتوح افريقية والأندلس ص 47.

افريقية منهم، سليمان بن يسار، وجبلة بن عمرو الأنصاري، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، ويحيى بن الحكم، وحنش الصنعاني، والأكور بن حمام اللخمي، وكريب بن ابرهة بن الصباح، وخالد بن ثابت الثقفي وعبد الملك بن مروان وأشراف من جند الشام ومصر(69) فهل أرغمهم معاوية بن أبي سفيان على الاشتراك في هذه الحملة لبلاد افريقية النائية؟ حتى يتخلص منهم ويأمن ثورتهم ومؤامراتهم عليه خصوصا وأنه سلك نفس هذه السياسة فأرغم ابن الزبير وابن عمر وابن عباس على الاشتراك في بعض غزواته مع الروم(70) أم أن المهاجرين والأنصار وأتقياء اقليم الحجاز بعد أن انتقلت العاصمة الاسلامية من المدينة الى الكوفة (العراق) في عهد علي بن أبي طالب، ثم دمشق (الشام) في عهد منافسه معاوية بن أبي سفيان، لم يصبح أمامهم غير الغزو والاشتراك في الحملات العسكرية للأمويين بعد أن فقدوا دورهم السياسي في تسيير شؤون الدولة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

ومن خلال استعراض المصادر لخط سير حملة معاوية بن حديج يتضح لنا أن اقليمي برقة وطرابلس قد استكان تماما لسيادة القبائل العربية التي كان لها وجود ملحوظ بهما تحت قيادة كل من عقبة بن نافع الفهري، وأخوه عبد الله، اذ ظلا مرابطين في افريقية(71) مع بسر بن أبي أرطأة(72) من عرب بني مُعيص بن عامر بن لُؤي العدنانيين(73) وشريك بن سمي المرادي(74) من عرب بني يُحابِر (مُراد) بن مالك السبائيين(75).

(69) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 46، 47، المالكي: رياض النفوس 1: 28، النويري: نهاية الأرب 22: 185.

(70) ابن الأثير: الكامل 3: 231، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 170.

(71) الكندي: الولاة والقضاة ص 32.

(72) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 161.

(73) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 50.

(74) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 50.

(75) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 382.

ولذلك نجد اليعقوبي وهو أقدم جغرافي يصف لنا مناطق برقة وطرابلس وفزان يذكر لنا أن القبائل اليمنية استقرت بإقليم برقة مثل الأزد ولخم، وجذام، وصدف، وغسان، وأسد، وتجيب وكذلك أخلاط من العرب في طرابلس. أما بالنسبة لاقليم فزان جنوبي برقة وطرابلس فقد استقرت قبائل اليمنية بودان وهاجر بعض عرب مدينتي البصرة والكوفة الى زويلة[76].

وبعد أن استقر معاوية بن حديج في معسكره «غربي قمونية في سفح جبل على عشرة فراسخ منها» سمي بالقرن[77] وهو موضع مدينة القيروان التي سوف يقوم بتأسيسها عقبة بن نافع بعد ذلك[78] حتى أخذ في ارسال السرايا لاقتحام الحصون المقامة في المنطقة.

واذا علمنا أن معاوية بن حديج شارك في تأسيس مدينة الفسطاط وكان أحد الأربعة الذين أسند اليهم عمرو بن العاص مهمة الفصل بين القبائل وتوزيعهم على خطط الفسطاط[79]. أدركنا أنه من المرجح أن معاوية تطلع الى اختيار عاصمة للقبائل العربية بافريقية للاستقرار بها. فيروي ابن الأبار أن معاوية «اتخذ قيروانا فلم يزل فيه حتى خرج الى مصر» ويضيف ابن عبد الحكم أن عقبة حينما أراد تأسيس مدينة للعرب بافريقية «لم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه قبله»[80] ويرجح ذلك أن من مات في هذه الغزوة من الصحابة ومن التابعين دفن في ذلك المكان، منهم: أبو زمعة البلوي، الصحابي الذي استشهد في وقعة جلولاء وحمل جثمانه فدفن الى جانب المعسكر، حيث مقام ضريحه الآن في القيروان يعرف بمقبرة البلوية. وفاطمة ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب، اذ يروي كل من أبو العرب والمالكي

(76) انظر اليعقوبي: البلدان ص 96، 98، 99.
(77) النويزي: نهاية الأرب 22 : 185.
(78) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 48.
(79) المقريزي: المواعظ والاعتبار 1 : 297 ـ 298.
(80) ابن الأبار: الحلة السيراء 2 : 323، ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 54.

والدباغ، أن عبد الله بن عمر صحب معه في الغزوة أم ولد، فولد له منها صبية بافريقية، ثم توفيت فدفنها في «مقبرة قريش» بباب سلم. فاتخذتها قريش مقبرة يدفنون فيها لمكان تلك الصبية[80م].

ثم قام ابن حديج بإرسال بعض قواته لمواجهة الأسطول البيزنطي الذي رسى بساحل مدينة سوسة كما أرسل جزء من قواته فاستولى على قلعة جلولاء الحصينة التي تبعد عن موقع مدينة القيروان بحوالي أربعة وعشرين ميلا بعد أن دفع ثمن هذا الاستيلاء من قواته فقد «جرح عامة أصحابه، وقتل منهم»[81].

كما يروي أنه أرسل حملة بحرية الى صقلية مكونة من مائتي سفينة بقيادة عبد الله ابن قيس، فسبوا وغنموا وأقاموا شهرا[82] وعاد ابن حديج الى مصر محملا بالمغانم والسبي ولكنه لم يترك واليا أو حامية عربية في افريقية. أو حتى اتفاقا مع أهل البلاد. ومع هذا لم تعد افريقية أرض غريبة عن القبائل العربية كما أنها أصبحت أرض المغانم والأسلاب والسبى[83].

وفي 50هـ/670م ولى معاوية بن أبي سفيان، **عقبة ابن نافع الفهري** ولاية افريقية ونظرا لأنه من أوائل جند افريقية الذين تمرسوا بالغزو في هذه البلاد منذ حملات عمرو بن العاص في 23هـ/643-644م لمدة ربع قرن تقريبا لذلك فقد رسم لنفسه برنامجا للعمل يرمي الى تحقيق أهداف أبعد من كل أهداف سابقيه وتتلخص خطته في تثبيت أقدام العرب في المغرب وتأسيس قاعدة عسكرية بافريقية من أجل تحقيق نشر الاسلام بها وتعريب البلاد.

(81) ابن الأثير : الكامل 3 : 45، ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والاندلس ص 49.

(80م) طبقات أبي العرب ص 18، رياض النفوس 1: 62 ، 84 الدباغ : معالم الايمان 1 : 113-114.

(82) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 16-17، 18. النويري: نهاية الأرب 22 : 186.

(83) أنظر ابن الأثير : الكامل 3 : 45، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1 : 174.

وبعد وصول مدد الخليفة معاوية المكون من عشرة آلاف فارس من القبائل العربية[84]، منهم خمسة وعشرون من الصحابة[85] وسائرهم من التابعين[86] جمع عقبة من أسلم من البربر وضمه الى الجيش الوارد عليه[87].

شرع عقبة في تأسيس القيروان واستكمال ما قام به سلفه معاوية ابن حديج تنفيذا للسياسة الاسلامية التي كانت متبعة في عصر الخلفاء الراشدين والتي تتلخص في اقامة المدن الاسلامية في المناطق المفتوحة مثل تأسيس مدينة البصرة في 14هـ/635م لتكون قاعدة عسكرية أمامية تنطلق منها الجيوش للمحافظة على المناطق التي تم فتحها في الأهواز وغيرها من المدن الفارسية ولاستكمال الفتوحات الاسلامية شرقا. وكذا تأسيس مدينة الكوفة في سنة 17هـ/638م لتكون قاعدة عسكرية أمامية تنطلق منها الحملات لحماية الري واذربيجان[88]. وكذا تأسيس الفسطاط في مصر سنة 21هـ/643م لتكون قاعدة البلاد[89] التي تسيطر منها على شمال البلاد وجنوبه وقاعدة حربية مع مدينة الاسكندرية تنطلق منها الحملات لفتح بلاد المغرب.

ولكن المصادر المغربية تقدم لنا أسبابا أخرى مباشرة، جديرة بالمناقشة فابن عذاري يروي أن عقبة قال: «ان افريقية، اذا دخلها امام، أجابوه الى الاسلام، فاذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله الى الكفر! فأرى لكم، يا معشر المسلمين! أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للاسلام الى

(84) المالكي: رياض النفوس 1 : 32، ابن الأبار: الحلة السيراء 2 : 323، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 19، النويري: نهاية الأرب 22: 187.

(85) أبو العرب: طبقات علماء افريقية ص 17.

(86) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 20.

(87) النويري : نهاية الأرب 22: 187.

(88) البلاذري : فتوح البلدان ص 344 ـ 345، الطبري : الأمم والملوك 4 : 148، 199، ابن الأثير: الكامل 3: 31. للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 262، 263.

(89) عبد الرحمن زكي: الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ص 8.

آخر الدهر! »[90]. أما صاحب فتوح افريقية فيروي أن الجند العربي قال لعقبة: «إنا دخلنا أرضا كثيرة العمارة، قوية الجيش، وجيوشها أقوى من جيوشنا، وجيوش الشام ومصر وبلادنا بعيدة منا، ومعنا من الرجال كثير، وليس لنا مقر تقيم فيه نساؤنا وتحفظ فيه أموالنا... وقالوا له: ابني لنا بلدة»[91].

واذا علمنا أن الحملات العربية تميزت بمرافقة النساء للجند أي بوجود الزوجات والأبناء في الخطوط الخلفية للجيش، أدركنا تصميم العرب على تأسيس مدينة مستقلة وعدم تفكيرهم في قيامها على أنقاض احدى المدائن الرومانية بافريقية اذ يذكر حسن حسني عبد الوهاب أنه لو كانت في البلاد عاصمة قديمة تناسب الفاتحين لما ارتادوا سواها كما فعلوا بدمشق في الشام واشبيلية ثم قرطبة بالأندلس[92].

وتم تخطيط القيروان، حسب الطريقة التقليدية لبناء المدن العربية، منذ بناء الكوفة والبصرة والفسطاط، بدء ببناء المسجد الجامع ودار الامارة ثم قسمت الأرض المحيطة بهما على القبائل العربية والناس لبناء الدور والمساكن، اذ كانوا يفردون كل قبيلة أو بطن من بطون الفاتحين بناحية معينة من التقسيم لانشاء دور مساكنهم[93].

فنزل قوم من قبيلة فهر العربية بالجهة الشمالية من الجامع وبنوا بها المساكن واتخذوا حولها بعض الأجنة. وفهر بطن من قريش قوم عقبة بن نافع

(90) ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 19 وقارن النويري: نهاية الأرب 22 : 187، الحميري: الروض المعطار ص 486.

(91) فتوح افريقية المنسوب للواقدي 1 : 4.

(92) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية 1 : 42.

(93) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 186.، حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية 1: 47-48.

ورهطة، وعرف هذا الحي بمنازل الفهريين[94]. وبرغم صمت المصادر عن أسماء خطط القبائل العربية بالقيروان، إلّا أن الشذرات التي نصادفها من هذا المصدر أو ذاك توضح لنا أن السكان تسابقوا الى انشاء دورهم على شكل منازل الفسطاط بمصر من حيث الوضع والطراز، وبنى الموسرون منهم الى جانبها المساجد الصغيرة والكتاتيب، حتى اذا تكاثرت البناءات وتلاصقت وكونت حيا سموه باسم العشيرة التي تقطنه كرحبة القرشيين ورحبة الأنصار[95] وحارة يحصب، نسبة الى قبيلة يحصب العربية [96] وحارة بني نافد.

وربما استعاروا للحي اسم أحد الأعيان من العرب النازحين كدرب المغيرة نسبة الى عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني، حليف بني عبد الدار الذي سكن القيروان وولاه قضاءها عمر بن عبد العزيز[96م]. ودرب أزهر ودرب أم أيوب وهلم جرا، بحيث لم يمر نصف قرن على تأسيس القيروان حتى أصبحت أم القرى المغربية وصارت العاصمة الافريقية التي تنتهي اليها المسالك، وتتفرق منها الطرقات الى المشرق والمغرب مثلما كانت قرطاجنة في عنفوان عصر الرومان[97] ومع ذلك فإنها المركز الحربي الممتاز فهي بعيدة عن الساحل خوفا من غارات البيزنطيين وكذلك عن جوف الصحراء خوفا من غارات البربر وبجوار السبخة لرعي إبل القبائل العربية وهي في مأمن من تهديد البربر[98].

(94) البكري : المغرب 23.

(95) الدباغ: معالم الايمان 3: 6، 19.

(96) عياض: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد طالبي ص 71.

(96م) المالكي: رياض النفوس 1 : 126.

(97) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية 1: 52.

(98) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 19ـ20، الحميري الروض المعطار ص 486.

وتختلف الروايات في تقدير مساحة المدينة فيذكر كل من ابن الأثير والرقيق، «وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع»[99] أما ابن عذاري فيقول: «وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع[100] وإذا علمنا أن الباع يساوي أربعة أمثال الذراع تقريبا أدركنا تساوي المساحتين.

ومن الجدير بالذكر أن أستاذنا سعد زغلول عبد الحميد يذكر أن المساحة الأولى تساوي خمسة آلاف وثمانمائة متر تقريبا. والمساحة الثانية تساوي سبعة آلاف متر. ومن هنا استنتج أن المساحة الأولى تمثل المدينة العسكرية اما الثانية تمثل المدينة العسكرية وما انتشر حولها من مساكن القبائل العربية[101] وهذا لا يتفق مع قيمة كل من الباع والذراع والعلاقة بينهما.

وبطبيعة الحال لم يتم بناء المدينة بهذا الشكل دفعة واحدة اذ كمل البناء في أربع سنوات، وذلك سنة 55هـ/674م[102].

ويذكر المالكي خلال ترجمته لأبي ليلى دُخَيْن بن عامر الحجري اليمني أنه دخل افريقية وأقام بها، ويذكر أنه كتب لعقبة بن نافع، وشهد معه المشاهد كلها والحروب والفتوحات التي كانت بافريقية والمغرب، ثم رجع الى مصر وقتل

(99) ابن الأثير: الكامل 3 : 234، النويري: نهاية الأرب 22: 189 والباع: هو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن انظر ابن منظور لسان العرب المحيط 1 : 288.

(100) ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 21. والذراع: من طرف المرفق الى طرف الأصبع الوسطى. وكان ابتداء وضع الذراع لقياس الأرضين، ان زياد بن أبيه حين ولاه معاوية العراق، أراد قياس السواد، جمع ثلاثة رجال: رجلا من طوال القوم، ورجلا من قصارهم، ورجلا متوسطا بين ذلك، وأخذ طول ذراع كل منهم، فجمع ذلك وأخذ ثلثه، فجعله ذراعا لقياس الأرضين. وعرف ذلك بالذراع الزيادي ولم يزل كذلك حتى صارت الخلافة لبني العباس. انظر أحمد الشرباصي؛ المعجم الاقتصادي الاسلامي ص 179 (بيروت 1981).

(101) انظر تاريخ الفتح العربي 1: 186-187.

(102) ابن الأثير: الكامل 3: 234، ابن عذاري: البيان المغرب 1:21، النويري: نهاية الأرب 22: 189.

سنة 100هـ[103]. وهذا النص في غاية الأهمية اذ يدل على ظهور خطة الكتابة بافريقية في خلال ولاية عقبة. وهو ما يعرف بخطة الرسائل (الانشاء).

كما أنه ينسب الى معاوية بن أبي سفيان، فضل السبق في وضع ديوان الخاتم وهو عبارة عن دائرة خاصة للكتاب الذين تولوا أمر المراسلات الحكومية في الدولة. وكان من مهام هذا الديوان تسجيل ما يصدر عن الخليفة، ثم يختم سواء كانت رسالة أم وثيقة قبل أن يرسل الى الولايات والأمصار والأقاليم.

وكانت الرسائل ـ قبل انشاء ديوان الخاتم ـ تصدر غير مختومة بتوقيعات الخليفة، وحدث أن أعطى معاوية كتابا الى عمرو بن الزبير يأمر فيه زياد ابن أبية عامله في بلاد العراق، بأن يعطي حامله مائة ألف درهم، ففض عمرو الكتاب، وجعل المائة مائتين، وتسلم المبلغ من زياد. فلما رفع زياد حسابه الى معاوية أنكر هذا العدد، فاكتشف معاوية عند ذلك تزوير عمرو وأمر بسجنه. غير أن أخاه عبد الله بن الزبير دفع المبلغ الزائد الى معاوية وضمن بذلك اطلاق سراح أخيه[104]

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الرسائل تصدر مختومة، بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع، ثم تختم بخاتم صاحب هذا الديوان. بحيث لا يعلم أحد ما تشتمل عليه، ولا يستطيع فضها أيضا، ولو حاول حاملها ذلك لاكتشف أمره فوراً.

وقد اتبع ولاة الأقاليم نفس الأسلوب، فاعتاد زياد بن أبية أن يختم الرسائل، وأن يحفظ نسخا من جميع أوامره[105]، ومن المرجح أن ذلك تم بناء

(103) أنظر المالكي: رياض النفوس 1: 150.

(104) تاريخ خليفة بن خياط 1: 276، الطبري: الأمم والملوك 6: 184، للمؤلف: دارسات في تاريخ الدولة العربية ص 318.

(105) مولوي حسين: الادارة العربية ص ـ 169، حسان علي حلاق: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي ص 97ـ98.

على تعليمات معاوية المعروف بدقته الى جميع ولاته بالدولة الاسلامية، ومنها افريقية فلا يستبعد قيام ـ عقبة بإنشاء ديوان الخاتم بافريقية ـ كذلك لضمان سرية مكاتباته مع الخلافة بدمشق[106]. ومن الجدير بالذكر أن من تولوا خطتي الكتابة بكل من افريقية ودمشق كانا يمنيان مما يدل على اعتماد الدولة الأموية على هذا العنصر النشط سواء في الفتوحات الاسلامية أو الادارة.

وفي نفس العام عُزل عقبة وتولى أمور افريقية **أبو المهاجر دينار** مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر والمغرب في الفترة (47 ـ 62هـ/ 667ـ681م) من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ومسلمة «أول من جمعت له مصر والمغرب» فاستغل على ما يبدو سياسة عقبة المتشددة تجاه البربر من جهة ورغبته في مكافأة أبي المهاجر دينار مولاه الذي أخلص في خدمته من جهة ثانية وقام بعزل عقبة بن نافع «فأساء (أبو المهاجر) عزله وسجنه وأوقره حديدا حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله»[107].

وخرج أبو المهاجر دينار بجيوش أهل الشام ومصر الى افريقية[108] أكثرهم قبائل أهل الراية لانتماء مسلمة بن مخلد الى الأنصار، حيث استقروا بها بعد الغزو. اذ يروي ابن عبد الحكم «وكان الناس قبل أبو المهاجر. . . يغزون افريقية، ثم يقفلون منها الى الفسطاط، وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلا»[109] كما يضيف المالكي أنه في خلال خروج أبو المهاجر دينار للغزو بافريقية «لم يبق (بالقيروان) إلا شيوخ ونساء»[110] أي عائلات المقاتلين.

(106) تاريخ خليفة بن خياط 1 : 276، المالكي: رياض النفوس 1: 150.

(107) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 55ـ56.

(108) المالكي : رياض النفوس 1 : 31.

(109) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص ـ 57، ابن الأبار: الحلة السيراء 2 : 326.

(110) المالكي: رياض النفوس 1: 33.

لم يكتف أبو المهاجر بإساءة عزل عقبة، بل يروي أنه «كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع، ومضى حتى خلفه بميلين فابتني ونزل»[111] «بدكرور، مدينة البربر»[112] أو بتكيروان حسب تسمية الرقيق[113] وذلك لاستمالة البربر باللين والمداراة.

ولذلك نلاحظ أنه من خلال فترة ولايته التي استمرت من 55هـ/674م وحتى 62هـ/681م أي لمدة سبع سنوات تميزت حملاته العسكرية بالمصالحة اذ يروي خليفة بن خياط في احداث سنة تسع وخمسين «فيها غزا دينار أبو المهاجر فنزل على قرطاجنة، فالتقوا فكثر القتل والجراح في الفريقين وحجز الليل بينهم وانحاز المسلمون من ليلتهم، فنزلوا جبلا في قبلة تونس، ثم عاودوهم القتال فصالحوهم على أن يخلوا لهم الجزيرة (شريك نسبة الى شريك العبس أو باشو)»[114]. ويؤكد ذلك المالكي بقوله أن أبا المهاجر «صالح عجم افريقية»[115].

وهكذا تمكن أبو المهاجر من تحييد الجبهة البيزنطية، فأسرع الى الزحف في اتجاه المغرب الأوسط حتى انتهى الى العيون المعروفة «بأبي المهاجر»، ثم استولى على ميله وانتهى به المطاف الى أبواب تلمسان[116] حيث هزم قبيلة أوربة البرنسية وصالح زعيمها كسيلة بن مكيزم وكان نصرانيا واتخذه حليفا،

(111) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 57، ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 326. ابن عذاري: البيان المغرب 1: 22.

(112) المالكي: رياض النفوس 1: 32.

(113) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 190.

(114) تاريخ خليفة بن خياط 1: 272، الحميري: الروض المعطار ص 76.

(115) المالكي: رياض النفوس 1: 33.

(116) تاريخ خليفة بن خياط 1: 272.

فاعتنق الاسلام وأسلم معه كثير من قومه وتمكن أبو المهاجر بفضل هذه القوة الجديدة من السيطرة على المغرب الأوسط[117].

وفي سنة 60هـ/680م توفي الخليفة معاوية وخلفه ابنه يزيد الذي كان مقتنعا بفضل عقبة وحسن بلائه في فتح افريقية، ولهذا أعاده الى ولاية افريقية، وعزل أبا المهاجر دينار سنة 62هـ/681م. وبذلك تبدأ **ولاية عقبة بن نافع** الثانية ومدتها سنتنان (62 ـ 64هـ/681 ـ 684م)

عاد عقبة الى القيروان وبصحبته بعض كبار الصحابة[118] وامدادات من جيش الخلافة تقدر بعشرة آلاف فارس من القبائل العربية ولكن ابن عبد الحكم يروي أن هذا الجيش كان يحتوي على «خمسة آلاف رجل من أهل مصر (الفسطاط والجيزة)». ويرجح ذلك تحذير عبد الله بن عمرو بن العاص، لعقبة ابن نافع خلال مروره بالفسطاط في طريقه الى افريقية قائلا: «اياك أن تكون لعنة أرامل أهل مصر»[119] أي سببا في شهادة أزواجهم في حروب افريقية.

وكانت أولى أعمال عقبة بافريقية، أعاد الجالية العربية الى سكنى القيروان، مدينته الأولى، وأمر بتخريب المعسكر العربي البربري (تيكيروان). وأقبل الناس على تعمير منازلهم الأولى فرجعت اليها في أقرب وقت نضارتها، وأبى الله إلا أن يكون عقبة المبدي المعيد[120].

أما ثاني أعماله والأخيرة، فهي حملته الى المغرب الأقصى، اذ كان عقبة رجلا عنيفا متشبعا بذلك الحماس الصوفي الذي يدفعه الى التماس الشهادة

(117) تاريخ خليفة بن خياط 1 : 314، ابن خلدون: العبر 6 : 193، ابن الأبار: الحلة السيراء2: 327 تعليق(3).

(118) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 45، المالكي: رياض النفوس 1: 34.

(119) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 60، 61.

(120) المالكي: رياض النفوس 1: 34، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 22، حسن حسني عبد الوهاب: ورقات 1 : 51.

ويبيع نفسه من الله، كما يقول هو نفسه لذلك خرج على رأس خمسة آلاف فارس(121) من جند الفسطاط(122) ومن انضم اليهم من أهل القيروان(123).

وترك بالقيروان ستة آلاف مقاتل، كحامية القيروان بقيادة كل من عمر ابن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوي(124) وذلك للدفاع عن القاعدة العربية (القيروان) وحماية العرض (النساء والأولاد) والأموال.

وهاجم عقبة باغاية وهي باب جبل أوراس المفضل الى منطقة السوس بالمغرب الأقصى، حيث تستقر قبائل من لواته وضريسه فهزمهم عقبة فانسحبوا مع الروم الى المدينة الحصينة وغنم العرب خيلا لم يروا في مغازيهم أصلب منها ولا أسرع، من نتاج جبل أوراس(125).

ثم زحف الى بلاد الزاب وهي تقع على أطراف الصحراء، تتميز بحر هوائها وكثرة نخيلها وتشتمل على مدن كثيرة مثل: المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة وغيرها، فهاجم عاصمة الاقليم أذنه ـ وهي تقع على بعد اثنا عشر ميلا من مدينة المسيلة التي ستبنى بعد عصر الفتوح ـ ويصف الحميري اذنة بقوله «وهي كثيرة الأنهار والعيون العذبة، وهي مدينة رومية قديمة، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية للروم كلها عامرة، وهي كانت مملكة الروم بالزاب» فلما بلغهم قدوم العرب هربوا الى حصنهم والى الجبال «ومن هذه الغزوة ذهب عز الروم بالزاب» وذلوا حتى آخر الدهر. على حد تعليق المصادر(126).

(121) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 29.

(122) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 61.

(123) المالكي: رياض النفوس 1: 34.

(124) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 59، المالكي: رياض النفوس 1: 34.

(125) الحميري: الروض المعطار ص 76، 77.

(126) انظر اليعقوبي ص 350، البكري: المغرب 59، 144. الاستبصار ص 171ـ172، الحميري: الروض المعطار 20، 281، 558، النويري: نهاية الأرب 22: 191.

ورحل عقبة حتى نزل تاهرت، فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فأجابوهم ونصروهم ولكن العرب تمكنوا من الانتصار[127]. واندفع عقبة زاحفا الى طنجة حيث نصحه صاحبها يليان بالاتجاه الى المغرب الأقصى، حيث جموع البربر الذي لا يعلم عددهم إلّا الله. وبدأ عقبة بالسوس الأدنى وهي البلاد المعروفة «تامسنا»، حيث استقرت قبائل مصمودة، ثم اتجه عبر طريق وليلي الى بلاد تادلا، ثم وادي درعة حيث أقام مسجدا بها لنشر الاسلام، ثم إلتف حول جبال أطلس العليا عن طريق سجلماسة التي ستبنى بعد ذلك. لكي يتجه غربا نحو الأقاليم الغنية، حيث تستقر قبائل هسكورة وتمكن من الاستيلاء على مدينة أغمات، ثم نفيس حيث بنى بها مسجده الثاني وانتهى به الأمر بالاستيلاء على وادي سوس الأقصى وعاصمته ايجلي حيث بنى مسجدا ثالثا كذلك. ومن ايجلي سار الى ماسة ومنها الى رأس ايغيران يطوف Cap guir على المحيط الأطلسي حيث اقتحم المحيط بفرسه قائلا: «يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك»[128].

ومن استعراض خط سير حملة عقبة بن نافع حتى المحيط الأطلسي، يحق لنا التساؤل، هل كان هدف عقبة أن تطأ أقدام العرب بلاد المغرب أم كانت الأسلاب والمغانم أم نشر الاسلام بين القبائل البربرية الوثنية، لاشك أن الاختيار الثالث هو الذي ينسجم وشخصية عقبة المتصوفة المتدينة، وبالتالي كان بناء المساجد بين هذه القبائل شيء طبيعي ولكن المصادر تصمت عن ترك عقبة بعض رجاله لتعليم هذه القبائل، الاسلام والحلال والحرام، فيما عدا حالة واحدة، ففي طريق عودة عقبة وعند وادي تنسيفت، في منتصف المسافة بين مدينتي مراكش وموجادور، ترك عقبة واحدا من أصحابه اسمه شاكر

(127) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 43، المالكي: رياض النفوس 1: 37، الدباغ: معالم الايمان 1: 50، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 24ـ25.

(128) المالكي: رياض النفوس 1: 38ـ39، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 26ـ27، الحميري: الروض المعطار 71، 330، 578، النويري: نهاية الأرب 22: 192.

لتعليم البربر أصول الاسلام وهذا الموضع عرف باسم هذا التابع فهو رباط شاكر عند الكتاب وهو حاليا يعرف بسيدي شيكر[129]، لذلك لا نستبعد ترك عقبة لبعض أصحابه لنشر الاسلام بين القبائل البربرية التي مر بها ووجد عندها القبول لدعوته وهذا ما يؤكده ابن عذاري بقوله: «وقد كان عقبة ابن نافع، ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والاسلام، منهم شاكر صاحب الرباط وغيره»[130].

ولكن سرعان ما انقلبت الحملة المظفرة الى مأساة مروعة، اذ تمكن الروم من ترتيب صفوفهم وعقدوا حلفا مع القبائل البربرية بقيادة كسيلة الذي فر من معسكر عقبة نتيجة اهانته ويبدو أنهم انقسموا الى جيشين: الأول في ثلاثين ألفا بقيادة أحد زعماء الروم قام بمهاجمة القيروان ليحول بين حاميتها المشكلة من ستة آلاف ونجده عقبة[131] والثاني في خمسين ألفا بقيادة كسيلة لملاقاة عقبة ابن نافع الذي قرر خلال عودته الاستيلاء على مدينتي تهودة وبادس ولذلك سمح لعامة الجيش بالعودة الى القيروان «للاياب الى أحيائهم، والبدار الى عيالهم» وخاصة أنهم كانوا محملين بالمغانم والسبى بعد سنوات في غزوة واحدة[132].

ورغم ما أوردته المصادر المغربية، حول مبررات انسحاب جيش عقبة وتركه في قلة من الجند، إلّا أن تطورات الأحداث في مقر الخلافة الأموية بدمشق، تقدم لنا مبررا لا يخلو من وجاهة ففي 63هـ/682م ثار الأنصار والمهاجرون بالمدينة وهُزموا بوادي الحرة وقُتلوا، ومن بقي منهم أرغم على مبايعة يزيد بالولاء وأنه يحل له استرقاقهم. وبالاضافة لما أنزل بأهل المدينة من القتل

(129) انظر ابن عذاري: البيان المغرب 1: 27، ليفي بروفنسال: نص جديد عن فتح العرب للمغرب، صحيفة المعهد المصري بمدريد ص 209 هامش 1، ص 220.

(130) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 43.

(131) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 59. ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 329.

(132) المالكي: رياض النفوس 1: 41، 42، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 29، 30.

والنهب والرق والسبي فقد قام جند الشام بمحاصرة مدينة مكة ورمي الكعبة الشريفة بالمجانيق للقضاء على ثورة عبد الله بن الزبير بها «فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت، ورمي مع الأحجار بالنار والنفط. . وغير ذلك من المحروقات، وانهدمت الكعبة» في ربيع الأول 64هـ/683م[133].

ولاشك أن مثل هذه الأخبار تُوقع الذعر في نفوس الأتقياء الورعين من الصحابة يضاف الى ذلك أن الخليفة يزيد بن معاوية توفي بعد ذلك بأحد عشر يوما وتولى ابنه معاوية بن يزيد لمدة أربعين يوما الى أن مات، فانقسمت القبائل العربية ببلاد الشام: القيسية بزعامة الضحاك بن قيس الفهري، عامل دمشق، مالت الى عبد الله بن الزبير، الثائر بالحجاز. واليمنية بزعامة حسان ابن مالك بن بَحدّل الكلابي، عامل فلسطين، وخال الخليفة يزيد، ومالت الى بيت بني أمية.

ومرت الشام، مركز الدولة الأموية، ومنبع قوتها، بظروف حرجة وصعبة فالبلاد بدون خليفة، وأهل الشام، انقسموا أحزابا وشيعا، وأخذ كل حزب من القيسية واليمنية، الاستعداد لمواجهة الآخر[134] ولاشك أن أحداث المشرق انعكست على حملة عقبة بالمغرب الأقصى والعاصمة العربية بالقيروان، مما دفع بعض جند عقبة من اليمنية والقيسية، للانسحاب مسرعين الى القيروان، للتداول والتباحث مع عصبيتهم فيما يحدث بالمشرق، خصوصا وأن ابن عذاري يقدم رواية تعني أن عقبة توفي في أواخر سنة 64هـ/684م أو أوائل سنة 65هـ/684م[135]، أي بعد وفاة كل من الخليفة يزيد وابنه معاوية.

وهنا ظهر كسيلة بقواته، وأدرك عقبة وصحبه حرج موقفهم وصمّموا على

(133) انظر المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 3: 69-72.

(134) انظر للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 324-330.

(135) انظر ابن عذاري: البيان المغرب 1: 30.

النصر أو الشهادة وحتى أبو المهاجر الذي كان برفقة عقبة أسيرا فضل الشهادة على اطلاق سراحه والسماح له بالعودة الى القيروان وتولى أمر من بها من المسلمين. فقام عقبة وأبو المهاجر ومن معهما «وكانوا زهاء ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين من قريش»[136] بكسر جفون سيوفهم ـ كدليل على القتال حتى النهاية ـ ونزلوا عن خيولهم، معلنين لاعدائهم لا نية لأحدهم في الفرار، وقاتلوا قتالا شديداً حتى قتلوا عن آخرهم بتهودة[137] في 64هـ/684م. إلاّ أن بعض المصادر تضيف «إلاّ بعض وجوههم أسروا؛ فقواهم ابن مصاد صاحب قفصة وبعث بهم الى زهير بن قيس»[138] البلوي بالقيروان ومنهم محمد ابن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي[139].

استغل كسيلة نبأ استشهاد عقبة وأثره المعنوي في بقية جند القيروان وزحف بقواته اليها. وفي العاصمة العربية تباينت مواقف القبائل العربية والمسلمين من البربر الى ثلاثة مواقف: الأول بقيادة زهير بن قيس البلوي ـ صاحب عقبة وصنوه دينا وعقلا ـ قرر مقاومة كسيلة وجيشه[140]. وكان يتكون من قبائل بلي، وغسان وحضرموت[141]. أما الثاني بقيادة حنش بن عبد الله الصنعاني ومن معه ويبدو أنهم من القبائل العربية اليمنية الوافدة من الفسطاط بمصر فقد فضلوا العودة اليها اذ «لا عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين الى مشرقهم[142]»، مما اضطر زهير بن قيس وأصحابه الى الانسحاب

(136) انظر البيان المغرب 1: 30 وابن خلدون العبر 6: 193ـ194.
(137) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 29، 30.
(138) ابن خلدون: العبر 6: 194.
(139) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 31.
(140) المالكي: رياض النفوس 1: 44ـ45.
(141) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 31.
(142) المالكي: رياض النفوس 1: 46، ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 331، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 31.

الى برقة حيث أقام مرابطا. ويروي المالكي أنه انسحب الى لوبيا ومراقية[143] أي أن العرب عادوا مرة ثانية الى أبواب افريقية. أما القسم الثالث من القبائل العربية وهم من الشيوخ الهرمى والنسوان والأطفال والضعفاء (الفقراء) المثقلين بالعيال وكل مثقل من التجار وأهل الذمة والمسلمين من البربر، فقد اضطروا الى ملازمة القيروان وعدم مغادرتها خصوصا بعد أن راسلوا كسيلة يسألونه الأمان، فأجابهم الى ذلك»[144].

ولاشك أن كسيلة البربري قد أسلم وحسن إسلامه بالرغم من ثورته ضد عقبة. اذ يبدو أن سياسة أبو المهاجر دينار السلمية تجاه القبائل البربرية خلال فترة حكمه لافريقية التي استمرت سبع سنوات اضافة الى جهود عقبة السابقة لولايته الثانية، ظهرت نتائجها خلال هذه المحنة، مثل صاحب قفصة الذي افتدى أصحاب عقبة الذين أسروا وأرسلهم الى القيروان، لاشك أنه تحول الى الاسلام. وكسيلة الذي دخل القيروان عاصمة الاسلام بافريقية وقبل أن يتوج فيها أميرا على افريقية ومن بقي بها من العرب لمدة خمسة سنوات[145] وأخيرا ما يرويه المالكي عن وجود ألفين من البربر المسلمين ضمن قوات زهير بن قيس البلوي المنسحبة[146].

وفي نفس الوقت، كانت الأحداث تتطور بعاصمة الخلافة الأموية في المشرق، اذ قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء سنة 61هـ/680م وثار الأنصار والمهاجرون بالمدينة في 63هـ/682م، حيث هزموا بوادي الحرة وقتلوا وامحت قوتهم الى الأبد فاضطر أغلبية أهل المدينة الى الفرار، أما من بقي منهم فقد أرغم على القسم ليزيد بن معاوية بالولاء وأن يحل له أسترقاقهم

(143) انظر رياض النفوس 1: 46؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان 5: 25، 94.

(144) المالكي: رياض النفوس 1: 44، الدباغ: معالم الايمان 1: 55.

(145) ابن خلدون: العبر 6: 194.

(146) المالكي: رياض النفوس 1: 45.

ويبيعهم مما اضطر الجميع الى اللجوء الى وطن جديد. أقل قسوة ليعيشوا في أجواء مناسبة فالتحقوا بالجيش الافريقي والبعض الآخر انتقل الى افريقية واستقر بها[147] ولذلك كانت أغلبية زعماء القبائل العربية بافريقية زبيرية الهوى، حتى لحق أبو عبيدة وعياض أبناء عقبة بن نافع الفهري بابن الزبير علانية[148].

ونشأ الصراع حول السلطة في البيت الأموي، بين الفرع السفياني، والفرع المرواني، انتهى بتولية مروان عبد الحكم (64هـ ـ 65هـ/683 ـ 684م)، ثم ابنه عبد الملك بن مروان (65هـ ـ 86هـ/684 ـ 705م)، الذي ما أن تمكن من فرض سيطرته على بلاد الشام[149]، حتى أسند الى **زهير ابن قيس** ولاية افريقية، وأمده بالمقاتلين من القبائل العربية المستقرة في الشام[150]، فاذا علمنا أن القبائل العربية المقاتلة بالشام كانت مقسمة الى خمسة أجناد: اثنان في جنوب الشام وهما جند فلسطين وجند الأردن واثنان في وسطه هما جند دمشق وجند حمص، وواحد في شماله وهو جند قنسرين وكان الشام يغلي بالعصبية العربية من جراء موقعه مرج راهط، وزادها تأججا قصائد الشعراء: اليمانية يفاخرون، والقيسية يندبون. حتى اندلعت الحرب بين القيسية من قبائل بني تميم، وأخلاط قيس وأسد بقيادة أمير جند قنسرين وبين اليمنية من قبائل كلب وتغلب وقد وقعت بين الفريقين عدة وقائع وأيام[151].

وبالرغم من وقوف قبيلتي كلب وتغلب اليمنيتين دفاعا عن بني

(147) انظر المسعودي: مروج الذهب 3: 70، دوزي: تاريخ مسلمي اسبانيا 1: 62، 73ـ75.
(148) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 41.
(149) ابن قتيبة: المعارف ص 155، المسعودي: مروج الذهب 3. 91، ابن الأثير: الكامل 3: 316ـ317.
(150) المالكي: رياض النفوس 1: 46.
(151) البلاذري: أنساب الأشراف 5: 301، 303، 308، 316، فتوح البلدان 178 اليعقوبي: 80ـ87، الحموي: معجم البلدان 1: 103 (أجناد الشام).

أمية، إلاّ أن الثابت أن عبد الملك جعل نفسه فوق الأحزاب وعمد الى التخفيف من حدة العصبية بين اليهانية والقيسية، فكان يلتمس منه اشتباكهما ودفع الدية عن قتلاهما ويجمع زعماءهم على الطعام وكذلك شعراءهم[152]. ولـذلـك يرجح ترغيب عبد الملك لهذه القبائل القيسية - والتي كانت زبيرية الهوى - في الاشتراك في الجيش الافريقي حتى يتخلص من خطرهم ويطفأ نار العصبية بالشام في نفس الوقت.

اذ يذكر المالكي أن عبد الملك أرسل «الى أشراف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام[153] بينما يروي الدباغ أنه أرسل «رجال العرب وأشرافهم يحشـدون عليه النـاس من مدائن الشام»[154]، ثم يضيف المالكي أن عبد الملك، أمر بالصرف على هذه الحملة من بيت مال مصر «وأفرغ عليهم أموال مصر» فسارع الناس الى الجهاد، واجتمع منهم خلق عظيم[155].

وتصمت المصـادر عن اعداد هذه الامدادات الشامية، ماعدا المالكي الذي يوضح لنا أن زهير خلال انسحابه من القيروان كانت قواته مشكلة من ألفين من البربر وأربعة آلاف من العرب، فإذا أضفنا اليها الامدادات الشامية اتضح لنا صدق رواية ابن خلدون التي تذكر أن زهير زحف الى افريقية «في آلاف من العرب»[156] من بينهم بقايا قبيلتي معافر ولخم اليمنية والمستقرة بمصر بسبب ميلهم لابن الزبير ومعارضتهم لبني مروان[157].

(152) الأصفهاني: الأغاني 17: 112-116، البلاذري: أنساب الأشراف 5: 311.
(153) رياض النفوس 1: 46.
(154) معالم الايمان 1: 59.
(155) رياض النفوس 1: 46
(156) رياض النفوس 1: 45، العبر 6: 194.
(157) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 45.

ومن العجيب أن يتبوأ زهير، منصب القيادة للجيوش الأموية رغم مقاومته للأمويين عند استيلائهم على مصر في 65هـ/684م[157م] ورغم انتهائه لقبيلة بلي اليمنية بمصر التي كانت علوية الهوى[158] وأقام بعضها في الرمادة من لوبية مع آخرين من قبائل جهينة وبني مدلج العربية[159] ولعل السبب في ذلك يرجع الى أن زهير كان من أصحاب عقبة وأعلم الناس بافريقية من بعده[160].

وما أن زحف زهير بن قيس بقواته الى افريقية في 69هـ/688م حتى يضطر كسيلة وأتباعه الى الانسحاب الى ممش خوفا من انقلاب عرب القيروان عليه، اذا هاجمه زهير «فان بها قوما من المسلمين لهم علينا عهود، ونحن نخاف، إن أخذنا القتال معهم، أن يكونوا علينا» بالاضافة الى ما تميز به موقع ممش الاستراتيجي لوفرة المياه وكمعبر الى الاعتصام بالجبال في حالة الهزيمة[161].

انتصر العرب وقتل كسيلة وتمادت العرب في تتبع أتباعه حتى سقوا خيولهم من وادي ملوية أي وصلوا الى الحدود الشرقية للمغرب الأقصى. ولكن سرعان ما اضطر زهير الى الانسحاب الى المشرق مرة أخرى اذ تعرض اقليمي برقة وطرابلس ـ حيث استقرت عصبية زهير ـ لهجمات الروم الانتقامية؛ فأسرع زهير على رأس سبعمائة مقاتل من عرب صدف ومذحج لانقاذ ما سباه الروم من المسلمين ولكنه قتل[162] ورغم ذلك استمر الوجود العربي في افريقية بالقيروان وبإقليمي برقة وطرابلس، الى أن تمكن عبد الملك بن مروان من

(157م) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص 272، الكندي: الولاة والقضاة ص 43.

(158) الكندي: الولاة والقضاة ص 19، 27، عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية بمصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ص 187.

(159) اليعقوبي: كتاب البلدان ص 131، عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية ص 187.

(160) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 31، السلاوي: الاستقصا 1: 82.

(161) المالكي: رياض النفوس 1: 47، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 32.

(162) انظر ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والمغرب ص 66-67.

القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير، التي استمرت من 63هـ/682م حتى سنة 73هـ/692م وفرضت سيطرتها على اقليم الحجاز والعراق[163].

فأرسل عبد الملك، **حسان بن النعمان الغساني** (73 ـ 85هـ/663 ـ 704م) وهو حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا ابن عامر بن الأزد، لذلك ينتسب بنو غسان الى أزد اليمن، ويذكر نسابوا العرب أن اسم غسان نسب اليهم بسبب استقرارهم بعض الوقت في اقليم تهامة بجوار عين ماء يقال له غسان فنسبوا اليه وديار غسان بالشام كانت باليرموك والجولان وغوطة دمشق ومنهم من نزل الأردن[164].

وهو من سلالة ملوك عرب الشام القدماء من الغساسنة ويدل اختياره على اهتمام خلافة الأمويين بدمشق بولاية افريقية، اذ يعتبر حسان من أشهر قواد الشام، وأول قائد من قوادها تسند اليه ولاية افريقية، خصوصا وأن عبد الملك قد جهزه بأربعين ألف مقاتل من أجناد الشام فيهم «نحو من ستة آلاف فارس»[165] وبعض من قبيلة حسان الغسانية، كما أطلق يده في بيت المال بمصر بقوله «اني قد أطلقت يدك في أموال مصر، فأعط من معك ومن ورد عليك، واعط الناس» فانضم اليه بطرابلس من كان هناك من عرب افريقية[166].

دخل حسان بقواته القيروان، حيث استراح ووضع خطته الاستراتيجية لاخضاع بلاد المغرب وتتمثل في عدم ملاقاة أعداءه معا وعدم التورط في الحرب مع جبهتي الروم والبربر في نفس الوقت. وقرر البدء بالجبهة الرومية

(163) المسعودي: مروج الذهب 2: 83، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 34.

(164) انظر الحميري: الروض المعطار ص 65.

(165) ابن الأثير: الكامل 4: 179، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 34، النويري: نهاية الأرب 22: 196.

(166) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 62.

5

والتي تمثلت في عاصمة الروم قرطاجنة الحصينة عاصمة افريقية القديمة، فقام بمحاصرتها وكان بها عدد كبير من الروم، وحينما عضهم طول الحصار هربوا في مراكبهم الى صقلية فلم يصب حسان بالمدينة إلاّ «قليلا من ضعافهم»، ثم أوقع الهزيمة بقوات رومية بربرية بمدينتي صطفورة وبنزرت[167].

عاد حسان الى القيروان، لاعادة ترتيب قواته ومعالجة من أصيب من أصحابه والاستعداد لمواجهة الجبهة البربرية، والتي تمثلت في الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة البترية التي استوطنت جبل أوراس والتي نجحت في توحيد قبائل الجبل تحت قيادتها حتى أطلق عليها «ملكة البربر» والتقى العرب بالكاهنة واتباعها على نهر نيني احدى روافد وادي مسكيانة ولكن العرب هزموا هزيمة مريرة إذ قتل منهم خلق كثير حتى أطلق على موضع المعركة نهر البلاء مرة، ووادي العذاري مرة أخرى، نسبة الى من قتل من شباب العرب. وأسر من العرب ثمانين رجلا، أطلقتهم الكاهنة، ماعدا أحدهم، يسمى خالد بن يزيد العبسي، وهو من قبائل قيس، تبنته الكاهنة[168] كما أن نسبة كثيرة من أفراد جيش حسان تفرقت في نواحي افريقية حتى أنه «أقبل يرفق في سيره طمعا فيمن نجا من أصحابه أن يلحقوا به»[169] حتى وصل الى موضع يعرف بقصور حسان يقع بالقرب من مدينة تاورغى الحالية ما بين برقة وطرابلس. حيث أقام ومن بقي من أصحابه لمدة خمسة سنوات[170] ويبدو أن عبد الملك أرسل اليهم بعض الامدادات العاجلة بعضها من قبيلة خولان اليمنية اذ يذكر كل من خليفة بن خياط والمالكي لنا روايات ترجح هذا الرأي.

(167) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 62، المالكي: رياض النفوس 1: 48، 49.

(168) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والمغرب ص 63، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 55، ابن الأثير: الكامل 4: 370-371، النويري: نهاية الأرب 22: 197، الحميري: الروض المعطار ص 65 (أوراس)

(169) المالكي: رياض النفوس 1 : 51.

(170) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 57، البلاذري: فتوح البلدان ص 229، النويري : نهاية الأرب 22: 197.

وهـذه الـروايات تدور حول ارسـال قادة من عرب خولان على رأس امـدادات من الجنـد الى افريقية. فإبن خياط يروي في أحداث سنة 74هـ «وفيهـا اطلع سفيان بن وهب (الخولاني) الى افريقية فبلغ» وفي العام التالي (75هـ) «أطلع عمير بن عبيد الخولاني بالجيش الى افريقية». ويضيف المالكي أن سفيان شهد فتح مصر وبقي حتى ولي الامارة لعبد العزيز بن مروان، على بعث (الطالعة) الى افريقية سنة 78هـ»[171] واذا جاز لنا أن نعتبر أن حملتي ابن وهب في 74هـ، 78هـ، هي حملة واحدة وإن التاريخ الأول هو الأرجح، أدركنـا أن هذه النصـوص غاية في الأهمية. لأن كلمة «الطالعة» تطلق على التحـركـات العـربية الكـبرى مثـل طالعة موسى بن نصير الى الأندلس في 93هـ/712م، والطالعة الشامية لبلج بن بشر القشيري من سبتة الى الأندلس في 123هـ/741م[172] مما يدل أن هذه الامدادات، كانت كثيرة العدد وبهدف الاستقرار بافريقية.

وما أن تكاملت الامدادات الآتية من الشام ومصر، حتى زحف حسان الى افريقية فأمرت الكاهنة البدوية أتباعها بتخريب البلاد. بحجة أن العرب «يريدون الذهب والفضة» أما أتباعها فيريدون «المزارع والمراعي». مما دفع أهل البلاد بصفة عامة والروم بصفة خاصة، الى الاستغاثة بالعرب واعلان الطاعة لهم ولقي أهل قابس العرب، بالأموال والطاعة فعين حسان حاكما لها من قبله وكذا مدن قفصةوقصطيلية ونفزاوة[173].

والتقى العرب بالكاهنة بالقرب من مدينة قابس وتمكنوا من الانتصار هذه المرة فانسحبت الى جبـال الأوراس حيث تتبعهـا العـرب وتمكنوا مـن هزيمتها وقتلها بعد معركة عنيفة «حتى ظن الناس أنه الفناء»[174].

(171) تاريخ خليفة بن خياط 1: 345، 347، المالكي: رياض النفوس 1: 90، 91.

(172) للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 36، 80-82.

(173) النويري: نهاية الأرب 22: 198.

(174) المالكي: رياض النفوس 1: 55، النويري: نهاية الأرب 22: 198.

قضى حسان على المقاومة البربرية البترية كما قضى زهير على المقاومة البربرية البرنسية، واستغل حسان حالة الرعب التي نزلت بالبلاد نتيجة لهزيمة الكاهنة وقتلها واستئمان البربر اليه وفرضه عليهم «ان يكون منهم عسكرا مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفاً يجاهدون العدو» أي بعد أن يتحول هؤلاء البربر الى الاسلام[175] وقرر إعادة فتح قرطاجنة وطرد النفوذ الرومي الذي عاد خلال انسحابه الى قصور حسان فقام بالاستيلاء على المدينة وأمر بتخريبها وقطع امدادات المياه عنها حتى لا تصبح قاعدة لتهديد الوجود العربي بافريقية مرة ثانية[176] وعاد حسان الى القيروان في رمضان 82هـ/701م «لا يغزو أحدا، ولا ينازعه أحد» لكي يقوم بأعماله المعمارية، التنظيمية بافريقية[177].

وأولى هذه الأعمال الاهتمام بمدينة عقبة ومسجدها، اذ يروي البكري أن حسان هدم مسجد عقبة «حاشى المحراب وبناه وحمل اليه الساريتين الحمراواتين الموشاتين بصفرة، لم ير الراؤون مثلها من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم (القرن الخامس) بالقيسارية»[178] ويبدو أنه زاد في مساحته حتى يتناسب مع تعمير القيروان اذ «أقام بها وعمرها المسلمون، وانتشروا بها، وكثروا فيها وأمنوا»[179].

ونظرا لارتباط حركة الاصلاح النقدي، وتعريب النقود والدواوين، باسم الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي يمتاز عن أسلافه بأنه طبق سياسة التعريب في جميع مرافق وأجهزة الدولة العربية الاسلامية مستهدفا ابراز الكيان العربي في مناطق كانت خاضعة للدولتين الساسانية والبيزنطية قرونا طويلة.

(175) النويري: نهاية الأرب 22: 198ـ199، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 38.
(176) المالكي: رياض النفوس 1: 49.
(177) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 38.
(178) البكري : المغرب ص 22ـ23، الحميري : الروض المعطار ص ـ 487.
(179) المالكي : رياض النفوس 1: 57.

وتأثر الوالي الافريقي القادم من المشرق بهذه السياسة، اضافة الى احتمال صدور التعليمات اليه بتنفيذها.

لذلك أعتني حسان بإنشاء الدواوين، وكان الديوان، الدفتر أو مجتمع الصحف والكتاب، يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية وكما أن أول ديوان انشىء في الاسلام كان هو «ديوان الجند» ويطلق عليه أيضا ديوان العطاء وغايته الحفاظ على الأموال الفائضة الواردة الى بيت مال المسلمين، مثل الزكاة والجزية والعشور وغيرها، وتسجيل أسماء الجند لصرف العطايا لهم. كذلك يمكن لنا أن نرجح أن ديوان الجند هو ثاني دواوين افريقية[180]. اذ يذكر المالكي «وولى حسان على صدقات الناس والسعي عليهم، حنش بن عبد الله الصنعاني» الذي سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا ينسب اليه الآن في ناحية (باب الريح) وتوفي بافريقية في سنة 100هـ»[181].

كما لا يستبعد تطوير حسان «لديوان الرسائل»، اذ أن أحداث الفتوح الاسلامية ببلاد المغرب استوجبت كثرة تبادل الرسائل والكتب بين زعماء الحملات ورئاساتهم في مصر أو دمشق لأخذ آرائهم في كل ما يعرض لهم من أمور، كما اقتضى الأمر وضع نظام لحفظ هذه الرسائل والكتب والرد عليها، وخصوصا أن عقبة بن نافع الفهري سبق له أن اتخذ أبي ليلى دخين بن عامر الحجري اليمني، كاتبا له. وبالتالي كان ملازما لعقبة في الحروب والفتوحات التي كانت بافريقية والمغرب[182].

---

(180) اذ سبق أن وصحنا أن أولى دواوين افريقية هو ديوان الرسائل والخاتم في عهد عقبة بن نافع الفهري. محمد كرد علي: الادارة الاسلامية في عز العرب ص 44-45، حسان علي حلاق: تعريف النقود والدواوين في العصر الأموي، 31، للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 435.

(181) المالكي: رياض النفوس 1: 57، 121.

(182) المالكي : رياض النفوس 1: 150.

وكذلك ديوان الخراج وهو أهم الدواوين جميعا، لأنه يشرف على جميع الشؤون المالية لولاية افريقية من الايرادات، ويتولى تسجيل ما يرد وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة، خصوصا وأن ايرادات أهل الذمة من اليهود والنصارى من الروم والبربر كانت لاشك تشكل ايرادات هامة لولاية افريقية، اذ يروي ابن عبد الحكم أن حسان «وضع الخراج على عجم افريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس إلاّ قليلاً من البتر»[183]. كما أن حسان حينما رحل الى المشرق، عمد الى الجوهر والذهب والفضة فجعله في قرب الماء خوفا عليه[184] وقدّر الذهب فقط بثمانين ألف دينار[185].

أما بالنسبة للهدف الأول من الفتوحات العربية وهو نشر الاسلام فقد حصد حسان ما زرعه كل من عقبة ومن خلفه على ولاية افريقية، الذين سقوا هذا الزرع بدمائهم الزكية. واذا كان عقبة تمكن من فرض الاسلام على القبائل البربرية باقليمي برقة وطرابلس وساعده على ذلك التواجد العربي في هذه المناطق خلال المد الاسلامي أو جزره. فقد تمكن أبو المهاجر دينار الأنصاري من ادخال كسيلة وقبيلته أوربة البرنسية الى الاسلام عن طريق المصالحة حتى اذا ما آلت أمور افريقية الى كسيلة أحسن الى رعاياه من المسلمين وأعطاهم آمانه وعهده.

لذلك نجد زهير بن قيس البلوي يتمكن من تجنيد ألفين من البربر المسلمين في جيشه، اشتركوا في القضاء على مقاومة كل من الروم والبربر البتر بافريقية[186]. أما حسان بن النعمان الغساني فقد توسع في استخدام البربر في

(183) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 38.
(184) المالكي: رياض النفوس 1: 57.
(185) المالكي: رياض النفوس 1: 45.
(186) فتوح افريقية والأندلس 64ـ65. وقارن ابن خلدون: العبر 6: 144. ويروي كل من ابن عبد الحكم والرقيق القيرواني خلال تغلب بنو حبيب الفهريون على افريقية في نهاية الدولة الأموية تطور

الجيش الاسلامي اذ فرض عليهم الخدمة العسكرية جنبا الى جنب مع العرب وبعد أن كانت مساهمتهم تقتصر على اشتراكهم كجند، نجد حسان ينصبهم قادة اذ حينما زحف حسان الى افريقية «وجه على مقدمته هلال بن ثروان اللواتي» مع آخرين. وعندما طلب أبناء الكاهنة الأمان أعطاهما اياه «وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر فولى عليهم حسان، الأكبر من ابني الكاهنة وقربه»[187]. وبعد أن تمكن من اخضاع القبائل البربرية بالبلاد فرض عليهم تقديم اثنى عشر ألف فارس يكونون مع العرب مجاهدين فأجابوه وأسلموا على يديه، فعقد لولدي الكاهنة ـ بعد اسلامهما ـ لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر»، وأخرجهم مع العرب يفتحون بقية افريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر[188].

لم يكتف حسان بذلك، فقد عهد الى ثلاثة عشر فقيها من أجله التابعين من أصحابه بتعليم من انضم الى الاسلام من البربر، القرآن وأصول الاسلام، أي تعريبهم. لذلك سرعان ما استجاب البربر لذلك «فبنوا المساجد، وحولوا القبلات للمساجد التي كانت لهم قبل ذلك، واستعملوا المنابر في المساجد التي عزموا على أن يجعلوا فيها الجمعات» ولم يقف هذا النشاط الديني عند حدود افريقية والمغرب الأوسط، بل تعداه الى المغرب

= ادارة بيت المال وتعيين مكلف بشؤونه مسؤول أمام والي افريقية، اذ يذكر ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن بن حبيب كتب الى صاحب بيت المال بالقيروان «ألا يعطيه (حنظلة) دينارا ولا درهما إلّا ما حل له من أرزاقه» ويضيف الرقيق فدعى حنظلة القاضي وجماعة من أهل الفضل والدين، ففتح بيت المال بحضرتهم، وأخذ منه ألف دينار وترك الباقي» أنظر فتوح افريقية والأندلس ص 105، تاريخ افريقية والمغرب ص 124.

(187) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والمغرب ص 62، 64، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 38.

(188) المالكي: رياض النفوس 1: 56. ابن عذراي: البيان المغرب 1: 38.

الأقصى حيث بنى عقبة مسجدي درعة ونفيس، ففي عهد حسان يروي أنه استخدم المنبر لأول مرة في جامع أغمات هيلانه في 85هـ/704م[189].

أما أهم أعمال حسان على الاطلاق فهو بناء مدينة تونس، اذ بعد أن استقر حسان بالقيروان، فكر في بناء مدينة تكون قاعدة جديدة تطل منها افريقية على عالم البحر الأبيض المتوسط، فتقرر أن تكون ميناء وقاعدة بحرية.

ولقد كان إنشاء تونس العربية مظهرا من مظاهر تعاون القبائل العربية من جهة وشعوب البلاد المفتوحة من قبط مصر وبربر افريقية من جهة ثانية. فقد اختار العرب الموقع، اذ بعد تدمير حسان لقرطاجنة ذات الموقع الاستراتيجي على البحر والأسوار الحصينة والميناء المفتوح الذي يسمح بدخول الأساطيل البيزنطية لتهديد الوجود العربي بالسواحل الافريقية، اختار حسان بدلا من موقع قرطاجنة، موقع آخر لإنشاء مدينة للعرب تتناسب مع تطورهم البحري وتكفل لهم الحماية. وتوفر ذلك في قرية قديمة اسمها Tynés (تينس) ومنها جاءت تونس[190].

أما مشاركة قبط مصر، فقد أملتها خبرتهم بصناعة السفن وتسييرها في البحر، اذ سبق أن اعتمد معاوية بن أبي سفيان على المصريين في تأسيس البحرية الاسلامية في المشرق وسوف يعتمد عبد الملك وواليه حسان عليهم في تأسيس البحرية الاسلامية ببلاد المغرب اذ يروي البلاذري أنه «كانت الصناعة بمصر فقط»[191]، لذلك كتب عبد الملك بن مروان الى أخيه عبد العزيز وهو والي مصر أن يوجه الى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من

(189) انظر ليفي بورفنسال: نص جديد عن فتح العرب للمغرب ص 323، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 231.

(190) انظر الروايات المتعددة لموقع تونس في ابن أبي دينار: المؤنس ص 7 وما بعدها، Gautier: Le Passé de l'Afrique du Nord p. 127

(191) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص 124-125.

مصر ويحسن عونهم[192]. «فلما وصلوا الى حسان اثبت كثيرا منهم في رادس وفرّق باقيهم في مراسي افريقية»[193]، حيث ساهموا في بناء دار صناعة السفن.

أما مشاركة البربر فقد تمثلت في توفير الاخشاب اللازمة من غابات الجبال الداخلية «وان يجعل على البربر جر الخشب لإنشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم الى آخر الدهر»[194] ويعلق سعد زغلول على ذلك بأن هذه المشاركة كانت نوع من التكليف أشبه بالخدمة الالزامية التي فرضت على البربر[195]

واختلفت الروايات حول اسم المدينة كما أُختلف حول سنة بنائها. فالبكري يروي أن اسمها في التواريخ القديمة ترشيش. أما ابن الشماع فيذكر أنها سميت تونس لأن المسلمين لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بإزاء صومعة ترشيش ويتأنسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم أو أن العرب كانوا يسمعون أصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيتأنسون بهم وقالوا هذه البقعة تونس. ويذكر ابن الشباط أن العرب وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة[196] مما يرجح ما سبق أن أوضحناه. أما مكان المدينة كان قرية صغيرة قديمة.

أما عن سنة بناء تونس فيذكر ابن الشماع أنها بنيت بعد 80هـ، أما المالكي فيروي أنها بنيت بعد 84هـ[197].

---

(192) البكري: المغرب ص 38، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس ص 15.

(193) رحلة التجاني ص 6.

(194) البكري : المغرب ص 38.

(195) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 232.

(196) انظر هذه الروايات في ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس 9ـ10 وقارن البكري: المغرب 38ـ39، رحلة التجاني ص 6ـ7.

(197) المالكي: رياض النفوس 1: 56، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس 7، 9.

وقد ابتدأ حسان في تعمير تونس تعميراً بسيطاً مناسباً لضروريات الجيش وأول عمل أمر به هو حفر خليج متسع يصل البحر بالبحيرة الضحلة التي تطل عليها المدينة من جهة رادس من ناحية، ومن جهة حلق الوادي من ناحية أخرى، وهذا لم يكن موجودا من قبل، ومنذ ذلك الوقت صارت السفن البحرية ترسو في ميناء تونس، وهكذا اتصلت تونس مباشرة بالبحر المتوسط، وانما قام حسان بهذا العمل الجليل ليتسنى للفاتحين تأسيس أول دار صناعة لإنشاء الأساطيل ولدفع غارات الروم على الساحل الافريقي اذ يروي ابن خلدون في مقدمته «وأوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل افريقية باتخاذ دار صناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد»[198].

ومن آثار حسان في تونس اتخاذه مسجدا بسيطا عُرف باسم «الزيتونة» ويظهر أنه أحله مكان معبد متواضع للرومان والنصارى البيزنطيين من بعدهم، ويقال أنه كان بفنائه شجرة زيتون فنسب المسجد الاسلامي اليها[199].

ورغم هذه الأعمال العظيمة، فقد عزل حسان عن افريقية بسبب اختلافه مع والي مصر حول ادارة مدينة برقة، اذ يذكر ابن عبد الحكم أن والي مصر «بعث اليها غلاماً يقال له تليد ووجه معه ناساً من أشراف مصر فضبطها. . . فثقل على الناس امامه تليد بهم لأنه عبد فبلغ ذلك عبد العزيز ابن مراون (والي مصر) فأرسل الى تليد بعتقة وأقام بأنطابلس (برقة)» ونظراً لأن مدينة برقة ونواحيها كانت مجالا لاستقرار القبائل العربية منذ بداية حركة الفتوحات الاسلامية مثل احدى بطون قبيلة مذحج اليمنية بأمْلَس من برية برقة، والأزد، ولخم، وجذام، وصدف، وغسان، وتجيب وغيرهم من بطون

(198) ابن خلدون: العبر 1 : 314، حسن حسني عبد الوهاب: ورقات 1 : 291.
(199) حسن حسني عبد الوّهاب : ورقات 1 : 291.

العرب بجبل برقة وأخلاط من الجند العربي بدور المدينة. فقد أظهر العرب سخطهم.

ورغم محاولة والي مصر استرضاءهم وعتقه للعبد، إلّا أن حسان ابن النعمان الغساني، تعصبا لعصبيته اليمنية والعربية ما أن تقابل مع والي مصر خلال عودته الى المشرق حتى أفضى اليه بضرورة عزل العبد عن مدينة برقة ولكن والي مصر تمسك برئيس برقة وعزل حسان عن افريقية[200].

وتولى موسى بن نصير ولاية افريقية في 86هـ/705م واختلفت الروايات في نسبه، فقيل أنه من قبيلة لخم اليمنية، وقيل أنه من قبيلة بكر ابن وائل القيسية، وقيل أنه من قبيلة بلي اليمنية وأخيرا نسبوه الى أبناء الصحابة فقيل أنه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن يزيد صاحب رسول ﷺ[201].

ويروي ابن قتيبة «وكان قدوم موسى افريقية وما حولها مخوفا بحيث لا يقدر المسلمون أن يبرزوا في العيدين، لقرب العدو منهم، ... وكانت جبالها كلها محاربة لا ترام وعامة السهل»[202].

ولذلك تمثلت خطته الاستراتيجية في الخطبة التي ألقاها على أتباعه بقوله: «فإن كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى، ويترك عدوا منه أدنى، ينتهز منه الفرصة، ويدل منه على العورة، ويكون عونا عليه عند النكبة، وايم الله لا أريم (أترك) هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها، ويذل أمنعها، ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها»[203].

(200) انظر ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس 67-68، اليعقوبي: البلدان ص 96.

(201) انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 290، 396، 419، البلاذري: فتوح البلدان 230، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 39.

(202) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 51.

(203) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 51.

فأرسل ثلاثة فرق للاستيلاء على قلعة زغوان وإخضاع نواحيها الأولى مشكلة من خمسمائة فارس بقيادة عبد الملك من قبيلة خشين اليمنية والثانية بقيادة ابنه عبد الرحمن بن موسى والثالثة بقيادة ابنه الثاني مروان ابن موسى[204].

ورغم مناعة القلعة، اذ كانت قلعة قديمة رومية تقع على جبل عظيم بقرب جزيرة شريك، حتى فشل حسان في الاستيلاء عليها رغم مقاتلته لأهلها لمدة ثلاثة أيام، واضطر الى مصالحة أهلها[205]. فقد تمكنت حملة موسى الثلاثية من الاستيلاء على القلعة وإخضاع نواحيها حتى يروى أن سبيها بلغ ثلثمائة ألف رأس. كان نصيب الخلافة منها (الخمس) ستون ألف رأس[206].

وبعد تأمين سلامة الجيوش العربية المستقرة على الساحل الافريقي أرسل موسى، حملة مشكلة من ألف فارس بقيادة عياش بن أخيل لاعادة فرض السيطرة العربية على قبائل هوارة البرنسية بافريقية فأغار عليهم وقتلهم وسباهم حتى دعوه الى الصلح فأسرعت قبيلة كتامة البرنسية بارسال زعمائها الى موسى لمصالحته فولى عليهم رجلا منهم بعد أن أخذ رهونهم من أبناء زعماء القبيلة.

أما صنهاجة البرنسية المستقرة بجوار كتامة بالمغرب الأوسط فيبدو أنها حملت لواء معارضة النفوذ العربي بافريقية مما دفع موسى بن نصير للخروج بنفسه على رأس أربعة آلاف مقاتل من أهل الديوان وألفين من المتطوعة، ومن قبائل البربر. وعلى مقدمة الجيش عياض بن عقبة بن نافع الفهري، وعلى ميمنته المغيرة بن أبي بردة الكناني، حليف بني عبد الدار[207]، وعلى ميسرته

(204) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 52، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 425، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 40.

(205) انظر البكري: المغرب ص 45، 46، الادريسي: صفة المغرب والأندلس والسودان ص 119. الحميري: الروض المعطار ص 294.

(206) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 52، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 40.

(207) انظر ترجمته المالكي: رياض النفوس 1: 124.

زرعة بن أبي مدرك. وترك عياش بن أخيل على رأس ألفين فارس لحماية أثقال المسلمين (الأموال والغنائم) وعيالهم (أسرهم). وتمكن موسى من مفاجأتهم ومن حالفهم من قبائل البربر فهزمهمْ وسبى العرب منهم مائة ألف رأس، ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب ما لا يحصى.

ويذكر ابن قتيبة بأنه «لما سمعت الأجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب، فخرج نحو مما كان معه (أي حوالي ستة آلاف مقاتل) فاذا علمنا أن ما تركه موسى بالقيروان، ألفين من الفرسان، أدركنا أن هذه الامدادات أتت من مصر وليس القيروان وهذا ما يوضحه ابن قتيبة بعد ذلك أن عبد الله بن موسى أتى من مصر «في طالعة أهل مصر». فأمر موسى الناس بالاستعداد للتأهب والجهاد[208].

وكما كان سقوط قلعة زغوان الحُصينة في أيدي العرب، مقدمة لاخضاع العرب لقبائل افريقية مثل هوارة والمغرب الأوسط مثل كتامة وصنهاجة، كذلك سوف نلاحظ أن استيلاء العرب على قلعة سجوما أو سقوما أو سكوما وتقع بالقرب من موقع مدينة فاس الحالية، بداية السيطرة العربية على المغرب الأقصى.

فقد جهز، موسى بن نصير، جيشا من عشرة آلاف مقاتل عين على مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن أبي مدرك وعلى ميسرته المغيرة ابن أبي بردة الكناني القرشي، وعلى ساقته نجدة بن مقسم، وعلى اللواء ابنه مروان، وزحف موسى الى قلعة سجوما، حيث تحصنت قبيلة أوربة البرنسية، التي انسحبت من افريقية الى المغرب الأقصى، بعد الهزيمة أمام زهير بن قيس البلوي. وانتصرت القبائل العربية وامتلأت أيدي الأجناد بالسبايا. ويروي أن

(208) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 54ـ55.

أبناء عقبة، عياض وعثمان وعبيدة، ثأروا من قتلة أبيهم فقتلوا ستمائة رجل من خيارهم وكبارهم حتى اضطر موسى للتدخل وأمر بوقف هذه المذبحة[209].

أسرع موسى للسيطرة على اقليم السوس الأقصى الذي يتميز بإمكانياته الاقتصادية الغنية اذ يعمل ببلاد السوس السكر ما يعم أكثر أهل الأرض ويشف على كل أنواع السكر في الطيب والصفاء. وتعمل به الأكسية الرقاق ومن الثياب ما لا يقدر أحد على عمله، وهي بلاد الحنطة والشعير والأرز[210]. ولذلك أرسل حسان حملة مشكلة من خمسة آلاف من أهل الديوان برئاسة ابنه مروان الى السوس، حيث نجحت في تنفيذ أهدافها وعادت بأربعين ألف رأس من سبايا أهلها[211].

وأخيرا توج موسى انتصاراته بالاستيلاء على ولاية طنجة، وهي متسعة المساحة اذ يروي أن أعمال طنجة مسيرة شهر في مثله وقصبة الاقليم هي مدينة طنجة القديمة الحصينة[212]فأرسل موسى حملة بقيادة مولاه طارق بن زياد، تمكنت من الاستيلاء على الولاية والقصبة طنجة بعد محاصرتها، وسرعان ما تحولت طنجة الى قاعدة عسكرية اسلامية، رابط بها اثنى عشر ألف مقاتل من البربر[213]، ترنو عيونهم الى الشاطىء الأوربي وما خلفه، في انتظار الأمر بالهجوم لفتح الأندلس.

لم يقتصر نشاط موسى بن نصير على الحملات العسكرية البرية فقط في جميع أجزاء بلاد المغرب. بل تعداه الى الحملات البحرية ضد جزر الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط واستعد لذلك بتوسيع دار صناعة السفن

(209) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2 : 55 وقارن ما ورد بتاريخ خليفة بن خياط 1 : 378.
(210) البكري: المغرب ص 162، الحميري: الروض المعطار ص 330.
(211) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2 : 58-59.، تاريخ خليفة بن خياط 1: 400.
(212) انظر الحميري : الروض المعطار ص 396.
(213) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 42.

واستكمال وتجهيز قناة حسان التي بلغ طولها اثنى عشر ميل. ثم أمر ببناء مئة مركب، كما استفاد من بقايا أسطول عطاء بن أبي نافع الهذلي الذي خرج على مراكب أهل مصر الى سردانية، فأصابته ريح عاصفة فغرق هو وأصحابه فأرسل موسى أعوانه للاستيلاء على ما يلقي البحر من سفن عطاء على الساحل وأدخلها دار صناعة تونس. كما استفاد من النواتية الذين نجوا في تدعيم أسطوله البحري[214].

ويقدم لنا خليفة بن خياط بيان حولي عن نشاط موسى بن نصير البحري.

ففي أحداث سنة 86هـ يقول: «وفيها وجه موسى بن نصير، المغيرة ابن أبي بردة العبدي في مراكب فافتتح أولية وهي أول مدائن صقلية من أرض المغرب».

وفي سنة 87هـ يقول: «وفيها أغزى موسى بن نصير، ابنه عبد الله . . . سردانية من بلاد المغرب، فافتتح قوله» . . . «وفيها أغزى موسى بن نصير أيضا، عبد الله بن حذيفة الأزدي سردانية فغنم وأصاب سبيا وغنائم».

وفي سنة 89هـ يقول: «وفيها أغزى موسى بن نصير ابنه عبد الله ابن موسى، فأتى ميورقة ومنورقة جزيرتين بين صقلية والأندلس وافتتحهما. وهذه الغزاة تدعى غزوة الأشراف، كان معه أشراف الناس[215]. ويفصل ابن قتيبة ما أجمله ابن الخياط بالنسبة لتجهيز الحملة اذ يروي أن موسى أعلن على الناس أنه سيتولى قيادة الحملة فرغب الناس وتسارعوا، ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه إلاّ وقد ركب حتى اذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلاّ أن يرفع هو، دعا برمح فعقده لابنه عبد الله، وولاه عليهم، وأمره أن يرفع من ساعته، وانما أراد

(214) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 57.

(215) تاريخ خليفة بن خياط 1: 381، 397، 400.

موسى بما أشار من مسيرة، أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف. وكان المسلمون ما بين الألف الى التسع مائة[216].

أما عن دور موسى بن نصير، في تطوير الادارة العربية ببلاد المغرب، فالرجل كان يتمتع بخبرة واسعة، فقد شغل وظائف هامة في مصر والعراق، ففي مصر، عينه الخليفة مروان «وزيراً ومشيراً» لابنه عبد العزيز والي مصر، وفي العراق، نصّبه الخليفة عبد الملك، مستشاراً للأمير الأموي بشر بن مروان والي البصرة. ـ وكان يومئذ حديث السن ـ بالاضافة الى تولي ديوان العراق. ولذلك قام بتوسيع دائرة الدواوين وسن لها نظاما محكما على غرار ما كان جاريا في المشرق.

فديوان الجند تطور في عهده حتى يتناسب مع الحملات المتعددة التي أرسلها سواء البرية أو البحرية. وأخذت كلمة أهل الديوان تتردد مع كل حملة[217] حتى يمكن لنا القول أن التدوين الثاني لديوان الجند بافريقية، تم في عهد موسى بن نصير، بتوجيه أميره عبد العزيز بن مروان الذي قام بالتدوين الثاني للجند في مصر، اذ يعلن موسى على جنده بافريقية «وقد أمر الأمير. . . لكم بعطاياكم، وتضعيفها أثلاثا»[218].

واذا علمنا أن معاوية بن أبي سفيان، عين على كل قبيلة من قبائل العرب، رجلا يدور على المجالس كل صباح ليسأل عما اذا كان مولود قد ولد فيهم. أو ضيف حل بهم، فيكتب أسماءهم وأسراتهم ويذهب الى الديوان ليثبتهم فيه.

وأن عبد الملك بن مروان، سيعمل على تنظيم الدواوين وتطبيقها ليس

(216) ابن قتيبة : الامامة والسياسة 2 : 58.

(217) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 48، 50، 54، 58، الكندي: الولاة والقضاة ص 47.

(218) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 49، 71.

فقط على المسلمين فحسب، وانما على أهل الذمة كذلك، حيث أمر أن يدون كل شخص اسمه واسم والده وأولاده وممتلكاته وذلك في مكان ولادته[219].

أدركنا أن تنظيم الديوان هذا وتطوره، قد طبق ببلاد المغرب، اذ في بداية القرن الثان الهجري أشرف عبيد الله بن الحبحاب السلولي والي مصر والمغرب والأندلس، بنفسه على ديوان العطاء (الجند) في افريقية، اذ كان «ينظر في دفتر العطاء» حسب رواية الرقيق[220] وكان يضيف أو «يفك اسما من دفتر العطاء» كتعبير ابن الأبار[221].

ومن المرجح أن القبيلة العربية، ببلاد المغرب، في تلك الفترة، احتفظت بتكوينها القبلي، داخل ديوان الجند، اسوة بما كان متبعا في المشرق. وعين أحد أفرادها ليتولى وظيفة العريف، للاشراف على شؤون القبيلة الادارية والعسكرية، اذ حينما أعلن حنظلة بن صفوان الكلبي، والي افريقية، فتح ديوان العطاء، لتجنيد المقاتلين من العرب لمواجهة ثورة الصفرية في بداية القرن الثاني الهجري، دخل عليه رجل من قبيلة تجيب اليمنية، من أهل قلعة مجانة فقال حنظلة له: «ما اسمك؟» فأجاب: «نصر ابن ينعم» قال: فتبسم حنظلة كالمكذب له، . . . فدعا عريفه فقال: «ما اسم هذا؟» قال: «نصر ابن ينعم»[222].

ويلقي الكندي في كتابه الولاة والقضاة، بعض الضوء على وظائف ارتبطت بديوان الجند، مثل قاص الجند وهو الذي يتولى وعظ الجند والخطبة فيهم[223]. اذ يروي الرقيق القيرواني خلال استعداد العرب لمعركة الأصنام مع

(219) المقريزي: المواعظ والاعتبار 1: 94، للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 425-426.

(220) انظر تاريخ المغرب وافريقية ص 107.

(121) أنظر الحلة السيراء 2: 337.

(222) الرقيق القيرواني: تاريخ المغرب وافريقية ص 119.

(223) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 304 حاشية (1)، ص 309، 325.

الصفرية في بداية القرن الثاني الهجري و«اذا بقصاص وقراء من أهل العلم والدين والفقه قد أرسلهم (حنظلة)... واقبلوا يحرضون الناس ويرغبونهم في الجهاد[224].

وقاص الجند، قرره معاوية بن أبي سفيان، اسوة بقاص العامة يجتمع اليه النفر من الناس، يعظهم ويذكرهم، اما قاص الخاصة فهو يجتمع بالخاصة من الناس بعد صلاة الصبح والمغرب، فاذا سلم الامام من الصلاة، جلس فذكر الله وحمده ومجده، وصلى على نبيه وسلم، ودعى للخليفة ولأهله ولأهل ولايته وجنوده، ثم يدعو على أعدائه وعلى الكفار كافة.

وكذا قاض الجند والتي تمثلت اختصاصاته في حل المشاكل المترتبة على نتائج المعارك الحربية، مثل النظر في الجراح، والحكم فيها، وتقرير دية ذلك والنظر في أموال اليتامى وإسنادها بين أيدي عرفاء القبائل لصيانتها[225] ومن الجدير بالذكر أن العصبية القبلية، انتقلت بحسناتها وسيئاتها مع القبائل العربية الى بلاد المغرب، حتى أن بعض القضاة، كان لا يقبل «شهادة مضري على يماني، ولا يماني على مضري» خوفا من العصبية ولذلك كان يفضل أن يردهم الى عشائرهم يصلحون بينهم[226].

وتشكل جند الجبهة المغربية، في هذه الفترة، من قسمين: الأول، أصحاب الديوان من المقاتلة من أهل الفيء والغنائم، أي الذين يحصلون على مستحقاتهم من الأموال التي تحصل من المشركين أو كانوا سببا في تحصيلها. والثاني، المتطوعة وهم الخارجون عن الديوان من أهل البوادي وسكان القرى والأمصار، أي العرب المستقرين بافريقية والبربر الذين تحولوا الى الاسلام، وخرجوا في النفير الى الجهاد، وهؤلاء يحصلون على مستحقاتهم من الصدقات،

(224) انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 120.

(225) انظر الكندي : الولاة والقضاة ص 304 حاشية(1)، ص 309، 325.

(226) الكندي : الولاة والقضاة ص 345ـ346.

وهي أموال الزكاة التي تؤخذ من المسلمين تطهيرا لهم. ولكل واحد من القسمين، مال لا يجوز أن يشارك غيره فيه، كما لكل قسم مجموعة من العرفاء أو النقباء، عريف أو نقيب لكل بطن أو قبيلة من العرب أو البربر، حتى يتعرف الوالي على أحوالهم وشؤونهم ومدى تسليحهم وتجهيزهم[227].

ولذلك اقتضى الأمر انشاء بيت المال للمسلمين بافريقية، يقوم الوالي على صيانته وحفظه والتصرف فيه للمصالح العامة للمسلمين، خصوصا وقد تعددت مصادر هذا المال بعد أن «صارت الخطط للبربر بافريقية» كما كان «يقسم الفيء بينهم والأرض» اذ كانت الموارد من الضريبة التي تفرض على الأرض أو أشياء أخرى غير الأرض، كنصيب بيت المال في الفيء أو الغنيمة وكجزية الرؤوس التي يدفعها أهل الكتاب من النصارى واليهود أو المجوس من البربر عن أشخاصهم، اذ يروي ابن عبد الحكم أن حسان «وضع الخراج على عجم افريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر، وعامتهم من البرانس، إلّا قليلاً من البتر». وكذلك العشر الذي يدفعه المشركون عن متاجرهم ويسمى «العشور». كما كانت تحول الى بيت المال، الأموال التي لم يعلم لها مستحق، كتركة المقاتل الذي يستشهد ولا يعرف له وارث، والأموال التي يصالح عليها المسلمون أعداءهم ونحو ذلك[228].

كما يبدو أن موسى بن نصير أنشأ خطة القضاء بافريقية اذ يروي المالكي في ترجمته لأبي الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي وهو أحد العشرة التابعين بافريقية «أنه سكن القيروان، وانتفع به خلق كثير، وهو أول من أستقضى بها بعد فتحها. ولاه عليها موسى بن نصير»[229]. ويبدو أن ولاة افريقية، كانوا

(227) انظر ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 54، 58، ابن سلام: الأموال ص 27ـ29، الماوردي: الأحكام السلطانية ص 113، 126.

(228) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 64ـ65، ابن قتيبة الامامة والسياسة 2 : 52، 54، 56، ابن سلام: الأموال ص 14، 22، 23، المالكي: رياض النفوس 1: 56.

(229) انظر المالكي : رياض النفوس 1 : 110.

يبـاشرون هذه السلطة بأنفسهم أو يسندونها لقـاض الجنـد، ثم ان كثـرة الواجبات على والي افريقية وبلاد المغرب تطلبت من موسى بن نصير، تعيين قاض اعتبارا من بداية ولايته.

والى موسى يرجـع الفضـل في سـك النقود العربية بالمغرب وقد اتخذ لصنعهـا «دار الضرب» للمسكوكات، وكان مقرها ـ فيما يلوح ـ بجوار بقية مصالح الحكومة أي حذو دار الامارة بالقرب من الجامع اذ وجد عدد وافر من نقـود موسى بن نصـير ما بين دنـانير ذهب، على شكل وطراز دنانير جرجير البطريق البيزنطي، وهي المعروفة بالدينار الجرجيري، وبين فلوس من نحاس مرسوم عليها اسم موسى بالحروف اللاتينية[230].

وآخر أعمال موسى وأعظمها هو العمل على نشر الاسلام بين القبائل البربرية اذ يروي ابن قتيبة «وكان موسى اذا أفاء الله عليه شيئا، اشترى من ظن منهم أنه يقبل الاسلام ويُنجب فيعرض عليه الاسلام، فإن رضي قبله من بعد ان يمحص عقله، ويجرب فطنة فهمه، فإن وجده ماهرا أمضى عتقه وتولاه»[231].

وحينما أعد موسى حملته البربرية لغزو اسبانيا «ترك. . سبعة عشر رجلا من العرب، يعلمونهم القرآن والاسلام»[232]، اذ يروي أبو محمد بن أبي زيد القيرواني: «ان البربر ارتدوا إثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة، ولم يستقر اسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير الى الأندلس. . . وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر. أمرائهم، برسم الجهاد. فاستقروا هنالك من لدن الفتح، فحينئـذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة»[233].

(230) انظر حسن حسني عبد الوهاب: ورقات 1: 56.

(231) ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2: 56.

(232) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 42.

(233) ابن خلدون: العبر 6: 144، السلاوي: الاستقصا 1: 89.

## الفصل الثاني

# القبائل العربية والولاة الأمويون

استطاعت القبائل اليمنية بعد فتح بلاد المغرب والاستقرار به من ضم بلاد الأندلس. ورغم ذلك فقد تعرضت هذه القبائل للمحن والخطوب بسبب المنازعات القبلية القديمة بين اليمنية والمضرية (القيسية) وكان ولاة المغرب اما يمنيين أو مضريين وكثيرا ما كانوا يتحيزون لعصبيتهم وبدلا من أن يعمل خلفاء بني أمية على حسم هذا النزاع اذا بهم ينحازون الى فريق دون آخر مما ساعد على اتساع الهوة بين العصبيتين[1].

ويمكن أن نحدد بداية اندلاع العصبية العربية ببلاد المغرب بنهاية فترة ولاية موسى بن نصير اللخمي اليمني في 96هـ/715م. اذ بعد انتهاء فتح الأندلس، استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك (86ـ96هـ/705ـ715م)، موسى واليه على المغرب والأندلس، فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز ابن موسى على الأندلس وابنه عبد الملك على طنجة وابنه الأكبر عبد الله والياً على افريقية. وعاد موسى الى المشرق وبصحبته بقية أولاده ومنهم مروان وعبد الأعلى وأشراف العرب، حيث وصل الى دمشق والخليفة الوليد على فراش المرض وسرعان ما توفي الوليد وتولى سليمان بن عبد الملك (96ـ99هـ/715ـ717م) الذي لم يكتف باضطهاد موسى بن نصير فقط[2]، بل وأمر بتصفية أولاده ومواليه وأنصاره من المغرب والأندلس[3].

(1) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا 1 : 130، للمؤلف : أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ص 37.

(2) تختلف الروايات حول أسباب سخط سليمان على موسى منها سوء معاملة موسى لطارق ومنها أن موسى لم يستجب لكتاب سليمان وهو ولي للعهد ـ والتمهل في عدم الوصول الى دمشق الى أن يتوفى الوليد فتؤول الغنائم اليه.

(3) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 82، 88، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 44، ابن قتيبة: الامامة والسياسة 2 : 68ـ69.

فولى سليمان، **محمد بن يزيد القرشي - مولى قريش -** افريقية والمغرب وأمره «بأخذ أهل موسى وولده، وكل من تلبس به، واستئصال أموالهم وتعذيبهم» فقبض محمد بن يزيد على عبد الله بن موسى وسجنه، ثم تولى خالد بن حبيب القرشي قتله[4]. أما عبد العزيز بن موسى والي الأندلس، فكتب سليمان الى حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وزير عبد العزيز ومعينه والى وجوه العرب بالأندلس سراً بقتله خوفاً من أن يثور لما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته. فتآمر زعماء القبائل العربية ورؤساء الجند ورجال حكومته وتم اغتياله في رجب 97هـ/ 716م[5]. واستمرت ولاية محمد بن يزيد مولى قريش لمدة سنتين وبضعة شهور. يروي ابن عذاري أنه خلالها «كان يبعث السرية الى ثغور افريقية، فما أصابه قسمه عليهم» أي على جند افريقية[6]. مما يرجح محاولته لاسترضائهم لأن غالبيتهم من القبائل اليمنية التي ينتمي اليها موسى بن نصير اللخمي.

توفي سليمان وتولى عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م) أبوه والي مصر عبد العزيز بن مروان وأمه ابنه عاصم بن عمر بن الخطاب وكان شديد الاعتزاز بهذه الصلة ولذلك سوف يتشبه بجده لامه، حتى يجمع الدارسون قديما وحديثا على اعتباره «خامس خلفاء الراشدين» وأهم أعمال عمر ابن عبدالعزيز، هي كسب الشعوب المفتوحة الى الاسلام، اذ أن أعمال الخلفاء الأمويين، الذين اهتموا بجمع المال المستخرج من البلاد المفتوحة اهتماماً شديداً، حتى أنه وجد في عهدهم منذ معاوية وظيفة والي الخراج، رأوا في إسلام أهل الشعوب المفتوحة خراباً لخزانة الخلافة بحرمانها من ضريبتي الجزية

(4) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 47.

(5) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 93-95، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 1 : 276، مجهول: فتح الأندلس ص 21، بان عذاري: البيان المغرب 2 : 31-32، للمؤلف : القبائل العربية في الأندلس ص 59-61.

(6) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 47.

والخراج، وخرابا للزراعة لنقص الأيدي العاملة بهجرتها الى المدن، لذلك رفضوا أن يتكفلوا لمن أسلم بالحقوق التي أعطاها له الاسلام، فكانوا أحياناً يعفون من أسلم من الجزية مع استمرار فرض ضريبة الخراج والحد من هجرة أهل الريف الى المدن، حتى أن الحجاج كان يأمر بأن يوسم اسم القرية على يد المولى حتى لا يخرج منها، وفي بعض الأحيان يستمر فرض ضريبة الجزية على من أسلم، كما كانوا يجعلون الموالي يغزون مع العرب بلا عطاء ولا رزق. وكانت نتيجة هذه السياسة المتشددة الجائرة، الرجوع عن الاسلام.

واذا كانت هذه الأمور واضحة في المشرق، تؤيدها النصوص التاريخية المتعـددة[7]، فلاشك أنها انعكست على بلاد المغرب - رغم قلة النصوص - ولكن اختيار عمـر بن عبـد العزيز، **لاسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي** - مولى لهم - واليا على افريقية والمغرب وهو حفيد أبي المهاجر دينار صاحب سياسة المصالحة مع القبائل البربرية والذي أدخل البرانس وزعيمهم كسيلة الى الاسلام، هو خير دليل على الحالة السيئة للموالي من البربر ببلاد المغـرب. خصـوصـاً وقـد جمع له عمـر بن عبـد العـزيز «حـربهـا وخراجها وصدقاتها»[8]. واذا كانت العادة في الولاية الاسلامية هو الفصل بين متولي الحرب والصلاة وهو الوالي وصاحب الخراج وصاحب الصدقات. فالجمع بينهم في ولاية افـريقية والمغـرب يُقصد به اصلاح حالة الموالي من البربر. وزيادة السلطات المخولة للوالي للقضاء على المظالم التي يعاني منها أهل البلاد والجند اذ يروي الكندي عن ولاية مصر الاسلامية - في نفس الفترة - أنه «ورد كتاب أمير المؤمنين (الى واليه) بالزيادة في أعطيات الناس عامة» كما «كتب عمر ابن عبد العزيز الى أيوب بن شرحبيل بفريضته للجند فقال: ألصق ذلك بأهل

(7) انظر الطبري: الأمم والملوك 8 : 138، ابن الأثير: الكامل 5 : 51، للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية 352-353.

(8) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 87.

البيوتات الصالحة فإنما الناس معادن وأقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار»[9]. ولاشك أن هذه المعاملة طبقت على كل من العامة من المسلمين وكذا الجند ببلاد المغرب.

كما قام عمر بن عبد العزيز بتولية أبو المغيرة عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني ـ حليف بني عبد الدار ـ ولاية القضاء بالقيروان، وهو من فضلاء التابعين استقرت أسرته بالقيروان مع الفتوحات الاسلامية وهو صاحب «قصر مغيرة» بالقيروان «وقرية المغيريين» من قرى مدينة باجة[10].

واذا أضفنا الى ذلك وضعية أرض الأندلس، التي تعددت حولها الروايات فقيل «فلم يبق بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم، وتصيرت ملكا لهم، إلاّ قسم موسى بن نصير بينهم أراضيها، إلاّ ثلاثة بلاد، وهي شنترين وقلنيرية في الغرب، وشية في المشرق، وسائر البلاد، خمست وقسمت، بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى بن نصير.. ثم توارث أراضيها الأبناء عن الابناء».

وفي رواية أخرى «ان ابن نصير قسم وخمس بعض البلاد وأعجلته حركته منها» أن يخمس ما بقي منها[11]. كما يذكر السلاوي عن أبي الحسن القابسي من علماء القرن الرابع الهجري (ت 403هـ) «اختلف الناس في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة: أي البعض عنوة، والبعض صلحاً على ثلاثة أقوال: الأول وهو الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها فتحت بالسيف عنوة لأنه جعل النظر في معادنها للامام... والثاني: أنها فتحت صلحا: صالح أهلها عليها، فإن كان كذلك، جاز بيع بعضهم من بعض.

(9) الكندي: الولاة والقضاة ص 68ـ69.

(10) انظر البكري: المغرب ص 57، المالكي: رياض النفوس 1: 124ـ126.

(11) أنظر الرسالة الشريفية الى الأقطار الأندلسية بافتتاح الأندلس ص 205، ص 207.

الثالث: إنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها، فمن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح»[12].

ولذلك لا يستبعد أن موسى بن نصير ـ خلال ولايته لبلاد المغرب ـ قام بتخميس الأرض وتقسيمها على القبائل العربية التي استقرت بالبلاد إذ صاحبت عملية الفتوحات الاسلامية، هجرة واسعة من عرب الجزيرة، وقد استقرت هذه القبائل المهاجرة تحت راية الاسلام في الأمصار الاسلامية. وكانت بلاد المغرب، أحد أهم تلك الأمصار الذي فضله المهاجرون الأوائل على غيره. ثم جاء اسماعيل ليطبق سياسة عمر المالية التي تهدف الى وضع الأمور في نصابها، من تمييز أرض الصلح عن أرض العنوة وأن «يقر القرى في يدي غنامها بعد أن يأخذ الخمس»[13] ويعلق سعد زغلول على ذلك بقوله أنه ترتب على اصلاحات عمر بن عبد العزيز في المغرب ان خفّت الأعباء المالية على المسلمين من أهل البلاد، فأصبحوا يحتفظون بأرضهم ولا يدفعون عنها إلّا الخراج إلى جانب الزكاة التي عرفت بالصدقة[14].

يضاف الى ذلك أن اسماعيل بن عبيد الله قام برد المظالم، وهي لفظة مفردها «ظلامة» أو «مظلمة» من «ظَلَم»، بمعنى انتهاك حق شخص، وهو تعبير في العالم الاسلامي يدل على الظلم، الذي يأتي من التعدي أو الفساد، وعجز القضاة العاديون لسبب ما عن النظر فيه، فيرفع أمره الى الخليفة مباشرة أو الوالي بالنسبة للولايات الاسلامية. فهذا النوع من القضاء يتناول على الخصوص تصرفات الولاة والدواوين، ولا يشترّط في نظره البينة القاطعة، وانما بأيسر من ذلك، وذلك لما كان يعرف من غُشم الولاة للرعية. فكان الخليفة عمر بن عبد العزيز متحمسا لهذا القضاء لأنه يرتبط بالعدل والاسلام فضلا

(12) انظر السلاوي : الاستقصا 1 : 80.

(13) أخبار مجموعة ص 23.

(14) انظر تاريخ المغرب العربي 1 : 264.

عن أنه فيه إعلاء لشأن العرب، عن طريق أنهم أمة العدل. لذلك كان عمر بن عبـد العزيز هو أول من ندب نفسه للنظر في المظالم وجلس لها في مركز الخلافة بدمشق، كما أمر بها في جميع الولايات الاسلامية ومنها ولاية بلاد المغرب(15).

وأول نتائج تطبيق رد المظالم على بلاد المغرب، إلغاء ما فرض على البربر منذ أيام عقبة بن نافع، الذي صالح لواته على أن يبيعوا في خراجهم من أحبوا من أبنائهم. فلم يقبل الوالي الذي أحسن السيرة في المغرب وكذا خليفته عمر أن يبيع لواته بعد أن أسلمت بناتها في جزيتها. وصدرت أوامر الخليفة «ان من كانت عنده لواتيه فليخطبها الى أبيها، أو فليردها الى أهلها»(16).

وترتب على ذلك اهتمام اسماعيل بن عبيد الله بدعاء البربر الى الاسلام وتشجيع الخليفة عمر لذلك اذ تروي المصادر أنه بعث الى المغرب عشرة من فقهاء التابعين من أهل العلم والفضل منهم.

أبو عبد الرحمن الحُبُلي واسمه عبد الله بن يزيد المعافري وهو من قبيلة معـافر العربية اليمنية «بعثه عمر بن عبد العزيز. الى افريقية ليفقههم في الدين، فانتفع به أهل افريقية، وبث فيها علمًا كثيراً. وتوفي بالقيروان سنة مائة من الهجرة ودفن بباب تونس» وروت عنه عصبيته من معافر مثل عمرو ابن سعيد المعافري(17).

---

(15) وهذه العادة في رد المظالم ترجع الى ملوك الفرس الساسانيين الذين كانوا أول من مارسوه ولم يظهر رد المظالم في الخلافة الاسلامية إلّا في عهد عبد الملك، الذي كان يتصفح المظالم، دون أن يباشرها بنفسه، وانما يرد أغلبها على القاضي. انظر الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص 80 وما بعدها، عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية 2: 261.

(16) انظر البلاذري : فتوح البلدان ص 226.

(17) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد 7 : 511، طبقات خليفة بن خياط ص 293، طبقات أبي العرب ص 21، المالكي : رياض النفوس 1 : 99ـ101.

وأبـو مسعود سعد بن مسعود التجيبي وتنسبه بعض المصادر الى قبيلة صدف العربية وان كانت من القبائل القحطانية فهي بعيدة عن تجيب[18]. كما تنسبه بعض المصادر الأخرى الى كندة وقد سبق أن أوضحنا أن كل من تجيب وكنـدة شيئا واحداً لأن تجيب أحد فروع كندة[19]. «وهو من العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز. ليفقهوا أهل القيروان»[20].

واسماعيل بن عبيد الأنصاري ـ مولى لهم ـ يعرف بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبـه، يصرفه في وجوه الخير، فبنى «المسجد الكبير» بالقيروان والذي عرف في القـرن الخـامس الهجري «بمسجد الزيتونة». وإليه ينسب السوق الذي بجواره يسمى «سوق اسماعيل» ولم يزل مقيمًا بالقيروان حتى غرق خلال جهاده في البحر سنة 107هـ[21].

وأبـو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي وهو من قبيلة تنوخ العربية اليمنية، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير وهو أول من استقضى بها بعد فتحها ولاه عليها موسى بن نصير وهو أحد العشرة التابعين. توفي بالقيروان سنة 113هـ[22].

وموهب بن حي المعافري اليمني. سكن القيروان وبث فيها العلم وفيها كانت وفاته[23].

(18) تهذيب تاريخ دمشق 6 : 113ـ114.

(19) ابن الأثير : أسد الغابة 8 : 373، 5 : 207.

(20) المالكي : رياض النفوس 1 : 102، الدباغ: معالم الايمان 1 : 184.

(21) أنظر طبقات أبي العرب ص 20، 25، المالكي: رياض النفوس 1 : 107، الدباغ: معالم الايمان 1 : 191ـ195.

(22) طبقـات خليفـة بن خياط ص 295، طبقات أبي العرب ص 20 المالكي: رياض النفوس 1: 110، الدباغ: معالم الايمان 1 : 198ـ199، السيوطي: حسن المحاضرة 1 : 260.

(23) طبقات أبي العرب ص 20، المالكي: رياض النفوس 1 : 110ـ111، الدباغ : معالم الايمان 1: 213.

وحبان بن أبي جبلة القرشي وهو من موالي بني عبد الدار، من أهل الفضل والدين. سكن القيروان وانتفع به أهلها. توفي سنة 125هـ.

وأبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي اليمني، كان رجلاً فاضلاً جليلاً وفقيها مفتيا. سكن القيروان، وكانت وفاته بها سنة 128[24].

وأبو سعيد جُعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب الرعيني اليمني وبالاضافة الى جهوده في نشر الاسلام بين البربر في فترة حكم عمر بن عبد العزيز، تولى «قضاء الجند» بافريقية لهشام بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بدمشق اعتباراً من 105هـ/724م وتوفي أبو سعيد قريبا من سنة 115هـ[25].

وطلق بن جابان أو ابن جعبان الفارسي يروي أبو العرب أنه من التابعين وعده من العشرة التابعين.

وأخيراً أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي ـ مولى لهم ـ وخال هشام بن عبد الملك وهو الذي استعمله عمر ابن عبد العزيز واليا على افريقية وكان يتميز بالزهد. سكن القيروان وسار في المسلمين بالحق والعدل وعلمهم السنن وكانت وفاته بالقيروان في 132هـ. بعد أن أسلم على يديه خلق كثير من البربر[26].

ومن استعراض هؤلاء التابعين العشرة، يتضح لنا أن ستة منهم ينتسبون الى قبائل معافر وجذام ورعين وتجيب وتنوخ اليمنية وواحد من موالي قبائل

(24) أنظر المالكي : رياض النفوس 1 : 111-112.

(25) المالكي : رياض النفوس 1 : 114، الدباغ : معالم الايمان 1 : 202، ابن حجر : تهذيب التهذيب 2 : 79، السيوطي : حسن المحاضرة 1 : 298.

(26) أنظر تاريخ خليفة بن خياط 1 : 330، طبقات خليفة بن خياط ص 315، طبقات أبي العرب ص 20 ، 213، المالكي : رياض النفوس 1 : 115-117 الدباغ: معالم الايمان 1 : 203-206، 215.

الأنصار (الأوس والخزرج) اليمنية. واثنان ينتميان الى موالي قبائل بني عبد الدار ومخزوم القريشية العدنانية وواحد فقط ينتمي الى الموالي من الفرس.

كما يتضح لنا أن بعض هؤلاء التابعين كان مستقرا ببلاد المغرب ويعمل على نشر الاسلام قبل الرواية التي تدعي أن عمر بن عبد العزيز أرسلهم، كما أنهم استمروا ببلاد المغرب بعد وفاة عمر بن عبد العزيز وعزل واليه اسماعيل عن بلاد المغرب. واذا أضفنا الى ذلك أنه جرت عادة القبائل العربية المستقرة في المدن الاسلامية المنشأة في الأمصار اقامة مسجد خاص بالقبيلة في داخل خطتها أو حارتها[27]، يكون مخصصا لصلواتها ويتصدر للتدريس به أهل الفقه والعلم من القبيلة، أدركنا أن هؤلاء التابعين كانوا ينتمون الى قبائلهم المستقرة بالقيروان. وبفضل جهود هؤلاء التابعين، وغيرهم ممن لا يحصون في كتب تراجم الصالحين، تعلم المغاربة أصول الاسلام فقرأوا القرآن، وعرفوا اللغة العربية. فحتى ذلك الوقت لم يكن أهل افريقية ـ كما يقال يعرفون الحلال والحرام، وكانت الخمر بافريقية حلالا حتى وصل التابعون فبينوا تحريمها[28].

وما أن توفي عمر بن عبد العزيز في 101هـ/720م بعد خلافة استمرت سنتين وخمسة أشهر وتولى بعده يزيد بن عبد الملك (101ـ105هـ) وتميزت سياسته الداخلية بإحياء العصبية بين اليمنية والمضرية اذ كان متزوجا ببنت أخي الحجاج بن يوسف الثقفي وأعلن إنضمامه صراحة للمضرية، وجعلها

(27) اذ يروي المالكي، قال سليمان بن سالم: كنت قاعدا عند سحنون حتى أتاه رجل يقال له حسان ابن شاكر، فسلم عليه، ثم قال: «أين غبت يا حسان؟» فقال: «في البادية أصلحك الله» فقال له: «ان لله تعالى نبياً من البادية». ثم قال: «ما حال مسجدكم؟» فقال له: «كما تعرف البادية» فقال له سحنون: «واني لأظنه تفتل فيه الحبال» فقال له: «نعم، فما أصنع بهم؟» فتبسم سحنون ثم قال: «يا شيخ ابن سبعين سنة، ولا تعرف ما تصنع بهم؟ أنا أخبرك ما تصنع بهم: تأخذ الحبل من يده فتثنيه على أربعة وتضرب به رأسه وتخرجه من المسجد، فإن المساجد لم تبن لفتل الحبال». انظر رياض النفوس 1: 369.

(28) ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 48، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي 1 : 266.

تستأثر بعطف الخلافة الأموية على حساب القبائل اليمنية التي كانت تشكل أغلب سكان الشام، فأنقص يزيد عطاء اليمنية وجعله نصف عطاء المضرية مما أدى الى حدوث اضطراب في الشام نفسها[29].

وقام بعزل اسماعيل بن عبيد الله وولى يزيد بن أبي مسلم الثقفي مولى الحجاج بن يوسف الثقفي المضري وكاتبه، ثم صاحب شرطته وقيل كان أخاه في الرضاعة، على بلاد المغرب وكانت أولى أعماله هي إلغاء الزيادة التي قررها عمر بن عبد العزيز لديوان الجند، اذ يروي الكندي «وكتب يزيد بن عبد الملك بمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز أمر لأهل الديوان بها فمنعوها»[30] اذ تشكل ديوان الجند ببلاد المغرب في أغلبيته من القبائل اليمنية التي كانت لا تحظى برضا الخلافة في ذلك الوقت.

أما ثان أعمال الوالي الجديد فهو يرتبط بعمله الأول ويتمثل في اعادة تدوين ديوان الجند بافريقية تنفيذاً لسياسة الخليفة الأموي بدمشق واذا كان حسان بن النعمان هو صاحب التدوين الأول، وموسى بن نصير صاحب التدوين الثاني، فيزيد بن أبي مسلم صاحب التدوين الثالث ويرجح ذلك ما قام به بشر بن صفوان الكلبي والي مصر بالتدوين الرابع بديوان جند مصر في ذلك الوقت[31].

وما أن أتم يزيد ذلك حتى انطلق لتنفيذ سياسته التي تأثرت بسياسة أستاذه الحجاج في العراق ان لم تفقها تطرفا، اذ حينما أشرف الحجاج على الوفاة

---

(29) أنظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4 : 160، عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية 2 : 272، 273.

(30) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 70 بالرغم أن النص خاص بولاية مصر الاسلامية ولكنه من المرجح طبق على بلاد المغرب التي تشكل جيشها من القبائل اليمنية. وابن الأبار: الحلة السيراء 2 : 336.

(31) فالتدوين الأول، تدوين عمرو بن العاص والثاني تدوين عبد العزيز بن مروان والثالث تدوين قرة ابن شريك، انظر الكندي الولاة والقضاة ص 70، 71.

استخلف يزيد هذا على خراج العراق فأقره الخليفة الوليد بن عبد الملك واغتبط به وقال: «ما مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم بعده إلّا كرجّل ضاع منه درهم فوجد ديناراً»[32].

فإن الحجاج كان وضع الجزية على رقاب الذين أسلموا من أهل السواد وأمر بردهم الى قراهم ورساتيقهم على الحالة التي كانوا عليها قبل الاسلام، فلما عزم يزيد على ذلك تآمر البربر عليه[33].

يضاف الى ذلك اضطهاد يزيد بن أبي مسلم لقادة اليمنية ومواليهم من البربر اذ يروي ابن عبد الحكم أن يزيد «أخذ موالي موسى بن نصير (اللخمي اليمني) من البربر. . . وأحصى أموالهم وأولادهم، ثم جعلهم حرسه وبطانته. . . (و) كان حرس يزيد بن أبي مسلم حين قدم البربر، ليس فيهم إلّا بترى وكانوا هم حرس الولاة قبله، البتر خاصة، وليس منهم من البرانس أحد، فخطب يزيد بن أبي مسلم الناس فقال: اني إن أصبحت صالحا، وشمت حرسي في أيديهم كما تصنع الروم، فأشم في يد الرجل اليمني اسمه، وفي اليسرى حرسي، فيعرفوا بذلك من غيرهم»[34] ونظرا لادعاء قبائل البتر البربرية الانتساب الى القبائل العربية اليمنية مثل قبائل لواته وزواوه ومكلاته البربرية، يزعمون أنهم من العرب من حمير وهوارة يزعمون إنهم من كندة من السكاسك.[35]. لذلك أنف البتر من هذه المعاملة التي لا تتفق والتعاليم الاسلامية من جهة والتي اعتبروها اضطهاد لعصبيتهم اليمنية المدعاة من جهة ثانية وقالوا: «جعلنا بمنزلة النصارى» وقرروا التخلص من الوالي الظلوم الغشوم فلما خرج من داره الى المسجد للصلاة، قتلوه[36].

(32) السلاوي : الاستقصا 1 : 91.

(33) السلاوي : الاستقصا 1 : 92.

(34) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 88ـ89.

(35) انظر ابن خلدون: العبر 6 : 128.

(36) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 48.

وبالرغم من اتفاق المصادر حول اختيار المغيرة بن أبي بردة الكناني ـ حليف بني عبد الدار ـ خليفة ليزيد بن أبي مسلم في ولاية افريقية وبلاد المغرب بتراضي القوى المؤثرة في القيروان وهو مضري. إلّا أن ترحيب محمد بن يزيد الأنصاري ـ الوالي السابق الذي سجنه يزيد بعد أن أمر بتعذيبه ـ بإغتيال يزيد بن أبي مسلم حتى أنه أعتق غلمانه الذين أتوه بالخبر وهو في الحبس، يوحي بوجود مؤامرة يمنية ضد الوالي الظالم وخليفته ذي الميول المضرية، اذ كان الأنصاري ينتمي الى القبائل اليمنية[37].

ويرجح ذلك أن عبد الله بن المغيرة الذي خاطب أباه «أيها الشيخ، ان هذا الرجل قتل بحضرتك، فإن قمت بهذا الأمر بعده لم آمن عليك أن يلزمك أمير المؤمنين قتله»[38]. ويضيف المالكي أن المغيرة «أبي من ذلك رغبة منه في السلامة، واتفق رأيه ورأي ولده على الهروب من ذلك»[39] مما أدى الى اجتماع رأي أهل افريقية على اختيار محمد بن أوس الأنصاري (اليمني) خليفة للوالي المقتول. مما يدل على دور اليمنية ومواليها في التخلص من يزيد بن أبي مسلم ويرجح ذلك أن الخليفة الأموي ذو الميول المضرية الذي تقبل الأمر الواقع واضطر للعفو عن الجناة، اضطر كذلك، حينما عزل محمد بن أوس الأنصاري اليمني أن يعين عوضا عنه وال يمني آخر عريق النسب هو بشر بن صفوان ابن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عدس بن أبي جابر بن زهير ابن جناب بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ابن

---

(37) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 88، 89. المالكي: رياض النفوس 1 : 124، 125 تنسب الوالي الى قريش بينما ينسبه خليفة بن خياط الى الأنصار أي من الأوس والخزرج وهما من اليمن انظر تاريخه 2 : 471.

(38) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 89.

(39) المالكي : رياض النفوس 1 : 125.

رفيدة بن ثور بن كلب، في 102هـ/720م[40] وذلك لاسترضاء اليمنية ببلاد المغرب.

وكان بشر بن صفوان الكلبي والياً على مصر، وكانت أولى أعماله هو تجميع قبيلة قضاعة وهي قبيلة عربية جنوبية من قبائل حمير بن سبأ أي من القبائل اليمنية إذ لما رأى بشر بن صفوان افتراق قُضاعة في القبائل، كتب الى يزيد بن عبد الملك يسأله الاذن له في استخراج من كان في القبائل منهم فيجعلهم دعوة منفردة فأذن له يزيد بن عبد الملك في ذلك ويروي الكندي أنه خلال ولايته لمصر «أخرج مَهْرة من كندة وأخرج تنوخا من الأزد وأخرج آل كعب بن عدى التنوخي من قريش وأخرج جُهَيْنة من أهل الراية وأخرج خشيناً من لخم فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة منفردة»[41]. ولا يستبعد قيامه بنفس هذا العمل ببلاد المغرب نظراً للعلاقات الوطيدة بين القبائل العربية بالمغرب والقبائل العربية بمصر بالاضافة لما سبق وأوضحناه. إن أغلبية القبائل العربية ببلاد المغرب من القبائل التي سبق واستقرت بفسطاط مصر.

كان العمل الثاني للوالي الجديد تتبع المتهمين في مقتل يزيد بن أبي مسلم وكان على رأس هؤلاء أحد أبناء موسى بن نصير اليمني، ربما كان عبد الملك الذي كان والياً على طنجة في خلال ولاية أبيه بتحريض خالد بن أبي حبيب القرشي وغيره من المضرية، عصبية ضد اليمنية اذ يروي ابن عبد الحكم أنه حينما أمر يزيد بن عبد الملك، واليه بشر بقتل ابن موسى «وهم بشر بتأخيره أياماً، فقال خالد بن أبي حبيب ومحمد بن أبي بكير، لبشر بن صفوان، عجل بقتله من قبل أن تأتيه عافيته من أمير المؤمنين» لأن ابنه موسى بن نصير كانت زوجة للربيع صاحب خاتم يزيد وتوسط لاطلاق سراحه ووهبت أخته للرسول

(40) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس 89، 90، الكندي : الولاة والقضاة ص 69، 70، 71.

(41) الكندي : الولاة والقضاة ص 70، 71.

ثلاثة آلاف دينار ان هو أدركه قبل قتله ولكن غضبة العصبية المضرية كانت أسرع اليه. فقدم الرسول في نفس يوم مقتله ولم يدركه ولاشك أن سليمان ابن وعلة التميمي المضري كان سعيداً بحمل رأس اليمني الى الخليفة الأموي بدمشق[42].

وفي ماعدا هذا العمل الموجه ضد أحد زعماء اليمنية ببلاد المغرب، ففترة ولاية بشر بن صفوان، تعتبر فترة ازدهار العصبية اليمنية ليس ببلاد المغرب فقط بل في الجزء الغربي من الامبراطورية الاسلامية الأموية. ففي مصر كان حنظلة بن صفوان الكلبي أخو بشر استخلفه والياً عليها بعد تعيينه على بلاد المغرب وأقره الخليفة الأموي على ولاياتها[43]، كما قام بشر بعزل والي الأندلس القيسي المضري[44]، وقام بتعيين عنبسة بن سحيم الكلبي اليمني، فلما قتل شهيداً في إحدى غزوات الفرنج في شمال اسبانيا، ولى يحيى بن سلمة الكلبي عوضاً عنه[45].

ولذلك تفرغت القبائل العربية للجهاد في الجبهة البحرية بعد أن ساد السلام الاسلامي الجبهة البرية ببلاد المغرب. فقد سبق أن ساهمت اليمنية في تأسيس البحرية الاسلامية بالمغرب على أيدي كل من حسان بن النعمان الغساني وموسى بن نصير اللخمي، ثم شاركت بعد ذلك كجنود وقادة في جميع الحملات البحرية لجزر البحر الأبيض المتوسط وجنوب ايطاليا اذ أن عرب

---

(42) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 90، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي 1 : 270.

(43) الكندي : الولاة والقضاة ص 71.

(44) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 91، النويري: نهاية الأرب 22 : 212، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 49.

(45) يذكر عبد الحكم أنه الحر بن عبد الرحمن القيسي ويذكر ابن عذاري أنه عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي والأخير أصح، وكليهما من العدنانية المضرية. أنظر فتوح افريقية والأندلس ص 91، البيان المغرب 2 : 26.

اليمن وحضرموت قد برعوا منذ القدم في ركوب البحر بحكم موقع بلادهم التي يحدها البحر الأحمر غرباً والمحيط الهندي جنوبا، وبحكم اشتغالهم بالتجارة في البر والبحر في مراحل تاريخهم قبل الاسلام، واحتكاكهم بشعوب بحرية مثل الفرس والحبش[46].

ويرجع الفضل الى تاريخ خليفة بن خياط لإلقاء الضوء على هذا الدور في تلك المرحلة وهي بداية القرن الثاني الهجري.

ففي شهر المحرم من سنة 103هـ «أغزى بشر بن صفوان، يزيد بن مسروق اليحصبي (اليمني) سردانية من أرض المغرب فغنم وسلم[47].

وفي سنة 104هـ «أغزى بشر بن صفوان. . . ، عمرو بن فاتك الكلبي (اليمني) في البحر، فغنم وسلم»[48].

وفي سنة 107هـ قاد بشر حملة الى صقلية بعد أن استخلف على القيروان العباس بن باضعة الكلبي، وعاد بشر الى القيروان بسبي كثير[49].

وفي سنة 108هـ «أغزى بشر بن صفوان من افريقية قثم بن عوانة الكلبي فغنم وسلم»[50] ولكن سرعان ما توفي بشر بن صفوان في 109هـ/728م متأثراً بمرضه وبعد أن استخلف على القيروان نغاش بن قرط

(46) انظر السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ص 13ـ14.

(47) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 475.

(48) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 479.

(49) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 102، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 49.

(50) وهذا لا يمنع أن يقوم بشر بإرسال حملات بقيادة قواد من القيسية مثل حملة محمد بن أبي بكر مولى جُمح القيسية على قرسقة وسردانية في 106هـ انظر تاريخ خليفة بن خياط 2 : 490، 494.

الكلبي نائباً عنه حسب رواية ابن عبد الحكم[51] أو العباس ابن باضعة الكلبي حسب رواية ابن عذاري[52] والمهم أنه استخلف يمنياً نائباً عنه.

وفي عاصمة الخلافة الأموية دمشق كان هشام بن عبد الملك (105ـ125هـ/724ـ743م) وهو رابع أبناء عبد الملك الذين ولوا الخلافة وقد اعتبره المؤرخون بحق ثالث الساسة من خلفاء بني أمية، بعد معاوية وعبد الملك وخاتمهم ولكنه تميز بالبخل ونظر الى الدولة، نظرته الى اقليم يجب أن يستثمر ولذلك اتهم بأنه كان يحمل ولاته على الامعان في ابتزاز الأموال من أفراد الرعية[53].

ولذلك حينما قام بتعيين عبيدة بن عبد الرحمن السلمي القيسي وهو ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب جند معاوية بصفين وهو مضري كان ذلك ايذاناً ببدء مرحلة جديدة من الاضطهاد للقبائل اليمنية ببلاد المغرب والأندلس.

ويروي ابن عذاري أن عبيدة تولى افريقية في ربيع الأول سنة 110هـ، [فدخل القيروان فجأة، وذلك يوم الجمعة، فألفى خليفة بشر بن صفوان (اليمني) قد تهيأ لشهود الجمعة، ولبس ثيابه. فقيل له «هذا عبيدة قد قدم أميراً» فقال: «لا حولة ولا قوة إلاّ الله ! هكذا تقوم الساعة بغتة! » وألقي بنفسه، فما حملته رجلاه.][54] وهكذا شل النائب اليمني حينما علم بوصول

(51) انظر فتوح افريقية والأندلس ص 91. ويذكر خليفة بن خياط أنه نعاس بن قرط الكلبي أنظر تاريخه 2 : 496، 539.

(52) انظر البيان المغرب 1 : 49.

(53) انظر للمؤلف دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 360ـ361.

(54) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 50.

الوالي المضري، اذ كان يدرك معنى توليته تماما. خصوصا وقد صاحبته مجموعة من فرسان جند الأردن بالشام[55].

وبالنسبة للأندلس، يقوم عبيدة - في خلال فترة ولايته التي استمرت أربعة سنوات وستة أشهر - بتعيين أربعة ولاة، ثلاثة منهم من المضرية وهم: حذيفة بن الأحوص الأشجعي القيسي، والهيثم بن عبيد الكناني، ومحمد ابن عبد الله الأشجعي. أما الرابع وهو عثمان بن أبي نسعة الخثعمي وهو يمني عيّنه لمدة ستة أشهر، ثم عزله واستدعاه الى القيروان، حيث مات بها[56].

أما بالنسبة لبلاد المغرب، ففي النشاط البحري الى صقلية يحاول عبيدة الاعتماد على القادة المضرية مثل عثمان بن أبي عبيدة الفهري الذي قاد حملة في 110هـ/728م مشكلة من سبعمائة مقاتل الى صقلية. وحملة ثابت بن خثيم من أهل الأردن في 112هـ/730م. وحملتي عبد الملك بن قطن الفهري في 113هـ، 114هـ. بالاضافة الى القادة اليمنيين الذين تمرسوا بالبحر مثل المستنير بن الحبحاب الحرشي الذي قاد حملة في 111هـ/729م مكونة من ثمانين ومائة مركب، فنزل على سرقوسة وضرب عليها الحصار ولكن الشتاء فجأ الحملة بصقلية واستغل المستنير ريح طيبة للعودة الى افريقية وما كاد يصل حتى تغيرت الأحوال الجوية واشتدت أمواج البحر وعواصفه مما أدى الى غرق معظم المراكب ولم ينج منها إلاّ سبعة عشر مركباً كانت منها سفينة القيادة وفيها المستنير التي رمى بها الموج الى ساحل طرابلس. وعندما علم عبيدة بفاجعة الحملة أرسل الى واليه على طرابلس يأمره أن يشد وثاق المستنير ويبعث معه غنائمه وعندما وصل القائد البحري اليمني الى القيروان . أمر عبيدة بجلده جلداً

(55) انظر تاريخ خليفة بن خياط 2 : 504 اذ يذكر ان عبيدة بن عبد الرحمن أغزى في 112هـ ثابت ابن خيثم من أهل الأردن من افريقية الى صقلية.

(56) انظر ابن عذاري : البيان المغرب 2 : 27، 28.

موجعاً وطاف به القيروان على أتان ثم جعل يضربه في كل جمعة وظل المستنير محبوساً عند عبيدة[57].

ولم يكتف بها فعله بالقائد البحري اليمني، بل أخذ عمال بشر بن صفوان الكلبي اليمني، فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم وعذب بعضهم[58] «فوجدت لذلك اليمانية» على حد تعبير ابن الأبار[59] وكان أبو الخطار الحُسام بن ضرار بن سلامان الكلبي اليمني، أحد عمال بشر بن صفوان الكلبي بولايات افريقية، وأحد الذين تعرضوا لبطش الوالي المضري، خصوصاً وقد تتابع القيسية على ولاية افريقية والأندلس وكان شريفاً في قومه، مع فصاحة وبداعة فعزله عبيدة ونكل به فقال:

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا … وفي الله ـ ان لم تنصفوا ـ حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط … ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حَرّ القنا بنحورنا … وليس لكم خيل سوانا ولا رجل
فلما بلغتم نيل ما قد أردتم … وطالب لكم منا المشارب والأكل
تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم … صديقا، وأنتم ما علمت لها فعل
فلا تعجلوا إن درات الحرب دوره … وزلت عن المهواة بالقدم النعل

يعرض فيه بيوم مرج راهط، وما كان من بلاء قبيلة كلب العربية اليمنية مع مروان بن الحكم الأموي ضد القبائل القيسية بقيادة الضحاك بن قيس الفهري بدعوة عبد الله بن الزبير وبعث بهذه القصيدة الى الأبرش الكلبي أحد حجاب هشام بن عبد الملك المقربين، فدخل بها على هشام بن عبد الملك

(57) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 498، 501، 504، 506، 507، ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 92، 93.

(58) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 50، النويري : نهاية الأرب 22:212.

(59) ابن الأبار : الحلة السيراء 1 : 64. ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 50.

فأنشدها له، فغضب هشام وسأل عن القائل فأعلم أنه رجل من كلب، فغضب على عبيدة بن عبد الرحمن المضري[60]. ولذلك ما أن وصل عبيدة ابن عبد الرحمن الى دمشق في 115هـ/733م محملاً بالهدايا والمغانم من العبيد والاماء والجواري المتخيرة والخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية وطلب استعفائه، حتى رحب الخليفة الأموي وأعفاه تاركاً ولاية افريقية والمغرب تحت رعاية الوالي المؤقت عقبة بن قدامة التجيبي اليمني[61].

استمرت ولاية عقبة بن قدامة التجيبي المؤقتة حتى سنة 116هـ/734م، حيث ولى هشام بن عبد الملك عوضاً عنه **عبيد الله بن الحبحاب** ويذكر أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل ابن ثوبان الرعيني القاضي المتوفي في 190هـ أن عبيد الله كان رجلاً من قيس، ثم من بني سلول، مولى وليس بالصريح. وكان عبيد الله يردد عن نفسه قائلاً: «انما كنت كُوَيْتِباً، ثم صرت كاتبا، ثم صرت أميراً، ثم أنا اليوم أمير كبير، والحمد الله»[62].

وأهّله لهذه المكانة، أنه كان بارعاً في الفصاحة والخطابة، حافظاً لأيام العرب وأشعارها ووقائعها[63]، ذا بلاغة في لسانه وقلمه وروى عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عن أبيه ـ وكان بليغاً فصيحاً ـ قال: «سمعت عبيد الله ابن الحبحاب يوماً يملي رسالة. ويفك اسما من دفتر العطاء (ديوان العطاء). ويأمر بحاجات في ناحية أخرى، ويحكم من خلال ذلك بين رجلين متنازعين[64].

ولكن ليس هذا ما رفع قيمته وقرّبه الى هشام بن عبد الملك، اذ أن تدبير

(60) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 61ـ66، النويري: نهاية الأرب 22: 2ـ213.
(61) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 93.
(62) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 337، 338.
(63) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 213، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 51.
(64) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 337.

عبيد الله للأموال هو صاحب التأثير السحري على خليفته بدمشق. ففي خلال توليه لوظيفة صاحب الخراج بمصر «كتب عبيد الله بن الحبحاب... الى هشام بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل دينار قيراطا» مما أدى الى حدوث أوّل ثورة بين قبط مصر ضد العرب وأصبح عبيد الله هو المسيطر الحقيقي على ولاية مصر وله الكلمة الأولى في ترشيح ولاتها الذين أخذوا في التتابع بناء على مشورته للخليفة[65].

وفي 116هـ/735م آلت اليه ولاية مصر وافريقية والأندلس ويروي عبد الله بن وهب الفقيه أن عبيد الله بن الحبحاب كانت مصر من العريش في عمله وافريقية والأندلس وما بين ذلك[66]، فاستخلف ابنه القاسم على مصر، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، واستعمل على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه اسماعيل، ثم عمر بن عبد الله المرادي اليمني[67] وبهذا أصبح هذا الرجل يحكم غرب الدولة الاسلامية كله من حدود مصر الشرقية الى جبال البرتات بجنوب فرنسا، وهي مساحة تزيد على نصف الدولة الاسلامية كلها.

ويبدو أن الرجل بدأ ولايته بإتّباع سياسة معتدلة تجاه القبائل اليمنية ببلاد المغرب، فقد أفرج عن المستنير بن الحبحاب الحرشي القائد البحري اليمني من السجن وولاه على مدينة تونس[68]، الميناء البحري لاقليم افريقية وهذا يعني أنه أصبح مسؤولا عن الحملات البحرية الموجهة الى جزر البحر الأبيض المتوسط الغربية. اذ أن ابن الحبحاب اهتم بقاعدة الأسطول الاسلامي بتونس حتى نسبت المصادر اليه أنه بنى دار صناعة السفن بها

---

(65) الكندي : الولاة والقضاة ص 73ـ75.
(66) ابن الأبار : الحلة السيراء 2 : 336ـ337.
(67) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 51.
(68) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 93ـ94.

والحقيقة أن حسان بن النعمان الغساني اليمني هو الذي بناها، وان موسى ابن نصير اللخمي اليمني، اعتنى بها، وأتى ابن الحبحاب وجددها. كما اعتنى ابن الحبحاب بعمران مدينة تونس نفسها، فينسب اليه بناء مسجدها الجامع الذي عرف فيما بعد بمسجد الزيتونة(69).

وبدء ابن الحبحاب نشاطه البحري معتمدا على عصبيته من المضرية بإرسال حملة بقيادة عثمان بن أبي عبيدة الفهري المضري الى صقلية (في 116هـ/735م) وبعد أن غنمت الحملة وفي خلال عودتها الى تونس فاجئتها مراكب الروم وتمكنت من الحاق الهزيمة بسفن المسلمين وأسروا إبني عثمان: عمرا وسليمان أبا الربيع وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري اليمني وأخاه المغيرة بن زياد ويبدو أن أسره بني زياد كانت لها علاقة ما بالأسطول الافريقي لأن زياد بن أنعم والد عبد الرحمن، شهد الغزو مع حملة أبي أيوب الأنصاري البحرية كذلك(70).

واستمر الأسرى من المسلمين بين أيدي الروم، وفي 127هـ فدى عبد الرحمن بن حبيب الفهري ابني عمه وناسا من أساري المسلمين. أما عبد الرحمن بن زياد اليمني وأخاه المغيرة، فقد كاد أن يكون مصيرهما القتل؛ لتطلع احدى نبيلات الروم للثأر من العرب الأسرى لقتلهم ابنها وزوجها وأخيها. ولكن اغراء الفدية كان أقوى سحراً على الحاكم الرومي، الذي فضل الاحتفاظ بالأسرى أحياء حتى افتداهم أبو جعفر المنصور بعد قيام الدولة العباسية(71).

(69) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 120، البكري: المغرب ص 37، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس ص 9، الحميري: الروض المعطار ص 143، 144.

(70) تاريخ خليفة بن خياط 2: 511، المالكي: رياض النفوس 1: 129.

(71) ويروي خليفة بن خياط ان عبد الرحمن بن حبيب هو الذي أطلق سراح عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم في 121هـ أنظر تاريخه 2: 511، المالكي: رياض النفوس 1: 154، 155.

وفي العام التالي 117هـ/736م خرجت حملة بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري المضري (أخي عثمان) الى جزيرة سردانية، حيث هاجم احدى قراها فقتل المسلمون أهلها[72] ونهبوا وغنموا وعادوا[73].

ومن الغريب أن الحملات البحرية التي قادها قادة من اليمنيين لم توفق مثل حملات القادة المضريين برغم من مهارة اليمنيين وخبرتهم في ركوب البحر ففي 118هـ/737م خرجب حملة بحـرية نحو صقلية بقيادة قثم بن عوانة الكلبي اليمني وتمكن من الاستيلاء على مدينـة أولية ولكن الروم تمكنوا من محاصرته بالمدينة ويبدو أن القائد اليمني تمكن من الوصول الى اتفاق مع الروم يضمن له الانسحاب بقواته سالماً من جزيرة صقلية اذ يروي ابن خياط أن الروم «أحاطوا به ثم خلوا عنه»[74].

ويرجـح ذلـك أن حملته الثانية في 119هـ/738م غيرت وجهتها من صقلية الى سردانية، حيث نجـح في الاستيلاء على احدى قلاعها ولكن في طريق العودة «غرق قُثم في مراكب من المسلمين وسلم بعضهم»[75].

ويروي ابن الخياط أنه في 120هـ «لم تُغز افريقية» وفي 121هـ «لم يكن بافـريقية غزو»[76] وكـأن القـاعدة هي الغزو وماعدا ذلك استثناء، يستحق التساؤل. لاشك أن الظروف الداخلية ببلاد المغرب وبدء اضطرابات الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى أحد العوامل الهامة وراء وقف الحملات البحرية[77].

(72) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 514.
(73) ابن الأثير : الكامل 5 : 191.
(74) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 515.
(75) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 517.
(76) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 520، 524.
(77) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي 1 : 281.

ولذلك ففي 122هـ/740م قاد حبيب بن أبي عبيدة الفهري ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب، حملة بحرية الى صقلية ويبدو أن الحملة انقسمت الى قسمين الأول بقيادة عبد الرحمن لفرقة من الفرسان والثاني بقيادة حبيب لحماية خطوط مواصلات الابن ومؤخرته وقاعدة النزول بصقلية اذ يروي كل من ابن الأثير والنويري أن حبيب «وجه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد إلاّ هزمه عبد الرحمن، فظفر ظفراً لم يُر مثله، حتى نزل على مدينة سرقوسة، وهي من أعظم مدن صقلية، فقاتلوه فهزمهم وحصرهم. فصالحوه على الجزية، وعاد الى أبيه»[77م] وعزم حبيب على المقام بصقلية الى أن يملكها جميعاً، فأتاه كتاب ابن الحبحاب يستدعيه الى افريقية[78].

وذلك أن ثورة الخوارج اندلعت في المغرب الأقصى بعد تفاقم مشاكل أهل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فمن الناحية السياسية، فقد نجم عن سياسة الأمويين الأواخر، موجة من السخط، عمت كافة الأمصار الاسلامية، وقد استغل الهاشميون والخوارج حالة السخط هذه في تأليب الجماعة الاسلامية ضد الحكم الأموي فبينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق في فارس وخراسان، عمد الخوارج الى بث دعاتهم في بلاد المغرب التي كانت اذ ذاك ميداناً خصباً لتقبل مبادئهم[79].

فقد عانت بلاد المغرب ـ كغيرها من الأمصار الاسلامية ـ من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية حتى ليذهب بعض الدارسين الى اعتبارها دافعاً أساسياً لثورات البربر ضد الحكم الأموي اذ لم يقتصر الأمر على الولاة ورجال الدولة، بل تعداه الى عامة الناس، لأن الجاليات العربية التي كانت قد هاجرت الى الولايات واستقرت فيها لم تخرج

(77م) ابن الأثير: الكامل 5: 191، النويري: نهاية الأرب 22: 459.

(78) ابن الأثير: الكامل 5: 191.

(79) محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 28.

عن أن تكـون قيسية مضرية أو كلبية يمنية، فاذا كان العـامل قيسيا حابى القيسية واضطهد الكليبية اليمنية وآذاها. واذا كان كلبيا عسف القيسية وأنزل بها من البلاء شيئاً كثيراً. ومن هنا قامت الحروب بين العرب في الولايات[80].

أما بالنسبة للنواحي الاقتصادية، فقد كان الولاة قيسيين ويمنيين على السواء، يتنافسون في جمع الأموال لإرضاء الخلافة الأموية من ناحية، وكسباً للأنصـار وإشبـاعاً لنهمهم من ناحية أخرى، فعكفوا على إرسال الحملات والجيوش، تجول في أطراف بلاد المغرب للحصول على المغانم حتى يروي أبو زكريا صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم عن البكري قوله؛ «انما نقاتل نحن العـرب على الـدينـار والـدرهم. وأمـا الـبربـر فإنـما يقـاتلون على دين الله ليقيمـوه»[81]. وكمثـال على ذلك أن ابن الحبحاب أرسل، حملة برية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري المضري الى السوس الأقصى وأرض السودان ولم يدع قبيلة إلاّ هاجمها وأصاب من السبى أمراً عظيمًا، كما أصاب ما شاء من الذهب والفضة[82].

وتجمع المصادر على سوء معاملة ولاة بني أمية ـ خصوصاً ـ في نهاية الدولة الأموية، للبربر وإرهاقهم بالمغارم والجبايات، فبعد وفاة عمر بن عبد العزيز. فرضت الجزية على من أسلم منهم.

ويروي ابن عذاري أن خلفاء بني أمية كانوا «يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون فيها الى عامل افريقية، فيبعثون لهم البربريات السنيات[83].

(80) انـظر Marcais. G. La Berberie Musulmane p. 141 Fournel.H : les Berbères I. pp. 270-271 ، حسين مؤنس: فجر الأندلس 144، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 28.

(81) أبو زكريا : سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي ص 35.

(82) انظر ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والأندلس ص 94، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 51، السلاوي : الاستقصا 1: 95.

(83) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 52.

وبالتالي فليس من الغريب أن تكون أُم كل من عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس وأبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية وباني بغداد العاصمة، كانتا من قبيلة نفزة البربرية[84].

ولذلك حينما تولى ابن الحبحاب ولاية مصر وافريقية والمغرب والأندلس، مناهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما تتحمل البلاد، فاضطر الى التعسف وسوء السيرة[85].

وكمثال على التعسف وسوء السيرة ما يرويه صاحب أخبار مجموعة «ان الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد منها جلد واحد» ويضيف الطبري «فجعلوا يبقرونها (الماشية) على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد» بينما يروي ابن خلدون أنه «كانت العرمة من الغنم تهلك ذبحا لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلاّ الواحد وما قرب منه»[86] وهذا يعني القضاء على القوى الاقتصادية للقبائل البربرية الرعوية التي كانت تعتمد على قطعان الماشية.

يضاف الى ذلك أن الدولة الأموية كانت تمر بفترة تنظيم وتعريب جهاز الدولة وبالتالي فقد قامت الدولة بإجراء مسح جديد وتعداد للسكان لتقدير الضرائب على أساسها لا على أساس السجلات البيزنطية أو الفارسية القديمة ولقد أساءت هذه العملية الى القبائل البربرية التي اعتادت الإفلات من قبضة السلطة، إذ من شأن إدخالها في عمل كهذا، صعوبة بل واستحالة تمكنها من

(84) المسعودي: مروج الذهب 3: 281، ابن خلدون: العبر 4: 154، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص 241، محمد بن تاويت: تاريخ سبتة ص 2 حاشية (1).

(85) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 52.

(86) انظر أخبار مجموعة ص 31-32، تاريخ الرسل والملوك 4: 255، تاريخ العبر 6: 156، السلاوي: الاستقصا 1: 95.

الهروب من السلطة والقضاء على آمالها في الافلات من متطلبات الهيئة الحاكمة والدليل على مد عملية التنظيم هذه الى بلاد المغرب هو تعيين عبيد الله ابن الحبحاب والياً عليها وهو كاتب من الموالي، عُيِّنَ أولا كوال على مصر وأتم فيها هذه العملية وربما كانت الغاية من تعيينه والياً على بلاد المغرب القيام بهذه العملية كذلك[87].

أما بالنسبة للنواحي الاجتماعية، فقد كان العرب لا يسمحون للموالي ومنهم البربر الذين أسلموا بالتساوي معهم في الحقوق التي منحها الاسلام لهم. فقد احتكر العرب الوظائف المهمة في المجتمع مثل القضاء وقيادة الجيوش وإمامة الصلاة، اما الموالي فكانوا يعملون بالأعمال اليدوية كالزراعة والصناعة والرعي، وبالرغم أن العرب استخدموهم في الجيش كمشاة فإنهم لم يسجلوا في الديوان وبالتالي لم يحق لهم عطاء، وفي الحالات النادرة التي منحوا فيها عطاء كان أقل مما يمنح للعرب.

كما يلاحظ انخفاض مكانة الموالي الاجتماعية في مخاطبتهم بألقابهم الخاصة، اذ لا يحق لهم إستعمال الكنى إلاّ نادراً، كما لم يكن مسموحاً لهم أن يتزوجوا من النساء العربيات. كما أن أولاد الرجل العربي من امرأة غير عربية لا يأخذون نفس الحصة من إرث أبيهم كأولئك الذين أمهاتهم عربيات وطبقا لقاعدة «الكفاءة» الفقهية كان العرب مساوين لأمثالهم من العرب فقط والموالي للموالي[88] ونتيجة لهذه الوضعية الاجتماعية المنخفضة في العصر الأموي اندفع الكثير منهم ومن غيرهم من العرب الذي لم يكونوا متمعين بامتيازات الاشراف الى الانضمام الى الحركات المناهضة وخصوصا حركة الخوارج.

(87) دانييل دينيت : الجزية والاسلام، ترجمة فهيم جاد الله ص 138، وللمؤلف : القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الدولة الأموية ص 72

(88) البلاذري : فتوح البلدان 457، تاريخ اليعقوبي 2: 213، ابن عبد ربه: العقد الفريد 3: 412_413، الأصفهاني: الأغاني 6: 5، 14: 150، فلهوزن الخوارج والشيعة ص 151_152. للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 481.

ونجد صدى هذه الوضعية السيئة للبربر في محاولة زعماء القبائل البربرية، لفت نظر الخلافة الى مساوىء عمالها في المغرب وعدم المساواة بينهم وبين زملائهم من الجند العربي. فلقد سار وفد من المغاربة يبلغ حوالي عشرين رجلا برئاسة ميسرة صاحب الثورة لعرض شكواهم ومطالبهم على الخليفة هشام بن عبد الملك، ولكن طال مقامهم بباب الخليفة دون جدوى[89]. وبالرغم من تشكك بعض الباحثين من عدم وصول شكواهم الى مسامع الخليفة واحتمال منع حجابه وصول الشكوى الى مسامعه [90] فطبيعة الحكم الأموي والعاصمة دمشق ومجلس الخليفة الذي يغص بزعماء القبائل والأحزاب المتعارضة وكل منهم له وسائله في التعرف على أخبار الخصوم يرجح وصول شكواهم الى هشام ابن عبد الملك ولكن مقابلة الوفد كانت تعني الاستجابة لمطالبهم الاسلامية العادلة وهذا يعني انخفاض العائدات المالية الواردة من بلاد المغرب والرجل لم يكن عمر بن عبد العزيز «خامس الخلفاء الراشدين بورعه وعدله» والذي كتب اليه أحد عماله يوماً يقول أن الاصلاحات المالية التي أدخلها الخليفة أدت الى قلة الخراج فكتب اليه عمر: «والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب الدنيا»[91] أما هشام فقد تميز بالبخل، وكان ينظر الى الدولة نظرته الى اقليم يجب أن يستثمر. ولذلك زاد في الخراج المفروض على قبرص والاسكندرية، ودفعت سياسته بالفرس وترك ما وراء النهر الى اظهار السخط وعدم الرضا، مما مهد في الشرق لرسل العباسيين ودعاتهم[92].

أما عن المطالب التي قدمها الوفد المغربي فكانت تتلخص في أن أمير المغرب عندما يغزو بجنده العربي وبهم (أي المغاربة) فإنه يحرمهم من نصيبهم

(89) الطبري : الرسل والملوك 4: 264

(90) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ص 99ـ100.

(91) انظر للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 361.

(92) الطبري : الرسل والملوك 4: 265.

في الغنيمة، ويقول: «هذا أخلص لجهادكم». واذا حاصروا مدينة قال: «تقدموا وأخر جنده». وأرادت الجماعة أن تعرف «أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا»؟[93] وهكذا طالب الثوار بمبدأ المساواة بين جميع المسلمين دون أية تفرقة عنصرية وهو المبدأ الذي ترتكز عليه أفكار الخوارج. ولقد قامت الثورة بعد تمهيد كبير ورعاية واسعة قام بها الخوارج في المغرب. فقد انجذب دعاة الخوارج الى بلاد المغرب منذ عهد مبكر لأنها كانت بعيدة عن سلطان الخلافة، وكان أهلها يقاومون القواد والولاة العرب بشدة، فاستطاعوا أن يجدوا فيها تربة خصبة لبذر أفكارهم[94].

وإذا علمنا أن خوارج المشرق كانوا من قبائل تميم وحنيفة وربيعة وهم من القبائل العربية المضرية الشمالية البدوية، التي ارتدت بعد وفاة الرسول وتزعمت حركت الرِّدّة في عهد أبي بكر الصديق ثم ناصبوا علي بن أبي طالب العداء بعد قبوله التحكيم، ومن بعده بني أمية بصفة خاصة وقبيلة قريش عامة وهي مضرية شمالية كذلك، أدركنا أن الصراع القبلي هنا كان يدور بين القبائل المضرية الشمالية بعضها لبعض.

ولذلك يحق لنا أن نتساءل عن مدى صحة نزعة الخوارج القبلية وعصبيتهم الموجهة ضد قريش وسلطانها[95] في بلاد المغرب خصوصاً وأن ابن حوقل يروي أن بدء دعوة الخوارج ببلاد المغرب يرجع الى معركة النهروان سنة 38هـ/658م فيذكر أن «عبد الله بن وهب الراسبي (وهو من قبيلة الأزد

(93) ويروي ان الذي منع الوفد من مقابلة الخليفة هو وزيره الأبرش الكلبي وهو سعيد بن بكر بن عبد قيس بن الوليد بن عبد عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر بن الجُلاح بن عوف بن بكر ابن كعب بن عوف بن عامر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب من القحطانية اليمنية. انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 428.

(94) الفرديل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص 145-146.

(95) انظر للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 440-441.

اليمنية)[96] وعبد الله بن أباض (التميمي المضري) لجآ الى جبل نفوسة منذ وقت انصرافهم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومن سلم معهم من أهل النهروان وأقاموا هذا الجبل دار هجرة[97] ولكن المسعودي يروي أن عبد الله ابن وهب الراسبي قتله أحد أفراد عصبيته من الأزد ولم يفلت من الخوارج إلاّ عشرة[98] وليس ببعيد أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان قد اعتصموا بجبل نفوسه بالمغرب لكنهم لم يتركوا هناك أثراً يذكر اذ أن الانتشار الحقيقي لمذهب الخوارج في بلاد المغرب يعود الى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين[99].

ويستنتج مما أورده صاحب أخبار مجموعة أن أيدي محركيها من خوارج العرب كانت ظاهرة لا تحتاج الى بحث طويل، ويبدو أن أعداد هؤلاء الدعاة كانت عظيمة في المغرب[100] وبالرغم من انتساب الخوارج الصفرية الى عبد الله بن الصفار التميمي المضري حينما اختلف مع نافع بن الأرزق حول مسألة العقيدة في سنة 65هـ/684م. فإن ابن تغري بردي[101] ينسب الصفرية الى المهلب بن أبي صفرة الأزدي اليمني، أعدا أعداء الخوارج.

كما يروي المبرد أن يزيد بن أبي مسلم ـ مولي الحجاج بن يوسف الثقفي ـ ووالي افريقية. كان يبطن رأي الخوارج اذ يذكر «الرواة أن الحجاج أتى بإمرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبي مسلم مولاه، وكان يسْتَسِرُ برأي الخوارج، فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه، فقال لها يزيد بن أبي مسلم: الأمير ويلك

(96) المبرد : الكامل في اللغة والأدب 2 : 121.

(97) ابن حوقل: المسالك والممالك ص 68، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 207.

(98) المسعودي: مروج الذهب 2 : 406، تاريخ خليفة بن خياط 1: 224.

(99) ابن خلدون: العبر 6: 144، السلاوي : الاستقصا 1 : 95.

(100) مجهول: أخبار مجموعة ص 32، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص 164.

(101) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 1: 289، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 207.

يكلمك، فقالت: بل الويل والله لك يا فاسق الردى. ويعلق المبرد بقوله: «والرِدى عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه»[102].

ولم يقتصر انتشار مذهب الخوارج على الدعاة من العرب، بل تعداه الى مواليهم من شعوب البلاد المفتوحة من البربر والروم والفرس مثل عكرمة رأس الخوارج الصفرية بالمغرب وهو من بربر افريقية وقيل أنه من سبى افريقية وهو مولي عبد الله بن عباس القرشي المضري ويروي ابن سعد أن ابن عباس مات وعكرمة عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمة فأتى عليا فقال: بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار؟ فراح علي الى خالد فاستقاله فأقاله، فأعتقه فدخل عكرمة افريقية وأقام بالقيروان، وبث بها العلم في أواخر القرن الأول الهجري[103].

ومثل عبد الأعلى بن جريج الافريقي وكان أصله روميا، أي من الروم المستوطنين بالبلاد حتى أصبحوا افريقيين، وكان معظم هؤلاء يسكنون المدن ومواقع الساحل، ولما أقبل العرب وقف الافارقة على الحياد في الصراع الذي نشأ بين العرب من جهة وجند الروم والبربر من جهة ثانية بل وأقبل نفر منهم على الاسلام، وكانوا ينتظرون ألّا يعتبرهم العرب من الجند البيزنطي، ولكن العرب وضعوهم وجند بيزنطة في منزلة واحدة وغنموا أراضيهم وأموالهم، فانقلبوا أعداء لهم واتصلوا بزناتة واتفقوا على الثورة. خصوصاً وأن عبد الأعلى ابن جريج الافريقي كان من موالي موسى بن نصير اللخمي اليمني[105].

---

(102) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2: 170.

(103) ابن سعد: الطبقات 5: 287، المالكي: رياض النفوس 1: 145-146. Fournel : le Berbères vol I. p. 352 ، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 39.

(105) أبو المحاسن بن تغري بردي: النجوم الزاهرة 1: 28، السلاوي: الاستقصا 1: 97، حسين مؤنس: فجر الأندلس 148.

وطـريـف بن مالـك أو ملوك ويكنى بأبي زرعة مولى موسى بن نصير والذي قاد الحملة الاستطلاعية الى الساحل الاسباني في 91هـ/710م. أما عن نسب طريف بن مالك فقد تعددت الروايات حوله فبينما يشترك كل من البكري وابن عذاري في نسبه الى البربر، يجمع كل من الرازي وابن الكردبوس على أنــه عربي يمني من معـافـر، ويروي ابن خلدون أنـه عربي يمني من نخع[106]. أما الحميري فينسبه الى العرب والبربر معاً[107]. وأدى ذلك الى الاختلاف حول نسبه في الدراسات التاريخية الحديثة بين نسبه الى البربر مرة والى العرب مرة أخرى[108]. ولكن الجميع اتفقوا أنه كان من موالي اليمنية ببلاد المغرب ولعب دوراً بارزاً في ثورة الخوارج الصفرية بالمغرب الأقصى.

وموسى بن أبي خالد وهو مولى معاوية بن حديج التجيبي اليمني، كان عامـلا على تلمسان، ولما اندلعت ثورة الخوارج الصفرية بالمغرب الأقصى، اجتمع اليه من تمسك بالطاعة من العرب اليمنية، فاتهمه حبيب بن أبي عبيدة الفهري قائد جيش ابن الحبحاب أن له هوى مع الثوار، أو أن له يداً في هذه الفتنة فقطع يده ورجله عقاباً له[109].

وعكـاشة بن أيوب الفزاري المضري وهو الذي قدم على طليعة أهل

(106) انظر رواية الرازي والبكري بكتاب وصف الأندلس لابن الشباط ص 167، ابن الكردبوس: تاريخ الأنـدلس ص 45، ابن عذاري: البيان المغرب 2: 6، ابن خلدون: العبر 4: 254، السلاوي: الاستقصا 1: 88.

(107). انظر الحميري: الروض المعطار ص 35 حيث ينص على أن موسى أرسل رجلًا من مواليه من البربر اسمه طريف بن ملوك المعافري يكنى أبا زرعة وكذلك ص 392 اذ يروي ان موسى بعث رجلًا من مواليه من البربر اسمه طريف يكن أبا زرعة.

(108) راجع حسين مؤنس: فجر الأندلس ص 66، فليب حتى: تاريخ العرب 2: 589، محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس 1: 40. للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 33.

(109) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 96.

الشام مع عبيد الله بن الحبحاب الى المغرب. فقد كان صفريا ولما اندلعت الفتنة ثار عكاشة بمدينة قابس(110).

وحتى ميسرة المطغري زعيم الثورة وقبيلة مطغرة البربرية، نجد هناك روايات تنسبه الى أصل عربي والى قبيلة الأزد اليمنية(111).

أما السبب المباشر الذي أدى الى هذه الثورة، فهو يمثل قمة الاضطهاد المالي والاجتماعي للبربر بالمغرب الأقصى بصفة عامة وموالي اليمنية من البربر بصفة خاصة.

فبعد تولية عمر بن عبد الله المرادي اليمني على المغرب الأقصى «أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعُشر، وأراد تخميس البربر، زعم أنهم فيء المسلمين»(112) واذا علمنا أنه منذ أواخر القرن الأول الهجري يروي المالكي أنه «صارت الخطط للبربر بافريقية، فكان يقسم الفيء بينهم والأرض»(113) أدركنا مدى السياسة التعسفية التي أراد الوالي اليمني تطبيقها وسلب البربر حقوقهم المكتسبة.

فالخُطة (بالضم) وهي مفرد الخُطط، ما يدبر عقلاً، وتعني نظم الحكم والادارة وما يرتبط بها من تشريعات وأحكام مما يحقق للانسان الأمن والعدالة والحكم الصالح.

اما الخِطة (بالكسر) وهي مفرد الخِطط، ما يدبر مكانا، وتعني الأماكن

(110). النويري: نهاية الأرب 22: 217.

(111) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 1: 289، الطاهر الزواوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 125.

(112) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 109، النويري: نهاية الأرب 22: 213ـ214، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 51ـ52.

(113) المالكي: رياض النفوس 1: 56.

والاحياء، فهناك مثلا خِطط القاهرة للمقريزي، وخِطط الشام لكرد علي، ومعناها أحياء وأقاليم القاهرة والشام[114].

وبالنسبة للفيء يذكر ابن سلام أنه «ما أجتبى من أموال الذمة مما صولحوا عليه: من جزية رؤوسهم التي بها حقنت دماؤهم، وحرمت أموالهم، ومنه خراج الأرضين التي افتتحت عنوة، ثم أقرها الامام في أيدي أهل الذمة على طَسْق (مكيال أو نوع من الضريبة) يؤدونه، ومنه وظيفة أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صولوا منها على خراج مسمى، ومنه ما يأخذه العاشر من أموال أهل الذمة التي يمرون بها عليه لتجارتهم، ومنه ما يؤخذ من أهل الحرب اذا دخلوا بلاد الاسلام للتجارات، فكل هذا من الفيء»، ثم يوضح ابن سلام أوجه صرف هذه الأموال «وهو الذي يعم المسلمين: غنيهم وفقيرهم. . فيكون في أعطية المقاتلة وأرزاق الذرية، وما ينوب الامام من أمور الناس بحسن النظر للاسلام وأهله»[115].

وهكذا يتضح لنا، أهمية الحقوق التي أعطيت للقبائل البربرية بعد تحولها للاسلام، سواء تمثلت هذه الحقوق في الاشتراك في ديوان الجند والمساهمة في الادارة، عن طريق الابقاء على اختصاصات زعماء البربر في قبائلهم، اذ كانوا أعلم بادارتهم، خصوصاً أن حركة التعريب لم تكتمل بعد في جميع أنحاء بلاد المغرب. ولم تتغلغل في القرى المنتشرة في داخل البلاد وأطرافها النائية والجبلية التضاريس، المنعزلة جغرافياً، إلّا بعد سنوات عديدة على دخول العرب، بلاد المغرب.

يضاف الى ذلك توزيع الأراضي الخاصة بالروم على أهل البلاد من البربر وكذا توزيع الضرائب التي حصلت من أهل الذمة، سواء كانت جزية

(114) أحمد مختار العبادي وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ص 133.

(115) انظر الأموال ص 24

رؤوس أو خراج أرض أو عشور تجارة، على من أسلم من هذه القبائل وغيرهم من المقاتلة وما يراه الوالي لمصلحة البلاد. ولذلك يعلق ابن عذاري على سياسة والي المغرب الأقصى اليمني بقوله: «وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب منهم الى الاسلام»[116].

فنفرت قلوب البربر عنه وأحسوا بأنهم طعمة للعرب[117] ومن الغريب أن عملية التخميس هذه لم تطبق إلّا على بربر المغرب الأقصى، حيث تجمع موالي اليمنية التابعين لقادة فتوح المغرب أمثال معاوية بن حديج وموسى ابن نصير والذين شاركوا في فتح الأندلس واكتسبوا خبرة عسكرية في حملاتهم ضد القوط وعادوا بعد استقرار الأمور بالأندلس الى بلادهم.

.ولذلك استغل زعماء الخوارج الصفرية وجود الجيش العربي في الحملة ألبحرية بصقلية واندلاع ثورة القبط بمصر في 121هـ/739م ضد حنظلة ابن صفوان الكلبي والي مصر ومتولي شرطته عياض بن حُربية من عصبيته اليمنية اذ يروي الكندي «وحارب القبط عمالهم... فبعث حنظلة بأهل الديوان فقتلوا من القبط ناساً كثيراً»[118] مما قد يدعو الى التفكير بوجود تنسيق بين ثوار مصر من القبط وثوار الصفرية بالمغرب الأقصى، خصوصاً وقد عرف المغرب هجرة قبطية تركزت في موانيه، كانت على اتصال ببقية الأهل بمصر. كما أن زعيم الثورة الخارجية ووفده، لاشك أنهم مروا خلال ذهابهم وعودتهم من دمشق، بعاصمة ولاية مصر الاسلامية، الفسطاط والتقوا بزعماء كل من الأسر العربية التي لعبت دورا في فتح بلاد المغرب واستقر بعضهم بمصر. وكذا زعماء الخوارج وكليهما كان ساخطاً على الدولة الأموية. وثار الصفرية في

(116) السلاوي: الاستقصا 1: 95.

(117) الكندي: الولاة والقضاة ص 80، 81.

(118) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 94، ابن الأثير: الكامل 5: 192، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 53. السلاوي: الاستقصا 1: 97.

122هـ/739م وزحفوا الى طنجة حيث تمكنوا من الاستيلاء عليها وقتل عاملها عمر بن عبيد الله المرادي وقام ميسرة المطغري زعيم الثورة بتولية عبد الأعلى بن جريج الافريقي ـ مولى موسى بن نصير اليمني ـ والياً عليها.

وقد اعتمد ابن الحبحاب على عصبيته المضرية، للقضاء على ثورة الصفرية وموالي اليمنية، فبعث ما لديه من الجند العربي ووجوه أهل افريقية من قريش والأنصار بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري لاعتراض طريق ميسرة الى القيروان، كما أسرع في استدعاء حبيب بن أبي عبيدة الفهري وحملته البحرية من صقلية[119]. وكذلك بعث الى عقبة بن الحجاج السلولي عامله على الأندلس، يطلب اليه الاسراع لعونه بمن يستطيع من الجند، فأسرع الرجل، وحاول مهاجمة مواقع البربر في طنجة فلم يستطع وعاد أدراجه[120].

وتقدم خالد بن أبي حبيب بجيشه العربي حتى وصل الى وادي شلف، غير بعيد من مدينة تاهرت، وتم اللقاء مع الخوارج، وبعد معركة عنيفة انسحب ميسرة بقواته الى طنجة، حيث ثار عليه أتباعه وقتلوه ومن المرجح أن السبب يرجع الى هزيمته أمام العرب. وقامت الصفرية باختيار خالد بن حميد الزناتي ليحل محله لمواجهة الجيش العربي الزاحف الى طنجة[121].

واتبع خالد بن حميد الزناتي خطة حربية مخادعة، أو ما يعرف بخطة الكماشة في العصر الحديث إذ قسم جيشه الى قسمين، واجه أحدهما قوات خالد الفهري بينما قام الأخر بحركة التفاف من خلفه ليعوق اتصاله بالامدادات التي قد يرسلها ابن الحبحاب من افريقية الى جيشه العربي الزاحف الى طنجة، وبذلك وقع جيش خالد بين شقى الرحى وتمكن الصفرية

(119) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 53.

(120) ISIDORI PAGENCIS : Chronicon, Espāna Sagrada VIII. cap. 61 in p. 302، حسين مؤنس: فجر الأندلس 166ـ167.

(121) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 214،

من القضاء عليه قضاء مبرما وكره خالد بن أبي حبيب أن يفر فألقى بنفسه هو وأصحابه فقتل هو ومن كان معه من حماة العرب وفرسانها من قريش والأنصار[122] ومنهم:

خالد بن أبي حبيب وابنه، وعثمان بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وابنه ابراهيم بن عثمان، وموسى بن عبد الرحمن، وعبد الكريم ابن مسحل ابن عتبه بن ضرار بن الخطاب، وزرارة بن عمرو من ولد أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير من بني عمير من بني عبد الدار بن قصى، أي أن جميع القتلى كانوا من المضرية ومن قبيلة قريش ولذلك سميت «غزوة الأشراف» وذلك في 1.22هـ/740م أو محرم 123هـ/741م[123].

ولما بلغ ابن الحبحاب هزيمة قواده المضريين ومقتل عامة جنده من العرب وجه عبد الرحمن بن المغيرة العبدي (المضري) عاملا على تلمسان، فجعل يقتل أهلها من العرب الذي اتهموا بالصفرية فسمى «بالجزار» لما أنزله بهم[124] وما أن وصلت حملة صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري، حتى أرسلها ابن الحبحاب لايقاف تقدم الصفرية المظفر ووصل حبيب الى تلمسان، حيث قام بالقبض على موسى بن أبي خالد من موالي اليمنية وكان عاملاً عليها واتهمه وعصبيته بميلهم الى الصفرية وتآمرهم معهم في هذه الفتنة فقطع يده ورجله عقاباً له[125].

أما عرب القيروان من مضرية ويمنية، فما أن بلغتهم هزيمة الأشراف «حتى مرج الناس واختلفت الأمور على عبيد الله فاجتمعَ الناس وعزلوه عنه

(122) ابن الأثير: الكامل 5: 192، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 53-54.
(123) تاريخ خليفة بن خياط 2: 525-526.
(124) تاريخ خليفة بن خياط 2: 526.
(125) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 96، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص 167-168.

أنفسهم» ولم يقتصر الأمر على القيروان فقط، بل تعداه الى سائر بلاد المغرب اذ «انتفضت البلاد»[126] وكذا الى بلاد الأندلس فثار أهل الأندلس وعزلوا أميرهم عقبة بن الحجاج السلولي المضري[127]. وما أن وصلت أخبار الهزيمة الى الخليفة هشام بن عبد الملك، حتى استدعى واليه عبيد الله بن الحبحاب الى دمشق في جمادي الأولى سنة 123هـ/741م[128]. ولكن ما أن علم بحجم هذه الهزيمة الثقيلة حتى قال: أقتل أولئك الرجال الذين كانوا يقدمون علينا من العرب. قيل: نعم، فأثارت الهزيمة هشام حتى هدد قائلا: «والله لا غضبن لهم غضبة عربية، ولا بعثن اليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي»[129]، ثم يضيف قائلا: «والله لا تركت حصناً بربرياً إلاّ جعلت الى جانبه خيمي قيسي أو يمني»[130].

وهذا النص في غاية الأهمية لأنه يبين تحولاً كبيراً في سياسة الأمويين نحو المغرب فمن المعروف أن القبائل التي استقرت في المغرب خلال القرن الأول الهجري، خصوصاً بعد انشاء مدينتي القيروان وتونس كان أغلبها من القبائل اليمنية وأمام ثورات البربر بزعامة موالي اليمنية من ناحية والنزاعات القبلية بمقر الدولة الأموية بالشام من ناحية أخرى، اضطر الخليفة هشام بن عبد الملك الذي تأرجحت سياسته بين القبائل اليمنية والقيسية خلال فترة حكمه الى ارسال قبائل قيسية للاستقرار ببلاد المغرب.

(126) النويري: نهاية الأرب 22: 214ـ215.

(127) ابن الأثير: الكامل 5: 192.

(128) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 96، ويذكر ابن الأبار أن ابن الحبحاب بعد عودته الى دمشق تولى خطتي الخراج والكتابة لمروان بن محمد بن مروان آخرملوك بني أمية بدمشق ويقال أنه عاش خاملا في الدولة العباسية انظر الحلة السيراء 2: 338.

(129) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 110؛ ابن عذاري: البيان المغرب 1: 54، النويري: نهاية الأرب 22: 215.

(130) أورد بقية القسم كل من الرقيق القيرواني والنويري وبرغم تطابق النصين إلاّ أن هناك فرق واحد في نهاية القسم ففي الرقيق «قيسي أو تميمي» وفي النويري قيسي أو يمني» وقراءة النويري أصح.

واذا علمنا أن سياسة هشام بن عبد الملك الخاصة باستقرار القبائل القيسية بصفة خاصة لم تكن مقصورة على بلاد المغرب فقط. بل كانت سياسة عامة تجاه ولايات الدولة الأموية جميعها. ففي مصر خلال فترة تولي عبيد الله ابن الحبحاب خطة الخراج، حينما بحث عن عصبيته بها وجد بطون فهم وعدوان من قيس فقط نقلوا الى مصر خلال ولاية الوليد بن رفاعة الفهمي لمصر في 109هـ ويروي الكندي أن ابن الحبحاب وفد على الخليفة هشام بن عبد الملك وسأله أن ينقل إلى مصر بيوتاً من قبيلة قيس فأذن له هشام في الحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر بشرط ألاّ ينزلهم الفسطاط حيث العصبية اليمنية. ففرض ابن الحبحاب لهم العطاء وأنزلهم الحوف الشرقي (محافظة الشرقية الحالية). اذ لا يضر استقرارهم بها أهلها الأصليون، كما لا يكسر ذلك خراجاً[131].

ويلقي كل من الكندي والمقريزي الضوء على أسماء هذه القبائل وهم: مائة أهل بيت من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. ومائة أهل بيت من بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر البطن المشهور التي منها بنو كلاب وجعدة وعقيل وقشير والبكاء وعجلان وعبد الله وربيعة وسواءه وهلال ونمير. ومائة أهل بيت من هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ومائة أهل بيت من سليم[132].

أمر ابن الحبحاب عصبيته القيسية بالزرع وأعطاهم عطائهم من صدقة العشور فاشتروا إبلاً، كانوا يحملون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل ثم أمرهم بشراء الخيول فجعل الرجل يشتري

(131) الكندي : الولاة والقضاة ص 76.

(132) الكندي: الولاة والقضاة ص 76ـ77، المقريزي: البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص 66ـ68.

المهر فلا يمكث إلّا شهراً حتى يركب وليس عليهم مؤونة في اعلاف أبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم.

ولما بلغ ذلك عامة قومهم بالبادية، انتقل اليهم خمسمائة أهل بيت فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت(133).

ومنا أن أصبح ابن الحبحاب مسيطراً على النصف الغربي من الدولة الاسلامية (مصر وافريقية والمغرب والأندلس)، حتى أصبحت يده طليقة في هذه المنطقة الشاسعة من الدولة الاسلامية واذا كان وهو محدود السلطة تمكن من نقل عصبيته من البادية حيث شظف العيش الى أحد أقاليم مصر الخصبة. فما بالك وقد اتسعت هذه السلطة، واحتاجت الى عصبية قوية تآزرها وتسندها ولاشك أن ابن الحبحاب قد نقل معه الى افريقية بعض عصبيته من مصر أو من البادية مباشرة. اذ يروي النويري: أن عكاشة بن أيوب الفزاري المضري «هو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله بن الحبحاب» بعد انتقاله الى القيروان(134).

ولذلك تمكن هشام بن عبد الملك من تنفيذ قسمه تجاه أحداث المغرب والوفاء بوعده، وأرسل جيشاً كبيراً من القبائل القيسية بهدف الاستقرار في بلاد المغرب، تراوح عدده بين ثلاثين ألف الى سبعين ألفاً برئاسة كلثوم بن عياض القشيري المضري وقريبه بلج بن بشر القشيري ابن أخيه(135) منهم أربعة وعشرون ألف من أجناد دمشق وحمص والأردن وفلسطين. وثلاثة آلاف من

---

(133) الكندي: الولاة والقضاة ص 77، المقريزي: البيان والأعراب ص 68 ويذكر كل منهما أنه حينما مات هشام بن عبد الملك كان بالاقليم ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس. حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولى الحوثرة بن سهيل الباهلي المضري، مصر، مالت اليه قيس وتوالت على مصر. فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم.

(134) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 216.

(135) يذكر ابن عذاري ان عدد الجيش ثلاثون ألف وهذا عدد جند عرب الشام ومصر من الجند

جند قنسرين[136] وثلاثة آلاف من جند مصر. فأصبح تعداد الجند النظامي من أهل الديوان ثلاثين ألف أغلبهم من الفرسان، بخلاف ما أنضم اليهم من جند برقة وطرابلس من العرب والموالي والأتباع والمتطوعة حتى بلغ عدد جنده سبعين ألف[137].

ويروي صاحب أخبار مجموعة كيفية تكوين هذا الجيش بقوله أن الخليفة هشام بن عبد الملك أرسل «من أجناد الشام من كل جند ستة آلاف، ومن أهل قنسرين ثلاثة آلاف، فأخرجه من الشام في سبعة وعشرين ألفاً... ثم أقبل الى مصر فأخرج من أهلها ثلاثة آلاف فتم بعثه ثلاثين ألف من أهل االديوان سوى من تبعهم من الناس» ولا شك أن بعضهم كانوا من القيسية الذين استقروا بالجوف الشرقي من مصر وعلى الطريق البري بين الشام ومصر. «حتى نزل افريقية فخرج اليه منها فيها (يقال) بشر كثير من أهل افريقية، ومن كان معه من أهل طنجة من العرب حتى تم بعثه سبعين ألفاً»[139].

وقد أوصى الخليفة بأن تكون القيادة لكلثوم بن عياض القيسي أمير شرطة دمشق، وفي حالة موته، تنقل القيادة لقريبه بلج بن بشر ومن بعد هذا الى زعيم القبائل العربية الأردنية من قبيلة عاملة، ثعلبة بن سلامة[140]. ورغم

= النظامي فقط انظر البيان المغرب 1: 55، 2: 30. ويؤيده ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص 41 وقد أورد المقري عن ابن حيان أن عدد الجيش كله سبعون ألف. فتح الطيب من غصن أندلس الرطيب 2: 12.

(136) مجهول: أخبار مجموعة ص 30، 31. ابن عذاري: البيان المغرب 1: 55-56.

(137) مجهول: أخبار مجموعة ص 31، النويري: نهاية الأرب 22: 216، دوزي: تاريخ مسلمي اسبانيا 1: 150. ويذكر ابن القوطية ان الجيش النظامي المشكل من ثلاثين ألف، عشرة ألفاً من (صلب) بن أمية، وعشرون ألفاً من بيوتات العرب. انظر افتتاح الأندلس ص 41. وقارن ابن عذاري: البيان المغرب 1: 55.

(139) مجهول: أخبار مجموعة ص 31.

(140) ابن القوطية: افتاح الأندلس ص 231، دوزي: تاريخ مسلمي اسبانيا 1: 150. أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها 1: 40.

أن ثعلبة كان من عرب اليمن إلّا أنه كان محالفاً للقيسية وعانت اليمنية بالأندلس من اضطهاده لها[141] كما قام هشام بن عبد الملك بتعيين أبا سعيد جعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب الرعيني اليمني «قضاء الجند» بسبب كثرته[142].

وكانت صيحة بلج بن بشر القيسي قائد مقدمة جيش عرب الشام «يا أهل افريقية لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم» كافية لتثير شك العرب البلديين من نسل عرب الفتح اليمنيين وغيرهم وتطلق العصبية العربية من عقالها[143]. اذ أراد أن ينزل العسكر الذي معه في منازلهم[144].

اذ كانت نواة هؤلاء الجند، جماعة من العرب طال بهم المقام والعمل في افريقية، حتى أصبحوا يعتبرون أنفسهم أفارقة لا يطمئنون الى أحد من القادمين من المشرق، كانوا يعتبرون أنفسهم «أهل البلد» ويتسمون بالبلديين وقد تكونت جماعات العرب الأفارقة من جند العرب الأول الذين استقروا أثناء الفتح أو بعده فيما راقهم من نواحي المغرب، وقد جرت عادة هؤلاء العرب أن يستقروا في النواحي بمن انضم اليهم أو صار في ولائهم من البربر، فاعتبروا مواليهم واندمجوا فيهم مع الزمن، ولهذا كثرت جموع هؤلاء العرب الافريقيين وأصبحوا قوة سياسية لها خطرها.

ولما كان هؤلاء العرب الأول هم الذين فتحوا البلاد، فقد أصبحوا يعتبرون أنفسهم أصحابها وملاك نواحيها، لا يكاد يجرؤ غيرهم من غير قبائلهم على الاستقرار معهم فيها. ولما كان معظم من شارك في فتح افريقية من العرب

(141) مجهول: أخبار مجموعة ص 45.
(142) المالكي: رياض النفوس 1: 114.
(143) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 112، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 54.
(144) ابن الأثير: الكامل 5: 192.

يمنيين، فقد كثر جمع اليمنيين في افريقية، وانضمت اليهم جماعات من البربر الزناتية، وأخذوا ينظرون للقيسيين خاصة نظرتهم الى عدو دخيل(145).

يضاف الى ذلك أن عدداً من فاتحي افريقية، أنشأوا فيها أسراً من أهلهم وذريتهم، فأصبحت هذه الأسر مع الزمن ذوات جاه وسلطان بفضل من التف حولها من عصبيتها العربية والموالي والأتباع من البربر وأصبحت لها رياسة على جماعات العرب والبربر في النواحي التي استقرت فيها ومن بيوت هذه الأسر: بيت بني عقبة بن نافع الفهريين، وكان أقواها وأعظمها، وبيت بني معاوية بن حديج التجيبيين اليمنيين، وبيت بني موسى بن نصير اللخميين اليمنيين. وكان لهذه البيوت الثلاثة النصيب الأوفى من السلطان في افريقية خلال العصر الأموي، حتى صارت الأمور أخيراً الى بيب عقبة بن نافع ممثلا في شخص عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة(146).

وكان هؤلاء العرب الأفارقة «البلديون» مقيمين جماعات، كل جماعة في ناحية عليهم رئيس منهم يقوم بشؤون الأقليم لحساب والي افريقية والمغرب في القيروان.

وقد سجل ابن عبد الحكم لنا منهم جماعات قوية في سبرت وطرابلس وقابس والقيروان وتونس، والزاب وتلمسان ومن هؤلاء الزعماء الأفارقة: حبيب بن ميمون بسبرت، ويزيد بن مسلم الكندي وصفوان بن أبي مالك بطرابلس، وسعيد بن بجرة الغساني بقابس، وعبد الرحمن بن عقبة الغفاري، ومسلمة ابن سوادة الجذامي بالقيروان، وموسى بن ابي خالد مولي معاوية بن حديج

(145) انظر المالكي: رياض النفوس 1: 90-91، 100، 106، 110، 114، 116، 119، 121، 126، 129، 131، 136، 152، حسين مؤنس: فجر الأندلس 169.

(146) المالكي: رياض النفوس 1: 92-93، 96، 97، 132، 151. الدباغ: معالم الايمان 1: 99 ما يليها، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص 170.

بتلمسان[147] والمستنير بن الحارث الحرشي بتونس ومروان بن عثمان الغساني بالزاب[148].

وكان زعيم القبائل العربية «البلديون» ببلاد المغرب هو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري المضري، الذي اعتمد على مآثر جده عقبة من جهة وعصبيته من جهة أخرى وخصوصاً وان هذه العصبية المضرية في بداية القرن الثاني الهجري قد تضاءلت أمام العصبية الافريقية البلدية. وكان حبيب معسكراً مع العرب البلديين على وادي شلف حينما بلغته إهانة جند الشام لعصبيته بالقيروان. فكتب الى كلثوم يطلب منه الرحيل بعسكره من افريقية وإلّا حوّل قواته ضده. ورغم قيام كلثوم بن عياض بالكتابة الى حبيب يعتذر اليه «ويأمره بأن يقيم بشلف ولا يجاوزه حتى يقدم عليه»[149] إلّا أن عوامل الضعف في جيش كلثوم كانت تنذر بالفشل والهزيمة. فقد افتقر الى النظام والالفه بين عناصره من القيسية واليمنية والعرب البلدية والمتطوعة والأموية ومواليها فثارة الخصومات القبلية وتصدع الجيش العربي قبل التقائه بالثوار من البربر الصفرية فقد احتدم الصراع بين القيادة القيسية بالجيش وحبيب بن أبي عبيدة الفهري شيخ اليمنية بالمغرب وسرعان ما صاح الناس قيسية ويمنية «السلاح ! السلاح ! » فأنحازت القبائل العربية ببلاد المغرب وانضمت الى القبائل العربية من جند مصر في جهة بسبب العصبية اليمنية التي تجمع بينهم ضد بقية جيش أهل الشام[150].

ورغم النجاح في السيطرة على العواطف القبلية لمواجهة العدو المشترك

(147) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 92، 96، 97، 101، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص 170.

(148) تاريخ خليفة بن خياط 2: 530، 531.

(149) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 98، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 54.

(150) مجهول: أخبار مجموعة ص 31، ابن القوطية: افتتاح الأندلس ص 41، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 55، الباجي: الخلاصة النقية ص 14.

9

وهو البربر فقد خرج هذا الجيش الكثير العدد وتنخر في عظامه الأحقاد والضغائن القبلية حيث التقى بالصفرية بقيادة خالد بن حميد الزناتي عند وادي نهر سبو في موضع يقال له بقدورة حيث هزم العرب هزيمة ساحقة في سنة 123هـ/741م وقتل عشرة آلاف من الجند وقادتهم ومنهم حبيب بن أبي عبيدة وسليمان بن أبي المهاجر وكلثوم بن عياض ومحمد بن عبيد الله الأزدي، ويزيد ابن سعيد بن عمرو الحرشي وكثير من وجوه العرب[151].

وتمكن بلج بن بشر القيسي ومعه عشرة آلاف فارس من جند الشام من اقتحام صفوف البربر ومهاجمة مؤخرة جيشهم ولكن سرعان ما تمكنت بعض القبائل البربرية من قطع الطريق عليه وعزله عن بقية الجيش العربي والحيلولة بينه وبين الانسحاب نحو المشرق تجاه القيروان مما دفعه للهروب في الطريق العكسي نحو الغرب تجاه طنجة وسبتة وحينها فشل العرب في الدخول الى طنجة، تحولوا الى سبتة التي نجحوا في دخولها بعد أن انهكهم التعب وهاجمتهم القبائل البربرية وحاصرتهم وعندما فشلت في دخول المدينة لجهلهم بأمور الحصار عملوا على أبادة من بها بالموت البطيء عن طريق اجاعتهم، فأحرقوا الأشجار المثمرة لمسافة يومين من المدينة، مما اضطر الشاميين الى أكل لحوم جيادهم وأشرفوا على الهلاك[152].

أما من بقي من جند افريقية ومصر وهم عشرة آلاف فقد انسحبوا منهزمين الى القيروان وهكذا آل جيش كلثوم من الجند النظامي الى «ثلث مقتول، . وثلث منهزم، وثلث مأسور» على حد تعبير صاحب أخبار مجموعة[153] أما من نجا من العرب من المتطوعة والاتباع والموالي فقد تفرق في

(151) تاريخ خليفة بن خياط 2: 529، مجهول: أخبار مجموعة 34، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 55.

(152) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 99-100، مجهول: أخبار مجموعة ص 30-35، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 55.

(153) مجهول: أخبار مجموعة ص 34، النويري: نهاية الأرب 22: 216.

أنحاء المغرب حتى يقال أن قبائل جبل درن المطل على مراكش من نسل عرب هذه الموقعة نتيجة هجوم البربر وتتبعهم للعرب بعد هزيمتهم إذ توغل بعض العرب في تلك الجبال الحصينة واستقر وتناسل[154].

دلت الهزيمة الثانية أن طرد القبائل العربية من المغرب ليس بمستحيل، خاصة وقد أستباح الصفرية «عسكر كلثوم وسبوا الذرية» وتوالت أسر العرب على القيروان خوفاً من السبي مثل أهل الزاب الذي قدم فلهم على القيروان بعد وقوع «عيالات أهل طُبنة» في أيدي الصفرية وكذا عامل مدينة تونس المستنير بن الحارث الحرشي اليمني فحينها أدرك أن لا قبل له بمواجهة الخوارج الصفرية «قدم ومعه العائلات العربية التي كانت متستقرة بتونس الى القيروان[155].

ونتيجة لذلك اندلعت الثورة في جميع أنحاء بلاد المغرب، ففي منطقة قابس ثار عكاشة بن أيوب الفزاري، نسبة الى قبيلة فزارة من القبائل القيسية المضرية، ويروي خليفة بن خياط أن عكاشة كان «على غير هوى يدعو اليه» ولكن النويري يذكر أنه «كان صفريا وهو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله بن الحبحاب» بعد انتقاله الى افريقية[156] مما يدل على استغلال

(154) مجهول: .الاستبصار في عجائب الأمصار ص 210. ويروي الحميري أن جبل درن فيه قبائل كثيرة من المصامدة، ويقال أنهم من العرب دخلوا تلك البلاد وسكنوا تلك الشعاب في الفتنة الواقعة عند هزيمة ميسرة التي تسمى غزوة الأشراف فكان البربر يطلبون العرب فتوغلوا في تلك الجبال وتناسلوا فهم أهلها على الحقيقة انظر الروض المعطار ص 235.

(155) تاريخ خليفة بن خياط 2: 529ـ531.

(156) ينسبه حسين مؤنس وسعد زغلول عبد الحميد الى زناتة ومحمود اسماعيل الى قبيلة نفزة البربرية بالرغم من نسب عكاشة الى فزارة العربية في جميع المصادر التاريخية فابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 101، تاريخ خليفة بن خياط 2: 530ـ531، ابن الأثير: الكامل 5: 193، ابن خلدون: العبر 6: 185. وبالطبع لم يدور بذهن الباحثين أنه من المعقول أن يقود قبائل هوارة البربرية قائد ينتسب الى العرب ولكن كل من خليفة بن خياط والنويري يقدمان تفسير امكانية اشتراك زعيم عربي في حركة الخوارج ببلاد المغرب. فابن الخياط يذكر في أحداث سنة 124هـ

عكاشة للظروف والقيام بالثورة وأرسل أخاً له مع جمع من زناتة للاستيلاء على مدينة «سوق سبرت»[157] ولكنه هزم وانسحب الى قابس ووقع على عاتق نواب كلثوم بن عياض بالقيروان، عبد الرحمن بن عقبة الغفاري، قاضي افريقية، على الصلاة، ومسلمة بن سوادة الجذامي على الحرب[158] القضاء على ثورة عكاشة بافريقية.

خرج مسلمة بن سوادة القرشي المضري من القيروان لقتال عكاشة الفزاري المضري ولكنه هزم واضطر الى الانسحاب الى القيروان، حيث ثار عليه جنده واستبدلوه بقائد من عصبيتهم وهو سعيد بن بجرة الغساني اليمني الذي أثر الاعتصام بالقيروان ولم يغادرها إلّا بعد الاتفاق مع صفوان بن أبي مالك عامل طرابلس على الانقضاض على مدينة قابس شرقاً وغرباً ولكن الثائر الفزاري فوت الفرصة عليهما وأسرع بالزحف من قابس للاستيلاء على القيروان التي تركت في حماية قليلة ولكنه هزم على يد عبد الرحمن بن عقبة الغفاري أمير صلاتها فأضطر الى الهرب الى الصحراء في 124هـ/741م[159].

ويروي ابن القوطية أنه «لما بلغ هشام بن عبد الملك، النكبة الدائرة على كُلثوم وما اتصل بذلك من فساد افريقية والأندلس، شاور العباس ابن

= «ثارت البربر بالأندلس وعكاشة بن أيوب الفزاري بقابس بافريقية على غير هوى يدعو اليه» أي أن ثورته كانت عفوية نتيجة انهيار الحكم المركزي بالقيروان ويضيف النويري «لما بلغ أهل افريقية قتل كلثوم، كان بها هرج فثار عكاشة بن أيوب الفزاري مخالفاً على الناس بمدينة قابس وكان صفريا وهو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله بن الحبْحاب» فالرجل عربي استغل الظروف أو استغلته الظروف ودفعته للاشتراك في الثورة حتى أصبح أحُد قوادها. انظر نهاية الأرب 22: 216.

(157) يروي الحموي بأنها السوق القديم لاقليم طرابلس انظر معجم البلدان 3: 184.

(158) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 96-97، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 113، ابن الأثير: الكامل 5: 193.

(159) ابن عبد الحكم: تاريخ افريقية والأندلس ص 97، 101، 102، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 114، ابن الأثير: الكامل 5: 193. النويري: نهاية الأرب 22: 216.

الـوليد... وكـان أحله في الشـورى محل أخيه مسلمة (الـذي توفي في 121هـ/739م) فقال له: يا أمير المؤمنين ليس يصلح آخر هذا الأمر، إلّا بما صلح به أوّله، فاصرف نظرك، وحسن رأيك الى هذه القحطانية (أي اليمنية) فقبل منه»[160] ووعد «لئن بقي ليخرجن اليهم (البربر) مائة ألف كلهم يأخذ العطاء، ثم ليخرجن حتى اذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه، أقرع بينه وبينهم، ثم أخرج نفسه اذ وقعت عليه القرعة»[161].

وقام هشام بن عبد الملك بتنفيذ نصيحة ابن أخيه فاستألف اليمنية ببلاد المغرب بتعيين **حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر الكلبي اليمني**[162] في ربيع الآخر سنة 124هـ/742م على رأس ثلاثين ألف رجل من جند مصر، ثم أمده هشام بعشرين ألف من أهل الشام[163] لم يكتف حنظلة بذلك بل أخرج جميع ما في الخزائن من السلاح ونادى في الناس فكان يعطي لكل منهم درع وخمسين ديناراً، فلم يزل يفعل ذلك حتى كثر عليه الناس، فرد العطاء الى أربعين ثم الى ثلاثين ولم يقدم إلّا شاباً قوياً فعبأ الناس حتى تمكن من تجنيد خمسة آلاف دارع وخمسة آلاف نابل[164] من القبائل العربية بافريقية وكانت أولى القبائل ترحيبا بالتجنيد قبيلة يحصب اليمنية[165].

(160) ويذكر حسين مؤنس أن حنظلة كان قيسيا «وأنه تناسى قيسيته في هذه اللحظة الحاسمة، ولكن الكندي وابن حزم يذكران تسلسل نسب حنظلة الى كلب من قحطان وهو حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عدس بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب. انظر الولاة والقضاة ص 66-67، 71، جمهرة أنساب العرب ص 427.

(161) ابن القوطية: افتتاح الأندلس ص 43، للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 417.

(162) مجهول: أخبار مجموعة ص 36.

(163) مجهول: أخبار مجموعة ص 36.

(164) النويري: نهاية الأرب 22: 217.

(165) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 58.

وهكذا نجح حنظلة رغم عصبيته اليمنية في جمع العرب أفارقة بلديين وشامية، قيسية ويمنية، بسبب اعتداله، وتصميمه على الدفاع عن مصير القبائل العربية ببلاد المغرب، كما نجح في تفريق أعدائه متبعا سياسة فرق تسد: ففيما يتعلق بخوارج المغرب الأقصى، أرسل اليهم رسالة من أتقياء افريقية يدعوهم الى الأمر بالمعروف والزجر عن المنكر والانذار بالنار(166). أما بالنسبة لخوارج المغرب الأوسط وافريقية، فمن النصوص يتضح لنا أن زعيمي الصفرية عكاشة بن أيوب الفزاري المضري الذي تمكن من حشد كثير من البربر وعبد الواحد بن يزيد الهواري زعيم قبيلة هوارة البربرية، كان يعمل كل منهما لحسابه الخاص، وتنافسا فيما بينهما على الامامة، واتفقا أن الامامة لمن استولى منهما على القيروان أولا «وافترقا ليقصدا القيروان من جهتين»(167) «أيهما يسبق صاحبه فيغنم»(168) الامامة.

وفي البداية لجأ حنظلة الى الدفاع، فتحصن داخل القيروان وقام بحفر خندق حولها وبينما كان يحاول استمالة عكاشة بن أيوب الفزاري لما يربطهما من أواصر العروبة اذ يروي ابن عبد الحكم أن حنظلة كتب «الى الفزاري كتابا يرثيه فيه ويمنيه». اخرج حملة بقيادة قائد من قبيلة لخم اليمنية مشكلة من أربعين ألف فارس لمواجهة عبد الواحد بن يزيد الهواري وأنصاره بباجة ولكنهم هزموا وانسحبوا الى القيروان بعد أن فقدوا نصف جنودهم ورغم المبالغة في حجم الحملة وخسائرها إلاّ أن نتائجها كانت بالغة الأثر على مجريات الأحداث فقد تمكن الخوارج من الزحف الى القيروان وأصبح عكاشة الفزاري معسكرا

(166) انظر نص الرسالة التي أرسلها حنظلة الى الخوارج بالمغرب الأقصى في المالكي: رياض النفوس 1: 103.

(167) ابن الأثير: الكامل 5: 193.

(168) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 103.

بالقرن على مسافة ستة أميال من القيروان وعبد الواحد الهواري معسكرا بالأصنام على بعد ثلاثة أميال من القيروان(169).

ولذلك اضطر حنظلة الى تطوير استراتيجية حربه من الدفاع الى الهجوم اذ يروي الرقيق القيرواني أن حنظلة لما رأى كثرة محاصريه قال لأصحابه: «نخندق عَلى أنفسنا ونستمد أمير المؤمنين» فقال عمرو بن عثمان القرشي وهو اذ ذاك شاب حدث السن، «الله الله يا حنظلة أتستمد أمير المؤمنين والكرائم محصورات يمتن هزلا، بل نخرج الى عدونا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»(170) وهكذا شحذ العرض العربي همم المقاتلين من العرب للخروج لملاقاة أعدائهم، ولعب دوراً مؤثراً في الانتصار على الخوارج.

خرج حنظلة بقواته من القيروان لملاقاة أعدائه منفردين ومن الطبيعي أن يبدأ بالعدو القريب وهو عبد الواحد الهواري المعسكر بالأصنام على ثلاثة أميال من شمال القيروان وبالاضافة الى الاعداد الحربي الجيد للجيش العربي، فقد أعد كذلك من الناحية النفسية فقام العلماء من أهل القيروان، يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلونه بالنساء من السبى وبالأبناء من الاسترقاق، هذا من جهة(171)، كما ركبت بعض النساء العربيات ظهور بيوت القيروان، يحرضن الجنود على القتال والثبات وخرج البعض الآخر منهن حاملات الألوية والسلاح خلف رجالهن حالفين: «لئن انهزم أحد منكم إلينا موليا عن العدو لنقتلنه». كما خرج بعضهن بالماء وراء المقاتلين(172).

(169) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 118، ابن الأثير: الكامل 5: 193-194، النويري: نهاية الأرب 22: 217.

(170) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 116، للمؤلف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ص 231.

(171) ابن الأثير: الكامل 5: 194.

(172) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 116.

زحفت القبائل العربية بعد تشكيلها الى فرق خمس هي المقدمة أو الطلائع بقيادة شعيب بن عثمان، والقلب بقيادة حنظلة بن صفوان القائد الأعلى للجيش، والميمنة بقيادة عبد الرحمن بن مالك الشيباني والميسرة بقيادة أحد زعماء بني عقبة[173] والساقة أو المؤخرة بقيادة عمر بن غانم الرعيني اليمني وكان مشهورا في عرب افريقية «وموصوفا بالشجاعة والقوة» حتى يروي أنه قتل من الصفرية مائة وخمسين فردا[174].

وتقدم قائد الطلائع شعيب بن عثمان، فسل سيفه وكسر جفنه كدليل على التصميم على القتال حتى النصر أو الشهادة وسرعان ما حذت القبائل العربية حذوه حتى رُأيت جفون السيوف «تطايرت على (الرؤوس) حتى صارت كالطير لكثرتها» فلما رأى الصفرية الجفون على الرؤوس أنكروا ذلك فقال بعضهم «هؤلاء بنو اسماعيل قد كسروا أغماد سيوفهم، فانظروا الى الرجال كيف يكونون»[175].

وبدأت المناوشات بالقتال الفردي، اذ خرج مقاتل من الصفرية يدعو الى البراز فخرج اليه شعيب بن عثمان قائد فرقة الطلائع، الذي تمكن من هزيمة الصفري وقتله فاندلع القتال بين الجيشين «وتنازل الاقران، وتداعى الأبطال ولزم الرجالة الأرض، وجثوا على الركب، فلا تسمع إلّا وقع الحديد، وتواخذوا بالأيدي» وبالرغم من انهزام ميسرة العرب، إلّا أنهم صمدوا وكروا على ميسرة

(173) لم يذكر الرقيق القيرواني اسمي قائد القلب والميسرة، وبالنسبة الى القلب لاشك أن قائده كان حنظلة بن صفوان القائد الأعلى لادارة المعركة. أما بالنسبة للميسرة فمن المرجح أن قائدها كان أحد أحفاد عقبة بن نافع الفهري ببلاد المغرب ويبدو أن اهماله جاء نتيجة لانهزام ميسرة الجيش العربي انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 110.

(174) انظر المالكي: رياض النفوس 1: 215-216 ويسميه الرقيق «عمرو بن حاتم» انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 119.

(175) الرقيق القيرواني: تاريخ المغرب وافريقية ص 119 - 120

البربر، ثم قلبهم، ثم ميمنتهم وكانت الهزيمة على الخوارج، وقتل زعيمهم عبد الواحد الهواري[176].

أسرع حنظلة بنفس تشكيل[177] جيشه المظفر، لمفاجأة عكاشة الفزاري على رأس الشق الثاني من الجيش الصفري المعسكر بالقرن على بعد ستة أميال من جنوب القيروان، قبل أن تصل اليه أخبار هزيمة حليفه اللدود عبد الواحد الهواري ويجمل ابن عبد الحكم المعركة بقوله: «ولم يكن بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد، فهزمه الله ومن معه من أصحابه، وهرب عكاشة حتى انتهى الى بعض نواحي افريقة»[178] ولكن الرقيق القيرواني يفصل ما أجمله ابن عبد الحكم فيروي أن المعركة بدأت بالبراز الفردي مثل معركة الأصنام اذ خرج رجل من البربر من أصحاب عكاشة يدعو الى البراز، فبرز اليه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وبرغم اعتراض أخيه على خروجه لمبارزة من هو دونه مكانة ومنزلة وعصبية، فقد شجع حنظلة، حبيب الذي تمكن من قتل الصفري فصاح حنظلة «الحملة!» فحمل الناس على الصفرية. ويبدو أن النصر تأرجح بين الصفرية مرة والعرب مرة أخرى اذ يروي الرقيق أن نساء القبائل العربية «ركبن ظهور البيوت بالقيروان، فاذا رأين الغبار سائراً الى الجبل كبرن وسجدن (لفرار الصفرية) واذا رأينه مقبلا (الى القيروان) صرخن واستغثن» (لكر الصفرية على العرب)[179]، الى ان انتصر العرب.

هرب عكاشة الفزاري حتى انتهى الى بعض نواحي افريقية وتحصن بجبالها الحصينة ولكن قوم من البربر قبضوا عليه وأخذوه أسيرا الى حنظلة،

(176) الرقيق القيرواني: تاريخ المغرب وافريقية ص 119، 120، 121، 122، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 59، النويري: نهاية الأرب 22: 217.

(177) اذ يروي المالكي أن عمر بن غانم الرعيني اليمني كان على ساقه الناس في وقعة «القرن والأصنام» مما يدل على احتفاظ الجيش بنفس التشكل انظر رياض النفوس 1: 216.

(178) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 103-104.

(179) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 117.

حيث أمر بقتله[180] وابتهج حنظلة بانتصاره في معركتي الأصنام والقرن وطير خبره الى الخليفة مزهوا. والحق أن هاتين المعركتين كانتا نصرا عظيما للقبائل العربية ببلاد المغرب والخلافة الأموية بدمشق وردا لاعتبارهما بعد هزيمتي الأشراف وبقدورة. وحال هذا النصر بين افريقية والمغرب وبين السقوط في يد الصفرية وأكد نفوذ الخلافة في المغرب الأوسط. ووصلت أنباء النصر وهشام يجود بأنفاسه على فراش المرض في سنة 125هـ/743م وبذلك برّ هشام بقسمه، وثأرت الدولة الأموية من خصومها في المغرب ولكنها كانت يقظة أشبه بصحوة الموت، فهشام كان آخر عظماء خلفاء بني أمية حتى قيل السُّواس من بني أمية ثلاثة: معاوية، وعبد الملك، وهشام وختمت به أبواب السياسة وحُسن السيرة[181].

(180) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 104، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 122.

(181) انظر المسعودي: مروج الذهب 3: 211، محمود اسماعيل: الخوارج في الغرب الاسلامي ص 55.

## الفصل الثالث

# افريقية ما بين المضرية واليمنية والـولاة العباسيـون

## أولا : الفهريون المضريون :

في الـوقت الـذي كانت الـدولـة الأموية تقضي على خصومها الخوارج الصفرية في المغرب، كانت الدعوة الى آل البيت في المشرق تقوى وتتطور من المعارضة السرية الى الثورة العلنية. ولذلك انشغلت الدولة الأموية في الصراع ضد معارضيها العباسيين في المشرق، ونتج عن ذلك أن انقطعت العلاقة بين المشرق والمغرب وترك المغرب غنيمة لمن يتغلب عليه من القوى المتعددة به.

وأولى هذه القوى هي القبائل البربرية المتعددة ولكن العرب تمكنوا من كسر شوكتها ممثلة في الخوارج الصفرية ببلاد المغرب في موقعتي الأصنام والقرن وكانت تحتاج الى بعض الوقت لاعادة تجميع قواها وتهديد الوجود العربي مرة ثانية.

وثان هذه القوى، هي القبائل العربية القيسية، التي تسربت بكميات محدودة مع القبائل العربية في خلال مرحلة الفتوحات الاسلامية ببلاد المغرب، ثم انهالت كالغيث المفاجيء على البلاد اعتباراً من خلافة هشام بن عبد الملك من جهـة وولاية عبيد الله بن الحبحـاب للغـرب الاسلامي (مصر وافريقية والمغرب والأندلس) من جهة ثانية.

وكانت بعض هذه القبائل من الجند الشامي، أي من جيش الخلافة الأموية، وبعد انتقال بلج بن بشر القيشري على رأس عشرة آلاف فارس منهم الى الأندلس. وعودة جزء كبير منهم من افريقية الى مصر ثم الى الشام اذ يروي الكنـدي في حوادث سنة 125هـ أن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

الأمـوي (125ـ126هـ/743ـ744م) أمـر حفص بن الـوليد والي مصر «بـإخـراج أهـل الشام الذين بمصر الى أجنادهم، فأمرهم حفص بالخروج فأمتنعوا، وحاصروا حفصا في داره، فقاتلهم فظفر بصاحبهم ربيعة من موالي أهل حمص فقتله وأخرج أصحابه الى أجنادهم»[1] وكذلك حينها وصلت أخبار مقتل الخليفة الوليد الى أسماع من بقي من أهل الشام بافريقية، نتيجة لثورة اليمانية برئاسة قضاعة، حيث كانوا وقتئذ أكثر جند الشام وحرضوا عمه يزيد ابن الوليد على البيعة لنفسه، أسرعوا بالعودة الى بلادهم بالشام اذ يروي ابن عبد الحكم: «فلما بلغ من بافريقية من أهل الشام، قتل الوليد بن يزيد، خرج عامة قوادهم، وخرج ثعلبة بن سلامة الى المشرق»[2].

وثالث هذه القوى، القبائل العربية اليمنية، فهي التي وقع على عاتقها، فتح البلاد والاستقرار مع القبائل البربرية ولذلك نجد أن هذه القبائل تحولت الى قبائل بلدية أي من أصحاب البلاد وتورات كل من العصبيات القيسية واليمنية وراء ستار العصبية البلدية وعرف هؤلاء العرب «بالعرب البلديين».

ولذلك ما أن انتهى الخطر البربري الصفري على الوجود العربي بشكل عام، وتطورت الأحداث في دمشق لغير صالح الأمويين، حتى نجد العرب البلديون يعملون على الاستحواذ على السلطة في بلاد المغرب. فراسل زعماء العـرب البلديين (يمنية وقيسية) ببـلاد المغـرب، **عبـد الـرحمن بن حبيب الفهري**[3] وبالرغم من انتمائه الى القبائل القيسية المضرية إلّا أنه كان زعيما

(1) الكندي : الولاة والقضاة ص 83.

(2) ابن عبـد الحكم: فتـوح افريقية والأندلس ص 105 وانظر ابن الأثير: الكامل 5: 285ـ286، للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 498.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 105. ويذكر كل من حسين مؤنس وعبد العزيز سالم أن عبد الرحمن بن حبيب كان يمنيا ولكن ابن حزم يذكر أن عبد الرحمن من بني فهر بن مالك ينتسبون الى عدنان أي القبائل الشمالية المضرية انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 168، فجر الأندلس ص 177، المغرب الكبير (العصر الاسلامي) ص 320.

للبلدية بسبب انتمائه الى عقبة بن نافع المرابط الأول وفاتح افريقية والمغرب وباني القيروان، كما ينتمي الى قبيلة قريش فابن حزم يذكر «ولا يكون قرشي إلّا منهم، ولا من ولد فِهر أحد إلّا قرشي»[4].

ومن فهر بن مالك، أتت قريش وهي تنقسم الى قسمين: الأول كانت قريش الظواهر تغزو وتغير. والثاني : قريش البطاح «الضبّ» للزومها الحرم. ومن قريش الظواهر، كان بنو عقبة بن نافع الفهريين ولذلك شاركوا في الفتوحات الاسلامية ببلاد المغرب والأندلس وأصبح لهم عقب كثير بها[5].

استغل عبد الرحمن بن حبيب عودة معظم جند الشام وزعمائهم الى مصر ودمشق واستجاب لدعوة زعماء العرب البلديين بإفريقية، خصوصاً وأن محاولته الاستحواذ على امارة بلاد الأندلس قد فشلت[6].

اذ كان عبد الرحمن مع بلج بن بشر القشيري على رأس الطائفة التي انهزمت الى سبتة عقب هزيمة بقدورة بوادي سبو 123هـ/741م. وتمكن عبد الرحمن من الانتقال الى الأندلس، ليحرض أميرها عبد الملك بن قطن الفهري ـ من عصبيته ـ على عرب الشام، الذين حاصرتهم القبائل البربرية وحينها فشلت في دخول المدينة، لجهلهم بأموار الحصار، عملوا على ابادة من بها بالموت البطيء عن طريق اجاعتهم فأحرقوا الأشجار المثمرة لمسافة يومين من المدينة، مما اضطر الشاميين الى أكل لحوم جيادهم وأشرفوا على الهلاك[7].

---

(4) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 11 خصوصا وأن أمه كانت أمة بربرية من جبال أوراس «وربما كان ذلك سببا في توكيد افريقيته» أي بلديته انظر عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الاسلامي) ص 321 حاشية (2).

(5) البلاذري : أنساب الأشراف 1 : 39، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 168.

(6) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 123.

(7) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 99ـ100، مجهول : أخبار مجموعة ص 30ـ35، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 55ـ56.

واستمر القيسيون في سبتة محاصرين لمدة عام لم ييأسوا من نجدة عرب الأنـدلس لهم، ولم يملوا من الكتـابة الى واليها الفهري لطلب العون والمدد والسفن لمساعدتهم على الانتقال الى الأندلس، بعيدا عن أيدي القبائل البربرية الثـائـرة، وتـأثـر رأي عرب الأنـدلس في تقـديم المساعدة للعرب القيسيين المحاصرين بسبتة بعده مؤثرات متباينة ومتناقضة[8].

أهمها هو موقف عبد الرحمن بن حبيب، كبير عرب افريقية وزعيم العرب البلديين بعد مقتل أبيه وجدة في مواجهة البربر، اذ جعل يحرض عبد الملك ابن قطن الفهري على بلج وأصحابه ويحذر العرب البلديين بالأندلس من أن هدف بلج ومن معه الاستقرار بالمغرب والأندلس ومشاركتهم في أرضهم وزرعهم[9] حتى نجد عبد الملك الفهري، يوقع عقاب صارم رادع بأحد شيوخ قبيلة لخم اليمنية[10] اشفق على القيسيين من الهـلاك فأرسـل اليهم مركبين مشحونين بالشعير والادام، اذ قبض الوالي الفهري على اللخمي الكريم وجلده سبعمائة جلدة ثم أمر بسمل عينيه وقتله متهما اياه بتحريض الجند عليه ورفعت جثته الى المشنقة وقد صلبوا الى يمينها كلبا زيادة في النكاية به[11].

وانغمس عبـد الـرحمن في الصراعات القبلية ببلاد الأندلس محاولا أن يتغلب على البـلاد، ولكن تعيين حنـظلة بن صفـوان الكلبي، لأبي الخطار

(8) من هذه المؤثرات، عبد الملك بن قطن الفهري والي الأندلس، فهو من أبناء مؤسسي الاسلام من المهاجرين وحضر وقعة الحرة مع عرب الشام وشاهد بعيني رأسه خراب مدينته المقدسة وتحول جامعه الى أنقاض وسبي نساء المدينة وارغام أهلها على القسم بأن يكونوا خولا للخليفة، مما دفع أهلها للهروب الى بلاد المغرب، حيث التحقوا بجيشها لفتح الأندلس والاستقرار فيم محملين بكراهية أهل الشام انظر للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 75.

(9) ابن الأبار: الحلة السيراء، ترجمة عبد الرحمن 2 : 341_342.

(10) تذكر بعض الروايات صاحب هذا العمل باسم عبد الرحمن بن زياد الأخرم والبعض الآخر باسم زياد بن عمر اللخمي، راجع صاحب أخبار مجموعة ص 38، المقري: نفح الطيب 2 :12.

(11) مجهول: أخبار مجموعة ص 38، راجع الروايات في المقري: نفح الطيب 2: 11، 12، السلاوي: الاستقصا 1: 99.

الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي اليمني، قضى على آمال عبد الرحمن ابن حبيب، خصوصاً بعد أن قام أبو الخطار بإبعاده الى المغرب في أواخر 125هـ/743م فاستغل عبد الرحمن اضطراب أمور الخلافة الأموية بالمشرق ومبايعة زعماء عرب افريقية له، وحاول تحقيق ما فشل فيه في الأندلس.

أما التاريخ الذي يقدمه الرقيق القيرواني ومن نقل عنه مثل ابن عذاري والنويري في 127هـ/745م فهو تاريخ تغلب عبد الرحمن على افريقية[12].

وقرر عبد الرحمن الفهري أن ينتهز الفرصة ويخلص افريقية من بقية جند الشام وكذا الوالي حنظلة ممثل الخلافة الأموية بإفريقية، خصوصا بعد أن «دعى الناس الى نفسه، فأجابوه»[13] لذلك فحينما علم بقبول زعماء عرب افريقية ـ الذي راسلوه ـ بالخروج اليه «يدعونه الى مراجعة الطاعة والنزوع عما هو عليه» بناء على مشورة حنظلة، حتى أرسل فرسانه للقبض على وفدهم المشكل من خمسين رجلاً وأوثقهم في الحديد وزحف بهم الى القيروان حيث أعلن أهلها «إن رماني أحد من أوليائهم بحجر، قتلتهم»[14].

وكتب عبد الرحمن الى حنظلة ومن معه، يطلب اليهم ترك القيروان واخلاء البلاد، وأمهلهم ثلاثة أيام، وشاء حنظلة أن يقاوم، ولكنه رأى قلة من معه من جند الشام، وميل العرب البلديين الى المسالمة خوفا على زعمائهم المحفوظين عند عبد الرحمن «فخرج بمن خف معه من أصحابه من أهل الشام»[15].

(12) انظر الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 123، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 60، النويري: نهاية الأرب 22: 219، ويذكر ابن الأثير أنه خرج في جمادى الأولى سنة 126هـ، واستولى على افريقية في 127هـ، الكامل في التاريخ 5: 311ـ312.

(13) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 123.

(14) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 105، الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب ص 124.

(15) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 105، 106.

10

وبرغم إتفاق المصادر على أن حنظلة كان رجلاً ورعاً عن الدنيا، وكان ذا دين وتقوى، ولا يرى السيف إلاّ في الكفرة وفي مثل الصفرية ولذلك تعفف عن محاربة عبد الرحمن حفاظاً على دماء المسلمين، كما دعى حنظلة، القاضي وجماعة من أهل الفضل والدين بالقيروان وقام بفتح بيت المال في حضورهم وأخذ منه ألف دينار ـ وهو ما حل له من أرزاقه ـ وترك الباقي، وعاد الى المشرق.

إلاّ أن موقف حنظلة التالي يرجح اضطراره الى الخروج من افريقية مرغما، اذ بعد أن أعوزتهُ القوة لاخضاع عرب افريقية، لجأ الى الدعاء على مخالفيه ومطارديه، ولم يصب جام غضبه على عبد الرحمن فقط، بل وعلى عرب افريقية كذلك الذين خذلوه حتى اعتقد البعض أن الوباء والطاعون الذي أصاب افريقية لمدة سبع سنوات كان بسبب غضبه ودعائه[16].

لم يكتف عبد الرحمن بما فعله بحنظلة، بل ونادى مناديه بالقيروان «لا يخرجن أحد (من عرب القيروان) الى حنظلة ولا يشيعه»، إلاّ أن بعض زعماء العرب لم يخضع لمثل هذا الأمر الجائر، ومنهم عبد العزيز بن قيس الكناني المضري ـ وهو عم أبي محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني القاضي[17] ـ الذي ركب فرسه ولبس سلاحه وخرج وراء حنظلة[18] وعمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبات الرعيني اليمني ـ وهو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن غانم، قاضي افريقية لابراهيم بن الأغلب أمير افريقية ـ وهو من فرسان العرب المذكورين بالشجاعة وقائد ساقه جيش حنظلة في موقعتي «القرن والأصنام»[19] وتقابلا معا ثم لحقا بحنظلة «فلما وصلا اليه سُر

(16) أنظر الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 123ـ125، ابن الأثير الكامل 5: 311ـ312، النويري: نهاية الأرب 22: 219ـ220.

(17) المالكي: رياض النفوس 1: 274.

(18) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 124.

(19) المالكي: رياض النفوس 1: 215ـ216.

بها، وسألاه أن يصحباه، فأبى من ذلك كراهة أن يخالفهما الى أهلهما مكروه من عبد الرحمن، فودعاه وانصرفا الى القيروان»[20].

حاول عبد الرحمن استرضاء زعماء عرب افريقية، الذين أساء اليهم، اذ رغم علمه بقيام كل من عبد العزيز بن قيس زعيم قبيلة كنانة، وعمر بن غانم زعيم رعين، بمخالفة أوامره، وتوديع حنظلة، إلاّ أنه قبل عذرهما بأن الرجل أحسن اليهما وأولاهما جميلا وعفا عنهما وقام بتولية عمر بن غانم حجابته وعين عبد العزيز بن قيس على خطة شرطته[21].

ولكن سرعان ما توارت، نعرة البلدية التي وحدت بين اليمنية والقيسية في افريقية، بخروج جند الشام الى المشرق، ووصول عبد الرحمن بن حبيب الفهري المضري الى الحكم مما أدى الى ظهور العصبية القبلية بافريقية فالقبائل العدنانية، تتصارع حول السلطة فيما بينها، اذ يروي ابن الأبار أن عبد الرحمن، خشى منافسه أبي داوود سليمان بن حميد الغافقي زعيم قبيلة غافق العدنانية التي استقرت بالقرب من مدينة صفاقس وعملت بالزراعة حتى يصفها البكري «بأنها بلد معمور». فقام عبد الرحمن بسجنه ويصف ابن الأبار الزعيم العدناني بأنه «فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره، وأحسن الناس لسانا، وأبلغهم الى معرفة أيام العرب وأخبارها، ورواية لوقائعها وأشعارها، مع دعابة كانت فيه وعبث لا يدعه» وكذلك ثار أخوه محمد والي الأربس ولكن عبد الرحمن تمكن من القبض عليه وسجنه مع أخيه[22] وهكذا نجح عبد الرحمن في القضاء على معارضة القبائل الشمالية أما القبائل اليمنية بافريقية فلم يتمكن عبد الرحمن من اخضاعها إلاّ بعد جهود.

(20) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب 124ـ125.

(21) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 125.

(22) المالكي: رياض النفوس 1: 242، البكري: المسالك ص 19، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 82، الحميري: الروض المعطار ص 365.

ففي تونس، ثار عروة بن الزبير الصدفي[23] القحطاني اليمني من عرب حضرموت[24] واستولى على المدينة. كما ثار عليه عرب الساحل ويتفق كل من اليعقوبي والحميري أن الساحل مما يلي القبلة (الجنوب) من القيروان، وليس بساحل البحر «بل هي بلاد وقرى كثيرة السواد (الزراعة» من الزيتون والشجر والكروم، وهي قرى يتصل بعضها ببعض»[25] بقيادة أبي عطاف عمران ابن عطاف الأزدي اليمني[26]. الذين زحفوا لمقاتلة عبد الرحمن بالقيروان.

أسرع عبد الرحمن بإرسال أخاه إلياس على رأس فرقة من الفرسان مشكلة من ستمائة فارس وأمره بالزحف الى الثوار ووضع له خطة قتالهم، اذ لجأ الى الحيلة حتى يتمكن من إخضاعهم، فخرج إلياس بفرقته حتى اجتاز عسكر أبي عطاف الأزدي المعسكر بطساس وهو موضع على بعد ثلاثة أميال شمال القيروان، مُوهماً إياهم، بزحفه الى تونس. وفي نفس الوقت أرسل عبد الرحمن أحد جواسيسه دسه بين الثائرين من عرب الساحل، فلما أن اتجه إلياس بقواته شمالا تجاه تونس حتى استكانوا ووضعوا السلاح معلنين أن إلياس «قد دخل بين لحى الأسد نحن من هنا، وأهل تونس من هناك، نستريح ونعلف، ثم نزحف إليه على إثره»[27].

أنسل جاسوس عبد الرحمن، الى أخيه إلياس ليخبره بما آل اليه أمر عرب

---

(23) «عروة بن الوليد الصدفي» في ابن الأثير: الكامل 5: 312، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 61، ولقد استقرت قبيلة صدف العربية بقرية على بعد خمسة فراسخ من مدينة القيروان عرفت باسم القبيلة «صدف» الحموي: معجم البلدان 6: 397، المالكي: رياض النفوس 1: 187.

(24) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 431

(25) انظر اليعقوبي: البلدان ص 102، الحميري: الروض المعطار ص 299.

(26) يطلق عليه الرقيق القيرواني مرة الأزدي ومرة أخرى الأسدي، وكليهما من القبائل اليمنية، انظر نسب الأزد بن عمران بن عمرو مزيقياء، وأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة في ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 348، 423، تاريخ افريقية والمغرب ص 126.

(27) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 126.

الساحل، فأسرع إلياس بالعودة لمهاجمتهم «فلم يدرك القوم، لبس الدروع وكان همهم أخذ السيوف، فقتلوا وقتل ابن عطاف» أميرهم في 130هـ[28].

أمر عبد الرحمن، أخاه إلياس بالمسير الى عرب تونس قائلا له: «انهم اذا رأوك ظنوك أبا عطاف فأمنوك»[29] فزحف إلياس الى تونس بعد أن قام بتوزيع جيشه الى ثلاثة فرق: مائتين على طريق الجزيرة، ومائتين على طريق باجة، ومائتين على طريق القيروان بقيادته، حتى تبدو قواته كإمدادات وافدة الى تونس للانضمام الى الثوار[30].

واعتقد عروة بن الزبير الصدفي ان الامدادات تنهال على تونس من أهل الجزيرة ومن أهل مدينة باجة، ولكن حينما علم أن هناك امدادات عن طريق القيروان، فطن لحيلة بني حبيب وأدرك الخديعة ولكن الوقت قد فات اذ كان الزعيم اليمني في الحمام ولم يتمكن، إلاّ من ملحفه يتنشف بها واضطر الى ركوب فرسه عريانا دون سرج لكي يولي الأدبار ولكن إلياس الذي خشى من فراره واستمرار ثورته، أثار عصبيته القبلية حتى يضطره الى الصمود والمواجهة، حتى يسهل قتله فصاح به: «يا عروة، يا فارس العرب!» ورغم أن القائد اليمني كان غير مسلحا، إلاّ أنه كر على إلياس وبيده ملحفته، فضربه إلياس بسيفه فتلقاه اليمني بالملحفة وعانقه ووقعا معاً الى الأرض، وأخذ ينازع إلياس سيفه، وكاد يظهر عليه، فطعنه أفرنجي من موالي عبد الرحمن برمحه في ظهره بين كتفيه فأخرجه من صدره وقتله. وهكذا تمكن عبد الرحمن من اخضاع القبائل اليمنية بافريقية، خصوصا بعد أن عين أخاه إلياس والياً على تونس[31].

(28) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 127، 128، ابن الأثير: الكامل 5: 312.
(29) ابن الأثير: الكامل 5: 313.
(30) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 127.
(31) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 127ـ128، ابن الأثير: الكامل 5: 313.

ولكن سرعان ما ثارت اليمنية وحلفائهم من قبيلة هوارة البربرية في اقليم طرابلس اذ يروي الرقيق أن كثير بن حنش مولي قيس ووالي عبد الرحمن على طرابلس خرج في جماعة من مشائخهم (قيس) الى البربر، ليصالحوهم، فقتلوهم عن آخرهم، فبلغ ذلك عبد الرحمن، وهو بالقيروان في وقت القائلة، فخرج في ذلك الوقت، ثم لحقته المضارب (القبائل من عصبيته) وأخاه إلياس فزحف بهم شرقا حتى وصل قابس ولكنه اضطر للعودة الى القيروان حينما علم أن الناس همت بعزله ونفيه وتولية ابن عمه شعيب بن عثمان بن أبي عبيدة[32] وفي نفس الوقت أرسل أخاه ـ ونظنه عبد الوارث ـ واليا على طرابلس، اذ كان إلياس واليا على تونس وتمكن من القبض علي زعيم الثورة اليمنية وهو عبد الله ابنُ مسعود التجيبي ويصفه ابن عبد الحكم بأنه «كان أباضيا ورئيسا فيهم» وقام نصير بن راشد، مولي الأنصار، وحليف القيسية بإقليم طرابلس بقتله[33] فثارت اليمنية بقيادة شيوخها وهم عبد الجبار بن قيس المرادي، والحارس ابن تليد الحضرمي[34] مما اضطر عبد الرحمن الى عزل أخاه، وتولية حميد بن عبد الله العكي لكي يوقع بين المضرية واليمنية بإقليم طرابلس ذو النزعة الخارجية الأباضية[35].

ولذلك قامت اليمنية، بحصار حميد بن عبد الله العكي وعصبيته من العدنانية في بعض قرى طرابلس، وحينما أدرك عدم جدوى مقاومته واشرافه على الهزيمة اذ «وقع الوباء في أصحابه» اضطر الى مفاوضة اليمنية والاتفاق على السماح له بالانسحاب وعصبيته من اقليم طرابلس، مقابل تسليمه نصير

(32) انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 128 .

(33) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 106 .

(34) يذكر الرقيق القيرواني ابن عبد الجبار والحارث، . كانا من البربر، يدينان بدين الخوارج ولكنه لا ينسبها كما يفعل ابن عبد الحكم، انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 198 .

(35) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 106 .

ابن راشـد «وكان من أصحاب حميد وكانوا يطلبونه بدم عبد الله بن مسعود التجيبي المقتول» فأخذوه وقتلوه ثأراً لزعيمهم[36].

بعـد فشـل محاولة عبد الرحمن بن حبيب الأولى، لجأ عبد الرحمن الى سياسـة الموالاة والاستئلاف، فكتب الى يزيد بن صفوان المعافري وهو أحد زعـماء اليمنية، بولاية طرابلس لاسترضاء اليمنية اذ هو ابن صفوان بن أبي مالـك وأخـو معـاوية بن صفوان، الواليين السابقين من قبيلة معافر اليمنية المستقرة بإقليم طرابلس. وفي نفس الوقت أرسل مجاهد بن مسلم الهواري - أحد زعماء البربر - لكي يحاول القضاء على التحالف اليمني البربري بالاقليم وبالرغم من اقامته في هوارة عدة أشهر ولكنه فشل في مهمته وطُرد من قبيلة هوارة البربرية، حيث انضم الى يزيد بن صفوان المعافري والي طرابلس.

أدرك عبد الرحمن بن حبيب، خطورة الثورة اليمنية بطرابلس وخوفاً من اندلاعها الى بقية أنحاء افريقية فأسرع بإرسال محمد بن مفروق أحد قواده على رأس فرقة من الفرسان كمدد لوالي طرابلس، وزحف الجميع الى الثوار حيث التقوا باليمنية بزعامة عبد الجبار بن قيس المرادي، والحارث بن تليد الحضرمي بمكان في أرض هوارة حيث هزم جيش الوالي وقتل الوالي نفسه وكذا محمد ابن مفروق قائد الفرسان في المعركة[37].

لم يستسلم عبد الرحمن بن حبيب لهذه الهزيمة، وأخذ في تجهيز جيش كبير، يذكر ابن عبد الحكم أنه قاده بنفسه وأسرته (ابن عمه عمرو بن عثمان) ويضيف الرقيق كذلك ابن عمه شعيب بن عثمان وخرج في 131هـ/748م[38] حيث التقى باليمنية في أرض زناتة ولكنه هُزم واستولى عبد الجبار والحارث على اقليم طرابلس بأكمله. وتابع زعماء اليمنية جيش عبد الرحمن المنهزم حيث قتلوا

(36) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 106.

(37) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 106-107.

(38) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 128.

نفراً منه بمدينة سرت بين برقة وطرابلس ونجا عمرو بن عثمان على فرسه جريحا واستولى الحارث على معسكره[39].

لم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب من القضاء على ثورة اليمنية بإقليم طرابلس، إلّا بعد قيام التنافس والصراع حول السلطة بين الزعيمين اليمنيين فأدى في النهاية الى القتال فيما بينهم وأعوانهم حتى قتلا معا اذ يروي ابن عبد الحكم أنه «تفاقم ما بينهما فأقتتلا، فقتل عبد الجبار، والحارث جميعاً». وفي الوقت الذي عمل فيه عبد الرحمن بن حبيب على استئلاف القبائل اليمنية باقليم طرابلس حتى أنه لم يمد يده بسوء اليهم، خشية اتحادهم مرة ثانية ضده، بل وعين عليهم والياً منهم وهو عمر بن سويد المرادي اليمني[40] «وأمره أن ينفل» أي يعطي الجند ما غنموه في الحرب، حتى يستألفهم. نجده يقوم بالانتقام ممن حالفهم من بربر هوارة، ويزرع الجفاء بين حلفاء الأمس اذ يروي ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن جلس بسوق طرابلس حيث استعرض أسرى البربر وقتلهم[41] ويضيف الرقيق موضحا كيفية القتل «يُوتي بالأسير من البربر، فيأمر من يتهمه (من اليمنية) بتحريم دمه بقتله، فابتلى جماعة من الناس، فما سلم منهم غير عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (المعافري اليمني)، وعصمه الله منه»[42] كما أمر ابن حبيب بنقل بقية أهل السوق القديم (مدينة سَبْرَت) الذين اشتهروا بالثورة الى نبارة عاصمة اقليم طرابلس[43].

(39) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 107. ويروي الرقيق أن عبد الرحمن انتصر في هذه المعركة وقتل عبد الجبار والحارث، انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 129.

(40) يذكر الرقيق أن عبد الرحمن عين على طرابلس بكر بن حسين القيسي انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 130 وحاشية (ا).

(41) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والمغرب ص 108.

(42) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 129.

(43) انظر الحموي : معجم البلدان 3 : 184.

وفي الوقت الذي كانت اقدام عبد الرحمن بن حبيب تزداد رسوخا في افريقية بعد أن كسر شوكة اليمينة وحلافائهم من البربر، آلت رئاسة الصفرية بافريقية الى الصقر بن أيوب الفزاري المضري، أخو عكاشة الذي قتله حنظلة، وانسحب الصقر الفزاري بأعوانه ممن التحق به من جند الشام وأنصاره البربر الصفرية الى المغرب الأوسط حيث تمكن من السيطرة على مدينة تلمسان منذ 130هـ/747م[44].

وفي 135هـ/2-753م خرج عبد الرحمن بن حبيب على رأس قواته الى تلمسان، بعد أن استخلف ابنه حبيب نائبا له على القيروان، ونجح في هزيمة الصقر الفزاري وقتله «فظفر بها لم يظفر به أحد قبله . . . ودوخ المغرب كله، وأذل من به من القبائل، ولم يهزم له عسكر ولا ردت له راية» حسب تعبير الرقيق[45].

وفي خلال ذلك الوقت سقطت الدولة الاموية في 132هـ/749م وقامت الدولة العباسية، وتتبع العباسيون الأمويين بالقتل حتى اضطر من نجا من بني أمية الى الاختفاء من جهة أو اللجوء إلى مكان لا تصله قبضة الدولة، فلجأ الكثير من بني أمية الى بلاد المغرب وكما كان المغرب الملاذ للعلويين والخوارج من قبل، أصبح ملاذا لهم. ويروي خليفة بن خياط في سنة 134هـ/751م «قدم موسى والعباس ابنا الوليد بن يزيد المغرب، وعبد الله ابن عبد الله بن ابي طلحة. وسعيد بن عمرو بن سليم الزرقي[46] كما يضيف الرقيق أن بني أمية الذين لجؤوا الى المغرب لم يكونوا أفرادا فقط بل أسر كاملة فيذكر «وهرب جماعة من بني أمية عند قتل مروان خوفا من بني العباس ومعهم حرمم، فتزوج عبد الرحمن واخوته فيهم، وكان فيمن قدم ابنان للوليد بن يزيد

(44) تاريخ خليفة بن خياط 2: 598.

(45) تاريخ خليفة بن خياط 2: 598، الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 130.

(46) تاريخ خليفة بن خياط 2: 627.

ابن عبد الملك، يقال لأحدهما القاضي والآخر المؤمن[47] ويضيف صاحب أخبار مجموعة كما لجأ اليها السفياني الثائر، وموسى بن عبد الملك بن عمر ابن الوليد[48]، ويضيف الكندي أبو الوفاء زيد بن الأصبغ بن عبد العزيز. ومحمد بن الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز. وابراهيم بن سهيل. وعبد العزيز ابن مروان بن الأصبغ وهو يومئذ حدث[49] ولم يقتصر هروب بني أمية الى إفريقية فقط، بل وتعداه إلى جنوب بلاد المغرب الأقصى اذ يروى البكرى خلال وصفه بلاد السوس أن «الذي جلب الساقية الى مدينة السوس، عبد الرحمن بن مروان، أخو محمد الجعدي وأنه هو الذي عمر وادي السوس الى وادي ماست مسيرة يومين عليه قرى كثيرة وهو ينصب في البحر المحيط» مما يدل أن هجرتم كانت عائلية[50] واستقبل عبد الرحمن بن حبيب الأمراء الأمويين الذين قصدوه استقبالا طيبا وأنزلهم في كنفه[51].

ويفسر الباحثون هذا النزوح بأنه لم يكن للامويين بل وللعرب فيما بعد، من ملجأ سوى بلاد المغرب، بعد أن أوصدت أمامهم أبواب المشرق، من حيث أقبل أعداؤهم يطلبون دمائهم[52] ولذلك ساءت العلاقة بين الدولة العباسية وبني حبيب بافريقية الذين لم يكتفوا بإيواء أعدائهم، واعلان الولاء الشكلي لهم، بل ومنع ابن حبيب حق بيت مال الخلافة من خراج بلاد المغرب، بحجة «أن افريقية اليوم اسلامية كلها، وقد انقطع السبى عنها» وقام

---

(47) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 130ـ131، النويري: نهاية الأرب 22: 222. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 84.

(48) مجهول: أخبار مجموعة ص 50.

(49) الكندي: الولاة والقضاة ص 100.

(50) انظر البكري: المسالك ص 161.

(51) مجهول: أخبار مجموعة ص 50

(52) انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 327.

بسبب أبي جعفر المنصور وحرق خلعته ثم أمر كاتبه خالد بن ربيعة أن يكتب كتابا بخلعه وقرأه على جميع الناس[53].

لم تقف الدولة العباسية صامتة أمام هذا التحدي السافر، وقامت بالتحرك في اتجاهين، الأول بالجبهة المصرية المجاورة لبلاد المغرب اذ عين أبو العباس، الخليفة العباسي، صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ـ من قرابته ـ على فلسطين ومصر وافريقية في 136هـ/753م وجمع له خراجها وصلاتها وأمده بالجيوش لغزو المغرب.

وتشكلت حملت بلاد المغرب من القادة اليمنيين بمصر فقد تولى أبو عون عبد الملك بن يزيد مولى هُفاءة من الأزد اليمنية رئاسة الجيش كما عين عامر ابن اسماعيل على رأس الفرسان الذين شكلون مقدمة الجيش كما تولى المثنى ابن زياد الخثعمي من بنو خثعم بن أنمار اليمنيين[54] قيادة الأسطول البحري الذي سيصاحب الحملة بحراً الى طرابلس وأسند الى عياش بن عقبة الحضرمي اليمني توفير امدادات الجيش من المواد الغذائية وغيرها.

زحفت الحملة الى المغرب في جمادى الآخرة سنة 136هـ/753م وتمكنت من دخول برقة حيث عسكرت لمدة احدى عشر شهراً، أي حتى منتصف سنة 137هـ وأواخر سنة 754م[55] وفي ذلك الوقت توفى أبو العباس عبد الله ابن محمد بن علي، الخليفة العباسي الأول في 136هـ/754م وتولى أخاه أبو جعفر عبد الله وكانت الدولة العباسية لا تزال مضطربة ولم تتوطد أركانها بعد، اذ ثار عليه عمه عبد الله بن علي وبايع لنفسه بالخلافة في مدينة حران بالجزيرة معتمداً على الجيش الكبير الذي تحت قيادته[56] كما ثار جند فلسطين بقيادة الحكم ابن

(53) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 133ـ134، ابن عذاري. البيان المغرب 1: 67.

(54) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 367.

(55) الكندي: الولاة والقضاة ص 101ـ103.

(56) أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ص 46.

ضبعان الجذامي اليمني بفلسطين مما دفع صالح بن علي والي مصر الى سحب حملة المغرب وعودتها الى مصر لتشارك في القضاء على ثورة الجذامي بفلسطين(57).

أما الاتجاه الثاني للدولة العباسية، فقد كان بالجبهة الداخلية ببلاد المغرب فقد استغل بنو العباس، بيوتات العصبية اليمنية بافريقية ومواليها وعدائها للتسلط المضري الممثل في بني حبيب الفهريين، لما أوقعه بهم وزعمائهم ولذلك ما أن قامت الدولة العباسية حتى شايعها بعض قادة هذه البيوتات مثل عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير وأخوه معاوية بن مروان. وعبد الرحمن بن عقبة المعافري. وعياض بن حريبة الكلبي ومحمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج في عشرة من بني حديج. فأرسل والي مصر وفدا من أشراف أهل مصر، ينتمون بصلة القرابة لهذه البيوتات، كدعاة لأهل افريقية مثل قنبرة بن بحرية بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الكندي. وعثمان بن عبيد الله ابن موسى بن نصير اللخمي.، والضحاك بن محمد اللخمي. ووحوح بن ثابت البلوي(58). وبالفعل وصل هذا الوفد اليمني الى مدينة سرت، ولاشك أن هذا الوفد قد اتصل بزعماء القبائل اليمنية والبلدية بافريقية، خصوصا الساخطين على حكم عبد الرحمن بن حبيب، اذ أنه بالرغم من سحب صالح بن علي والي مصر للوفد من مدينة سرت وعودته الى الفسطاط(59)، إلّا أن جماعة من أهل القيروان من العرب (من وجوه الجند) شاركوا في التآمر ضد عبد الرحمن ابن حبيب(60) وقتله واعادة الطاعة لأبي جعفر (المنصور)(61).

اذ بينما كان يهدف عبد الرحمن بن حبيب من ايوائه لفلول بني أمية أن

(57) الكندي : الولاة والقضاة ص 103 .
(58) الكندي: الولاة والقضاة ص 101، 102 .
(59) الكندي: الولاة والقضاة ص 103 .
(60) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 135، وقارن السلاوي: الاستقصا 1 : 107 .
(61) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 67 .

يتقوى بهم ويسبغ الشرعية على حكمه عن طريق مصاهرتهم، فقد تزوج عبد الرحمن واخوته من نسائهم. فعندما وصل اسماعيل بن زبان بن عبد العزيز بن مروان الى افريقية استولى عبد الرحمن على ما كان معه من مال، ثم انه غلبه على أخته فتزوجها وكذلك تزوج إلياس، أخو عبد الرحمن من أميرة أموية.[62] كان بنو أمية يتطلعون الى السلطة ويتحرقون شوقاً اليها حتى قال أحدهم: «ما أغفل عبد الرحمن، أيظن أنه يتمنى معنا ولاية ونحن أولاد الخليفة» وما أن سمع عبد الرحمن ذلك حتى أمر بقتلهما.

وكانت ابنة عمهما زوجة إلياس، أخو عبد الرحمن، فأخذت تحرضه ضده بسبب قتله لأصهاره، وتنصيبه لحبيب ابنه ولياً للعهد من بعده، بالرغم من قيادة إلياس لجيوشه واخضاعه للثائرين عليه مما أدى الى تغيير إلياس وأخوه عبد الوارث عليه ويبدو أن عبد الرحمن أدرك ذلك[36] وأراد أن يوقع بهما ولكن زوجته اللخمية وهي أخت موسى بن علي بن رباح زعيم قبيلة لخم بمصر وواليها في عهد أبي جعفر المنصور[64]، نصحته بقولها: «لا تقتل أحداً، فإنك لن تقدر أن تقتل من يقتلك» مما يرجح انضمامها الى المؤامرة أو علمها بها على الأقل.

وهكذا شاركت القبائل العربية في التآمر للتخلص من عبد الرحمن وبصفة خاصة «جماعة من أهل القيروان من العرب»[65] منهم قبيلة معافر اليمنية اذ يروي الرقيق أن عبد الرحمن بن زياد المعافري تعشى على مائدة ومعه

(62) مجهول: أخبار مجموعة ص 55، الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 130-132، النويري: نهاية الأرب 22: 222، السلاوي: الاستقصا 1: 107.

(63) سواء عن طريق جواسيسه أو عن طريق نبوءة الحنفي الذي أخبره أنه سوف يقتل على يدي أخوين، فأخذ يقتل كل من وفد عليه فجاءه كتاب مروان بن محمد الجعدي «لا تقتل الناس فإنها أصحابك أخواك إلياس وعبد الوارث» انظر الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 132.

(64) الكندي: الولاة والقضاة ص 119.

(65) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 135.

صهره شراحيل فقال لعبد الرحمن «ابنتك طالق ان رفعت هذه المائدة الليلة من بين أيدينا حتى يقتل عبد الرحمن بن حبيب»[66].

فقد دخل إلياس وأخوه عبد الوارث على عبد الرحمن في المساء، وأستأذن إلياس للتوجه الى تونس حيث أبعده عبد الرحمن عاملا عليها وما أن قام عبد الرحمن مودعا له، أكب عليه إلياس يعانقه وكان في غلاله وردية فوضع السكين بين كتفيه حتى صارت الى صدره فصاح عبد الرحمن «فعلتها يابن اللخفاء» وقتل عبد الرحمن في ذي الحجة 137هـ/755م[67].

تولى **إلياس بن حبيب**، حكم افريقية منذ 137هـ/755م ولمدة عام تقريباً، أعلن فيها طاعته لأبي جعفر (المنصور) العباسي. ولكن ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن لم يستسلم لمقتل أبيه وكان يسكن معه في قصر الامارة، وتمكن من الهروب من القيروان بمعاونة عمرو بن عثمان القرشي الذي تنازل له عن فرسه لكي يطالب بثأر أبيه، ونجح حبيب في الوصول الى تونس حيث انضم اليه عمه عمران بن حبيب ولحق به موالي عبد الرحمن من كل ناحية[68].

أسرع إلياس بأنصاره وخصوم عبد الرحمن من زعماء العدنانية الذين كانوا بسجنه أمثال محمد وسليمان بن حميد الغافقي[69]، للتخلص من حبيب قبل أن يستفحل أمره، حيث التقى به عند موضع «سمنجة» بالقرب من تونس حيث «اقتتلوا قتالا يسيرا» حسب رواية ابن الأثير[70]، ثم دارت المفاوضات بينهم وانتهت الى الاتفاق على تقسيم ولاية افريقية بين بني حبيب المتصارعين:

(66) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 135.
(67) النويري : نهاية الأرب 22: 223.
(68) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 136-137.
(69) بابن الأبار: الحلة السيراء 1: 82.
(70) ابن الأثير: الكامل 5: 314.

فتكون ولاية تونس وصطفورة والجزيرة أي المنطقة الساحلية الشمالية لعمران بن حبيب بن أبي عبيدة. وولاية قفصة وقصطيلة ونفزاوة أي بلاد الجريد (النخل) الجنوبية لحبيب بن عبد الرحمن. وباقي سائر افريقية والمغرب لالياس بن حبيب بن أبي عبيدة[71]. ومن هذا التقسيم يتضح لنا أن إلياس حينما قبل أن يشاركه أخوه وابن أخيه في الامارة كان يضمر الغدر بهما، فقد قسم قوى معارضيه الى قسمين، الأول في الشمال مع عمران والثاني في الجنوب مع حبيب حتى يسهل عليه التخلص منهما، كل على حدة. وما أن سار حبيب جنوباً الى عمله ببلاد الجريد حتى سار إلياس مع أخيه عمران الى مدينة تونس، حيث غدر به وقبض عليه وأرسله الى الأندلس مع بعض أفراد الأسرة من أنصاره مثل عمر بن نافع بن أبي عبيدة والأسود بن موسى بن عبد الرحمن بن عقبة وعلي بن قطن[72]. كما قام بقتل جماعة من أشراف العرب الذين انضموا الى عمران وحبيب[73] وقام بتعيين محمد بن المغيرة القرشي عاملاً له على تونس[74].

أما حبيب ولي العهد السابق ووالي الجنوب الجريدي ـ والذي يبدو أن معاونيه وأنصاره كانوا من الكثرة مما دفع إلياس الى اللجوء الى الحيلة للتخلص منه اذ يروي الرقيق أن إلياس «أغرى الناس للقيام عليه في ما يتزيد به من ضياع أبيه[75]» وبرغم غموض الفقرة إلّا أنه يمكن الاستنتاج أن حبيب طالب ببعض ضياع أبيه التي انتقلت ملكيتها الى أيدي أخرى مما أثار أصحابها الجدد عليه.

(71) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 137، ابن الأثير: الكامل 5: 314، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 68.
(72) النويري: نهاية الأرب 22: 224، السلاوي: الاستقصا 1: 108.
(73) ابن الأثير: الكامل 5: 314.
(74) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 137.
(75) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 137.

مما دفع حبيب الى قبول رأي عملاء إلياس الذين نصحوه بالانتقال الى الأندلس ومن أحب من مواليه، فركبوا البحر الى الأندلس ومعه عبد الوارث أخو إلياس ولكن سوء الأحوال الجوية واضطراب البحر أرسى به في مدينة طبرقة[76] وهي بين مدينة درنة وباجة من البلاد الافريقية وهي تقع على نهر كبير تدخله السفن حتى الى باب المدينة وهي مدينة حصينة يحيط بها البحر من جميع الجهات ماعدا مسلكا لطيفاً ربما قطعه البحر في زمن الشتاء[77] لذلك خشي إلياس، عودة ابن أخيه الى الثورة ضده ومنازعته الحكم، فأمر عامله سليمان ابن زيان الرعيني اليمني بأن يحول بينه وبين النزول بالمدينة خوفا من استحواذه عليها، والاحتماء بحصانتها، ولكن موالي عبد الرحمن وصنائعه أسرعوا لنجدة حبيب، فهاجموا العامل اليمني ليلاً وأسروه وأخرجوا حبيب حيث بايعوه والياً على افريقية[78].

زحف حبيب بأنصاره ومواليه الى مدينة الأربس حيث يتوفر معدن الحديد ومزارع الحنطة والشعير، مما يرجح تزود أنصاره وإبلهم بالمواد الغذائية اللازمة والتجهز بالأسلحة المطلوبة[79] وعندما علم إلياس بذلك، استخلف على القيروان محمد بن خالد القرشي، وخرج لملاقاته، ووقعت بين الطرفين مناوشات خفيفة توقفت عندما أقبل المساء، فاستغل حبيب الظلام وأوقد النيران كدليل على اقامته، وانسحب مسرعاً من معسكره الى القيروان حيث أوقع بمحمد بن خالد القرشي نائب إلياس ودخل المدنية وأخرج سلام بن عبد الرحمن بن حبيب أخاه وجماعة من صنائع أبيه ومواليه من السجن.

(76) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 68.

(77) انظر البكري : المسالك ص 67، مجهول: الاستبصار ص 126، القلقشندي: صبح الأعشى 3 : 391. الحميري : الروض المعطار 386-387.

(78) الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 138.

(79) البكري (لربس) بالمسالك ص 46، الادريسي : صفة المغرب ص 117 الحميري: الروض المعطار ص 24-25.

ازداد أنصار حبيب بما انضم اليه من مواليه وغيرهم لكفاية مؤنه وسلاحه بينما أخذ أنصار إلياس في الانفضاض عنه والتحول الى معسكر ابن أخيه اذ يروي الرقيق أنه كان «على ميمنة إلياس عمرو بن عثمان الفهري وعلى مسيرته أبو شريك الجزري، فخذلا إلياس»[80].

تابع إلياس، حبيب الى القيروان، حيث التقى الجيشان خارج أبواب المدينة وتظهر هنا نزعة العصبية العربية، من حب الثأر والحفاظ على الموالي والصنائع، اذ خرج حبيب الى عمه إلياس قائلا: «لم نقتل موالينا وصنائعنا بيننا وهم لنا حصن، ولكن أبرز أنت وأنا، فأيّنا قتل صاحبه استراح منه، ان قتلتني ألحقتني بأبي، وان قتلتك أدركت ثأري منك» وحينما تردد إلياس في قبول هذا العرض العادل صاح الناس من الجانبين «قد أنصفك، فلا تجبن، فإن ذلك سبة عليك وعلى ولدك من بعدك» وتبارز الخصمان وانتهى بفوز حبيب وقتل إلياس ففر أنصاره وعلى رأسهم عبد الوارث الى قبيلة ورفجومة البربرية الخارجية الصفرية، احدى بطون قبيلة نفزة البربرية[81].

ودخل حبيب بن عبد الرحمن القيروان في رجب 138هـ/5-756م في موكب النصر مزيناً برؤوس زعماء عصبيته الفهرية القريشية، من بينها رأس إلياس عمه، ورأس محمد بن أبي عبيدة بن نافع عم أبيه، ورأس محمد ابن المغيرة بن عبد الرحمن القرشي، ورأس محمد بن عمرو بن مصعب الفزاري، زوج عمة أبيه، الذي جاءه مهنئا فأمر بضرب عنقه[82].

كتب حبيب الى عاصم بن جميل أمير ورفجومة، بتسليم عمه عبد

(80) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 138، ابن الأثير: الكامل 5: 315، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 69.

(81) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 138-140، السلاوي: الاستقصا 1: 109.

(82) النويري: نهاية الأرب 22: 225.

11

الـوارث ومـن لجأ اليه من مواليه، فرفض عاصم، ورد على تهديد حبيب بالتحـالف مع يزيد بن سجوم أمير قبيلة ولهاصة وتوحيد سائر بطون القبيلة وقـرروا الخـروج لاستخـلاص القيروان خصوصاً بعد أن كاتبهم وجوه أهل القيروان من العربـ مثل عمر بن غانم الرعيني حاجب عبد الرحمن بن حبيب ووعودهم أن يخذلوا الناس عن حربهم.

ويبـدو أن عرب القيروان، اعتقدوا ما دام عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن أخيه حبيب، أظهر الولاء لأبي جعفر المنصور، ولصلته بعاصم ابن جميل، اعتقد عرب القيروان أن عاصم أيضاً من أنصار الخلافة العباسية ولذلك «أظهروا أنهم يريدون أن يدعوا لأبي جعفر»[83].

أما حبيب بن عبد الرحمن فقد خرج لملاقاة ورفجومة، بعد أن استخلف على القيروان أبا كريب جميل بن كريب المعافري اليمني القاضي. لكن عاصم تمكن من هزيمة حبيب ففر الى قابس، واتخذ عاصم ومن لجأ اليه من العرب الطريق الى القيروان، فلما اقتربوا الى المدينة خرج القاضي المعافري مع عرب القيروان وعسكروا بوادي شمال القيروان على طريق تونس[84]. فخرج جماعة من أهل القيروان من عسكر جميل يدعون الناس الى التخاذل والانضمام الى عاصم، فافترق أكثر الناس عن أبي كريب وانسحبوا الى القيروان وصمد أبو كريب في نحو ألف من وجوه الناس، من أهل البصائر والخشية والدين، فقتل اليمني ومن قاتـل معـه في 139هـ/756م وعرف الوادي حيث تمت المعركة «بوادي أبي كريب»[85].

---

(83) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 139ـ140، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 70، ابن خلدون: العبر: 6: 150.

(84) الدباغ: معالم الايمان 1: 229. وزاد ابن ناجي في التعريف به «والمعروف اليوم (القرن التاسع الهجري) بوادي السراويل. انظر المالكي: رياض النفوس 1: 172 حاشية 29.

(85) المالكي: رياض النفوس 1: 168ـ172 ترجمة القاضي أبو كريب جميل بن كريب المعافري،

استولت ورفجومة ونفزة (نفزاوة) على مدينة القيروان وبعد أن استخلف عاصم عليها عبد الملك بن أبي الجعد النفزي، . خرج لملاحقة حبيب بن عبد الرحمن، وتمكن من هزيمته عند قابس، فانسحب حبيب الى جبال أوراس حيث أخوال أبيه، وتابعه عاصم ولكن تمكن حبيب بمعاونة أخواله من إيقاع أول هزيمة بورفجومة وتمكن من قتل عاصم وأكثر أصحابه. وحاول حبيب استرداد القيروان فزحف إليها بأنصاره. فخرج اليه عبد الملك بن أبي جعد وهزمه وقتله في المحرم 140هـ/ مايو 757م بعد ولاية دامت سنة وستة أشهر، وبذلك قضت ورفجومة على الفهريين المضريين في المغرب وأضحت لهم السيطرة الكاملة على القيروان وسائر افريقية[86].

لم تف ورفجومة للعرب بها وعدتهم من المبايعة للدولة العباسية بالمشرق بل وتتفق المصادر على اضطهاد ورفجومة للعرب بشكل عام ومن ينتمون الى قبيلة قريش بشكل خاص اذ يروي الرقيق «لما حكمت ورفجومة على القيروان، قتلوا من كان بها من قريش وساموهم سوء العذاب»[87]، مما يوضح أن خوارج المغرب من البربر ورثوا حقد وكره خوارج المشرق من العرب، تجاه قبيلة قريش[88] كما استحلت ورفجومة المحرمات وسبوا النساء والصبيان وربطوا

= الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 140، ابن الأثير: الكامل 5: 315، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 70. النويري: نهاية الأرب 22: 225.

(86) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 141، ابن الأثير : الكامل 5: 316، النويري: نهاية الأرب 22: 225-226.

(87) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 141، النويري: نهاية الأرب 22: 226، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 70.

(88) اذ بعد سيطرة الضحاك بن قيس الخارجي على العراق في 127هـ أنشد شاعر الخوارج:

ألم تر أن الله أظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل

كذلك ينتسب الى شاعر الخوارج قوله:

فلا خير ان كانت قريش عدى لنا يصيبون منا مرة ونصيب

وحينما هزم أبو حمزة الخارجي. أهل المدينة في وقعة قديد سنة 130هـ قام باستعراض أسراه منهم،

دوابهم في المسجد الجامع بالقيروان وعذبوا أهلها «ففارق القيروان أهلها»[89].

ويفسر ابن خلدون العلاقة بين ورفجومة وأهل القيروان، بأنه صراع بين قبيلة نفزاوة (نفزة) البربرية وبين العرب اذ يروي أنه بدخلوهم القيروان «قتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب . . . ونكر ذلك عليهم الاباضية من برابرة طرابلس . . . فاجتمعوا الى الخطاب بن السمح ورجالات العرب»[90].

ويروي المالكي أنـه لما رأى ذلـك علماء افريقية من العرب بعثوا الى المشرق وفد من شيوخهم الى أبي جعفر المنصور، منهم: نافع بن عبد الرحمن السلمي ، وأبو البهلول بن عبيدة . وأبو العرباض، برئاسة عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم المعافري قاضي افريقية[91] لانقاذ العرب. ونظراً لانشغال أبي جعفر المنصور العباسي في القضاء على معارضيه في المشرق فقد أعطى الضوء الأخضر للخوارج الأباضية بالمغرب الأدنى (طرابلس) للتدخل في شؤون افريقية والقيروان .

واختلفت الروايات حول الأسباب التي أدت الى زحف خوارج طرابلس الى القـيروان، فالبعض ينسبه الى انقسام في جماعة الخوارج بالمغرب، اذ أن ظهـور الابـاضية في طرابلس هو في حقيقـة الأمر انشقاق في جماعة الخوارج الصفرية، وذلك أن الأباضية عدلوا في مبادىء المذهب ومالوا الى الاعتدال والتسـامـح مما قربهم الى أهل السنة[92] بينما يرى البعض الآخر أن دوافعها الجفـاف والجـدب الذي يؤثر في تحركات القبائل الرعوية[93] بينما ينسبه ابن

= فمن كان قريشيا قتله، ومن كان أنصاريا خلى سبيله انظر تاريخ خليفة بن خياط 2: 593ـ595. وللمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 440ـ441.

(89) ابن الأثير: الكامل 5: 315ـ316، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 70.

(90) انظر ابن خلدون : العبر 6: 150، 151.

(91) المالكي: رياض النفوس 1: 160، النويري: نهاية الأرب 22: 227.

(92) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 342.

(93) الشماخي: السير ص 127، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 1: 342.

خلدون ومن أخذ عنه مثل السلاوي، الى تحالف عرب افريقية وجندها مع البربر البرانس الحضرية ضد بربر نفزاوة البترية الرعوية(94) وهناك من يقول أن أبا الخطاب ما خرج «إلا غضبا لله ولدينه» (95) وأخيرا هناك الرأي الذي يقول أن الاباضية بعد نجاح دعوتهم في المغرب الأدنى، تطلعوا لانشاء دولة لهم ببلاد المغرب ولذلك نشأ الصراع بين الأباضية والصفرية الذين اقتطعوا المغرب الأقصى والأوسط وأصبحوا خطراً على المغرب الأدنى مما دفع أبو الخطاب للخروج للاستيلاء على القيروان واقصاء الصفرية عنها(96).

أما الأسباب المباشرة فالرواية السنية تذكر أن رجل من الأباضية دخل القيروان «فرأى ناساً من الورفجوميين قد أخذوا امرأة وكابروها على نفسها وهو ينظر والناس ينظرون» فترك حاجته وعاد الى الزعيم الأباضي اليمني ليخبره(97). أما الرواية الأباضية، فتضيف الى هذه الرواية، رواية أخرى «أن امرأة من نساء القيروان، كتبت بطاقة الى الامام أبي الخطاب... تشكو اليه جور ورفجومة... فقالت: ...فإن لي بنتا لم أحرزها إلاّ في حفرة حفرتها تحت سريري مخافة عليها من الورفجومية أن يفسدوها»(98).

ويذكر أبو زكرياء أن **أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري** ـ أحد زعماء رجالات العرب بافريقية ـ اتصل بمشايخ القبائل وكللت مساعيه بالنجاح وانضم اليه جمهرة الأباضية و«كسب الكثير من الأتباع» وأجمع رؤساء المذهب على مبايعته بالامامة فانضوت قبائل نفوسة وهوارة وزناتة وغيرها من

---

(94) ابن خلدون : العبر 6: 150، 151، السلاوي: الاستقصا 1: 110-111.

(95) الشماخي : السير ص 127، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 58.

(96) انظر محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ص 57.

(97) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 141، النويري : نهاية الأرب 22: 226، ابن الأثير: الكامل 5: 316.

(98) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 38-39.

القبائل العربية تحت لوائه. واستطاع الامام المعافري اليمني مداهمة طرابلس على حين غفلة، وأرغم عاملها عمرو بن عثمان القرشي على مغادرتها واستولى على بيت مالها وأمن أهلها.

باستيلاء الأباضية على طرابلس اشتد ساعدهم، فاتخذوها قاعدة لامارة الاباضية بالمغرب الأدنى وتطلع الامام اليمني الى التوسع فاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر سنة 140هـ/757م، كما ضم قابس في نفس العام ودانت بلاد المغرب الأدنى بطاعته. فرني ببصره صوب افريقية. حيث استبدت ورفجومة بعرب القيروان[99].

زحف الامام الأباضي اليمني بما انضم اليه من رجالات العرب الى القيروان لمقاتلة الصفرية. وبث عبد الملك بن أبي الجعد فصائل من جيشه لتحول دون وصول الأباضية وحلفائهم من العرب ولكنها منيت بالهزيمة. فخرج بنفسه على رأس الصفرية والتقى بأبي الخطاب خارج القيروان، فهزم جيشه[100]، بسبب انهزام «أهل القيروان (من العرب) الذين مع ورفجومة وخذلوهم، فتبعهم ورفجومة في الهزيمة وكثر القتل فيهم وقتل عبد الملك الورفجومي».

وبينما نجد أن أبا الخطاب اليمني، يأمر متابعة الصفرية وقتلهم حتى أسرف الأباضية في قتلهم[101] نجده يأمر جنده بالمحافظة على ممتلكات عرب القيروان ويروي أبو زكرياء «أن شيخاً من شيوخ القيروان بعث ابناً له يرتاد مزرعة كانت بقرب مناخ عسكر أبي الخطاب... فقال: أي بني اذهب وانظر

(99) أبو زكرياء : سير الأئمة وأخبارهم ص 37ـ38، الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 142. ابن عذاري: البيان المغرب1: 171، أبو راس: مؤنس الأحبة ص 45، الشماخي: السير ص 128.

(100) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 39ـ40، ابن خلدون: العبر 6: 151، الشماخي: السير ص 128.

(101) ابن الأثير: الكامل 5: 317.

ان كان قد بقي في مزرعتنا شيء . . . فخرج الغلام الى المزرعة فوجدها كما كانت لم يفسدوا فيها شيئاً»[102].

ودخل الامام المعافري المدينة سنة 141هـ/758م وولى عليها عبد الرحمن بن رستم الفارسي[103] وهو من موالي العرب[104]، ثم غادرها على وجه السرعة لمواجهة جيوش الخلافة التي أنفذها أبو جعفر المنصور، وعين عبد الرحمن بن رستم عمّاله على سائر أقاليم افريقية التي خلصوها من الصفرية[105].

واختلف المؤرخون حول دوافع ارسال جيوش الخلافة الى بلاد المغرب فبينما يذكر مؤرخو السنة أن أبا جعفر المنصور - حينما استتبت أمور المشرق - انفذ الحملة استجابة لطلب فقهاء عرب القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية[106] يذهب مؤرخو الأباضية الى أن ارسال الحملة كان نتيجة الحاح أحد رجال أبي الخطاب ويدعي جميل السدراتي بعد أن خرج عليه ورحل الى بغداد[107] ومهما اختلف حول هذه الدوافع فلاشك أن مهمته الأساسية كانت استرداد نفوذ الخلافة وهيبة العرب في بلاد المغرب بعد أن أضحت قسمة بين

(102) أبو زكرياء : سير الأئمة وأخبارهم ص 40.

(103) يروي أبو زكرياء أن أصله من العراق وفي موسم الحج بمكة توفي أبيه والتقى عبد الرحمن وأمه مع الحجاج بمكة من أهل المغرب، فتزوجت أم عبد الرحمن رجلاً من أهل القيروان يرجح أنه كان من العرب اذ يوضح أبو زكرياء أنه قدم بها الى أرض القيروان ونشأ بها عبد الرحمن بن رستم حيث تعلم وقرأ وأفصح: أنظر سير الأئمة وأخبارهم ص 35-36،

Basset (R); les sanctuaires de Djebel Nefousa, Journal Asiatique, 1899, T. II.

(104) السلاوي: الاستقصا 1: 111.

(105) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 41.

Lewcki (T): Etudes Ibadites Nord Africaine warsraw (1955) p. 113—

(106) أبو العرب: الطبقات ص 36، المالكي: رياض النفوس 1: 160، النويري: نهاية الأرب 22: 227.

(107) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 41، الشماخي: السير ص 131

الصفرية والأباضية من الخوارج مما اضطر أبو جعفر المنصور الى الانتقال من العراق الى بيت المقدس للاشراف بنفسه على اعداد خطة استردادها[108].

ويروى خليفة بن خياط أنه في 142هـ «وجه أبو عون وهو والي مصر العوام بن عبد العزيز البجلي ـ من قبيلة بجيلة اليمنية ـ في ألف فارس الى افريقية فوجه اليه أبو الخطاب الأباضي . . . مالك بن سُميران فالتقوا بطرابلس فهزم العوام وقتل عامة أصحابه»[109] ويذكر الشماخي ان المعركة حدثت بأرض سرت[110] وحيث أن ولاية أبي عون عبد الملك على مصر انتهت في منتصف ربيع الأول سنة 141هـ [111] مما يرجح حدوث هذه الغزوة في سنة 141هـ.

وعندما تولى **محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي اليمني**[112]، أحد كبار القواد في خلافة أبي جعفر المنصور، ولاية مصر، أرسل أبي الأحوص عمرو ابن الأحوص العجلي المضري على رأس ستة آلاف مقاتل الى افريقية في 142هـ/ 59ـ760م فخرج أبو الخطاب للقائة بمغمداس في منتصف المسافة بين قصور حسان وسرت[113] أو بالقرب من برقة هُزم أبي الأحوص واحتوى أبو الخطاب على معسكره، وقتل بشراً كثيراً من أصحابه فانسحب الى برقة وقيل الى قواعده في مصر[114].

(108) الكندي: الولاة والقضاة ص 106.

(109) تاريخ خليفة بن خياط 2: 644.

(110) الشماخي: السير ص 130.

(111) الكندي: الولاة والقضاة ص 106.

(112) هو محمد بن الأشعث بن عقبة بن إهبان مكلم الذئب بن غياذ بن ربيعة بن كعب بن أمية ابن يقظة بن جليمة بن مالك بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم، كانت له ولآله آثار عظيمة في دعوة بني العباس أنظر الكندي: الولاة والقضاة ص 108، ابن حزم: **جمهرة** أنساب العرب ص 229.

(113) البكري : المسالك ص 7.

(114) تاريخ خليفة بن خياط 2, 645، الكندي: الولاة والقضاة ص 109، البكري: المسالك ص 7.

وعندما علم أبو جعفر المنصور بهزيمة أبي الأحوص كتب الى ابن الأشعث يأمره بالمسير بنفسه. واستعد ابن الأشعث لهذه الحملة استعداداً خاصاً حتى تقدر الرويات الأباضية جيشه بسبعين ألف مقاتل[115] بينما تقدره الروايات السنية بخمسين ألف مقاتل[116] وفي رواية أخرى في أربعين ألف مقاتل[117] : ثلاثين ألف فارس من أهل خرسان (ومن جند خراسان العربي)[118] وعشرة آلاف من جند الشام[119] على رأسهم مائة وثمانية وعشرون قائداً[120] منهم الأغلب بن سالم التميمي المضري، والمحارب بن هلال ابن عُليم (الفارسي) من عرب بني مُجاشع من قبيلة تميم[121] والمخارق بن غفار الطائي اليمني وكدليل على تصميم الخلافة العباسية على استعادة سلطتها على بلاد المغرب أمر المنصور في حالة مقتل ابن الأشعث، أن يليه الأغلب ثم المحارب ثم المخارق[122].

استعد أبو الخطاب للقاء ابن الأشعث، فرابط بأرض سرت في سبعين

(115) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 44.
(116) ابن الأثير: الكامل 5: 317.
(117) النويري: نهاية الأرب 22: 227، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 72، السلاوي: الاستقصا 1: 115.
(118) ففي بداية الدولة الأموية، قام معاوية بن أبي سفيان بتولية زياد بن أبيه ولاية كل من البصرة والكوفة في 50هـ/670م ولكن يتمكن زياد من اخضاع العراق لبني أمية، عمل على نقل خمسين ألف أسرة عربية من مدينتي البصرة والكوفة الى ولاية خراسان، دعّم بهم الفتوحات الاسلامية بإقليم ما وراء النهر وتشكل من هذه الأسر العربية، الجند الخراساني أنظر البلاذري: فتوح البدان ص 400 وللمؤلف : دراسات في تاريخ الدولة الغربية ص 314-315، 390-391.
(119) النويري: نهاية الأرب 22: 227.
(120) انظر تاريخ خليفة بن خياط 2: 587، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 219.
(121) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 69 بينما يذكر ابن عذاري أنهم ثمانية وعشرون قائدا فقط انظر البيان 1: 72.
(122) النويري: نهاية الأرب 22: 228. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 375.

الف[123] وفي رواية أخرى مائتي ألف من الأباضية[124] لكن خلافا وقع في معسكره تمخض عن انسحاب أباضية زناتة لاعتقادهم بتحيزه - من دونهم - الى هوارة[125] بالاضافة الى تظاهر ابن الأشعث بالانسحاب الى مصر بناء على أوامر أبي جعفر المنصور، مما دفع أنصاره الى الرجوع الى منازلهم ومواطنهم لأن الوقت كان موسم الحصاد وبالرغم من تحذير أبو الخطاب لأنصاره بقوله: «يا قوم إن العرب أصحاب مكر وخداع، فلا تفترقوا على ملككم، حتى تستيقنوا برجوع القوم» إلّا أن العامة لم تستجب له.

وحينما تأكد ابن الأشعث، بإنسحاب معظم أنصار أبي الخطاب الى بلادهم، وتفرق جنوده وجموعه، كرّ ابن الأشعث بفرسانه حيث تمكّن من النزول بجيشه الى موارد المياه بمكان يقال له تاورغا بأرض سرت، حيث «استراحوا وسقوا كرعهم» ومنع عسكر أبي الخطاب من ارتياده وهناك نشب القتال حيث دارت الدائرة على الأباضية وقُتل أبى الخطاب مع آلاف من رجاله، ونجى منهم نفر قليل لاذوا بالحصون والقلاع في الجبال في 144هـ/761م[126].

لم يكتف ابن الأشعث بهذا النصر الكبير، بل أرسل اسماعيل بن عكرمة الخزاعي من بني عصبيته اليمنية على رأس فرقة من الفرسان لاخضاع منطقة زويلة وودان وما والاها، حيث تمكن اسماعيل من اعادة فتح هذه المناطق والقضاء على من بها من الثوار الخوارج[127]. وحينما ثارت زناتة الأباضية في ستة

(123) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 45.
(124) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 71.
(125) ابن الأثير: الكامل 5: 317، وابن عذاري : البيان المغرب 1: 72.
(126) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 45-46، الشماخي: السير 132، Lewckl : Etudites p. 113 .
(127) النويري : نهاية الأرب 22: 229.

عشرة ألف بقيادة أبي هريرة الزناتي، بطش ابن الأشعث بهم اذ يروي ابن الأثير أن «ابن الأشعث قتلهم جميعاً سنة 144هـ»[128].

وهكـذا تمكن القائد العباسي اليمني، من القضاء على حركة الخوارج الأباضية بافريقية بقيادة الامام المعافري اليمني، ثم قام بتعيين الولاة والعمال على أعمالها، فعين المخارق بن غفار الطائي اليمني والياً على اقليم طرابلس، حيث لقى الأباضية بها عنتا شديدا على يديه، فقد اسرف في تقتيلهم وسبى ذراريهم. كما عين الأغلب بن سالم بن عقال التميمي عاملا على طبنة[129].

أما القيروان، فقد انسحب عبد الرحمن بن رستم الفارسي - وهو من موالي العـرب - غربا الى المغرب الأوسط. فقام عرب القيروان بالقبض على عامله الذي تركه بالمدينة وأوثقوه في الحديد وولوا عليهم عمرو بن عثمان القرشي أحـد زعماء قريش بالقيروان الى أن وصل ابن الأشعث ودخل القيروان. في 144هـ/761م. فقام ببناء سور المدينة، حتى يتحصن بها عرب افريقية وتم في 146هـ/763م[130] وفي نفس الوقت قُبض على من شايع الأباضية بمصر اذ يروي الكنـدي أن قاضي مصر غوث بن سليمان الحضرمي اليمني «اتهم بمكاتبة أبي الخطاب الأباضي والأباضية فورد كتاب أبي جعفر على يزيد بن حاتم وهو على مصر يأمره فيه بحبس غوث فحبس»[131].

ومـا أن قضى ابن الأشعث الخزاعي اليمني على ثورة الأباضية ودخل القـيروان واستقـامت الأمور له، حتى انقلب على جنده من العرب المضرية

(128) ابن الأثير: الكامل 5: 317، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 72.

(129) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 69، النويري: نهاية الأرب 22: 229_230، الشماخي: السير ص 134.

(130) ابن الأثير: الكامل 5: 318، النويري: نهاية الأرب 22: 229، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 73، السلاوي: الاستقصا 1: 111.

(131) الكندي: الولاة والقضاة ص 362.

واضطهدهم، ونظراً لكثرة عدد القواد، البالغ عددهم مائة وثمانية وعشرون[132] لذلك ثار عليه أحد قادته من المضرية هو **هاشم بن الشاحج بكورة قمونية** بجنوب القيروان ويذكر البكري أن مدينة مذكود عاصمة هذه الكورة وأم أقاليم بلد قمونية بها جامع وحمامات وأسواق ومساجد كثيرة وفنادق عدة. وتتميز هذه الكورة بزراعة شجر التين وهو أفضل أنواعه بافريقية وأعلاه ثمناً وكذلك يقوم أهل البلاد بتجفيفه ونقله الى القيروان حيث يباع في أسواقها[133].

وتبع هاشم كثير من الجند، وحرض قواد ابن الأشعث المضريين الجنود الذين ينتمون اليهم بالعصبية، باللحاق بهاشم هذا «كراهية لابن الأشعث لأنه تعصب عليهم» ولذلك نجد هاشم وأنصاره من المضرية يتمكنون من ايقاع الهزيمة بالقوات التي أرسلها اليه ابن الأشعث. ولم يتمكن ابن الأشعث من احراز النصر على هاشم إلّا بعد ارساله لحملته الثانية اليه، فاضطر هاشم وأنصاره الى الانسحاب الى تاهرت حيث انضم اليه بعض قبائل البربر وبلغ أنصاره عشرين ألف مقاتل زحف بهم الى تهوذة، ولكن تمكنت حملة ابن الأشعث الثالثة من هزيمته وقتل كثير من أنصاره من البربر. وتمكن هاشم من الفرار بأنصاره من العرب المضرية الى طرابلس، حيث تقابل هاشم مع رسول أبي جعفر المنصور العباسي الذي لامه على مفارقة الطاعة وضرب عنقه وقتله في صفر 147هـ/764م وبذل الأمان لأنصاره من المضرية فعادوا للطاعة[134].

لم يف ابن الأشعث الخزاعي لأصحاب هاشم بالأمان الذي منح لهم بل أخذ في متابعتهم وقتلهم، مما أثار غضب جميع القبائل المضرية بافريقية

(132) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 69.

(133) انظر البكري: المسالك ص 75.

(134) انظر ابن الأثير: الكامل 5: 318.

فاتحدت ضده واجتمع رأيهم على اخراجه وطرده من افريقية ولما أدرك عدم جدوى مقاومته لعدم وجود من يأيده ويناصره، انسحب الى المشرق وبايعه المضرية أحد زعمائها وهو عيسى بن موسى الخراساني والياً على افريقية واستمرت ولايته لمدة ثلاثة شهور[135]. واقتصر نفوذه على القيروان فقط أما بقيت بلاد افريقية فقد تغلب عليها بعض العرب والجند ممن استقر بها[136].

لما بلغ أبو جعفر المنصور العباسي، ما كان من أمر قواد الجند المضرية بافريقية، عين **الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي المضري**، القائد الثاني لجيش الخلافة الذي أرسل لاسترداد افريقية، ووالي طُبْنَة وهي عاصمة اقليم زاب الغرب، وهو المنطقة الواقعة جنوب مدينة قُسَنْطِينة الحالية بين شط هُدْنة وجبال أوراس وقد سكنت اقليم الزاب جماعات من مهاجرة العرب من أوائل أيام الفتح واختلطت بالنازلين هناك من البربر، ومعظمهم من هوارة، وكان الزاب معروفاً بخصبة ووفرة ثماره ولهذا كان من أعمر نواحي المغرب الأوسط. وينقسم الزاب الى قسمين: الزاب الأعلى ويمتد من جنوب قسنطينة الى ساحل البحر الى الغرب، والزاب الأسفل ويمتد من جنوبي قسنطينة الى سفوح جبال أوراس. وكان الأول تابعاً من الناحية الادارية لولاية افريقية ولهذا كان عربة يعدون أنفسهم من عرب افريقية، وكثر نزاعهم مع ولاتها ولذلك كان تعيين الأغلب للسيطرة على هذا الاقليم ومن استقر به من العرب. أما الزاب الأسفل فكان معدوداً في المغرب الأوسط[137] واستمر الأغلب والياً على الاقليم حتى خرج ابن الأشعث، فعينه المنصور والياً على افريقية في جمادى الأولى 148هـ/765م.

(135) ابن الأثير: الكامل 5: 318ـ319، النويري: نهاية الأرب 22: 229ـ 230، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 72ـ73.

(136) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 73.

(137) اليعقوبي: البلدان ص 11، الحموي: معجم البلدان 3: 124، 4: 41. الحميري: الروض المعطار ص 281ـ282.

ويبدو أن الأغلب، قام بتعيين المخارق بن غفار الطائي اليمني القائد الثالث لجيش الخلافة على ولاية اقليم الزاب عوضاً عنه. ثم قام بتحصين القيروان وخندقها وترتيب حرسها. وأخرج جماعة من القواد المضرية الى المشرق[138] محاولا اتباع سياسة متوازنة تجاه العصبيات القبلية في افريقية.

ولكن الخوارج الصفرية بقيادة أبي قرة والتي تمكنت من تكوين امارة صغيرة في تلمسان، استغلت ثوزات الجند العربي الخلافي في افريقية وزحفت من تلمسان الى اقليم الزاب حيث أعلنت الثورة. وأدرك الأغلب التميمي المضري خطورة الموقف فعول على الخروج إليهم قبل أن تدهمه جيوش الصفرية في مقر الولاية والتقى الخصمان في اقليم الزاب، فآثر أبو قرة الصفري الانسحاب، وقرر الأغلب اقتفاء أثره وضرب معقل قوته في تلمسان وتحرير بلاد المغرب الأقصى كلها حتى طنجة[139]. ولكن أغلبية جنده العربي - الذين ساءهم نفي قادتهم الى المشرق - تعللوا وقالوا: «قد هرب أبو قرة الذي خرجنا اليه» وجعلوا يتسللون عائدين الى القيروان[140].

وفي نفس الوقت انتهز هذه الفرصة الحسن بن حرب الكندي اليمني وثار بتونس، وكاتب قادة الأغلب المضريين، الذين ساءهم ما وقع لزملائهم فانسحبوا من جيش الأغلب وانضموا الى الثائر الكندي اليمني ومنهم: بسطام بن الهذيل والفضل بن محمد وغيرهما[141] وزحف بهم الى القيروان حيث

---

(138) ابن الأثير: الكامل 5: 586، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 69، 2: 356، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 74.

(139) ابن الأثير: الكامل 5: 586-587، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 74، ابن خلدون: العبر 6: 147، 7: 102.

(140) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 74.

(141) ابن الأثير: الكامل 5: 586-587، النويري: نهاية الأرب 22: 231. ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 70.

استولى عليها دون مقاومة وقبض على سالم بن سوادة التميمي وهو ابن عم الأغلب ونائبه على القيروان[142].

انسحب الأغلب الى قابس حيث أخذ في استئلاف الجند العربي وزعماء المضرية الثائرين[143]، ويبدو أنه لاقى كثيراً من الصعاب حتى تمكن من حشد الجيش اللازم لمحاربة الثائر الكندي اذ يروي ابن الأبار أن الأغلب «جمع أهل بيته وخاصة أصحابه. . . وأعلمهم أنه يلاقي الحسن وحده ان لم يعنه أحد ولو كان في ذلك اتلاف نفسه» كما أنه لكي يرغب اليمنية في الانضمام الى جيشه دعى المخارق بن غفار الطائي، الزعيم اليمني، وقال له: «ان في أهل بيتي (قبيلة تميم المضرية) من هو أولى بها دعوتك له منك، وأقعد باستخلافي اياه، غير أني كرهت أن يقول قائل: انفرد بها (ولاية افريقية). في أهل بيته وأن تميل بكم العصبية» وولاة افريقية من بعده[144].

زحف الأغلب بأنصاره من المضرية واليمنية من قابس الى القيروان لقتال الثائر الكندي، بعد أن استنفذت مرحلة المفاوضات مداها فقد كتب الأغلب الى الحسن يرغبه في الطاعة ثم يهدده بقوله:

ألا من مبلغ عني مقالا ... يسير به الى الحسن بن حرب

فإن البغي أبعده وبال ... عليك وقربه لك شر قرب

فإن لم تدعني لتنال سلما ... وعفوي فأذن من طعني وضربي

فأجابه الثائر الكندي اليمني بقوله:

(142) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 70، 72.

(143) النويري: نهاية الأرب 22: 231.

(144) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 357.

ألا قولا لأغلب غير سر مغلغلة عن الحسن بن حرب
بأن الموت بينكم وبيني وكأس الموت أكره كل شرب
رويدكم، فيومكم ويومي - وان بَعُدا - مصيرهما لقُرب

كما أن الثائر الذي كان من كبار القواد وأبطال الفرسان بافريقية، حينما كتب اليه الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي، يحضه على الطاعة، لم يستجب اليه[145].

لذلك نجد الأغلب في أولى معاركه مع الحسن بن حرب الكندي، يتمكن من هزيمته، بعد معارك عنيفة ويضطره الى الانسحاب من القيروان الى تونس في جمادى الآخرة 150هـ/767م بعد أن قتل الكثير من أنصاره.

استعد كل من الثائر الكندي والأغلب التميمي للجولة الثانية فقد «حشد الحسن وجمع فصار في عدة عظيمة». كما خرج الأغلب من القيروان في جيش كبير على ميمنته، المخارق بن غفار الطائي اليمني[146]، وميسرته سالم بن سوادة التميمي ابن عمه[147] بينما بقي هو في القلب اذ يروي ابن الأبار أن الأغلب «شد على الميمنة في أصحابه، فكشفها، وانصرف الى موقفه... ثم شد على الميسرة، ففعل مثل فعله ... ثم حمل على القلب، فلم يُثن حده، حتى قتل بسهم رُمي به» وذلك في شعبان 150هـ/767م[148].

وهكذا قتل الأغلب بعد ولايته التي استمرت سنة واحدة وثمانية أشهر وهو أحد قادة العرب المضريين الذين ساهموا في انجاح الدعوة العباسية

(145) ابن الأثير: الكامل 5: 587، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 70-72.
(146) ابن الأثير: الكامل 5: 587.
(147) يذكر النويري أن سالم بن سوادة كان في الميمنة، ونظرا لأن المخارق كان في الميمنة حسب رواية ابن الأثير السابقة، فيمكن اعتبار سالم في ميسرة الجيش، انظر نهاية الأرب 22: 232.
(148) ابن الأبار: الحلة السيراء: 1: 71.

بالمشرق والذي لعب دوراً بارزاً في تأسيس الدولة فقد شارك في القضاء على ثورة عبـد الله بن علي عم المنصـور وكذلك في القضاء على ثورة أبي مسلم الخراساني ويقال أنه هو الذي قتله. ولذلك حق لأبي جعفر المنصور أن يقول حينما بلغه موته «إن سيفي بالمغرب قد انقطع، فإن دفع الله عن المغرب بريح دولتنا وإلّا فلا مغرب»[149].

وانتهى القتال المرير دون نتيجة حاسمة، اذ فر الحسن من المعركة وتولى المخارق بن غفار الطائي ولاية افريقية بعد بيعة أهل القيروان له واعتراف أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي بولايته. ويذكر ابن الأثير أن الحسن هرب من تونس الى كتامة فأقام شهرين، ثم رجع الى تونس، فخرج اليه من بها من الجند فقتلوه[150].

(149) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 68، 69، 71، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 75.

(150) تاريخ خليفة بن خياط 2: 680، ابن الأثير: الكامل 5: 587، النويري: نهاية الأرب 22: 232، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 75.

## ثانيا : المهلبيون اليمنيون :

ومنذ مقتل الأغلب بن سالم بن عقال التميمي المضري في 150هـ/767م. الى ولاية ابنه ابراهيم سنة 184هـ/800م. كانت افريقية في ولاية بني المهلب بن أبي صفرة الأزدي اليمني، فيما عدا فترات قصيرة جدا. وهذا البيت الذي تولى أمور افريقية خلال فترة من أعصب فترات تاريخها قبيل الدولة الأغلبية، جدير بالدراسة، فقد كان رجاله عرباً خلصاً تتمثل فيهم صفات العرب الأولى في أجل صورها. كما كانوا شجعاناً كرماء ذوي ثبات وحزم وعزم، ولاشك أنهم أستغلوا خبرتهم الطويلة في حكم ولايات المشرق سواء في السند أو العراق أو مصر لكي ينظموا ولاية افريقية ويعطونها طابعا عربيا.

والأسرة تنسب الى المهلب بن أبي صفرة من قبيلة الأزد المستقرة بدَبا وهي تقع بين عمان والبحرين استقر جدهم أبو صفرة بالبصرة، واكتسب المهلب خبرة طويلة في حرب الثغور، حتى أنه أصيب في عينه أيام معاوية بن أبي سفيان، كما لعب دورا بارزا في حروب الخوارج في المشرق، اعتمادا على عصبيته الأزدية اليمنية ثم أسند الحجاج اليه ولاية خراسان نيابة عنه، حيث بقي بها الى وقت وفاته في 83هـ/702م[1].

وأول أمرائهم ببلاد المغرب هو **أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة أخي المهلب الملقب بهزارمرد**، أي ألف رجل بالفارسية، كدليل على ما

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان 2: 215، الدينوري : الأخبار الطوال ص 267، 274، ابن قتيبة: المعارف ص 175.

كان يتمتع به من بطولة وشجاعة والذي تقلب كوال بين البصرة والبحرين وأخيرا السند[2] ولكن ابن الأثير يروي أن الشيعة الزيدية تقربوا اليه بهدية من عتاق الخيل، فسمح لهم بالهروب الى أحد ملوك السند بعد فشل دعوتهم في العراق وكانوا أربعمائة انسان من أهل البصائر[3].

وعندما علم المنصور بذلك[4]، وكان بلغه مقتل الأغلب بن سالم التميمي، عزل عمر بن حفص عن السند وعيّنه على افريقية. وقدم عمر الى القيروان على رأس خمسمائة فارس من العرب، لاشك أنهم كانوا من الأزد اليمنية[5] وفرض اسم الوالي الجديد، ذوي الشهرة في الأمبراطورية الاسلامية، نفسه على جميع سكان افريقية وأحزابها فقد تسلم الامارة من المخارق بن غفار الطائي دون مشاكل، خصوصاً وكليهما ينتمي الى العصبية اليمنية. كما استقامت له الأمور بالبلاد لمدة تزيد على ثلاثة سنوات[6].

الى أن خرج عمر بن حفص الى اقليم الزاب، للقضاء على الاضطرابات التي اندلعت به والقيام بتحصين مدينة طُبْنَة، عاصمة الاقليم، ليحول دون هجوم الخوارج الصفرية، الذين أخذوا يعيدون تنظيم صفوفهم على القيروان، وليتخذ منها قاعدة للانطلاق لغزو معقلهم في تلمسان[7].

---

(2) تاريخ خليفة بن خياط 2: 630، 632، 639، 674، 677.

(3) ابن الأثير: الكامل 5: 595-596.

(4) ويروي أن المنصور كتب الى عمر بالقصة، فقرأ عمر الكتاب على أهله وقال: ان أقررت بالقصة عزلني، وان صرت اليه قتلني، وان امتنعت حاربني. فتقدم أحد أفراد أسرته من الأزد قائلا: ألق بالذنب علي وخذني وقيدني وأرسلني الى المنصور، ففعل عمر وقام المنصور بقتل الفارس المهلبي الشهم، الذي افتدى رئيس الأسرة وزعيم القبيلة بالسند. انظر ابن الأثير: الكامل 5: 596.

(5) اذ اعتمد بنو المهلب دائماً على عصبيتهم من الأزد فيما يتولون من الأمور انظر للمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص: 450-451.

(6) ابن الأثير: الكامل 5: 598. ابن عذاري: البيان المغرب 1: 75.

(7) انظر محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 60.

واذا علمنـا أن مدينـة طبنـة، كانت عاصمة الملك كَسِيلة زعيم قبيلة أوربـة، خلال مرحلة الفتـوحات الاسلامية. وكانت مدينة كبيرة ومقر لولاة الزاب، ولها حصن قديم عليه سور من حجر ضخم متقن البناء وتجمع المصادر الجغرافية أنه لم يكن من القيروان الى سجلماسة مدينة أكبر منها، وكانت لها خمسة أبواب: باب خاقان، وباب الفتح، باب تهوذا، والباب الجديد، وباب كتامة وكلها مصنوعة من الحديد، واثنان من أبوابها سرية. وهي كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير. واسم نهرها بَيْطَام ويقول أهلها «بيطام بيت الطعام» لجودة زرعها. ولـذلـك استقـر بها العـرب والعجم (المولدون) وكثيرا ما اشتعلت الحرب بينهم فيطلب العرب معاونة عرب مدينتي تهوذا وسطيف. أما المولدون فيستمدون أهل بسكرة وما ولاها[8].

أدركنـا احتمـال حدوث الاضـطرابـات بعاصمة الزاب نفسها أولا ثم انـدلاعهـا الى بقية الاقليم. مما اضـطر عمر بن حفص للخروج بنفسه الى الزاب، حيث قام ببناء سورها وتحصينها حتى نسبت بعض المصادر الية أنه «استجدها»[9] والبعض الآخر انه «بناها»[10].

استغل الخوارج وجود عمر في طبنة وقاموا بالثورة بإقليم طرابلس شرقا، والمغـرب الأوسط غربا. وليس هناك ما يمنع ـ رغم الخلافات بين الصفرية والأباضية ـ من وجود نوع من التنسيق بينهما للتخلص من عرب المشرق أهل السنة، العدو المشترك. ومما يرجح ذلك انضمام بعض زعماء العرب البلديين الى التحالف الخارجي أمثال: عمرو بن عثمان الفهري القريشي، وعبد العزيز ابن السمح المعافري[11] وعبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري[12].

(8) انظر رواية محمد بن يوسف الوراق القيرواني (292ـ363هـ) بالبكري المسالك ص 50، الأدريسي: صفة المغرب ص 93، مجهول: الاستبصار ص 172، الحميري: الروض المعطار ص 387.
(9) الحموي: معجم البلدان 4: 21.
(10) البكري: المسالك ص 50.
(11) الرقيق: تاريخ أفريقية والمغرب ص 144، 147، ابن خلدون: العبر 6: 148.
(12) ابن خلدون: العبر 6: 148.

ففي اقليم طرابلس ثار أبو حاتم يعقوب بن حبيب، مولى قبيلة كندة اليمنية[13]، واذا علمنا أن الموالي هم العبيد الذين يمن عليهم صاحبهم ويفك رقابهم ويعتقهم ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه[14]، أدركنا أن بمنطقة طرابلس استقرت بعض بطون قبيلة كندة اليمنية التي كانت تميل الى مذهب الخوارج الأباضية. بجوار قبيلة مغيلة البترية[15].

وتمكن أبو حاتم ـ مولي كندة ـ بأنصاره من عرب افريقية وبربر طرابلس من الصمود أمام الحملات العربية الثلاث التي أرسلها عمر بن حفص للقضاء على ثورة الأباضية بطرابلس. كانت أولى هذه الحملات بقيادة خازم بن سليمان وكانت الحملة مشكلة من الفرسان ولكنها انهزمت وعادت الى طرابلس. مما دفع الجنيد بن سيار الأزدي والي طرابلس الى طلب المعونة من عمر بن حفص فأمده بفرقة من أربعمائة فارس بقيادة خالد بن يزيد المهلبي، عدا الرجالة. ولكن أبا حاتم هزمه أيضاً وحال دون دخوله المدينة فاضطر العرب الى الفرار الى قابس[16]. واستولت الأباضية على اقليم طرابلس وامعنوا في البطش بأهل طرابلس من العرب، تشفياً وانتقاماً لما حلّ بهم من قبل حتى غضب قائدهم أبي حاتم حسب رواية أبي زكرياء الأباضية فقال لهم «ليس من سيرة المسلمين اذا قتلوا من بغى عليهم من أهل التوحيد. . . ان يطلبوا من انهزم أو يجهزوا

(13) أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي في كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء ص 48، وأبو حاتم يعقوب بن لبيب الأباضي في البيان المغرب لابن عذاري ص 78، وأبو حاتم يعقوب بن حبيب ابن مرين بن تطوفت من أمراء مغيلة ويسمى أبا قادم من ابن خلدون: العبر 6: 147. ويضيف كل من ابن الأثير والنويري والسلاوي أن أبا حاتم كان من موالي قبيلة كندة .انظر الكامل 5: 598، نهاية الأرب 22: 233، الاستقصا 1: 117.

(14) المؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 104ـ105.

(15) ابن خلدون: العبر 6: 164.

(16) ابن الأثير: الكامل 5: 598ـ599، النويري: نهاية الأرب 22: 233.

على جريحهم، ولا أن ينتزعوا ثيابهم» ثم هددهم باعتزال قيادتهم ان لم يردوا ما أخذوه من أمتعة أهل طرابلس[17].

وفي قابس، وصلت الامدادات العربية التي أرسلها والي افريقية بقيادة سليمان بن عباد المهلبي، وحاول الجيش الثالث المشكل من الامدادات وفلول العرب المنهزمين من اقليم طرابلس الصمود أمام أبي حاتم وأنصاره الزاحفين من طرابلس الى قابس ولكن العرب هزموا وطاردتهم الأباضية الى القيروان حيث قام أبو حاتم بمحاصرتها في 153هـ/770م[18].

أما في المغرب الأوسط، فقد اندلعت الثورات الخارجية في تلمسان ثارت زناتة بقيادة أبي قرة المغيلي في أربعين ألف من الصفرية وفي تاهرت ثارت لماية ولواتة وبعض نفزاوة بقيادة عبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألف من الأباضية. وسرعان ما انضم اليهم عاصم السدراتي الأباضي على رأس ستة آلاف رجل والمسور بن هانيء الزناتي في عشرة آلاف من الأباضية وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين وجرير بن مسعود من قبيلة مديونة وقاموا بمحاصرة عمر بن حفص المهلبي والي افريقية بمدينة طبنة. ولذلك سارع أبو حاتم بأنصاره للاشتراك في الحصار الكبير بطبنة[19].

بلغت الجيوش الخارجية الصفرية منها والأباضية اثنى عشر جيشاً يتكونون من أكثر من 73 ألف مقاتل بخلاف أنصار كل من أبي حاتم وجرير بن مسعود، بينما بلغ عدد العرب المحصورين بمدينة طبنة خمسة عشر ألف وخمسمائة مقاتل. ولذلك احتاج عمر بن حفص الى الحيلة، بدلا مما تمتع به من

(17) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 48ـ49.

(18) ابن الأثير: الكامل5: 599، النويري: نهاية الأرب 22: 233ـ234.

(19) ابن الأثير: الكامل 5: 599، النويري: نهاية الأرب 22: 234. ابن عذاري: البيان المغرب 1: 75. ابن خلدون: العبر 6: 147، السلاوي: الاستقصا 1: 117.

بطولة وشجاعة. فعقد عمر مجلس حربه من قواده الذي أشاروا عليه بعدم الخروج لمواجهة البربر قائلين «ان أصُبت تلف العرب».

أوفد عمر الى أبي قرة ـ الذي آلت اليه قيادة الخوارج، على ما يبدو ـ اسماعيل بن يعقوب رجل من أهل مكناسة، يعرض عليه مبلغا كبيراً من المال أربعين ألف درهم وقيل ستين ألف درهم وكسا كثيرة، على أن ينصرف بأنصاره عن طبنة. . رفض الزعيم الصفري الذي أدمن الثورة ضد العرب وأهل السنة قائلا: «أبعد أربعين سنة تسلم علي بالامامة، أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا». ولكن يبدو أن ابنه وقيل أخيه لم يكن في هذا المستوى من الورع، اذ في مقابل عُشر ما سبق عرضه على أبي قرة (أربعة آلاف درهم) قام بانجاز المطلوب، اذ ارتحل بعد قبضه المبلغ من ليلته، وتبعه العسكر منصرفين الى بلادهم. ولم يجد الزعيم الصفري بدا من اتباعهم[20]. وان كان هذا لا يمنع من حدوث خلاف بين الأباضية والصفرية انتهى بفك الحصار عن طبنة[21].

أسرع عمر باستغلال هذه الفرصة، فأرسل قائده معمر بن عيسى السعدي أو العَبْدي[22] وهو من بني غَنْم من قبيلة أسد المضرية[23] على رأس ألف وخمسمائة مقاتل من العرب، لمفاجأة عبد الرحمن بن رستم وأنصاره الخمسة

(20) ابن الأثير: الكامل 5: 599، النويري: نهاية الأرب 22: 234، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 75، 76. ويتفق كل من ابن خلدون والسلاوي أن عمر أرسل الى أبي قرة على يد ابنه أبي نور أن يعطيه أربعين ألفاً ولابنه أربعة آلاف على أن يرتحل عنه فقبل وارتحل بقومه وانفض البربر عن طبنة انظر العبر 6: 147 والاستقصا 1: 117.

(21) انظر محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 60ـ61.

(22) انظر تاريخ خليفة بن خياط 2: 724، الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 143، النويري: نهاية الأرب 22: 234.

(23) تاريخ خليفة بن خياط 2: 724، بان حزم: جمهرة أنساب العرب ص 179ـ180 وبالرغم من وجود بطن من بني غنم ينتمي الى الأزد اليمنية، إلاّ أن انتمائه الى السعدي أو العبدي رجح انتمائه الى بني غنم من قبيلة أسد المضرية انظر جمهرة أنساب العرب، غنم بن دوس بن عدنان ص 358ـ361.

عشر ألف بمدينة تهودة، حيث تمكن من هزيمته وقتل نحو ثلاثمائة من أصحابه واضطره الى الفرار الى عاصمته تاهرت[24].

أما في القيروان عاصمة الامارة الافريقية، حيث ترك عمر، حبيب بن حبيب بن يزيد المهلبي، نائبا عنه، فقد استغلت القبائل البربرية المحيطة بالقيروان عدم وجود الجند العربي الذي رافق والي افريقية الى طبنة، فثار البربر، فخرج حبيب المهلبي فيما بقي معه من الجند العربي، ويبدو أنه كان قليلا، اذ لم يهزم فقط بل وقتل كذلك[25].

وبعد انسحاب عرب طرابلس بقيادة الجنيد بن سيار الأزدي عاملها، وامدادات عمر بن حفص المرسلة الى قابس بقيادة سليمان بن عباد المهلبي، الى القيروان، سارع أبو حاتم الأباضي وأنصاره بإعادة الحصار على مدينة القيروان واستمر لمدة ثمانية أشهر وليس في بيت مالها درهم ولا في أهرائها شيء من الطعام، ورغم ذلك كان الجند يخرجون يقاتلون البربر كل يوم طرفي النهار، حتى أجهدهم الجوع، وأكلوا دوابهم وكلابهم مما اضطر بعضهم الى الخروج والالتحاق بعسكر البربر[26].

وما أن سمع عمر بن حفص بالحالة السيئة التي وصلت اليها قواته بالقيروان حتى استخلف المهنا بن المخارق بن غفار الطائي على طبنة وترك أغلب جنده معه وخرج عمر على رأس سبعمائة فارس من انجاد رجاله قاصداً القيروان. وما أن وصل مدينة الأربس، حتى بلغت أخباره الى الاباضية المحاصِرين للقيروان، فتركوا المدينة وزحفوا اليه، فخادعهم واتجه الى ناحية تونس واتبعه البربر مما أعطى العرب المحاصرين الفرصة للخروج من القيروان

(24) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 143، ابن الأثير: الكامل 5: 599. النويري: نهاية الأرب 22: 234، 235.

(25) ابن الأثير: الكامل 5: 599، النويري: نهاية الأرب 22: 233.

(26) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 143-144.

والتزود بالطعام والحطب والمرافق، كما أتاح لأهل القيروان حفر خندق على باب أبي الربيع حيث عسكر الجند وهكذا استعد عرب القيروان للحصار الطويل.

أما عمر بن حفص وفرقته من الفرسان فقد عمل على تعطيل الأباضية فاشتبك معهم عند بحيرة المسروقين، حيث صمد لهم بعض الوقت الى أن كاثرته البربر فانسحب الى القنطاط، حيث قاتل البربر مرة ثانية ثم انسحب الى باب أبي الربيع وانضم إلى جنده بالقيروان[27].

وفي نفس الوقت، ما أن سمع أبو قرة الصفري، بخروج عمر من طبنة حتى عاد الى محاصرتها، ويبدو أن المهنا بن المخارق بن غفار الطائي طالب أبى قرة بالانصراف بناء على الاتفاق السابق الذي أبرمه عمر بن حفص اذ أجابه أبو قرة بقوله: «نصيبي منك ومن قبلك أحرار، ولكن لا سبيل الى ترك غنيمة المسلمين» وبالرغم من غموض النص، إلاّ أنه يشير الى أن أبى قرة يتنازل عن حقه هو، كما يفرق بين جند والي افريقية وبقية سكان المدينة من عرب ومولدين وأموالهم وهم غنيمة للمسلمين من الصفرية. مما دفع القائد اليمنى للخروج على رأس قواته لملاقاة جيش أبى قرة الصفري وتمكن من ايقاع الهزيمة به واستباحة معسكره[28].

وفي القيروان عمل أبو حاتم وأنصاره من البربر الأباضية ومن انضم اليه من العرب البلدية أمثال عمرو بن عثمان الفهري القرشي وعبد العزيز ابن السمح المعافري في أحكام الحصار حول المدينة، اذ بينما قام أبو حاتم وبعض انصاره بالنزول بالقرب من باب أبي الربيع، معسكرا في مواجهة عمر ابن حفص وجنده، أنزل البعض الآخر من أنصاره بين بابُ سالم وباب أصرم.

(27) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 144، ابن الأثير: الكامل 5: 600، النويري: نهاية الأرب 22: 235-236.

(28) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 143، ابن الأثير: الكامل 5: 599، النويري: نهاية الأرب 22: 235.

وترك ما بين باب نافع وباب عبد الله في حماية عمرو بن عثمان الفهري وأنصاره من البلدين[29].

ولجأ عمر بن حفص الى اتباع الغارات الخاطفة والعودة الى القيروان ويبدو أن هذه الغارات كانت من أجل الحصول على المواد الغذائية، اذ سرعان ما نفذت المؤن. التى كانت بالمدينة واضطر العرب الى أكل دوابهم وسنانيرهم وكلابهم، ثم تحولوا الى خيولهم التي يغيرون ويحاربون بها وغلا الملح حتى صارت الأوقية بدرهم. «واضطرب على عمر أمره وضج أصحابه وساءت آراؤهم» واقترح عمر ترك نائبا عنه بالمدينة والخروج للاغارة على بلاد البربر الذين يقومون بمحاصرتهم، للحصول على الميرة أولا ودفع البربر الى رفع الحصار والعودة لحماية بلادهم ثانيا، ووافق عرب القيروان ولكن ما أن جاء وقت التنفيذ حتى قالوا له: «تريد أن تخرج أنت ونبقى في الحصار»[30]. فطرح عمر اقتراحا آخر وهو أن يقيم معهم ويرسل جميلا أو المخارق ومن أحبوا للهجوم على بلاد البربر فوافقوه فلما جاؤوا الى باب المدينة قالوا: «تقيم أنت في الراحة ونخرج نحن لا والله لا تفعل»[31]. وهكذا لم يتمكن عمر من الاتفاق مع عرب القيروان، حول الطريقة التي يتم بها مواجهة الحصار البربري الخارجي.

وفي خلال هذه الأيام الحاسمة وردت القيروان رسالة خليدة بنت المعارك زوجة عمر، تخبره بقدوم يزيد بن حاتم المهلبي على رأس ستين ألف مقاتل الى افريقية لانقاذه ومن معه. ومن الغريب، بينما كان المفروض أن يرحب عمر بن حفص بتلك النجدة، فقد غضب لذلك غضباً شديداً وقال: «تتحدث نسوة

(29) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 144، 147.

(30) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 145.

(31) النويري : نهاية الأرب 22: 236.

العتيك (الأزد) أن يزيدا أخرجني من الحصار، انما هي رقدة حتى أُبعث للحساب»[32].

أنف عمر من هذه النجدة الأزدية، لكن اذا علمنا أن يزيد بن حاتم المهلبي كان والياً على مصر قبل زحفه الى افريقية وهو أول من ضم برقة الى ولاية مصر[33]، اذ كانت تابعة لافريقية، مستغلا الاضطرابات التي اندلعت بها. كما أن وصول يزيد الى القيروان يعني توليته ولاية افريقية وعزل عمر ابن حفص عنها، اذ يروي الرقيق أن خداش بن عجلان[34] أحد قواده المقربين، -بينما أخبره بأمر رسالة زوجته قال له مواسياً «وما عليك أن يقدم عليك رجل من أهلك، فتخرج من هذا الحصار، فترجع الى أمير المؤمنين فيوليك خراسان» أدركنا أن القائد الشجاع البطل سوف تهتز صورته وامكانياته. أمام خلفاء الدولة العباسية من جهة، وأمام عصبيته الأزدية اليمنية بشكل عام وفي أهل بيته بشكل خاص، من جهة ثانية.

ولذلك كان من الطبيعي لمثل هذا الرجل أن يتوعد عرب القيروان الذين خالفوه ولم يتبعوا رأيه قائلا «والله لا وردنكم ونفسي حياض الموت» ثم قام فكتب وصيته وخرج في قلة لمواجهة مائة ألف وثلاثون ألفاً من البربر[35] الثائرين المحيطين بالقيروان «كالبعير الهائج فلم يزل يطعن ويضرب حتى قتل» في ذي القعدة 154هـ/771م[36].

---

(32) الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 145-146.

(33) الكندي: الولاة والقضاة ص 116.

(34) خراس بن عجلان في النويري : نهاية الأرب 22: 236.

(35) وتبالغ الروايات السنية في عدد الخوارج الأباضية وبينما يقدر الرقيق في بداية روايته عدد الخوارج بمائة ألف وثلاثين ألفا يقدرها بعد ذلك بثلاثمائة ألف وخمسين منهم 85 ألف فارس فقط انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 144، 145 وقارن النويري: نهاية الأرب 22: 235، 236.

(36) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 146، النويري: نهاية الأرب 22: 236..

بايع عرب القيروان، جميل بن صخر[37]، وكان أخا عمر لأمه، ولما طال الحصار وتأخر المدد، لجأ الى موادعة أبي حاتم واتفقوا على تسليم المدينة واستمرار جميل وأصحابه (عرب القيروان) في طاعة الخلافة العباسية وكل دم أصابه الجند العربي من البربر فهو هَدْر وعدم اكراه الأباضية أحد من فرسان العرب على بيع سلاحه أو دوابه وشارك في ابرام هذا الاتفاق عمرو بن عثمان الفهري زعيم العرب البلدية.

خرج أكثر الجند العربي الى مدينة طبنة، وبقي أهلها من العرب وفتح جميل أبواب المدينة للأباضية. وقام أبو حاتم الزعيم الأباضي باستخلاف عبد العزيز بن السمح المعافري اليمني نائبا له على القيروان في محالوة لاستئلاف عربها. بعد أن قام بحرق أبواب المدينة وأفسد في سورها حتى يقضي على تفكير أهلها من العرب في محاولة استردادها[38].

ويبدو أن مجموعة من العرب قررت العودة الى المشرق اذ يروي أبو زكرياء أن أبا حاتم أجلى من بها من بقية الجند «فأعطى لكل خمسة منهم قربة وخشبة يحملون عليها قربتهم، وأعطاهم خنجراً يصلحون به نعالهم، وأعطى لكل واحد من الخمسة رغيفا من خبز لزادهم، فتفرق أولئك الأسارى وانصرفوا الى المشرق»[39].

عاد أبو حاتم الى طرابلس حين علم بزحف يزيد بن حاتم المهلبي على رأس جيش من المشرق، ويبدو أنه خشي أن يقع أنصاره بين عرب القيروان وافريقية وعرب المشرق، لذلك نقض عهده مع عرب القيروان وأرسل الى نائبه

(37) جميل بن حجر في الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 146، جميل بن حفص في ابن عذاري: البيان المغرب 1: 76، حميد بن صخر في ابن الأثير: الكامل 5: 600.

(38) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 146، 147، ابن الأثير: الكامل 5: 600، النويري: نهاية الأرب 22: 236-237، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 76-77.

(39) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 49.

عليهـا عبد العزيز بن السمح المعافري اليمني، يأمره بمصادرة سلاح عرب القيروان، وأن لا يسمح باجتماع اثنين منهم معا، وان يرسلهم اليه واحدا بعد واحد، حتى يتخلص منهم[40].

اجتمع عرب القيروان وقرروا عدم الخضوع لمطالب أبي حاتم الأباضي ونـائبـه اليمني، خصوصا وقد نمى الى علمهم قدوم يزيد بن حاتم المهلبي وجيشه، وتمكنوا عن طريق الانتماء الى العصبية العربية البلدية، اقناع عمرو ابن عثمان الفهري زعيم البلديين بافريقية بالانقلاب على حليفه أبي حاتم الأبـاضي الـذي لم يحترم عهوده، فانضم عمرو بن عثمان الفهري الى عرب القيروان وقاد الانقلاب ضد نائب أبي حاتم وأنصاره بالمدينة وقتلهم[41].

ومـا أن سمع أبو حاتم بما حدث لأنصاره، حتى زحف الى القيروان حيث لقيه عمرو بن عثمان الفهري على رأس عرب القيروان، فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من البربر خلق كثير. واضطر عمرو بن عثمان الفهري والمخارق ابن غفار الطائي وأصحابه من عرب القيروان البلديين للانسحاب نحو تونس، للتحصن بأسوارها. كما لحق جميل بن صخر والجنيد بن سيار ومن بقي من الجند العربي بمدينة سرت، حيث أقاموا في انتظار جيش يزيد بن حاتم المهلبي[42].

صمم أبـو حاتم الأباضي على الانتقام من عمرو بن عثمان الفهري، حليفه السابق فأرسل حريز بن مسعود المديوني قائد مقدمة جيشه لمتابعته فأدركه بجيجل من ناحية كتامة، واشتبكت المقدمة مع عرب القيروان، ولكن سرعان

(40) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 147، ابن الأثير: الكامل 5: 601؛ النويري: نهاية الأرب 22: 237.

(41) النويري: نهاية الأرب 22: 237، ابن الأثير: الكامل 5: 601.

(42) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 148، النويري: نهاية الأرب 22: 237، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 77.

ما هزم البربر وقتل قائدهم حريز المديوني وتمكن كل من عمر والمخارق وعرب القيروان من دخول مدينة تونس(43).

وبينما كان أبو حاتم منشغلا في القضاء على ثورات عرب افريقية من الجند وغيرهم، وذاقت مقدمته مُر الهزيمة، زحف **يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبي** على رأس حملة ضخمة الى افريقية تقدرها بعض المصادر بخمسين ألف مقاتل(44) والبعض الآخر بستين ألف مقاتل(45) والبعض الثالث بتسعين ألف: ثلاثون ألف من أهل خرسان (منهم جند خراسان العربي)، وستون ألف من أهل البصرة والكوفة والشام(46). وبالرغم من ميل الباحثين الى الأخذ بالتقدير المتوسط وهو ستون ألفاً، إلّا أن طبيعة المهمة التي ألقيت على عاتق هذه الحملة تنفيذها ورد فعل ظهور هذه الحملة في اقليم طرابلس اذ يروي الرقيق «وهال أبو حاتم أمر يزيد فطلب أوعر المنازل وأمنعها فعسكر فيها وخندق على عسكره»(47) بالرغم من عظم أنصاره من الأباضية يرجح التقدير الأخير هو تسعون ألفاً.

أما قائد هذه الحملة فهو يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبي، الذي كان

(43) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 148، النويري: نهاية الأرب 22: 237.
(44) ابن الأثير: الكامل 5: 612، ابن أبي دينار: المؤنس ص 46.
(45) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 76.
(46) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 159، النويري: نهاية الأرب 22: 238.
(47) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 160، يضاف الى ذلك أن المنصور حين ولى حاتم قال له: «يا أبا خالد، بادر النيل قبل خروج الرايات الصفر وأصحاب الدواب البُتر» المراد العلويون وكان أنصارهم في مصر كثيرين، فكان المنصور يخشى أن يثبوا بها ولذلك عزل واليها حميد بن قحطبة وولى يزيد بن حاتم، وقد كان المنصور محقا في تخوفه، اذ سرعان ما ظهرت دعوة بني الحسن بن على ابن أبي طالب بمصر. وبرغم تمكن الخلافة العباسية من القضاء عليها إلّا أنها كانت تخشى انتشارها الى بلاد المغرب حيث قبضة الدولة ضعيفة وهذا ما حدث فعلا بعد ذلك في 172هـ بالمغرب الأقصى وهذا يفسر لنا عظم حملة يزيد الى افريقية. انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 111ـ114، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة 2: 1 وما بعدها، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 73.

له من الشجاعة والجود وبعد الصيت ما يفوق عمه عمر بن حفص حتى قيل أنه كثير الشبه بجده المهلب في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه[48]. وتذكر المصادر «وكان يزيد بن حاتم خاصاً بأبي جعفر المنصور، فكان لا يحجب عنه، وتولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب، منها أرمينية والسند ومصر واذربيجان»[49] وبلغ من اهتمام المنصور بهذه الحملة وتقديره لقائدها يزيد المهلبي، أن قام بتشييع الحملة حتى بيت المقدس، فحسده الأمراء والرؤساء ووصلت الحملة الى حدود افريقية في بداية 155هـ/772م[50]. وبينما كانت حملة يزيد تزداد بها انضم اليها من الجند العربي بمدينة سرت بقيادة كل من جميل بن صخر والجنيد بن سيار[51]. والقبائل البربرية التي انشقت على أبي حاتم مثل قبيلة مليلة الهوارية وكذلك بعض رجال نفوسة[52] وتطلع يزيد الى المطالبة بثأر عمه[53] وعصبيته من اليمنية اذ يروي الكندي خلال ولاية يزيد لمصر، شكت اليه قبيلة معافر اليمنية، بعد الماء عنهم، فابتنى يزيد، فسقيه المعافر وأجرى اليها الماء. وانفق فيها مالا عظيما فعاتبه الخليفة المنصور بقوله: «لم انفقت مالي على قومك»[54].

كانت قوات أبي حاتم الأباضي في موقف لا تحسد عليه، اذ كان بعضها بافريقية للقضاء على ثورات الجند العربي ومحاصرة العرب في مدنهم الحصينة، كما عاد البعض الآخر متعباً مع أبي حاتم الأباضي لمواجهة حملة يزيد المهلبي.

(48) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 73.

(49) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 150، 151، وقارن ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 73.

(50) الرقيق: تاريخ افريقية والغرب ص 151، ابن خلكان: وفيات الأعيان 5: 365، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 74.

(51) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 148، النويري: نهاية الأرب 22: 237.

(52) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 52. سير الشماخي ص 136، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 69.

(53) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 159.

(54) الكندي: الولاة والقضاة ص 115.

ورغم ذلك فقد تمكن أبو حاتم من هزيمة طلائع جيش يزيد بقيادة سالم ابن سوادة التميمي المضري اذ يروي الرقيق «وجعل يزيد على مقدمته سالم ابن سوادة التميمي (ابن عم ابراهيم الاغلبي) فتقدم سالم والتقى هو وأبو حاتم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم سالم وأصحابه، فرجعوا الى عسكر يزيد»(55) وتذكر المصادر الأباضية أن الموقعة كانت عند مغمداس(56)، وهي على مسيرة ثمانية أيام من مدينة طرابلس(57)..

ورغم هذا النصر، إلّا أن أبا حاتم الأباضي، أدرك تهور ملاقاة بقية الجيش الجرار، فأسرع بالانسحاب الى جبل نفوسة، حيث تحصن فيه وخن ـ على عسكره وتصف المصادر الجغرافية جبل نفوسة بأن علوه نحو ثلاثة أميال وبه مدينتين الأولى تبروس في وسط الجبل ويبدو أنها التي تحصن بها أبو حاتم وأنصاره. والثانية جادو من ناحية نفزاوة. وجميع أهل هذا الجبل شراة وهبية وأباضية متمردون، وطول الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق الى الغرب، وفيه نحو ثلثمائة قرية وعدة مدن صغيرة(58).

وحينما أراد الزعيم المهلبي الهجوم واقتحام الخندق على الأباضية أمسك المهلب بن المغيرة من عصبيته بلجام فرسه، فرفع يزيد السوط ليضربه، وأراد نزع يده فقال المهلب: «... أنا أعلم بقتال القوم منك، فمر بعض ولدك

(55) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 159ـ160.

(56) ذكر البكري مغمداس وقال انه يبعد بمرحلة عن قصر حسان وبمرحلة عن سرت انظر المسالك ص 7، أما الادريسي فيذكره باسم قصر مغداش ويقول أنه يبعد عن سرت بمجرى ونصف وربما كان هذا هو المكان الذي أورده الحموي في معجم البلدان 5: 158 باسم معمراش واكتفى بالقول أنه: «موضع بالمغرب». .ومن الجدير بالذكر أن المستشرق الراحلة بارث Barth حاول التعرب على مغمداس في مرسى الزعفران التي تقع على مسيرة يوم من سرت في شرق طرابلس راجع Vandrung en T.l.: p. 375 وهذا التعرف قد أكده المستشرق Lewiski (ليوسكي البولندي) في دراسته عن الأباضية 55: 1 Etudes abadites.

(57) أبو زكرياء: سير الأئمة ص 51.

(58) انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان 5: 296ـ297، الحميري: الروض المعطار ص 578.

أن يحمل، فان للبربر حملة لا تطاق، ثم احمل أنت بعده، اذا شئت» استجاب يزيد للنصيحة وأمر ابنه عبد الله بالهجوم وما أن صمدت له الأباضية وردته، حتى اندفع الزعيم المهلبي ببقية قواته للدخول في المعركة وسرعان ما قتل أبا حاتم وأهل البصائر من أنصاره، وانهزم الباقون وتبعتهم القوات العربية، فقتلتهم قتلا ذريعاً بينما تتردد صدى صيحات «يا لثارات... عمر بن حفص» في نواحي جبل نفوسة. حتى قتل جمهور عظيم من الأباضية بلغ ثلاثين ألفا، بينما لم يقتل من العرب سوى ثلاثة أفراد أو «ثلاثة رهط»[59] حسب تعبير الرقيق، وذلك في ربيع الأول 155هـ/772م[60].

لم يكتف يزيد بهذا الانتصار، اذا قام بجبال نفوسة نحوا من شهر، حيث بث خيوله في طلب الخوارج وتتبعهم في كل سهل وجبل وفي نفس الوقت أمر شبيبه بن حسان أحد قواده بالزحف نحو قابس والاستيلاء عليها، كما أمر المخارق بن غفار الطائي بالزحف الى الزاب والقضاء على عبد الرحمن ابن حبيب بن عبد الرحمن الفهري[61] - آخر زعماء بني عقبة بن نافع بإفريقية - والذي كان محالفاً لأبي حاتم الأباضي وحارب بين صفوفه وحينما هزم أبي حاتم، هرب عبد الرحمن إلى قبيلة كتامة حيث تحصن بجيجل وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر الذي يحيط بها ويضرب سورها وبجوار جيجل، جبل الرحمن وعلى بعد نحو ميل من المدينة، جبل بني زلدوي وهو كثير الخصب وفيه قبائل كثيرة من البربر[62] ولذلك أمد يزيد، المخارق، بقوات برئاسة قواد من أهل خراسان

(59) رهط الرجل أي قوم الرجل وقبيلته، عدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امرأة، واذا أضيف الى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس، نحو «عشرون رهطا» أي شخصا. انظر المنجد مادة «رهط».

(60) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 160، ابن الأثير: الكامل 5: 601.

(61) وهو المعروف بالصقلبي لطوله وزرقته وشقرته أنظر ابن الأثير: الكامل 6: 54.

(62) انظر الادريسي: صفة المغرب ص 97، مجهول: الاستبصار ص 128، الحميري: الروض المعطار ص 184.

وأهل الشام، حيث أقاموا محاصرين عبد الرحمن، الذي يبدو أنه تحصن بالجبال هو وأنصاره، لمدة ثمانية أشهر بقلعة حبحاب بجبل كتامة.

وفي الوقت الذي عض الصراع عبد الرحمن وأنصاره، أمد يزيد، المخارق بقوات جديدة بقيادة العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي، حيث اجتمع قادة الحملة وقرروا اقتحام قلعة عبد الرحمن من جهتين مختلفتين لايقاع الذعر بين المحاصرين وتشتيت جهودهم، وتمكنت الحملة من دخول القلعة، وقتل معظم أنصاره وفر الباقون[63] وعلى رأسهم عبد الرحمن[64].

وما أن عاد يزيد إلى القيروان، حتى ثار أبو يحيى بن قرياس الهواري بناحية طرابلس، والتفت حوله عصبيته من هوارة وكثير من البربر، فحاربه عبد الله بن السمط الكندي، أحد قادة يزيد، على ساحل البحر حيث التقوا واقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم أبو يحيى وقتل عامة أصحابه وذلك في 156هـ/773م[65].

(63) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 160ـ161، ابن الأثير: الكامل 5: 601ـ602.، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 79.

(64) وانتقل ومعه أعوانه من البربر الى الأندلس في 160هـ وقيل 161هـ واستقر بكورة تدمير حيث كرر محاولة جده وسمية في الاستيلاء على الأندلس، بعد أن فشلت جهوده في تأسيس ملك له ببلاد المغرب، وادعى القيام بالدعوة العباسية فانضم اليه كثير من القبائل البربرية بالأندلس كما كاتب سليمان بن يقظان الكلبي زعيم القبائل اليمنية بالكورة سرقسطة والثائر بالمدينة ضد عبد الرحمن الداخل الأموي مؤسس الدولة الأموية بالأندلس للانضمام اليه. ولكن عبد الرحمن الداخل زحف اليه واضطره الى الانسحاب الى جبال بلنسية وقام الداخل باحراق سفنه بساحل البحر، حتى يقطع عليه خط الرجعة الى افريقية، وإستغاث الصقلبي (عبد الرحمن) بحليفة سليمان لامداده لمواجهة عبد الرحمن الداخل فرفض وتحول الصقلبي وأعوانه من البربر لمحاربة سليمان ببرشلونة فهزموا وعادوا الى جبال بلنسية ليحتموا بها. ولجأ عبد الرحمن الى اغراء المال وأعلن مكافأة ألف دينار لمن يأتيه برأس الصقلبي فاغتاله أحد أعوانه من البربر وحمل رأسه الى عبد الرحمن وقبض المكافأة. راجع ابن الأثير: الكامل 6: 54، النويري: نهاية الأرب 22: 68، ابن عذاري: البيان المغرب 2: 83، ابن خلدون: العبر 4: 268.، وللمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 161.

(65) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 79.

وفي العام التالي 157هـ/774م[66] ثارت قبيلة ورفجومة ببلاد الزاب بقيادة أبـو زرجونة الورفجومي، أو أيوب الهواري حسب تسمية ابن الأثير، فأرسل اليهم يزيد أحد أفراد أسرته زياد بن مجزأة المهلبي على رأس بعض قواته ولكن تمكنت ورفجومة من هزيمته وقتل كثير من أصحابه وعلى رأسهـم المخارق ابن غفار الطائي والي الزاب السابق ويصفه ابن الآبار بقوله : «وكان شريف القدر عظيم الحال لا يقاس إلاّ بابن الأشعث و الأغلب بن سالم وأمثالهما». ركب يوماً في بعض الحروب الافريقية على فرس أنثى وبيده القنا وبرز يقاتل متمثلا :

رائـعــة تحمــل شيخــاً رائـعـــاً        مجربـــاً قد شهـــد الـــوقـائعـا[67].

ولذلك أخذ يزيد في اعداد حملة قوية، ولم يسمح لابنه المهلب الذي تولى إمـارة الزاب وكتامة بالخروج بمقاتلة ورفجومة إلاّ بعد أن أمده بقوات اضـافية بقيادة العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي. وبعد قتال شديد تمكن المهلبيون من هزيمة الثوار «وقتلوا قتلا ذريعاً، وطلبوا بكل سهلا وجبل، حتى أتى على آخرهـم» وعلى رأسهم زعيم الثورة.

ويذكر الرقيق أنه بعد عودة الحملة الى القيروان أن يزيد كافأ العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي بتعيينه والياً على إقليم طرابلس كما عزل ابنه المهلب واستبدله بأخيه محمد على ولاية الزاب وكتامة.[68] ونتيجة لنجاح يزيد بن حاتم في حروبه المظفرة مع الخوارج أباضية أو صفرية، اضطر الخوارج إلى الهروب

(66) يحدد ابن الأثير تاريخ الثورة في 164هـ، انظر الكامل 6 : 602.

(67) عن المخارق بن غفار الطائي : وعصبيته بافريقية، انظر ترجمته بابن الأبار: الحلة السيراء 2: 355ـ357.

(68) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 161ـ162، ابن الأثير: الكامل 5 : 602. ابن خلدون: العبر 6 : 148.

جنوباً الى الصحراء والى واحات مصر بصحرائها الغربية اذ يروي الكندي أن دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ثار في 169هـ على رأس عرب أهل الحوف (الشرقية حالياً) ضد الفضل بن صالح بن علي والي مصر العباسي وحينما هزم دحية لجأ إلى الواحات مع أصحابه وأرسل الى أهلها للقيام معه وكانوا من البربر يتدينون بالشراية وتمكن بمعاونتهم من هزيمة الحملة التي أرسلها إليه والي مصر، إلّا أن البربر انفوا من تمييز دحية للعرب دونهم اذ «وجد أهل الواحات على دحية في إثارته العرب على الموالي وتقديمهم على البربر فقالوا له: هذا ظلم والاسلام واحد ولسنا نقاتل معك حتى نمتحنك بالبراءة من عثمان» فقال دحية: «والله ما أرجو الجنة إلّا بالرحم بيني وبين عثمان» فانصرفوا عنه وتركوه وتمكنت حملة والي مصر من هزيمته وضرب عنقه[69]. وهكذا استقامت افريقية ليزيد بن حاتم فتفرغ للبناء والتنظيم، الى أن توفي في رمضان 170هـ/786م بعد ولاية استمرت لمدة خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر[70].

وفي أواخر أيام يزيد بن حاتم، خلال مرضه الذي أودى بحياته، استخلف ابنه **داود بن يزيد بن حاتم** واستمرت ولايته من رمضان 170هـ/786م الى رجب 171هـ/787م لمدة تسعة أشهر ونصف، لحين قدوم عمه روح بن حاتم أميرا عليها من قبل الخلافة العباسية.

ويبدو أن قبيلة نفزة (نفزاوة) الأباضية، استغلت وفاة يزيد، وأعلنت الثورة بقيادة صالح بن نصير النفزي، بجبال باجة واذا علمنا أن اقليم باجة هو مخزن الحبوب بإفريقية ولذلك كانت باجة تسمى «هرى افريقية» اذ منها

(69) راجع الكندي: الولاة والقضاة ص 130ـ131. وحاشية (1).

(70) انظر الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 162، ابن الأثير: الكامل 6: 108 ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 360، النويري: نهاية الأرب 22: 239، ابن خلدون: العبر 4: 247.

يمتار جميع تلك البلاد عربها وبربرها لكثرة طعامها ورخصه[71] أدركنا خطورة هذه الثورة وأثرها على الحياة الاقتصادية بافريقية مما دفع داود الى ارسال أخيه المهلب بن يزيد على رأس بعض القوات العربية ولكن تمكن الأباضية من هزيمة المهلب وقتل الكثير من قواته. فأسرع داود بإرسال سليمان بن الصمة بن يزيد بن حبيب بن المهلب في عشرة آلاف فارس، للقضاء على ثورة الأباضية، والتقى سليمان بالأباضية في شقنبارية بمقربة من مدينة الأربس، حيث تمكن من هزيمة الأباضية وتبعهم وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف.

وتمكن صالح بن نصير النفزي من الفرار، حيث اقنع جماعة من مشيخة أهل البصائر من البربر، لم تصل إليهم أخبار هزيمته، فانضموا اليه. فزحف اليهم سليمان بن الصمة بفرسانه وهزمهم وقتل أهل البصائر منهم. وبعد أن قضى على ثورات الخوارج الأباضية باقليم باجة عاد إلى القيروان[72].

ومن خلال ولاية داود، عين خالد بن بشير الأزدي على خطة الشرطة. كما ولى أخيه المهلب بن يزيد على اقليم الزاب[73].

وصل روح بن حاتم المهلبي والي افريقية الجديد من الخليفة هارون الرشيد العباسي في رجب سنة 171هـ/87ـ788م، في خمسمائة فارس من الجند ثم لحق به ابنه قبيصة في ألف وخمسمائة فارس[74]، لاشك أن أغلبهم من فرسان الأزد اليمنية، قبيلة بني المهلب

(71) انظر البكري: المسالك ص 56، مجهول: الاستبصار ص 160، الحميري: الروض المعطار ص 75.

(72) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 169، ابن الأثير: الكامل 6: 108، ابن الابار: الحلة السيراء 2: 360، النويري: نهاية الارب 22: 240.

(73) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 169.

(74) النويري: نهاية الأرب 22: 241.

اذ يروي الرقيق عن الأمير روح بن حاتم قوله: «كنت عاملا لهارون الرشيد على فلسطين ثم صرفني عنها، فخرجت منها أريد بغداد، فوافق موت أخي يزيد، فأرسل الي هارون، فلما دخلت عليه قال لي : «يا روح أحسن الله عزاءك في أخيك يزيد فقد توفي، ولاشك أن له صنائع بافريقية (عصبيته الأزدية واليمنية) فإن ولى مكانه غيرك لم آمن عليهم من عدو يتشفى منهم، ولكن أخرج من فورك الى افريقية»[75] «وحُط صنائعه»[76].

وكان روح بن حاتم يتميز بتعصبه لعصبيته فيروي خداش بن عجلان: قال لي روح بن حاتم «رأيت انساناً يطوف بالبيت (الكعبة) وهو يقول: «اللهم اغفر لي ولا تغفر لأمي»، قلت: «ولم ويحك ؟» قال: «هي من الأزد» أي أن أبـو الرجل كان من غير الأزد وقد يكون قيسيا مما دفع الابن للدعاء لنفسه واستثناء أمه الأزدية اليمنية، مما أدى الى استنكار روح ذلك.

كما حينما قبض على أحد قطاع الطريق «كان يتلصص ما بين برقة ومصر» أمر بضرب عنقه حينما علم أنه من موالي بني نهشل من قبيلة تميم القيسية[77] ولكن ما أن علم لهذا الرجل عليه يداً ومعروفاً اذ جاء روح بن حاتم الى مجلس قومـه من بني نهشـل وهم يحتفلون. فلم يهتم أحد القيسية بالزعيم الأزدي اليمني، إلاّ هذا الرجل فقد أخلى مكانه له، ثم خاطب الرجل روح مادحاً اياه بقوله: «ولولا كريـم محتدك وشرف مجدك ونباهة ذكرك ما ذكرتك هذا عند مثل هذه الحال» فأجابه روح: «يـدٌ والله» ولم يكتف بإطلاق سراحه والعفو عنه، بل وولاه على تلك الناحية ووصله[78].

وتبدو مظاهر العصبية القبلية عند روح بن حاتم، أكثر مما تبدو عند غيره

(75) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 171.
(76) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 358.
(77) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 218.
(78) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 172.

من أمراء المهالبة في شغله لولاة الأقاليم الافريقية بعصبيته من بني المهلب دون غيرهم مثل توليته ابنه قبيصة على برقة، الجنيد بن سيار الأزدي على تونس ثم عزله واستعمل عليها اسحاق بن يزيد بن حاتم المهلبي واقراره العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي على إقليم طرابلس[79] أما بالنسبة لطبنة عاصمة الزاب فقد عمل على تنفيذ وصية الرشيد له بقوله: «عليكَ بالزاب، املأه خيلا ورجالا»[80] فعزل عنها المهلب بن يزيد الذي كان قد عينه داود بن يزيد واستبدله بابنه الفضل بن روح[81].

ويروي ابن خلدون أنه خلال فترة حكمه «ركدت ريح الخوارج من البربر من افريقية، وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال... وانحصدت شوكة البربر، واستكانوا للغلب، وطاعوا للدين، فضرب الاسلام بجرانه، وألقت الدولة المضرية على البربر بكلكلها»[82].

ومن الطبيعي بعد أن أستكانت خوارج بلاد افريقية أن يتطلع الأمير المهلبي، لاخضاع الخوارج الأباضية ببلاد المغرب الأوسط بتاهرت ولكن على العكس من ذلك فيذكر الرقيق أن روح بن حاتم «رغب في موادعة عبدالوهاب بن رستم الأباضي صاحب تيهرت»[83] بينما يروي ابن خلدون أن «عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة 171هـ (رغب) في موادعة صاحب القيروان روح بن حاتم، فوادعه»[84] ونظرا لأن وفاة عبد الرحمن بن رستم تحددها

(79) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 173.
(80) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 358.
(81) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 173.
(82) ابن خلدون: العبر 6: 148. وقارن السلاوي: الاستقصا 1: 120.
(83) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 173.
(84) ابن خلدون: العبر 6: 148.

المصادر السنية في 168هـ[85] والمصادر الأباضية في 171هـ[86] يمكن لنا أن نقول أن الموادعة بدأت في عهد عبد الرحمن بن رستم واستمرت في عهد ابنه عبد الوهاب الذي احترمها.

ولكن أسباب هذه العلاقات السلمية بين أباضية المغرب الأوسط ويمنية افريقية لم يكن الدافع لها هو توطيد الأمن، بقدر ما كان هو نجاح ادريس ابن عبـد الله العلوي في عبـور بلاد المغرب، حيث استقر بمدينة وليلي بالمغرب الأقصى مؤسساً للدولـة الادريسية في سنـة 172هـ ومهـددا بذلك الوجود العباسي في بلاد المغرب. مما دفع الزعيم اليمني الى تهدئة الجبهة الأباضية مُترقبا لما تحمله ريح المغرب الأقصى من زوابع الى افريقية. بالاضافة الى ما يعانيه من تقلب أجـواء حدوده الأخرى الشرقية مع مصر. فيروي الكندي أنه في رمضان 172هـ/789م) دخل والي مصر الجديد على رأس عشرة آلاف مقاتل من الجنـد الى الفسطاط وفي سنة 173هـ/789م ثار الجند الذي يقال لهم القديدية بصاحب الخراج بسبب عدم صرف مرتباتهم فصلبوه وأعدوا النيران، لحرقه حتى دفع اليهم مرتباتهم فعزل الخليفة العباسي الرشيد، الوالي واستبدله بداوود بن يزيد المهلبي في المحرم 174هـ/790م وأمره بإخراج الجند القديدية من مصر فعاد بعضهم الى المشرق والبعض الآخر أبحر الى الشام حيث أسرته الروم في البحر والبعض الآخر انتقل الى بلاد المغرب[86م]. وبالرغم من صمت المصادر التي بين أيدينا عن دورهم بافريقية، فلاشك أنهم أدلو بدلوهم لما عرف عنهم من ميل الى الشغب والفتنة، في أحداث المنطقة في خلال ولاية الفضل بن روح بن حاتم المهلبي.

(85) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 196.

(86) انظر أبو زكرياء: سير الأئمة ص 56_57. حاشية (1).

(86م) انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 133_134.

واستمــرت ولاية روح بن حاتم الى أن توفي في شهـر رمضــان سنـة 174هـ/791م. بعد أن تولى ثلاثة سنوات وثلاثة أشهر[87].

وفي أواخر أيام روح بن حاتم كتب أبو العنبر التميمي المضري أحد قواد بني المهلب بإفريقية، وصاحب البريد اللذين ساءهما عصبية روح القبلية الى الخليفـة هارون الـرشيد العباسي بضعف روح وكِبَره، اذ كان روح أكبر من يزيد، واذا جلس للناس كثيرا ما يغلبه النوم من الضعف. وانهما لا يأمنان عليه أن يموت وافريقية ثغر ولا يصلح بغير سلطان. وأوضحا أنه بين أمراء الأسرة المهلبية، نصر بن حبيب بن يزيد بن المهلب، رئيس خطة الشرطة، ليزيد ابن حاتم خلال ولايتـه لكـل من مصر وافـريقية، وهـو محمود السيرة محبب الى النـاس، وله سن ومعرفة. وأشار على الخليفة بتوليته سرا، وان حدث بروح حدث، أعلنوا ولايته على الناس.

فلما مات روح، فرش لابنـه قبيصـة الجامع، فجلس واجتمع الناس للبيعة له. وكان الفضل بن روح عاملا على الزاب، فركب أبو العنبر التميمي وصاحب البريد بعهد الخليفة العباسي الى نصر بن حبيب، حيث سلما عليه بالامارة وعادوا جميعا الى المسجد، حتى أتو قبيصة وهو جالس على الفَرْش، فأقاماه وأقعدا نصرا وأعلنوا على الناس عهد الخليفة العباسي فسمعوا وطاعوا[88].

ولا يمكن تفسير ما حدث، إلاّ أنه انقلاب سلمي من العرب البلديين (قيسية ويمنية) ضد أحد فروع أسرة بني المهلب ببلاد افريقية، بسبب تعصب تلك الأسرة الى اسنـاد أعمـالهـا الى أفـرادهـا وتخـطى زعماء العرب البلديين

---

(87) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 173، ابن الأثير: الكامل 6: 114، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 85.

(88) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 182ـ183، ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 362. النويري: نهاية الأرب 22: 241ـ242.

المستقرين بإفريقية منذ عصر الفتوحات، ويرجح ذلك ما يرويه الرقيق أن نصر ابن حبيب «ولى أعماله أهل البلد» فكانت أولى أعماله عزل العلاء بن سعيد ابن مروان بن المهلب عن ولاية اقليم طرابلس بعد استمرارها لمدة عشر سنين وتسعة أشهر. واستبدله بنصر بن سدوس المرادي[89] من القبائل اليمنية المستقرة بافريقية.

كما يروي ابن الأبار أنه لما ولى نصر، كتب رسالة الى جميع عماله وبالرغم من تعليق ابن الأبار عليها بقوله «وهي دالة على مكانة من البلاغة والبيان»[90] فلاشك أنها تضمنت توجيهاته الى هؤلاء العمال بإقامة العدل وحسن السيرة اذ يذكر الرقيق أن نصر «عدل وحسنت سيرته وكان لم يعدل أحدا قبله بمثل عدله» الى أن عزله الخليفة هارون الرشيد بعد ولايته التي استقرت سنتين وثلاثة أشهر[91].

وكان **الفضل بن روح بن حاتم المهلبي** أحد زعماء الأسرة، الذين عزلوا اذ كان والياً على الزاب، خلال حياة أبيه، فخرج الى الخليفة هارون الرشيد شاكياً ما نزل بأسرته. ويبدو أن الرشيد اقتنع بحجته فأعاده الى افريقية والياً وكتب بعزل نصر بن حبيب، وان يقوم بأمر البلاد ـ ابن عمه ـ المهلب بن يزيد لحين قدوم الفضل. الذي دخل القيروان في المحرم سنة 177هـ/793م.

ويبدو أن الأسرة المهلبية أعتبرت اعادة الفضل الى افريقية والياً عليها انتصاراً شخصياً لها، اذ قام المهلب بن يزيد نائب الفضل بالقيروان بإعداد استقبال حافل للأمير المهلبي. فقد نصبت له القباب بالقيروان من مسجد أم الأمير الى دار الامارة في رحبة التمر.

(89) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 183.

(90) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 362.

(91) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 183.

كما أعـد له تجار أهـل الذمة وعلى رأسهم قسطاس النصراني استقبالا خاصا فيروي أنه «نصب له قربه ريحان في طريقه، وعليها طومار (صحيفة) قد كتب فيه بخط غليظ: «إنا فتحنا لك فتحا مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»[92] وعند مسجد أبي فهر علق له زير من الزجاج، مملوء بالمياه وحيتان تعوم. وحينما تساءل الوالي الجديد عن صاحب هذه الأعمال الباهرة، أخبر أنه قسطاس النصراني ولم يملك الزعيم المهلبي الذي تميزت أسرته بالكرم الحاتمي أن قال «احسن والله النصراني». وأتى بقسطاس فقال له: «تمن» فأجابه قسطاس: «يأذن لي في بناء كنيسة» فأذن له فبنى الكنيسة التي يقال لها كنيسة قسطاس[93].

وكانت أولى أعمال الفضل بن روح المهلبي، هو عزل عمال نصر ابن حبيب من زعماء العرب البلديين، واستبدالهم بعصبيته من بني أسرته. وبينما تراه يحتفظ بالعلاء بن سعيد بن مروان بن المهلب من عصبيته والياً على اقليم الزاب، نجده يستبدل والي طرابلس البلدي بأبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب الشاعر، الذي سبق أن قدم افريقية في خلال ولاية يزيد بن حاتم المهلبي فولاه قفصة وقصطيلية أي البلاد الجريدية، وحالة هذا الشاعر، تعطينا فكرة عما آلت اليه أسرة بني المهلب في ظل نصر بن حبيب الذي عمل على سيادة العدل ومحاولة اتباع سياسة متوازنة بين القبائل العربية البلدية والوافدة رفقة ولاة العباسيين.

فبينما كان أبو عيينة والياً على بلاد الجريد، بلغ من الثروة حداً أغضى عن جوهره سقطت منه وأخفاها أحد جلسائه اذ يقال «أنه جلس يوماً مع أصحابه، اذ سقطت من يده جوهرة، فأخذها بعض جلسائه وأبو عيينة يراه

(92) القرآن الكريم صورة الفتح 48: آية 1، 2.

(93) انظر الرقيق الذي ينفرد بهذه المعلومات عن المصادر الأخرى، تاريخ افريقية والمغرب ص 184-185.

فقال: «يا غلمان لا تطلبوها ولا يبيعنها آخذها بخسا، فإن شراءها عشرون ألف درهم». ولما صرف عن الولايات في خلال فترة حكم نصر بن حبيب المهلبي، استقر بجوار عرب بني الحارث دون مال الى أن عينه الفضل على طرابلس، فبلغ من السرور حدا جعله يوهب ما في داره من طعام وشراب وأثاث ومتاع لجيرانه من عرب بني الحارث، ويجازي إسكافي أهداه خفين بنزع ثوبة الموشي وإعطائه إياه فباعه بمائة دينار(94).

كما قام الفضل بتعيين ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح المهلبي على مدينة تونس «وكانت... تعدل بالقيروان في كثرة العرب والجند الذين كانوا فيها»(95) ويروي أن أبا جعفر المنصور، اذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له: «ما فعلت احدى القيروانين يعني تونس تعظيما لها» ويوصف أهلها منذ الفتوحات الاسلامية بالقيام على الأمراء(96) ويذكر ياقوت الحموي أنها «خالفت نحو عشرين مرة»(97) ويفسر الجغرافيون أسباب ميل أهل تونس الى الثورة أولا حصانة المدينة ومناعتها واكتفائها الذاتي من مياه الشرب والانتاج الزراعي سواء كان الحبوب أو الفواكه. بالاضافة الى ما تتمتع به من ثروة سمكية طائلة حتى شاع من أمثالهم «لو لا البقونس (نوع ممتاز من السمك) لم يخالف أهل تونس»(98) كما ينشد أهلها: (99).

وكل جبار اذا ما طغى . وكان في طغيانه يسرفُ
أرسله الله الى تونس فكل جبار بها يقصفُ

(94) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 185-186.
(95) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 186.
(96) الحميري: الروض المعطار ص 143.
(97) ياقوت الحموي : معجم البلدان 2: 61.
(98) راجع البكري : المسالك ص 40-41، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2: 60-61.
(99) الحميري: الروض المعطار ص 144.

وبينـما كانت تونس تتـطلب رجلا حكيما لادارتها، خصوصا وقد أنكر أهلها على الفضل أشياء منها: إساءة السيرة معهم، بسبب مليهم الى نصر ابن حبيب الوالي قبله[100] وعزله لوالي تونس الذي حظي بتأييدهم، . واستبداده برأيه دونهم. كان المغيرة الوالي الجديد، غِراً لا تجربة له بالأمور، فاستخف بالجنـد وسار فيهم بغير سيرة من تقدمه من الولاة[101] ويلقي لنا ابن الأبار بعض الضوء على هذه السياسة المختلفة في شكوى عرب تونس الى والي افريقية «وواسنا بالأسلاف كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك، وإلاّ فلا طاعة لك علينا» ويفسر حسين مؤنس معنى الأسلاف بأنها كانت معاونات مالية يرسلها الولاة الى الظاهرين من أهل النواحي من العرب ورؤساء جماعاتها ليظلوا الى جانب الولاة في صراعهم مع الثائرين عليهم[102] بينما يفسرها سعد زغلول بالرواتب التي تعطي للجند العربي سلفاً أي مقدماً[103].

وتطورت ثورة جند تونس من عدم الرضى على والي مدينتهم الى التمرد على والي افريقية والثورة عليه. ففي المرحلة الأولى اجتمع جند تونس وكتبوا كتـابا الى الفضل يخبرونه فيه بسوء صنيع المغيرة لهم، وقبح سيرته فيهم[104] ويطلبون عزله عنهم[105].

وحينما تثاقل الفضل بن روح في الرد على زعماء جند تونس اجتمعوا للمرة الثانية وقرروا خلع المغيرة بالقوة وتنصيب عبد الله بن الجارود العبدي المشهور

(100) ابن الأثير : الكامل 6: 136.
(101) الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 186.
(102) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 77 وحاشية (2).
(103) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي 1: 379.
(104) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 186.
(105) ابن الأثير : الكامل 6: 136.

بعَبْـدوية[106] الأنباري[107] ويصفه الرقيق بأنه «البصير ابن الحرب المعروف بالنجدة»[108] . وتردد زعيم جند تونس ولكن ما أن خاطبه زعماء الجند بقولهم «أنت شيخنـا وفـارسنـا والمنظور اليهة وأعطوه بيعتهم صائحين» أنفسنا دون نفسك» حتى قبل قيادة الثورة، وخرج على رأس الجند الى دار امارة المغيرة، حيث طردوه من تونس في 178هـ/794م.

اما عن نسب عبد الله فبينما ينسبه ابن الابار الى «العَبْدي»، ينسبه كل من ابن الاثير وابن خلدون الى «الأنباري»[109] واذا علمنا ان العبدي نسبه الى قبيلة «عبـد القيس» المضرية ومنهم بني الجارود الـذين استقـروا بالبصرة[110]ونسبه الانباري الى سكة الأنبار بمرو، في اعلى البلد بخراسان حيث استقرت القبائل العربية التي انتقلت من البصرة والكوفة، وهناك ينتشر إسم «عبدوية»[111]. كما أن البلاذري يروي ان زياد بن أبيه لما تولى العراق «ولى الربيع بن زياد الحارثي سنة 51هـ/671م خراسان، وحول معه من أهل المصريين (البصرة والكوفة) زهاء خمسين ألفا بعيالاتهم» كما ولى أمير ابن أحمر مدينة مرو «فكان أمير، أول من أسكن العرب مرو»[112]. أدركنا انتهاء هذا الزعيم الى القبائل المضرية التي استقرت بخراسان.

سيطر الـزعيم المضري على تونس وكتب الى الفضـل الذي آلت إليه

(106) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 84

(107) ابن الاثير: الكامل6: 136 ويذكر ابن عذاري ان اسمه عبد الله ابن عبد ربه بن الجارود 1: 86.

(108) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 187

(109) انظر ابن الابار: الحلة السيراء 1: 84، ابن الاثير: الكامل6: 136، ابن خلدون: العبر 4: 248 ومن الجدير بالذكر ان المصدر الوحيد الذي ينسبه الى هراة هو تاريخ خليفة بن خياط 2: 748.

(110) كذلك تطلق على من ينتسب الى بطن «عبد مناة» من قبيلتي كنانة أو هذيل المضريتين، انظر ابن حزم: جمهرة انساب العرب 170، 187، 278، 279.

(111) ياقوت الحموي: معجم البلدان1: 258

(112) البلاذري: فتوح البلدان ص 400، 401، للمؤلف. دراسات في تاريخ الدولة العربية ص390.

زعامة القبائل اليمنية، بحكم عصبيته في بني المهلب من جهة وولايته لافريقية من جهة ثانية.

«الى الأمير الفضل بن روح من عبد الله بن الجارود. أما بعد، فأنا لم نُخرج المغيرة إخراج خلاف عن الطاعة، ولكن لأحداث فيها فساد الدولة، فول علينا من ترضاه، وإلّا نظرنا لأنفسنا. وواسنا بالأسلاف كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك، وإلّا فلا طاعة لك علينا.»

وكتب لك علينا:

فولِّ سِواهُ أو كن رهـن حرب     تغصُّ بها على المـاء الـزلال

وإن لم تعـطنـا الأسـلاف طوعـاً     أجبـت لها بكـرهٍ بالـعـوالي[113]

لم يستجب الفضل لمطالب عرب تونس، واتهمهم بالتمرد بقوله: «وقد وليت عليكم عامـلا فإن دفعتمـوه فهو آية النكث منكم»[114] أما الأسلاف فدونها السيوف إذ ذيل رسالته بقوله:

ولـيس بمـدرك الاسـلاف حتى     تنـاولهـن قسرا بالـعـوالي[115]

وهكذا حرق الفضل جميع سفنه مع عرب تونس ولذلك ما أن استبدل المغيرة، ابن أخيه، الغر الطائش، بعبد الله بن محمد المهلبي، ابن عمه، وهو أخو الشاعر أبو عيينة بن محمد والي طرابلس[116]، وعززه ببعض قواده أمثال: النضر بن حفص بن عمر بن معاوية وأبا العنبر التميمي والجنيد بن يسار الأزدي. حتى خرج اليهم بعض أنصار ابن الجارود، حيث التقوا بالزيتون

(113) ابن الابار: الحلة السيراء1: 77، 78.

(114) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 188.

(115) ابن الابار: الحلة السيراء1: 78.

(116) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 188، 190 ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص 349.

بالقرب من سبخة تونس، فقتلوا عبد الله بن يزيد المهلبي وأسروا مرافقيه من القواد، وعادوا بهم الى تونس[117].

برغم اظهار ابن الجارود لغضبه بسبب قتل عبد الله بن محمد المهلبي إلّا أنه بعد مفاوضات مع قواده اقتنع بأن الصراع مع بني المهلب اليمنيين أصبح حتمياً وليس أمـام جند تونس إلّا التخلص منهم بالقتل أو الطرد، ولذلك أسند الى محمد بن يزيد الفارسي، مُشعل الفتنة بالاتصال ببقية زعماء الجند بإفريقية للانضمام إليهم. ولجأ الفارسي الى الحيلة إذ كتب الى كل قائد منهم يوهمه أنهم يؤمرونه عليهم موضحاً سوء تصرفات الفضل ومنع رواتب الجند[118] كالآتي :

«أما بعد فإن نظرنا الى ما صنع الفضل في ثغر أمير المؤمنين من تهاونه بجنده، واستئثاره عليهم بما لم تكن الولاة تصنعه قبله، مع وعورة لفظه لهم وتركه لكتاب أمير المؤمنين في أرزاقهم وسوء سيرته فيهم، فيما عهد إليه.

ولم ينفعنا إلّا الخروج عليه لنخرجه عنا، ونظرنا فلم نجد أحداً هو أولى بنصيحـة أمير المؤمنين لبعد صيته وعطفه على جنده منك، فرأينا أن نجعل أنفسنـا دونـك، فإن ظفرنا جعلناك لنا والياً، وكتبنا الى أمير المؤمنين نسأله ولايتك، وان تكن الأخرى لم يعلم الفضل أنا أردناك، والسلام»[119].

وفي نفس الوقت انضمت باجة الى الثورة، اذ كان جندها من أهل خراسان وما أن كتب ابن الجارود اليهم بثورته حتى اسرع أهلها الى الانضمام اليه.

خشي الفضل أن تحدوا عمالات افريقية حذو باجة، فكتب في إستدعاء

(117) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 188، 01 2، النويري: نهاية الارب 22: 243.

(118) ابن الاثير: الكامل 6 : 136، النويري: نهاية الارب 22: 243، 244.

(119) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 191 وقارن ما ورد في ابن الاثير: الكامل 6: 136 ـ 137.

جميع عمال افريقية الى القيروان، ماعدا ولاة اقليمي الزاب وطرابلس، العلاء ابن سعيد بن مروان المهلبي وأبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي، خوفا من إندلاع الثورات الخارجية البربرية فيقع بنو المهلب بين نارين، نار عرب تونس في الشمال، ونار البربر في الجنوب والجنوب الغربي.

وفد العمال بجندهم فأمر الفضل بصرف اعطيات (مرتبات) الجند استعداداً للقتال، كما أمر للقواد بخمسمائة درهم استئلافاً لهم، ولكن هذا العمل أتى بعكس المطلوب منه، فيروي شاهد عيان أن بعض الجند يأتي فيأخذ مرتبه ثم ينشر أسحلته ويخرج للانضمام الى ابن الجارود، بدلا من الانضمام الى قوات ألفضل. كما أن عطية القواد أثارت جند خرسان بالقيروان فقال بعضهم لبعض «ويحكم، كيف ترضون بهذا، أن يقوي الفضل أهل الشام على أبنائنا... يفعل ذلك بمن هو عبده لنا»[120].

وهذا النص في غاية الأهمية إذ يلقي بعض الأضواء على طبيعة الصراع بين عرب أهل الشام وافريقية بزعامة الفضل المهلبي اليمني وعرب خراسان بقيادة ابن الجارود المضري. اذ أن جند خراسان يعتبرون أهل الشام عبيد لهم[121]. وكما سبق أن أوضحنا أن جند خراسان، اعتمد في تشكيله على القبائل العربية التي انتقلت في عهد زياد بن أبيه من البصرة والكوفة الى خراسان. فإذا علمنا أن عرب البصرة والكوفة هو أنصار علي بن أبي طالب

---

(120) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 191، 192.

(121) فقد اتهمت المصادر أهل الشام بالغفلة والحمق والجهل فيروي المسعودي انه حينما سئل أحد زعماء أهل الشام من أهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب (علي بن أبي طالب) هذا الذي يلعنه الامام (معاوية) على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن.

وحينما قامت الدولة العباسية ووجه عبد الله بن علي الى أبي العباس السفاح، أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام، فحلفوا لأبي العباس السفاح أنهم ماعلموا لرسول الله (ﷺ) قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة. انظر المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 3: 32-33.

وعرب الشام هم أنصار بني أمية، أدركنا أن الأحفاد ورثوا أحقاد الآباء والأجداد. ولذلك أعلن عمال الفضل من أهل خراسان «لا نقاتل معه»[122].

وبالرغم من اعداد الفضل لجيش ضخم لمحاربة ابن الجارود وجند خراسان إلّا أن هذا الجيش صاحبه سوء التوجيه والقيادة منذ البداية. فقد أسند الفضل قيادة الجيش الى ابن عمه عبد الله بن يزيد بن حاتم المهلبي وفي نفس القوت، صدق ما أشيع عن ممالأته لابن الجارود عدوه، حتى كتب اليه:

وقالوا وعدت القوم عند لقائهم رجوعا عن الهيجا بغير قتال

فلما وردت الأبيات على عبد الله علم أنه اتهمه فأجابه بقوله:

أظن ابن روح أنني كنا قاطعا يميني التي أسطو بها بشمالي[123]

ولم يقتصر هذا الشك على أمير افريقية فقط، بل تخطاه الى زعماء جند الشام، وقواد الجيش الذين خرجوا للقضاء على ثورة ابن الجارود[124]

وما أن خرج الجيش من باب مدينة القيروان وقام أحد أمراء بني المهلب بنصب اللواء الذي عقد على طرف رمح وهو يُنصب حيث يعسكر الأمير ويدور معه حيث دار[125]. وقد أمر به الفضلَ لقائده عبد الله بن يزيد حتى اندقت القناة وسقط اللواء فتطير الناس وعامة الجند.

وفي ظل هذه الضغوط النفسية قسم عبد الله بن يزيد جيشه الضخم الى مقدمة بقيادة شبيبة بن حسان وعى طلائعه فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي[126] وميمنة بقيادة كل من: على بن هارون الأنصاري، وسهل

(122) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 192.
(123) ابن الابار: الحلة السيراء 1:. 80 ـ 81.
(124) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 192 ـ 193.
(125) الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 2:67.
(126) أنظر ابن الابار: الحلة السيراء 1:91

(شهاب) بن حاجب التميمي ، وعامر بن نافع المذحجي[127]، وميسرة بقيادة كل من عمر، وشراحبيل الأزدي [128]. ولاشك أن عبد الله بن يزيد قائد الجند تولى رئاسة القلب. وأول ما يلاحظ على هذا التشكيل هو عدم التجانس لقادة كل من المقدمة والميمنة والميسرة، إذ كان البعض قيسياً، والبعض الآخر يمينياً.

أما عبد الله بن الجارود العبدي فقد زحف من تونس على رأس جيشه الى القيروان ووصلت طلائعه بقيادة كل من فتح ووصاف بن هميان وابن الدويدي وعسكرت قرب طساس، على ثلاية أميال شمال القيروان فزحف عبد الله بن يزيد الملهبي اليهم. وبدأ القتال يوم الجمعة. ويبدو أن القائد المهلبي استبسل في القتال حتى ينفي عن نفسه ما أشيع من ممالأته لابن الجارود، فكتب له النصر وفرت الطلائع بعد أن قتل منهم الكثير.

اكتف القائد المهلبي بهذا النصر ولم يواصل زحفه لمواجهة الجيش الأساسي، مما أعطى الفرصة لابن الجارود لأن يعبأ قواته وينظم صفوفه طوال يومي السبت والأحد، ويهاجم جيش المهالبة بعنف فانهزم أهل الشام ولكن صمد في الميدان بعض من أهل خراسان. الذين استمر ولائهم للفضل وبعض أهل الشام، فلما أدركوا أن الهزيمة شاملة اضطروا الى الانسحاب الى القيروان للاحتماء بخندقها، ووقف القائد المهلبي يصيح في قواته المنهزمة والمنسحبة الى القيروان «إليّ إليّ» فما أحد رجع اليه، مما اضطره الى الانسحاب الى القيروان. بعد أن قتل بعض قواده منهم على بن هارون الأنصاري أحد قادة الميمنة وأبا الأسود الحمصي، قائد جند حمص، أدركه بعض فرسان ابن الجارود وقد نزل عن فرسه فقتلوه. وأسرع ابن الجارود بجيشه ليحاصر القيروان[129]

(127) ابن الابار: الحلة السيراء 2 : 383

(128) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 188، 189، 192.

(129) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 192، 193، 194.

انسحب أهل الشام الى داخل القيروان، وعقد الفضل مجلسه الاستشاري من جميع أهل بيته وقال لهم: «ما ترون في هذا الأمر الذي لا يخصني دونكم؟» وكثرت الآراء فبعضهم وعلى رأسهم سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبي، أشار بالمقاومة من داخل القيروان بعد سد أبواب المدينة كلها إلّا باباً واحداً، وتموين المدينة بما تحتاج اليه في حالة الحصار لمدة عام. وقال سعيد المهلبي:

فإن كنت تحمى الغرب فاشدد لها القوى
تنل ظفرا، أو تلق موت الأكارم
فليس يريد القوم إلّا نفوسنا
أو النفي عنها يا ابن روح بن حاتم[130]

أما البعض الآخر وعلى رأسهم ابن واقد فقد أشار بالرحيل عن القيروان والخروج الى طرابلس[131]، للتقوى بمن بها من القوات مع واليها أبي عيينة بن محمد بن عيينة المهلبي، ومكاتبة الخليفة العباسي وانتظار أوامره. وندد سعيد المهلبي بهذا الرأي ومؤيديه بقوله:[132].

ألا قُل لفضل أنني لك ناصحٌ فلا تسمعن مما يشير ابن واقدِ
فإنك ان تستمع لأقواله تعد الى أسدٍ في كُبه الخيل لابدِ

اضطرب امر الفضل، وعجز عن اتخاذ القرار المناسب في مثل هذه الظروف، ومر الوقت دون ان يحسم أمره، فلا هو أمر بتنفيذ الرأي الأول ولا اتبع الثاني، واكتفى بإرسال أعوانه لحفظ أبواب القيروان، فبعث المهلب ابن

(130) ابن الابار: الحلة السيراء1: 79

(131) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 194.

(132) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 80.

يزيد الى باب سالم وفرق الباقين على ما بقي من الأبواب. ويبدو أن ابن الجارود العبدي، تمكن من الاتصال بالأبناء بالقيروان وهم أبناء الجند الذين ولدوا في افريقية سواء كانوا من العرب البلديين، أي عرب الفتوح الأولى، كما يذكر ابن الآبار، أو من العرب الوافدين بعد ذلك، من أهل الشام أو جند خراسان العربي والرقيق مؤرخ القيروان يطلق عليهم «الأبناء»[133] وكانوا يرون أنفسهم أهل البلد وأولى بحكمه من الولاة الذين ترسلهم الخلافة وجندهم ولذلك تآمروا مع جند خراسان[134]، فهاجموا حراس كل من بابي القيروان: باب سالم، وأبي الربيع وهم في غفلة من الخطر الداخلي وتمكنوا من فتح البابين عنوة، فاندفع الجند الخراساني الى داخل المدينة دون مقاومة[135] في جمادي الآخرة سنة 178هـ/794م[136].

دخل ابن الجارود الى المدينة ثم انتقل الى دار الامارة حيث الفضل ابن روح والي افريقية وأهل بيته من المهالبة وعلى رأسهم خالد بن يزيد، وعبد الله بن يزيد وجنيد بن خداش وجماعة غيرهم. فأمنهم ابن الجارود ثم أمرهم بالخروج الى قابس وقال لهم: «إني لا آمن من أصحابي عليكم، ولكن أوجه معكم من يوصلكم الى قابس». وبينما كان أصحابه يخرجون من أحد أبواب القيروان منسحبين الى قابس، لم يتمكن هو وثلاثة من بني عمه من الخروج من المدينة، إلّا في حراسة فرقة من جند الجارود بقيادة أبي الهيثم، حتى لا

(133) يذكر ابن حزم أن بني سعد بن زيد مناة بن تميم وهم: كعب، وعمرو، والحارث، وعوانة، وجُشم، ومالك، وعَبْشَمس كلهم يدعون الأبناء. انظر ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص 204ـ205. والمقصود هنا طائفة الأبناء من الفرس، أطلقت عليهم هذه التسمية في اليمن قبل الفتح الاسلامي لها، وفي العصر العباسي انظر تاريخ خليفة بن خياط 1: 74، 75، 2: 748، ابن الابار: الحلة السيراء 1: 101ـ102 حاشية(1).

(134) يذكر ابن الاثير ان أهل القيروان من العرب هم الذين فتحوا أبواب القيروان مما يوضح ثورة جميع العرب ضد المهالبة انظر الكامل 6: 137.

(135) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 194ـ195.

(136) ابن الاثير: الكامل 6: 137، ابن الابار: الحلة السيراء 1: 78ـ79.

يقعوا بين أيدي الجند الغاضبين عليهم. وإن سلموا من سيوفهم في هذه المرحلة فلم يسلموا من لسانهم إذ حينما تعرف عليهم جند البوابة قالوا لهم: «اخرجوا، يا كلاب النار! لا رحمكم الله» فقال الفضل عند ذلك: «. . . لم يبق أحد إلّا صار علينا، حتى من اعتقناه»[137].

ولكن ما أن سمع زعماء الجند الخراساني بفرار الفضل والمهالبة، حتى خشوا أن يتجهوا الى طرابلس. حيث يلتف حوله أهلها وجندها بقيادة أبو عيينة المهلبي واليها ويكروا على القيروان ليستولوا عليها. فتتابعت فرسانهم ليلحقوا بالفضل، فأولى هذه الفرق المشكلة من مائة فارس إدعت أنها ماأتت إلّا خوفاً على المهالبة من الجند. وثاني هذه الفرق بقيادة منصور بن هاشم، أخذت في مراوغة المهالبة، إلّا أن وصل صاحب شرطة ابن الجارود فنادي مناديه: «من كان في طاعة ابن الجارود فلينعزل» فانعزل الناس، تاركين الفضل بمفرده. فأطلق صاحب الشرطة، سراح من رافق الفضل من الناس وكذا المهالبة ما عدا محمد بن هاشم والفضل بن يزيد فقد قبض عليهما مع الفضل وعادوا جميعاً الى القيروان حيث سجنوا.[138]

إجتمع زعماء الجند الخراساني لتقرير مصير الفضل بن روح المهلبي، وتأرجحت الآراء بين القتل إذ قال أحد مؤيدي هذا الرأي «لا نزال في حرب مادام الفضل حياً»، والحبس إذ دافع محمد بن يزيد الفارسي، مُشعل هذه الفتنة عن حياة الفضل «وأشار أن لا يقتلوه» ولكن سرعان ما تغلب أصحاب الرأي الأول على الثاني «فقاموا إليه وقتلوه»[139] في شعبان سنة 178هـ/794م فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر وبقتله انتهت فترة دولة المهالبة بإفريقية التى استمرت ثلاثاً وعشرين سنة.[140]

(137) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 87.

(138) ابن عذارى: البيان المغرب 1: 87-88.

(139) النويري: نهاية الارب22: 244.

(140) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 88.

أثار مقتل الفضل بن روح بن حاتم، زعيم المهالبة اليمنية بإفريقية، قادة الجند الشامي وعلى رأسهم شهدون (سمدون) القائد والي الأربس حيث مخازن الحنطة والشعير[141] وفلاح بن عبد الرحمٰن الكَلَاعي الحميري اليمني[142] وأبي عبد الله مالك بن المنذر الكلبي اليمني والي ميلة «فدعاه جند حمص وغيرهم من العرب فأمروه لطلب ثأر الفضل بن روح»[143] وانضم اليهم عصبية الفضل من المهالبة بقيادة المغيرة بن بشر بن روح بن حاتم والي تونس السابق.[144]

وعندما علم ابن الجارود بتجمع جند الشام لمحاربته، أسرع بإرسال عسكره للقضاء عليهم قبل اكتمال عدتهم ومحاصرته بالقيروان ولكن هزمت حملته وانسحب عسكره الى القيروان، بعد قتال شديد مع اليمنية[145] فاضطر ابن الجارود وأنصاره الى الانسحاب من القيروان، ودخلها مالك بن المنذر الكلبي على رأس قواته، حيث أقام بها لمدة عشرين يوماً. ولكن سرعان ما تصدع حلفه لاختلاف آراء قواده وأنصاره، إذ أرادوا متابعة جند ابن الجارود وقتلهم فأبى أن يأذن لهم بقوله: «انهم وإن خالفوا فإنهم جند أمير المؤمنين» فانفضوا من حوله واغاروا على القرى بنواحي القيروان حتى بقي مالك في قلة.

فعاد ابن الجارود بانصاره الى القيروان وعسكر بطساس وعندما علم حلفاء مالك بذلك عاد بعضهم إليه حتى صار في ألفي فارس والتقى الجيشان خارج القيروان[146]فانهزم أصحاب مالك، فترجل عن فرسه وشد في نفر من عصبيته اليمنية متمثلا:

(141) الادريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ص 86، الحميري الروض المعطار ص 24.

(142) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص 407.

(143) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 86.

(144) النويري: نهاية الارب22 : 244.

(145) ابن الاثير: الكامل 6: 137.

(146) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 195.

يامـوت إني مالـك بن المنـذر أهتـكُ حَشْـوَ البيْض والسنـورِ
أقـتـل من صابـر أو لم يصـبر كأنـني أفـعـل مالَم يُقْـدر

فخرج إليه ابن الجارود وهو يقول:

الى فادن، مالـك بن منـذر انـا الـذي قتـلت رب المنـبر
جرعـتـه كأس الحـمام الأحمـر فاصـبر ستـلقـاه وان لم يصـبر

ومن هذه الأبيات يتضح لنا ما صاحب هذه الثورة من عصبية الفريقين فابن المنذر يهدد ابن الجارود بالقتل بينما يفتخر ابن الجارود بقتل والي افريقية ويتوعد خليفته الزعيم اليمني كذلك بالقتل.(147) وسرعان ما تحقق وعده إذ عندما هم كل واحد منهما بالآخر، أعترض رجل من أصحاب ابن الجارود، مالك بن المنذر الكلبي فصرعه وركبه الناس فقتل، وقتل معه عدة من أهل بيته وانهزم أنصاره وانسحبوا الى الأربس وعندما حاول ابن الجارود فرض سيطرته على ولاية الأربس وأرسل حماد بن أبي حماد والياً عليها تمكن شهدون القائد وأنصاره من الايقاع به وطرده من البلاد.(148)

لم تستسلم اليمنية لهزيمتها ومقتل قائدها، إذ سرعان ما أعادت ترتيب صفوفها، فكتبوا الى العلاء بن سعيد بن مروان بن المهلب والي الزاب، فوفد الى الأربس بانصاره، وانضم الى المغيرة بن بشر بن روح المهلبي وابن عميلة وشهدون وفلاح بن عبد الرحمن الكلاعي اليمني ونصبوه رئيساً لهم. ويبدو أن العلاء نجح في تجنيد بعض القبائل البربرية بجيشه الشامي اليمني.(149)

وصلت اضـطرابات ولاية افريقية الى بغداد، فعين الخليفة هارون الـرشيد العبـاسي هرثـمـة بن أعـين، مولى بني ضَبّة، من القبـائـل

(147) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 86ـ87.
(148) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 196
(149) النويري: نهاية الارب22: 244ـ245.

المضرية[150] والياً على افريقية، وأوفد يقطين بن موسى من كبار رجال الدولة العباسية قبله الى القيروان لاستئلاف ابن الجارود وإخراجه من افريقية، ويبرر كل من الرقيق والنويري اختيار يقطين بن موسى «لمحله من دعوتهم ومكانه من دولتهم وكبر سنه وحاله عند أهل خراسان»[151] وبالرغم من عدم ذكر المصادر لنسب يقطين الى العنصر الفارسي أو العربي، فالنصوص التي تدور حول أعمال هذا الرجل تدل على عرويته وزعامته في جند خراسان العربي.[152]

وصل يقطين بن موسى الى القيروان، حيث إجتمع بإبن الجارود وأنصاره من قواد الجند الخراساني. وناقش ممثل الخليفة العباسي، قادة جنده بافريقية في عدم جدوى الثورة، وبينما أعلن ابن الجارود الطاعة ظاهرياً، أبطن الثورة إذ رحب برسالة الخليفة العباسي معلناً طاعته ولكنه استدرك قائلا إنه «مع العلاء البربر فإن تركت الثغر (افريقية) وثب البربر فاخذوه، ثم اخرجوا العلاء منه أو قتلوه، ولا يدخله والٍ لأمير المؤمنين أبدا، فأكون أشأم الخلق على هذا الثغر، ولكن أخرج الى العلاء فإن ظفر بي فشأنكم بالثغر، وإن ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة بن أعين، ثم اخرج الى أمير المؤمنين»[153] ويعلق ابن

(150) ابن حزم: جمهرة انساب العرب 192ـ193، ابن الاثير: الكامل6: 78.

(151) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 197، النويري: نهاية الارب22: 244ـ245.

(152) ففي خلال فترة ابي جعفر المنصور العباسي (136ـ158هـ/754ـ775م) يروي المسعودي ان المنصور أرسل يقطين بن موسى الى أبي مسلم الخراساني بعد قضائه على ثورة عمه عبد الله ابن علي، لقبض الخزائن والمغانم التي كانت مع عمه، فثار عليه أبو مسلم وقال: أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الأموال؟.. فأنكر يقطين وأوضح انه ما جاء الا للتهنئة واقسم بطلاق زوجته، فلما انصرف قال ابو مسلم لاصحابه: والله اني لأعلم أنه قد طلق زوجته.... ولكنه وفيّ لصاحبه. انظر مروج الذهب 3: 290. كما يروي ابن الأثير ان المهدي (158ـ169هـ/775ـ787م) اسند ليقطين بناء القصور بطريق مكة، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل منها، وبتجديد الأميال والبرك، وبحفر الركايا، للتسهيل على الحجاج في موسم الحج، كما أسند اليه الزيادة في المسجد الحرام ومسجد الرسول(ﷺ) فأدخل فيه دور كثيرة انظر الكامل6: 55، 76.

(153) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 197، 198، وقارن ما أورده النويري عن الرقيق في نهاية الارب22: 245.

الأثير على ذلك بقوله: «وكان قصده المغالطة، فإن ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد». [154]

أدرك ممثل الخليفة العباسي مكر ابن الجارود، فعمل على افساد أنصاره من قواد الجند الخراساني. وكان محمد بن يزيد الفارسي من أبرزهم فوعده ومناه بالترقية في القيادة الى «قيادة ألف فارس، وصلة، وقطيعة (اقطاع من الأرض) في أي المواضع شاء» مقابل التخلي عن ابن الجارود وإفساد أنصاره عليه. وافق ابن الفارسي على الصفقة وسرعان ما أعلن انشقاقه عن ابن الجارود الثائر ضد الخلافة ببغداد فمال اليه أهل الطاعة والجماعة من جند خراسان وانضم اليه قواد العرب ممن كان محبوساً في السجن وأطلق سراحه ومن كان مختفياً أمثال: شبيبة بن حسان والجنيد بن سيار الأزدي والنضر ابن حفص وعمر بن معاوية. [155]

وخشي ابن الجارود وقواده مثل أبي النهار، وأبي العنبر التميمي، والعباس الليطفي من انضمام ابن الفارسي وأنصاره الى جيش العلاء بن سعيد ابن مروان المهلبي. وقرر ابن الجارود ملاقاة أعدائه كل على انفراد وبدأ بإبن الفارسي.

والتقى حلفاء الأمس، بباب أبي الربيع بالقيروان، فخادع إبن الجارود ابن الفارسي وناداه مظهرا العتاب وشاغله بالكلام وفي نفس الوقت أمر أحد أنصاره يسمى طالب[156] بأن يكمن بالقرب منهما، ثم ينقض على ابن الفارسي في غفلة منه ويفتك به. وما أن قتل ابن الفارسي حتى انهزم أصحابه وقتل القائد شبيبة بن حسان أحد أنصاره. [157]

(154) انظر ابن الاثير: الكامل6: 138.
(155) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 198-199.
(156) «أبو طالب» في النويري: نهاية الارب22 : 245.
(157) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 199-200، ابن الاثير: الكامل6: 138.

أما العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي، الذي آلت اليه زعامة المهالبة اليمنيين بافريقية فقد ازداد أنصاره من العرب وأرسل الى ابن الجارود متوعدا:

لعمرك ياعبدوى ما كنت تاركاً دم الفضل أو يكسوني الترب ثائرُ
نذرت دمي فانظر إذا ما لقيتني على مَن بكأسيها تدور الدوائر

فأجابه ابن الجارود:

أفي كل يوم ثائرٌ قتلته بفضل، وما ينفك للفضل ثائرُ
قضيت لنفسي النذر في قتل مالك وإني لها قتل العلاء لناذر

وبعد تخلصه من محمد بن يزيد الفارسي الذي انشق عليه قال:

فقل للعلاء: قد أصابتْ محمداً منيةُ يومٍ، فارتقب مثلها غدا[158]

ويرغم تفاخر عبد الله بن الجارود العبدي بانتصاراته، إلّا أن الريح لم تعد تملأ شراعة، بل انقلبت عليه، إذ أرسل هرثمة بن أعين مولى قبيلة ضبة المضرية الذي كان مقيمًا ببرقة، يحيى بن موسى عاملا له على إقليم طرابلس حيث كان أبو عيينة المهلبي عاملا خلال ولاية الفضل ومعسكراً مع جند الشام خوفاً من إنقلاب البربر من الخوارج الأباضية.

ويبدو أن العامل الجديد سيطر بسرعة على الاقليم وانضم اليه جميع الجند العربي وغيرهم اليه اذ يروي الرقيق انه «صلى بالناس يوم عيد الأضحى وخطبهم . . . (و) قدم عليه من القواد. . . أبو العنبر التميمي، والجنيد ابن سيار الأزدي، وجعفر بن محمد الربعي، وشهاب بن حاجب التميمي، وعبد الصمد العبدي وغيرهم، وأقبل بعد ذلك خالد بن بشير الأزدي» ومن النص السابق يتضح لنا انضمام القبائل العربية، قيسية ويمنية الى والي إقليم طرابلس.[159]

(158) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 84-87.
(159) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 200، 201

وإذا أضفنا الى ذلك أن ابن عذاري يروي عن ابن حَمَادة وصول «هرثمة في جيش كثيف حتى نزل تيهرت»[160] أدركنا أن المحاولة السلمية التي قام بها يقطين بن موسى عمثل الخليفة هارون الرشيد العباسي، كانت تمهيدية لحين وصول قوات الخلافة الى افريقية، ومما يرجح ذلك أن الكندي يروي أن هرثمة دخل مصر على رأس جيش عظيم للسيطرة على أهل الحوف من الجوقية وهم جموع من قيس وقضاعة الذين رفضوا آداء الخراج للدولة، ثم آلت إليه ولايتها لمدة شهرين ونصف حتى شوال 178هـ/795م حيث عين والياً على افريقية فدخلها هو ومنصور بن زياد على رأس الجيش العظيم أو بعضه على الأقل.[161]

وهكذا زحف يحيى بن موسى في جند طرابلس ومن انضم اليه من عرب افريقية وجيش الخلافة في المحرم سنة 179هـ/795م الى قابس حيث تلقى عامة جند القيروان ومعهم النضر بن حفص وعمر بن معاوية.

وأدرك عبد الله بن الجارود أنه سوف يقع بين مطرقة العلاء بن سعيد ابن مروان المهلبي، صاحب ثأر الفضل وسندان يحيى بن موسى وجيش الخلافة فاضطر أن يكتب الى يحيى بن موسى عامل طرابلس يستدعيه لاستلام القيروان خوفاً من انتقام الزعيم المهلبي. ولذلك اقبل العلاء بن سعيد ويحيى ابن موسى متسابقين الى القيروان وحينها أدرك ابن الجارود فوز العلاء ووصوله قبل يحيى أسرع وخرج من القيروان في أول صفر 179هـ/795م بعد أن ترك عبد الملك بن عباس اللطيفي[162] نائباً عنه، وبعد سيطرته على القيروان لمدة سبعة شهور.

(160) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 89.

(161) الكندي: الولاة والقضاة ص 136، ابن خلدون: العبر 3: 285.

(162) المفرج بن عبد الملك في ابن عذاري: البيان المغرب1: 88، وعبد الملك بن عباس في النويري: نهاية الارب22: 246.

ودخل العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي الى القيروان ومعه عصبيته من المهالبة اليمنية، فثأروا لمقتل الفضل بن روح المهلبي من قاتليه «فقتل (العلاء) جماعة من أصحاب ابن الجارود» ولم يمسك عن ذلك إلّا حينما بعث اليه يحيى ابن موسى «أن يفرق جموعه إن كان في الطاعة، فأمر كل من كان معه أن ينصرفوا الى مواضعهم» ورحل العلاء في نحو ثلاثمائة من أصحابه وخاصته من المهالبة اليمنية ـ بعد أن ثأروا لمقتل الفضل ـ الى طرابلس.

وصل ابن الجارود ثم الزعيم المهلبي، فأرسلها هرثمة مع يقطين ابن موسى، ومنصور بن زياد، الى الخليفة هارون الرشيد العباسي. فاستقر العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي في مصر حيث أمر له الرشيد بجائزة سنية ومائة ألف درهم سوى الكساء لما قام به من دور في إخراج ابن الجارود من افريقية.[163] اما ابن الجارود فقد أمر الرشيد باعتقاله بسجن بغداد جزاء خلافه وثورته.[164]

ودخل هرثمة بن أعين مولى قبيلة ضَبة المضرية كوالي لافريقية الى القيروان في مستهل ربيع الثاني سنة 179هـ/795م «فأمن الناس وسكنهم وأحسن إليهم»[165]. وتقرب إليه أهل عصبيته من المضرية بالهدايا والملاطفة فرفع من شأنهم مثل ابراهيم بن الأغلب التميمي المضري الذي كان قائداً بإقليم الزاب، فأكثر الهدية الى هرثمة ولاطفه، فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن أثره فيها.[166] ولم تنتهي فترة ولاية هرثمة لافريقية، إلّا وكان إبراهيم بن الأغلب عاملا له على بلاد الزاب وطبنة.[167]

(163) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 201، 202، ابن الاثير: الكامل6: 138ـ139، النويري: نهاية الأرب22: 245ـ246.

(164) ابن الاثير: الكامل6: 139.

(165) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 203، ابن الأثير: الكامل6: 139، النويري: نهاية الأرب22: 246. ابن عذاري: البيان المغرب1: 89، ابن خلدون: العبر4: 249.

(166) ابن الأثير: الكامل6: 139.

(167) ابن خلدون: العبر4: 249.

يضاف الى ذلك ان هرثمة خلال ولايته لمصر «جعل على شُرطته ابنه حاتم بن هرثمة»[168] ومما لا شك فيه أنه نفذ ذلك بولاية افريقية.

ويبدو أن سياسة تقريب أهل العصبية، كانت سرعان ما تثير فئات الجند الشامي والخراساني ومواليهم من البربر، فاستغل الخوارج الأباضية ذلك واندلعت ثورتهم في المغرب الأوسط بقيادة عبد الوهاب بن رستم وفي طرابلس بقيادة عياض بن وهب الهواري وحليفه كليب بن جميع الكلبي اليمني. فأسرع هرثمة بن اعين للقضاء عليها، فقاد جيش عظيم بنفسه الى تيهرت عاصمة أباضية المغرب الأوسط وفي نفس الوقت أرسل حملة قوية بقيادة يحيى ابن موسى القائد الخراساني لمقاتلة أباضية طرابلس ونجحت الحملتان في القضاء على الثورة.[169]

ورغم ذلك، خشي الوالي الجديد أن يكون مصيره مثل الوالي السابق الذي قتل نتيجة الصراع بين الجند الشامي والخراساني، فألح في الاستعفاء من ولاية افريقية حتى استجاب الرشيد لطلبه إذ يروي الرقيق «وواتر (هرثمة) الكتب الى هارون الرشيد في الاستعفاء من افريقية، لما رأى من الاختلاف بها وسوء طاعة أهلها، فكتب إليه هارون بالقدوم إليه فرجع في أول شهر رمضان 181هـ/ أواخر 797م بعد ولاية استمرت لمدة عامين ونصف.[170]

أرسل هارون الرشيد عوضاً عنه الى افريقية **محمد بن مقاتل بن حكيم العكي وهو من قبيلة عك العربية** ينسبها ابن الكلبي الى عك بن عُدْثان ابن عبد الله بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن

(168) الكندي: الولاة والقضاة ص 136.

(169) ابن الاثير: الكامل6: 139، ابن عذاري: البيان المغرب1: 89. ابن خلدون: العبر4: 249.

(170) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 203. ابن الاثير: الكامل6: 139، النويري: نهاية الارب22: 246. ابن خلدون: العبر4: 249.

يشجب بن يعرب بن قحطان أي من اليمنية.[171] وقال ابن حزم: هو عك بن عدنان ابن أدَد من القبائل العدنانية[172] ونرجح نسبة ابن حزم الى العدنانية إذ كان أبوه والياً على ديار مضر فترة من الزمن ومن غير المعقول أن يكون يمنياً وتسند إليه ولاية المضرية.[173]

وكـان مقـاتل بن حكيم العكي، أبو محمد من قواد الشيعة (أهل البيت)[174] ومن زعـماء عرب خراسان، تحول الى تأييد العباسيين خلال الصراع بين المضرية واليمنية بمدينة مرو عاصمة خراسان في أواخر الدولة الأمـوية وأوقـع الهزيمة بجند الشام باصبهان في رجب 131هـ/749م. واستخلفه أبو جعفر العباسي على حَرّان عاصمة ديار مُضر وهي ملتقى طرق الموصل والشام والروم.[175] في سنة 136هـ/753م. ثم قتله عبد الله ابن علي عم المنصور خلال صراعه مع المنصور على الخلافة.[176]

أما محمد بن مقاتل بن حكيم العكي فقد كان رضيع هارون الرشيد، كما كان مقـرباً الى نديمه وصديقه جعفر بن يحيى البرمكي[177] والّذي ولاه الرشيد على القسم الغربي من الامبراطورية العباسية أي الجزيرة والشام ومصر

(171) البلاذري: انساب الاشراف1: 13. ياقوت الحموي: معجم البلدان4: 143.

(172) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 309. ياقوت الحموي: معجم البلدان4: 143.

(173) ويذكر البلاذري نسبة عك الى الأزد بقوله: «وذلك تصحيف» ويذكر قول الكميت بن زيد الأزدي الذي يستنكر نسب عك الى عصبيته. انظر أنساب الأشراف1: 14

(174) ابن خلدون: العبر3: 286.

(175) انظر ابن حوقل: صورة الأرض ص 204، المقدسي: احسن التقاسيم ص 141، الادريسي: نزهة المشتاق ص 200، ياقوت الحموي: معجم البلدان2: 235، الحميري: الروض المعطار ص 191.

(176) أنظر ابن الأثير: الكامل5: 364، 398، 399، ابن الابار. الحلة السيراء1: 89.

(177) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 204، ابن الابار: الحلة السيراء 1: 88 ـ 89.

وافريقية.[178] ولذلك فقد تم إختياره من الرشيد ونديمه جعفر البرمكي ليتولى إفريقية.

وبهذه الخلفية، الشيعية والعصبية القبلية والقرب من الخليفة الحاكم، ونديمه الفارسي الذائع الصيت، تولى العكي ولاية افريقية، ذات السمات الثورية بين الولايات الاسلامية العباسية في رمضان 181هـ/797م وسرعان ما ظهر أن الوالي الجديد «لم يكن بالمحمود السيرة» فقد أمر بضرب البهلول ابن راشد بالسياط وحبسه مما أدى الى موته.[179]

والبهلول بن راشد الحجري الرعيني ينسب الى حجررعين: احدى بطون ذي رعين من قبائل حمير اليمنية[180] وبلغ من إعتزاز البهلول بنسبه العربي اليمني أنه صنع طعاماً، واحضر له جماعة من أصحابه، فقالوا «يا أبا عمرو، لم صنعت هذا الطعام، وليس عندك شيء يصنع لأجله الطعام؟» فقال: «إني كنت خائفاً من أن أكون من البربر. . . فسألت عن أصلي من يعلمه، فأخبرت أني لست من البربر، فأحدثت لذلك هذا الطعام شكراً للّه عز وجل، إذ لم أكن من البربر».[181]

ويروي كل من القاضي عياض والمالكي والدباغ أسباب محنة الفقيه اليمني مع الوالي المضري بان العكي كان يلاطف ملك الروم، فيبعث إليه بالألطاف ويكافئه الطاغية ملك الروم، فكتب الى العكي أن يبعث اليه بالنحاس والحديد والسلاح، فلما عزم العكي على ذلك، عارض البهلول العكي ووعظه فغضب عليه العكي وأمر بضربه بالسياط وحبسه وتجمع اليه الناس والجماعات ليمنعوه من أيدي الشرطة مما زاد في ثورة العكي على الفقيه

(178) انظر احمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص 84.
(179) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 204 ـ 205.
(180) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص 406 ـ 407.
(181) المالكي: رياض النفوس 1: 209 ـ 210.

فأمر أجناده بالخروج الى الناس وتفريقهم، وصمم على تنفيذ عقابه، فرمى بعض الناس بأنفسهم عليه، فضربوا وضرب البهلول أسواطاً دون العشرين ثم حبس ثم أطلق سراحه ثم توفي متأثرا بجراحه[182]. وهكذا حصل الوالي المضري على كره العامة من أهل افريقية، المقيمين منهم، والذين خرجوا الى مناطق الثغور الشامية والجزرية، لمحاربة الدولة البيزنطية إذ يروي أبو العرب أن افريقية ساهمت باثني عشر ألف فارس للحرب مع أهل الثغور فلما بلغهم أن البهلول ضُرب بافريقية، تخلخل العسكر، ورفعوا شكواهم الى الخليفة[183].

كما قام محمد بن مقاتل بن حكيم العكي بالاقتطاع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم[184]اذ يروي كل من ابن الأثير وابن خلدون أنه «كان على ديار (ولاية) مصر، كل سنة مائة ألف دينار تحمل الى افريقية معونة»[185]. ويبدو أن الوالي استأثر بها لنفسه بدلاً من توزيعها على الجند.

وتولى القائد فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي اليمني، تحريض جند الشام وجند خراسان، حتى تمكن من اقناعهم بالثورة واختيار مخلد بن مرة الأزدي اليمني رئيساً لهم[186]، فأرسل العكي مولاه الخصيب على رأس جيش، فصبح القوم وهم آمنون وعددهم خمسمائة من أهل خراسان والشام وفاجئهم الخصيب وجيشه فهزمهم وقتل بعضهم وهرب البعض الآخر الى تونس[187] أما مخلد

(182) انظر المدارك 3: 98 ـ 99، رياض النفوس 1: 212 ـ 213، المعالم 1: 276.

(183) أبو العرب: الطبقات ص 59 ـ 60، المالكي: رياض النفوس1: 214، عياض: المدارك 3: 99، الدباغ: المعالم1: 277 ـ 278.

(184) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 205، ابن عذاري: البيان المغرب1: 89، النويري: نهاية الأرب 22: 247.

(185) ابن الاثير: الكامل6: 155، ابن خلدون: العبر4: 250.

(186) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 205، ابن الاثير: الكامل6: 154، النويري: نهاية الارب 22: 247، ابن عذاري: البيان المغرب1: 89.

(187) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 90 ـ 91.

15

ابن مرة الأزدي زعيم الثورة فقد هرب واختفى في أحد المساجد فأخذ وذبح[188] ومر الخصيب بمنزل فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي اليمني، المحرض على الثورة، فأحرقه، وأخذ إمرأته وانطلق بها وقال:

لو كنت حُراً يا فلاح صبرت لي
وحميت عِرسَكَ والفتى يَحْمِي
لكن هربت من القِراع وأسلمت
كفاك حُرْمتها على الرغم
ما النجم أبعد منك - لو طالبته
لتناله بيديك - من سَلْمي[189].

لم يصمت فلاح الكلاعي عن هذه الاهانة، ورد الصاع، صاعين لوالي إفريقية، وكما نجح في تحريض جند الشام وخراسان بالقيروان، نجح كذلك في تحريض عرب تونس وعاملها تمام بن تميم الدارمي التميمي[190] المضري الذي بايعه جماعة من قواد أهل الشام وأهل خراسان لما تميز به من صرامة وشجاعة وكرم ونجده لعصبيته المضرية حتى مدحه الفضل بن النهشلي بقوله:

تمام كبش بني عدنان قاطبة
الدرامي الكريم البيت والنسب
الفارس البطل الحامي حقيقته
والناعِشُ الرائِشُ الفراجُ للكرب

(188) ابن الاثير: الكامل 6: 154.

(189) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 91.

(190) وهو جد أبي العرب محمد بن احمد بن تميم بن تمام صاحب «طبقات افريقية».

تأوي اليه نِزارٌ حين يدهمها
ريب الزمان وتخشى سطوة النوبِ
أعطت بنو دارمٍ في المجد رايتها
بنى المجاشع يوم الفخر والحسب[191]

فزحف بهم الى القيروان في منتصف شهر رمضان سنة 183هـ/799م فخرج اليه العكي على رأس قواته حيث التقوا في خارج القيروان بمنية الخيل فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم العكي واضطر الى الانسحاب الى القيروان حيث أمر بغلق أبوابها وترك دار الامارة لكي يتحصن في دار حصينة كان قد أعدها لمثل هذه الظروف. اما تمام فقد عسكر عند باب أبي الربيع عند مصلى روح ابن حاتم، حيث قضى ليلته، فلما أصبح فتح أهل القيروان الكارهين للعكي أبوابها لتمام وأنصاره، فدخلها في آخر شهر رمضان من نفس العام وأمن العكي في دمه وماله، على أن يعود الى المشرق[192].

خرج العكي من القيروان، فسار حتى وصل الى طرابلس، ثم مضى منها الى سرت إحدى مدن برقة[193] ولكن سرعان ما تبعه عماله الذين فصلهم تمام من وظائفهم مثل عباس بن طرحون صاحب شرطته، وأبو العنبر التميمي كاتبه وغيرهم من قواد جند خراسان من أنصاره، واستقروا بطرابلس وكتبوا الى العكي يطلبون منه العودة الى طرابلس ومقاومة الثائرين.[194] بعد أن تأكدوا من معارضة إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، وابن عم تمام ابن تميم الدارمي التميمي، ووالي الزاب القوي. لهذه الثورة واستعداده لمقاومتها.[195]

(191) ابن الابار: الحلة السيراء1: 92.
(192) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 205 ـ 206.
(193) الحميري: الروض المعطار ص 312.
(194) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 206.
(195) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 89، 91.

خرج ابراهيم بن الأغلب بقواته زاحفاً الى القيروان، فكتب اليه تمام محاولا استئلافه، منوهاً بعلمه وفضله وتقدمه في عصبيته من بني تميم المُضرية وعارضاً عليه استقلاله باقليم الزاب، بل وملك افريقية إن أراد إذ قال:

اقـدم ابـراهـيم عِلمًا بفـضـلـه
وحـق له في الأمـر ان يتـقـدمـا

وقـلـت له: فاحـكـم فحـكـمـك جائـزٌ
علينـا فقـد أصـبـحـت فينـا مقـدمـا

ورُد في بلاد الـزاب ماشئـت قادراً
وان شئـت ملك الـغـرب خذه مسـلـما

لم تنطل هذه الحيلة على ابن الأغلب ورفض الاشتراك في الثورة مفضلا حزب الطاعة ثم توعد تمام ابن عمه بقوله:

سأجعل حكمي فيك ضربه صارم إذا ماعـلا منك المفـارق صمـما

واسقط في يد تمام الذي كان يدرك قوة ابن الأغلب وأنصاره ويعلق على ذلك القائد فلاح الكلاعي الذي كان متواجداً عند استلام تمام لرسالة ابن الأغلب «فذهب لونه (تمام) ثم ارتعد حتى سقط الكتاب من يده» رغم ما كان يتمتع به من رابطة جأش وصرامة.[196] وما أن علم بقرب وصول ابن الأغلب وقواته حتى أسرع بالاجلاء عن المدينة الى تونس[197]. بناءا على نصيحة انصاره اذ يروي ابن الآبار أن يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي، الذي كان صاحب بريد المغرب أيام ابن العكي، وانضم الى تمام بعد دخوله القيروان، نصحه بقوله:

(196) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 91، 92.

(197) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 206

أتمام لا تقعد فإني ناصح وخذ مهلة إن كنت لا بد هارباً
وإلّا فعُذ من سُخطه بأمانه فلست بلاقٍ لابن أغلب غالباً[198]

ودخلت طلائع ابن الأغلب القيروان بقيادة عمران بن مجالد (مخالد) ابن يزيد الرّبعي من القبائل العدنانية، وحاول عمران استرضاء أهل القيروان من العرب الذين انضموا وأيدوا ثورة تمام وفتحوا له أبواب القيروان من قبل فنادى بين الناس لتعويض من انتهبت داره في خلال الفتنة، أو أصابه الضرر في دولة تمام بالقيروان.[199] وما أن دخل ابن الأغلب المدينة حتى بدأ بالمسجد فصلى ركعتين وطلع المنبر وخطب الناس «إنه ما وصل إلّا لنصرة العكي محمد بن مقاتل، وانه هو أميرهم المقدم عليهم من أمير المؤمنين»[200] العباسي ببغداد.

كتب ابن الأغلب الى محمد بن مقاتل العكي، يخبره بما فعله ويطلب منه العودة الى القيروان، ويبدو أن محاولة استرضاء عرب القيروان لولاية العكي لم تنجح إذ يروي كل من الرقيق وابن عذاري أنه خلال مرور موكب العكي العائد وأنصاره بسوق اليهود بالقيروان وقد أشرف الناس عليه من دورهم نادته إمرأة من جملة الناس ساخرة: «أشكر ابراهيم (ابن الأغلب)، فإنه الذي رد عليك ملكك بافريقية!»[201] فكبر ذلك عليه[202] خاصة وقد شاع نظم ابن الأغلب الذي يفتخر فيه بما احرزه من نصر اعتماداً على سبعين فارساً من أهل بيته وخاصته بقوله:

(198) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 101.
(199) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 206.
(200) ابن عذاري، البيان المغرب 1: 90
(201) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 206، 207، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 90.
(202) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 90.

ألم ترني رَدَدْتُ طريدَ عَكٍّ        وقد نَزَحَتْ به أيدي الركاب
أخذت الثغر في سبعين مِنّا        وقد أوفى على شرف الذهاب
هزمتُ لهم بعدتهم ألوفاً        كأن رعيلهم قزع السحاب[203]

أما بقية عرب افريقية وأعمالها، فلم يكونوا أقل كرهاً من عرب القيروان لولاية العكي وأخذ زعيم كل بطن وقبيلة عربية في تحريض عصبيته ضد العكي حتى استرخصوا حياتهم في سبيل القضاء عليه فيروي الرقيق: «فكان الرجل لا يزال يقوم في الجماعة، فيقول. قد كنّا استرحنا من ابن العكي، فجاء ابراهيم فغلب على الثغر وردّه، فالموت خير من الحياة في سلطان ابن العكي»[204].

ولذلك ما أن كاتب تمام الناس لانضمام إليه، حتى التفوا حوله فلما رأى كثرة من معه تطلع الى محاربة ابن الأغلب والعكي بالقيروان ولكنه، حاول أن يوقع بينهما أولا، حتى يسهل عليه التخلص منهما الواحد تلو الآخر فكتب الى العكي «أن ابراهيم بن الأغلب لم يبعث اليك فيردك من كرامتك عليه، ولا للطاعة التى يظهرها للخليفة، ولكن كره أن يبلغ اليك اخذه البلاد فترجع اليه، فإن منعك، كان مخالفاً لأمير المؤمنين وان دفعها اليك، كان ما فعله لغيره، فبعث اليك لترجع، ثم يسلمك الى القتل»[205] ولكن فشلت محاولة تمام، إذ عرض العكي الخطاب على ابن الأغلب وأسند اليه محاربته.

زحف تمام بأنصاره من تونس الى القيروان، وأدرك ابن الأغلب كره عرب القيروان للعكي ولذلك عرض عليه أن يقوم باستدعائهم لمقاتلة تمام. وخرج ابن الأغلب وأنصاره، عمران بن مجالد (مخالد) بن يزيد الربعي وعمرو

(203) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 96.
(204) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 207.
(205) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 91.

ابن معـاوية السُلمي القيسي[206] من القيروان على رأس مقدمة الجيش والعكي ورائهم في معظم العسكر. وعسكر ابن الأغلب والعكي بمنية الخيل وتمام وأنصاره بطساس «وعبأ إبراهيم الخيل وزحفوا اليه، فاقتتلوا قتالا شديدا» فانهزم تمام وقتل جماعة من أصحابه واضطر الى الانسحاب الى تونس.

وفي الوقت الذي عاد العكي الى القيروان بعد انتصاره، أمر ابن الأغلب بمتابعة تمام الى تونس والاجهاز عليه وأنصاره فلما بلغ تمام اقباله كتب اليه في الأمان، فأمنه وأقبل به الى القيروان في المحرم 184هـ/800م[207] وهكذا انتهت ثورة الجند العربي بتونس وتقرر مصير رئاسة ولاية افريقية. وكان من الطبيعي أن يقدر الخليفة هارون الرشيد العباسي لابن الأغلب حسن بلائه في اقرار الأمور، والعمل باخلاص على حفظ هيبة الخلافة العباسية في افريقية. ولذلك ما أن ثبت فشل سياسة العكي خصوصاً في فترة الستة شهور التالية للقضاء على ثورة تمام والجند العربي بتونس، حتى عهد الرشيد بولاية افريقية لابن الأغلب بدلا من العكي وذلك في حوالي متنصف شهر جمادي الآخرة سنة 184هـ/800م[208].

وكانت أولى أعمال ابن الأغلب التميمي، التخلص من زعماء الجند بافريقية فأرسل تمام بن تميم الدارمي التميمي، ابن عمه، وعيسى ابن الجلودي، وعباس الصليفي (اللطيفي) وغيرهم من وجوه الجند الذين شأنهم الوثوب على الأمراء والخروج عليهم، الى بغداد، حيث أمر الخليفة هارون الرشيد بحسبهم في المطبق.

لم تهدأ عصبية بني تميم المضرية لما نزل بزعيمها بتونس، فسافر سلمة ابن تميم الى أخيه ببغداد حيث تحايل حتى تمكن من دخول سجن المطبق

(206) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 104، 110

(207) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 209 ـ 210.

(208) ابن الاثير: الكامل6: 155، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 91ـ92.

ورؤية أخيه والاطمئنان عليه، ثم أخذ في التقرب الى أصحاب السلطان حتى سمح له بمقابلة الرشيد فاعلمه بنفسه وقال: «ياأمير المؤمنين كان أبي من وجوه القواد، قواد جدك المنصور أمير المؤمنين» فأمر له الرشيد بصلة وكسوة وأن ينزل في دار الضيافة ووعده بإطلاق سراح أخيه تمام والسماح له بالعودة الى افريقية[209]. وما أن علم ابن الأغلب بذلك حتى كتب الى عمته وهي في نفس الوقت عمة تمام وكانت تعد له طعامه وما يشتهي وترسله الى السجن ان تتخلص منه بسمه، واشتهى تمام الحوت فسمته له، فمات من أكله بعد أن ذهب بصره في المُطبق قبل موته بشهر[210]. وحينما علم الرشيد بموته أطلق سراح صاحبيه: عيسى بن الجلودي وولاه الحرمين وعباس اللطيفي بعض عمله، أما سلمة بن تميم فقد كافأه الرشيد بدفع الخراج فيما صار اليهم من الضياع بإفريقية، كما أصدر تعليماته الى ابن الأغلب بتعلية مرتبة بنى تميم وهم في نفس الوقت عصبيته ويجعلهم في أوفر الصلات، وأن يستعين بهم في الأعمال من الولايات والخطط، وأمر له بجائزة وأعاده الى افريقية. وما أن وصل سلمة بن تميم الى افريقية حتى أنزله ابن الأغلب معه في القصر وأكرمه وولاه ولايات كثيرة[211]. وهكذا آلت أمور افريقية الى بني تميم من المضرية.

أما بقية انحاء بلاد المغرب، ففي المغرب الأوسط، تمكن عبد الرحمن ابن رستم الفارسي من إقامة الدولة الرستمية الأباضية في سنة 161هـ/777م وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة تاهرت التي بنيت في نفس العام واستمرت هذه الدولة حتى سنة 296هـ/909م[212].

(209) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 210.

(210) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 93.

(211) الرقيق: تاريخ افريقية والمغرب ص 210 ـ 211.

(212) Motylinski : chronique d'Ibn Saghir sur les imams rostemides de Tahert, actes du XIV congres des orientalistes, 3 partie 1907.

وفي المغرب الأقصى، في الشمال ببلاد الريف الغربي، ظهرت إمارة نكور، أسسها صالح بن منصور الحميري وهو من عرب اليمن اعتبارا من 91هـ/709م بعد ان أقره الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي عليها، الى 460هـ/1068م الى أن تمكن المرابطون من تدمير مدينة نكور عاصمتهم والاستيلاء على الامارة(213).

وجنوب إمارة النكور، قامت في المغرب الأقصى دولة علوية حسنية سنة 172هـ/788م، وهي دولة الأشراف الأدارسة، ومؤسسها هو أبو العلاء إدريس بن عبد الله الأكمل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي فرّ الى المغرب بعد هزيمة العلويين في موقعة فخ بأحواز مكة سنة 169هـ/786م. وأقام دولته وبنى عاصمته مدينة فاس التي أتمها إبنه إدريس الأصغر من بعده. واستمرت الدولة الادريسية حتى 375هـ/985م. (214)

وفي الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، قامت دولة بنى مدرار أو بني واسول الصفرية في منطقة سجلماسة (تافيلالت) سنة 140هـ/757م ومؤسسها عيسى بن يزيد الأسود، وفي نفس العام شرعوا في اختطاط سجلماسة لتكون حاضرة للدولة. واستمرت هذه الدولة الى أن انتهت على يد جوهر الصقلي قائد الفاطميين في 349هـ/960م. (215)

وفي غرب المغرب الأقصى، في اقليم تامسنا أو ما يسمى اليوم بالشاوية

= ،سليمان الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الأباضية 2: 41 ـ 45، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 169 ـ 197.

(213) انظر البكري: المسالك 90 ـ 91. ابن خلدون: العبر 6: 283 ـ 286، ابن الخطيب: أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 173 ـ 175.

(214) ابن عذاري: البيان المغرب1: 210،211، ابن الخطيب: أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 188، 190، 213، 224، السلاوي: الاستقصا1: 134 ـ 135، 169، 183.

(215) البكري: المسالك ص 151، ابن الخطيب: أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 148، ابن خلدون: العبر6: 172، 174.

وهي الأراضي التى تقع بين وادي أبي الرقراق ووادي أم الربيع نشأت دولة برغواطة في القرن الثاني للهجرة، واتخذت في بعض الأوقات مدينة شالة عاصمة لها، ويروي ابن عذاري أن الدولة استمرت حتى سنة 352هـ/963م[216] بينما يذكر البكري سنة 420هـ/1029م[217] أما ابن الخطيب فيطيل عمر الدولة حتى 452هـ/1060م[218] ومع ذلك فقد ظلت برغواطة تلعب دورا خطيرا في تاريخ المغرب الأقصى حتى منتصف القرن السادس الهجري.

ومن هذه الدولة الست التى انقسمت اليها بلاد المغرب، ثلاثة مشرقية الأصل وعربية الأسر الحاكمة وهم: الأغالبة بالقيروان، والحميريون ببلاد الريف، والأدارسة بفاس. وقد لعبت القبائل العربية في هذه الدول دوراً أساسياً. أما بقية الدول: الرستميون بتيهرت، والمداريون بسجلماسة، والبرغواطيون بشالة فهي دول خارجية بربرية الأسر الحاكمة - ماعدا الرستميون ذوي الأصل الفارسي - وبربرية الشعوب المحكومة.

ورغم أن هذا التفتت، والانقسام أدى الى ضعف بلاد المغرب من الناحية السياسية، خصوصاً وقد صاحبه اختلاف المذاهب السياسية الدينية من سُنة الى شيعة زيدية معتدلة الى خوارج أباضية وصفرية إلّا أنه أدى الى نوع من اللامركزية في ظهور الشخصية الحضارية لكل منطقة والتطور الى الاسلام والتعريب، كما أن بعض هذه الدول وبصفة خاصة المشرقية الأصل، ظلت مرتبطة بالمشرق الاسلامي عن طريق تيار الهجرة المستمر، الذي كان يحمل من المشرق الى المغرب نخباً ممتازة من أقارب الأسر الحاكمة ومن عصبيتها العربية، ومن أعوانها ومعتنقي أفكارها السياسية والمذهبية من العرب.[219]

(216) انظر ابن عذاري: البيان المغرب1: 227.

(217) البكري: المسالك ص 141.

(218) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 186 وما بعدها.

(219) انظر سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي2: 23.

## الفصل الرابع

# الحميريون اليمنيون
# ببلاد الريف

يتسم تاريخ إمارة بني صالح الحميريين ببلاد الريف في المغرب الأقصى بالابهام والغموض برغم امتداده على مدار زمني طويل ينتهي الى عصر المرابطين وبرغم استمرار الامارة الحميرية صامدة في وجه المحاولات التي قام بها جيرانهم للقضاء عليها، ابتداء بالأدارسة وانتهاء بالمرابطين.

وبـرغم طول المـدى الـزمني واتسـاع الحيز المكـاني لامـارة بني صالح الحميريين، لم تحظ باهتمام المؤرخين القدامى، مغاربة ومشارقة، فأحجموا عن التأريخ لها، وظلت المعلومـات القليلة المتنـاثـرة والمضطربة لا تشفي غليل الباحث المعاصر، ولا تسعفه حتى في مجرد تقديم عرض لتتابع أمرائها، ناهيك عن صعوبة وضعها في سياق منظومة تاريخ المغرب في العصر الوسيط.

وقد تكون ندرة المعلومات قاسمًا مشتركاً بين بعض الدول المختلفة التي ظهرت في بلاد المغرب الأقصى مثل المدراريون بسجلماسة وبرغواطة بشالة ومن بينها إمـارة الحميريين بطبيعة الحال، لكن الكشف عن مخطوطات جديدة، أوجد حلا لمشكلة قلة المصادر بالنسبة لبعض هذه الدول. أما عن إمارة نكور فلم نقف حتى الآن على المصادر المفقودة بشأن هذه الامارة.

والمصـدر الأسـاسي في تاريخ إمـارة الحميريين ببلاد الريف ومذهبهم الديني، لم يكتبه مؤرخ مغربي، بل جغرافي أندلسي، وهو أبو عبيد عبد الله ابن عبـد العـزيز البكـري (ت 487هـ/1094م) الذي عاصر الدولة في سنتها الأخيرة وأرخ لها حتى سنة 460هـ[1]. ولقد أمدنا البكري بمعلومات طيبة عن

(1) انظر البكري: المسالك ص 99 ويبدو أن البكري إعتمد فيا أورده من معلومات حتى أواخر القرن الرابع الهجري على «أخبار نكور» و«مسالك إفريقية وممالكها» لأبي عبد الله محمد بن يوسف الوراق

الجغرافية التاريخية لبلاد الريف وعرض بإيجاز لتتابع أمراء الدولة وأهم أعمالهم. وعن البكري أخذ اللاحقون، دون اضافات تذكر.

وتقع بلاد الريف في شمال المغرب الأقصى وهي منطقة جبلية أقل ارتفاعاً من الأطلس، إلاّ ان قربها من البحر المتوسط ووجود الأمهاد المحيطة بها أبرزا هذا الارتفاع. ومن هناك تبدو في وضوح سلسلة جبلية مقوسة طولها 300 كلم، تجويفها متجهة نحو الشمال وتسمى الريف[2].

ويحدد الجغرافيون العرب إمارة الريف، بمسيرة عشرة أيام حسب رواية اليعقوبي[3]، وخمسة أيام حسب رواية كل من البكري وابن خلدون[4] في عمارات وحصون وقرى عامرة بالزرع والناس يحدها من الشرق بربر زواغة وجراوة، ومن الغرب بربر بني حميد من غمارة[5] اما الحسن الوزان (ليون الافريقي) فيذكر أن الريف كانت من مملكة فاس، وتبدأ من تخوم مضيق أعمدة هرقل (طارق)... وتمتد شرقاً حتى نهر النكور، أي تمتد لمسافة مائة وثلاث كيلو متر من الغرب إلى الشرق، وتنتهي شمالا على البحر الأبيض المتوسط وتمتد جنوباً حتى الجبال التي تحاذي واد ورغة وهي مسافة ثمانين كيلومتر في المتوسط من الشمال إلى الجنوب[6]. وموانىء منطقة الريف التى تطل على البحر الأبيض المتوسط هي: مرسى ملوية وهرك وكرط ومرسى الدار واوفتيس

= الملقب بالتاريخي (291 ـ 362هـ/904 ـ 973م). وأصل الوراق من وادي الحجارة بالأندلس، وانتقل آباؤه إلى افريقية ونشأ بالقيروان ودرس بها، ثم عاد الى الأندلس وأقام بها إلى أن توفي بقرطبة، وكان ذا حظوة لدى الحكم المستنصر الأموي (350 ـ 366هـ/961 ـ 976م). وقد إعتمد البكري على كتبه السابقة هذه إعتماداً عظيماً. انظر آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص 309.

(2) أنظر شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية ص 21.

(3) اليعقوبي: البلدان ص 108.

(4) انظر البكري: المسالك ص 90، وابن خلدون: العبر 6: 283.

(5) اليعقوبي: البلدان ص 108؛ البكري: المسالك ص 90، ابن خلدون: العبر6: 283.

(6) انظر الحسن الوزان: وصف إفريقيا ص 326.

من مَراسي تمسامان، ووادي البقر، والمزمة، وبادس، ومرسى بُقوية (بطوية)، وبالش مرسى صنهاجة[7].

وتتميز جبال الريف بالبرودة الشديدة، ومغطاة بالعديد من غابات الصنوبر الصالحة لصناعة السفن بالاضافة الى انتشار زراعة التين والبرتقال والقليل من القمح. ولذلك تميز نشاط السكان على السواحل بصيد الأسماك وتمليحها والاتجار بها مع سكان الجبال في الداخل، واستغلال الغابات الخشبية في بناء القوارب بمرسى بادس واعتماد سكان الجبال في معاشهم على قطع هذه الأشجار وتصدير خشبها بعد نقله الى الساحل الى مختلف البلاد. بالاضافة الى زراعة القمح في سهل المزمة الفسيح. والكروم والزيتون وطائفة أخرى من أشجار الفاكهة على بعض سفوح الجبال ببلاد الريف مثل التين والجوز والسفرجل والليمون. بالاضافة الى وجود نشاط تجاري بين السواحل الايطالية ومرسى بادس إذ يروي الحسن الوزان «ومن عادة سفن البنادقة أن تقصد بادس مرتين في العام مع بضائعها. ويزاول البنادقة التجارة هنا بالمقايضة أو بالبيع النقدي. وبالاضافة الى ذلك ينقلون البضائع وحتى الركاب المسلمين أنفسهم من هذا الميناء الى تونس. وأحياناً الى البندقية أو حتى الاسكندرية وبيروت»، وكذلك بين بلاد الريف والسواحل المقابلة في الأندلس، إذ يصف ابن الخطيب مدينة نكور «وكانت مدينة عظيمة حافلة آهلة تقصدها مرافق البحر من مرسى المرية» والمرية كانت مركزاً تجارياً وسياسياً وثقافياً هاماً فكان بها ما يقرب من الألف فندق مقيدة في ديوان الخراج»[8]، وكذا نشاط تجاري داخلي بين بعض جبال الريف المزدهرة زراعياً ومدينة فاس.

---

(7) البكري: المسالك ص 90

(8) ابن الخطيب: أعمال الأعلام 3: 172، الحميري: الروض المعطار ص 537 ـ 538. شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1: 205 ـ 206، أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص 43 ـ 47، محمد الفاسي: الاعلام الجغرافية الأندلسية، البينة العدد 2 سنة 1962.

وفي هذه البلاد القليل من الحيوانات، باستثناء الماعز والحمير والقردة، التي تعيش على شكـل مجموعات كبيرة في هذه الجبال. وتقوم النساء برعاية قطعان الماعز التي يقمن برعيها ويقمن بالغزل اثناء ذلك كما تقوم النساء في بعض الجبال بزراعة الأرض[9].

هذه هي بلاد الريف التي استقرت بها إحدى الأسر العربية منذ الفتح العربي لبلاد المغرب أسسها **صالح بن منصورالحميري** وهو من عرب اليمن[10] انتقل الى المغرب بصحبة الجيوش العربية برئاسة عقبة بن نافع الفهري وحيث أن عقبة قضى فترة ولايته الأولى (50 ـ 55/670 ـ 674م) في بناء مدينة القـيروان، نرجح وصول صالح بن منصور الحميري الى بلاد الريف خلال ولاية عقبة الثانية (62 ـ 64هـ/681 ـ 684م)، حيث قام بحملته الى بلاد المغرب الأقصى على رأس خمسة آلاف فارس[11] إذ من المقبول إرسال عقبة لاحدى فرقه لاخضاع بلاد الريف المنعزلة.

استقر صالح بمرسى تمسامان[12] ويبدو أنه قد رافقه الكثير من عصبيته من العرب اليمنية، حيث تجمع المصادر التاريخية على تمكنه من نشر الاسلام بين بربر غمارة وصنهاجة المستقرين ببلاد الريف ولم يكن يتسنى له ذلك وهو بمفـرده رغم ورعه وتدينه إذ كان يعرف بالعبد الصالح. خاصة في النصف

---

(9) أنظر حسن الوزان: وصف افريقيا ص 326 ـ 341.

(10) تجمع المصادر على أن الأسرة عربية يمنية وينفرد اليعقوبي برواية تذكر إنتساب الأسرة الى قبيلة نفزة البربرية إذ يروي ان صالح بن سعيد يدعي أنه من حمير (يمني) «وأهل البلد يزعمون أنه من أهل البلد نفزي» انظر اليعقوبي: البلدان ص 108.

(11) ابن عذاري البيان المغرب 1: 29.

(12) أطلق البكري إسم تمسامان على قبيلة ونهر ومرسى صيفية على البحر المتوسط بناحية الريف المتوسط بالقرب من مدينة النكور، ومرسى تمسامان تعرف بمرسى البقر. انظر البكري: المسالك ص 90 ـ 91، 99.

الثاني من القرن الأول الهجري حيث كانت مقاومة البربر لنشر الاسلام شديدة لعدم معرفتهم بتعاليمه.

وقد يتبادر الى الذهن دخول ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب الى المغرب الأقصى ونجاحه في تأسيس الدولة الادريسية دون عصبية عربية تسانده ولكن هناك اختلافات جوهرية بين ظروف كل من نشأة الدولتين. فالثانية (الادريسية) اعتمدت على نسب المؤسس العلوي لذلك استقبله زعماء قبيلة أوربة بالترحاب والتأييد والمبايعة وقالوا: «الحمد لله الذي أتى به وشرفنا بجواره، فهو سيدنا ونحن عبيد نموت بين يديه»[13]. كما ان الدولة الادريسية نشأت في نهاية القرن الثاني الهجري (172هـ / 789م) بعد ان تفهم البربر في المغرب الاقصى الاسلام، تفهمًا كاملا خلال ما يعرف بثورات الخواج الصفرية في بداية القرن الثاني الهجري.

ويروي ابن خلدون انه «لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموه وأمرهم الخلفاء بالبعوث الى جهاد البربر، وكان فيهم من كل القبائل من العرب. وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول. وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه، واقطعه إياها الوليد بن عبد الملك في أعوام احدى وتسعين من الهجرة»[14] ويفهم من النص ان جند اليمن بقيادة صالح تمكنوا من الاستلاء على بلاد النكور واقطعهم الخليفة الوليد الأموي البلاد واذا علمنا ان «اقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه، ونفذت فيه أوامره»[15]ويجوز لمن «يكون من مرتزقة أهل الفيء وفرضية الديوان وهم أهل الجيش وهم أخص الناس بجواز الاقطاع، لان لهم أرزاقاً مقدرة تصرف اليهم مصرف الاستحقاق لانها تعويض عما

(13) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 20.

(14) ابن خلدون العبر: 6: 283.

(15) الماوردي: الأحكام السلطانية ص 190.

16

أرصدوا نفوسهم له من حماية البيضة والذب عن الحريم»[16] أدركنا أن هذا الاقطاع كان عوضاً عن مستحقاتهم من بيت المال بافريقية. ولتنمية البلاد ونشر الاسلام بين أهلها.

عمل صالح بن منصور الحميري على نشر الاسلام بين قبائل الريف البربرية واتبعته قبائل غمارة وصنهاجة وأسلموا على يديه وقاموا بإمرة أي بايعوه. ولكن سرعان ما ثقلت شرائع الاسلام والتكاليف على هذه القبائل فارتدوا وأخرجوا صالحاً من مدينة تمسامان.[17]. ولا تحدد المصادر تاريخ هذه الردة لقبائل الريف ولكن مما لاشك فيه ان احداث المغرب الأقصى وثورة البربر الخارجية الصفرية اعتباراً من 122هـ/740م ونجاح الخوارج في هزيمة العرب في موقعتي الأشراف أواخر نفس العام أو في أوائل 123هـ/741م بالقرب من طنجة. وبقدورة عند واد نهر سبو في سنة 123هـ/741م كان وراء أسباب هذه الثورة، إذ أدرك البربر ضعف العرب في جميع أنحاء بلاد المغرب فثاروا عليهم[18]. وكانت بلاد الريف من ضمن هذه البلاد. فطردوا الأسرة العربية وانصارها وولوا عليهم رجلا من قبيلة نفزة البربرية يسمى داود ويعرف بالرندي[19]، وإذا علمنا أن قبيلة نفزة كانت صفرية المذهب واستقر بعضها بساحل بطوية، والبعض الآخر بنواحي بادس، أدركنا أن الثورة كانت خارجية[20].

ويرجح ذلك ان داود الرندي زعيم الثورة، ينتسب الى مدينة رندة الأندلسية، وهي إحدى مدن اقليم تاكرنا بجنوب الأندلس، حيث استقر بنو

(16) الماوردي: الأحكام السلطانية ص 195.
(17) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 176.
(18) أنظر الفصل الخاص بالقبائل العربية والوُلاة الأمويين في المغرب بالكتاب.
(19) أنظر البكري: المسالك ص 91، ابن خلدون: العبر6: 283، والمزيدي عند ابن عذاري: البيان المغرب 1: 176.
(20) ابن خلدون: العبر6: 150، 152.

الخليع من بربر مديونة البتريين ـ أقرباء بني نفزة ـ الذين لعبوا دوراً كبيراً في الثورات الخارجية طوال القرن الثاني الهجري[21].

ولذلك ما أن تمكنت الخلافة الأموية من القضاء على الثورات الخارجية في الأندلس في 123هـ/741م، وبالمغرب في 125هـ/743م، حتى عاد بربر بلاد الريف الى طاعة الدولة الأموية التى بدت في ذلك الوقت قوية. اذ يروي البكـري «وتـلافـاهم الله بهداه وتـابـوا من شركهم وقتلوا الـرندي واستردوا صالحاً»[22]. يضاف إلى ذلك أنه من المحتمل أن المنطقة وفدت عليها عناصر عربية جديدة، إذ بعد هزيمة العرب في بقدورة بوادي سبو تفرق أربعون ألف من المتطوعة والأتباع والموالي في جميع أنحاء بلاد المغرب حتى قيل أن بعضهم وصل إلى جبل درن المطل على مراكش[23]، وبالتالي فوصول بعضهم الى إمارة الريف المعزولة، لا يمكن استبعاده.

عاد صالـح لحكم إمارة الريف، واستمرت فترة حكمه حتى توفي في 132هـ/749م فأعـد له أتبـاعه قبراً بقرية أقطى على شاطيء البحر حيث دفن[24] بالقرب من عاصمته تمسامان.

ترك صالح من بعده ثلاثة أولاد: المعتصم وإدريس، أمهما صنهاجية، وعبد الصمد[25] ويبدو ان أمه كانت عربية، اذ كان من عادة الجند العربي، أخذ نسائهم معهم خلال حملاتهم العسكرية. ولكن نظراً للأغلبية البربرية ومكانة صنهاجة المميزة ببلاد الريف فقد أجمع البربر على تولية المعتصم الذي

(21) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 465، ابن غالب: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ص 26، الحميري: الروض المعطار ص 129، ابن خلدون: العبر6: 134، 148.

(22) البكري: المسالك ص 91، وقارن ابن عذاري: البيان المغرب1: 176.

(23) مجهول: الاستبصار ص 210، الحميري: الروض المعطار ص 235.

(24) البكري: المسالك ص 92، ابن خلدون: العبر6: 283.

(25) البكري: المسالك ص 92، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 176.

تولى الامـارة لفـترة أيام قليلة ويصفه ابن خلدون بانه «كان شهمًا، شريفـ النفس، كثير العبادة» وكذلك كان يلي الصلاة والخطبة لهم بنفسه[26] وتوفي في نفس عام ولايته في 132هـ/749م.

وتولى الامارة من بعده أخوه **إدريس بن صالح** في 132هـ/749م الى سنة 143هـ/760م[27] وفي عصره سقطت الدولة الأموية بدمشق على أيدي العباسيين، الذين تطلعوا إلى إعادة نفوذ العاصمة بغداد على الولايات المغربية الأنـدلسية، إذ تمكن عبـد الرحمن بن حبيب الفهري زعيم العرب البلديين بإفريقية بالاستقلال بإفريقية اعتباراً من 127هـ/745م وفي البداية لم يعط الفهـريون الـود خالصـاً للعبـاسيين ثم تطورت العـلاقـات ألى القـطيعـة والعداء[28]، كما أن عبد الرحمن بن معاوية الأموي المعروف بالداخل تمكن كذلك من إقامة الدولة الأموية بالأندلس في 138هـ/756م بعد إنهيارها في المشرق[29] لذلك فكر ادريس في اقامة عاصمة جديدة، بدلا من تمسامان تليق بإمـارة الـريف المستقلة ويذكر ابن خلدون انه «اختط مدينة نكور في عدوة الوادي ولم يكملها» اذ وافته منيته في 143هـ[30].

آلت إمـارة النكـور الى **سعيـد بن ادريس** في 143هـ/760م[31]، واستمـرت الى 188هـ/804م وأهم أعمال سعيد بلا جدال هو اتمامه لبناء

(26) ابن خلدون: العبرة6: 283.

(27) أنظر ابن خلدون: العبرة6: 284.

(28) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 123، ابن الأثير: الكامل5: 311 ـ 312، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 60، النويري: نهاية الأرب 22: 219.

(29) أنظر ابن القوطية: افتتاح الأندلس ص 26 ـ 27، مجهول: أخبار مجموعة ص 89، للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 141.

(30) ابن خلدون: العبرة6: 284.

(31) يذكر ابن عذاري في أحداث سنة 215هـ «وفيها ولي سعيد ابن إدريس مدينة نكور» أنظر البيان المغرب 1: 104.

مدينة نكور العاصمة الجديدة لامارة الريف ولقد تم اختيار موقع استراتيجي لها يتميز بالحصانة فهي بين رواب وجبال منها جبل المصلى الذي يقابل المدينة. كما يتميز بتوفر المياه اذ كانت المدينة تقع بين نهرين أحدهما نكور ينبع من بلاد كزنّاية من جبل كوين. والثاني نهر غيس وينبع من بلد بني ورياغيل. ويجتمع نهري نكـور وغيس بموضع يقال له أكدال ثم يتشعب هناك جداول مفترقة تصب في البحر الأبيض المتوسط.[32]. كما بنيت المدينة على بعد خمسة أميال جنوباً من الساحل[33] حتى لا تتعرض للغزوات البحرية المعادية من السواحل الايطالية وجزيرة صقلية.

أما الاسم الذي أطلق على المدينة فيروي الادريسي أنه «بوزكور» وبعد تخريب المـدينـة أصبحت تسمى في كتب التـواريخ «نكور»[34] أما الحميري فيذكرها مرة بإسم «تكرو» ومرة أخرى بإسم «تكوز» ومرة ثالثة بإسم «نكور»[35] بينما نجد البكري وابن عذاري وابن خلدون يذكرون أن إسمها «نكور»[36] ورغم ذلـك فهذا لا يمنع من وجود آثار مدينة قديمة رومانية الأصل، بنى سعيد مدينتـه على بقـاياها إذ يذكر الحميري أنها «قديمة إفتتحها سعيد ابن ادريس بن صالح الحميري»[37]. ويضيـف الادريسي «وكانت المدينة فيما سلف لكنها خربت ولم يبق لها رسم»[38].

(32) البكري: المسالك ص 90، ابن خلدون: العبر6 : 284، الحميري: الروض المعطار ص 576، 577.

(33) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 176.

(34) الادريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية ص 111.

(35) أنظر الحميري: الروض المعطار ص 134 حاشية (1)، ص 576.

(36) البكري: المسالك ص 90، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 176، ابن خلدون: العبر6: 283.

(37) الحميري: الروض المعطار ص 134.

(38) الادريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية ص 111.

ويبدو ان المدينة أخذت في الاتساع والتمدين بسرعة فائقة إذ كان لها أربعة أبواب: في القبلة باب سليمان، وبين القبلة والجوف، باب بني ورياغيل، وفي الغرب باب المصلى، وفي الجوف باب اليهود، أما سور المدينة فقد بني من اللبن. وكان صالح بن منصور أنزل مجموعة من البربر في موضع يحاذي مدينة نكور في الضفة الثانية من النهر وكانوا يقيمون هناك سوقاً. فقام سعيد بعد بناء نكور بنقلهم الى المدينة فساعدوا على تعميرها وتنشيط أحوالها التجارية، حتى تعددت أسواقها العامرة بمختلف السلع، كما كثرت بها الحمامات واشتهرت المدينة بكثرة البساتين والفواكه، لا سيما الكمثري والرمان الذي لا يوجد مثلهما في بلد آخر[39].

أما ثان أعمال سعيد فهو متابعة جهود أسلافه في نشر الدين الاسلامي بين قبائل البربر ومجاهدة النصارى إذ بنى جامعاً كبيراً بمدينته أعمدته من خشب العرعر. كما بنى مسجداً آخر بالقرب من مصب نهر غيس على صفة مسجد الأسكندرية بمحارسه وجميع منافعه مما يدل على وجود العلاقات بين مدينة الأسكندرية (باب الغرب) وإمارة نكور ببلاد الريف. ويذكر البكري أنه عند مصب نهر نكور «في طرف هذا الموضع رباط نكور»[40]. واذا علمنا أن الرباطات انشأت على السواحل الافريقية خوفاً من غارات الروم من جهة والاستعداد الدائم للجهاد ضد نصارى صقلية والسواحل الايطالية من جهة ثانية وقد لعبت الأربطة دوراً هاماً في الحياة الدينية والحربية معاً وكان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلا للنذير باقتراب سفن العدو، وعن طريق هذه الاشارة تستعد المحارس والأربطة المجاورة[41]، أدركنا ان بني صالح ساهموا بالاضافة إلى جهود الأغالبة في إقامة هذه الرباطات حتى سمح ابن خلدون

(39) البكري: المسالك ص 90 ـ 92، الحميري: الروض المعطار ص 576 ـ 577.
(40) البكري: المسالك ص 90 ـ 91، الحميري: الروض المعطار ص 577.
(41) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 449.

لنفسه وهو المؤرخ المدقق الثقة بالقول أنه ببلاد المغرب «نحوا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد» لاشك ان أغلبها كانت بسواحل البحر «حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدو فيتصل ايقادها بالاسكندرية في الليلة الواحدة»[42].

أما ثالث أعمال سعيد فهو تنمية الثروة الرعوية والزراعية ببلاد الريف اذ يروي البكري أنه بعدوة نهر غيس التي يقال لها تاكراكري وهي منيعة حصينة «يتناتج كراع آل صالح»[43] وكان من الطبيعي ان يهتم العرب بكراعهم من الغنم والبقر والخيل والبغال والحمير، وهي لا تستطيع ان تستغني عنها في جميع التصاريف، كما أنهم نجحوا في التدخل الصناعي في توليده وتكثيره والاهتمام بالأنواع الأصيلة منه سواء بالنسبة للغنم أو الخيل، ويذكر الحسن الوزاني عند وصفه لجبال الريف في القرن العاشر الهجري بانتشار قطعان الماعز في جبال بني منصور وبني يوسف وبني زرويل وبني رزين وبني جبارة وبني جنفن ووجود الخيول في جبل بقوية والبغال والثيران في جبل بني جبارة، والماشية الكثيرة بجبل بنى وَمُودْ[44].

وكدليل على تنمية الحالة الزراعية ببلاد الريف في تلك الفترة ما يذكره البكري وجود المكاييل الخاصة بها والتي تتميز بالضخامة كدليل على كثرة الانتاج في ذلك الوقت إذ يقول «وكيل نكور يسمونه الصحفة وهي خمسة وعشرون مدا بمد النبي (ﷺ) ويسمون نصف الصحفة السدس والرطل عندهم في جميع الأشياء اثنتان وعشرون أوقية، وقنطارهم مائة رطل. وذلك لكثرة الحبوب المزروعة بها حتى يضيف البكري بأنه بالرغم من طول نهري

---

(42) ابن خلدون: العبر 6: 256، 259.

(43) البكري: المسالك ص 91.

(44) الحسن الوزان: وصف إفريقيا ص 332، 334، 335، 342، 343.

(نكور وغيس) اذ يبلغان مسيرة يوم وبعض ثاني فعلى ضفتيهما نجد الأرحاء المتعددة تطحن الحبوب[45].

كما سمحت هذه الفترة الطويلة لحكم سعيد بن ادريس في تنمية العلاقات التجارية بين إمارة نكور والأندلس، حتى أننا نجد البكري لا يذكر لنا موانىء بلاد الريف على الساحل الافريقي، ألا ويذكر لنا مثيلها أو قرينها ببلاد الأندلس على الساحل الأوربي، هذا بالاضافة إلى النشاط التجاري الداخلي مع إقليم فاس. ولذلك تحسنت الأحوال المالية بالبلاد وأصبحت «دراهمهم عدد بلا وزن»، والدرهم ينقسم إلى عدة قراريط، وكل قيراط خمسة أثمان درهم[46].

وبعد وفاة سعيد تولى ابنه صالح من بين جميع ابنائه المتعددين في 188هـ/804م واستمرت ولايته حتى 250هـ/864م[47]. وإن كان عهد الأب تميز بالبناء والتنمية، فقد تميز عهد الابن صالح بظهور الأطماع الخارجية في البلاد والثورات الداخلية والصراع بين أمراء بني صالح حول السلطة.

ففي سنة 230هـ/844م ظهرت الأطماع الخارجية إذ أغار النورمان على بلاد الريف[48] ويعرفون في المصادر الاسلامية بإسم المجوس أو الاردمانيين، والتسمية الأولى أطلقت عليهم لأنهم كانوا يشعلون النيران في كل موضع يمرون به، فحسبهم المسلمون مجوساً، أما التسمية الثانية فهي تحريف للفظة النوردمانيين وفقاً لعادة الأندلسيين في قلب النون إلى همزة، مثل أربونة ونربونة[49].

---

(45) البكري: المسالك ص 90 ـ 91.

(46) البكري: المسالك ص 89، 91.

(47) ابن خلدون: العبر6: 284

(48) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص 86.

(49) حسين مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي 229هـ، 245هـ، بالمجلة التاريخية المصرية، مايو 1949، عدد1، مجلد 2. ص 24.

والنورمان جنس آري قديم سكن شبه جزيرة اسكنديناوة وجوتلند وما يجاورها من الجزر منذ أزمان مغرقة في القدم. ومنذ بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي شرع النورمان في النزوح عن أوطانهم بعد أن تزايدت أعدادهم، وتضاءلت مواردهم فخرجوا في موجتين: الأولى شرقية عبرت البلطيق ونزلوا مصب الدنيبر، وتوغلوا في روسيا منحدرين مع نهر الفولجا حيث أسسوا دولة روسيا. أما الثانية فجنوبية غربية الى سواحل انجلترا وسواحل الفرنجة (فرنسا) واعتبارا من 229هـ/844م بدأت غارتهم الأولى على السواحل الأندلسية الأطلسية (الأشبونة) والمغربية الأطلسية (أصيلا) ثم عبروا المضيق وأغاروا على مدينة إشبيلية[50]. وحينما تمكن الأمويون من طردهم من الأندلس يروي ابن القوطية أنهم «توجهوا الى ناكور وأسروا بها جد ابن صالح، وفداه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206 ـ 238هـ/822 ـ 852م) وهي يد بني أمية عند بني صالح»[51]. مما يوضح لنا طبيعة العلاقات الوثيقة بين الدولة الأموية بالأندلس وإمارة النكور ببلاد الريف.

أما الغارة الثانية فلم يكد يمضي على غزوة النورمان الأولى الى بلاد النكور، خمسة عشر سنة، حتى تعرضت بلاد الريف لغزوة نورمانية جديدة اعنف من الأولى، اذ بعد وفاة ملكهم هوريك في 239هـ/854م ـ انتهت فترة الموادعة التي اتبعها النورمان مع الدولة الأموية بالأندلس وجيرانها ـ وعادوا الى حياة الغزو البحري وأعمال القرصنة إلتماسا للمغانم[52]، ويروي البكري أنهم في 244هـ/858م[53] «غزى المجوس ....... مدينة نكور .... فتغلبوا

(50) النويري: نهاية الأرب 22: 100 ـ 101 Levi-Provencal: Histoire T.I.p. 219، حسين مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس ص 26، عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ص 154.

(51) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس ص 86.

(52) النويري: نهاية الأرب 22: 106 ـ 107.

(53) بينما تتفق المصادر أن غزوة النورمان كانت في 244هـ (البكري: المسالك ص 92، ابن عذاري:

عليها وانتهبوها وسبوا من فيها إلاّ من خلصه الفرار وكان فيمن سبوا أمة الرحمن، وخنعولة ابنتا واقف بن المعتصم بن صالح (الحميري) .... وأقامت المجوس بمدينة نكور ثمانية أيام(54)».

ونجح صالح بمعاونة البُرَانِس بجبال الريف من طرد النورمان عن نكور وفي نفس الوقت تحولت غزوتهم إلى بلاد الأندلس اذ تروي المصادر أنه في سنة 245هـ/859م «مرت سائر مراكب المجوس في الريف حتى انتهت الى مصب نهر إشبيلية»(55) وعلى الساحل الأندلسي افتدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي (238 ـ 273هـ/852 ـ 886م) أسرى بني صالح الحميريين وأعادهم الى بلادهم مكرمين(56).

ولكن سرعان ما بدأت الثورات الداخلية إذ إنقلبت قبائل البرانس البربرية على بني صالح وتحالفوا مع قبائل غمارة. ويقول بعض العامة انهم عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة وهم شعوب وقبائل أكثر من أن تحصر والبطون المشهورة منهم بنو حميد وبنو وزروال ومجكسة وهم من المصامدة(57). ولكن ما هي الأسباب التي أدت الى ثورة قبائل البرانس في هذه المرحلة، بعد فترة طويلة من الهدوء والسلام، ورغم صمت المصادر التي بين أيدينا، إلاّ اننا نعرف مدى إرتباط إمارة نكور بالدولة الأموية في الأندلس. ففي أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري ونتيجة لثورة أهل ربض قرطبة في عهد الحكم بن هشام (180 ـ 206هـ/796 ـ 822م) والتنكيل بانصارها،

---

= البيان المغرب1: 176) يروي ابن خلدون أن الغزوة كانت في 144هـ وهذا غير صحيح انظر العبر6: 284.

(54) البكري: المسالك ص 92.

(55) ابن عذارى: البيان المغرب 2: 96 وقارن النويري: نهاية الأرب 22: 106 ـ 107.

(56) البكري: المسالك ص 92.

(57) ابن خلدون: العبر6: 280، 281، 284.

غادر عشرون ألفا من سكان الربض الى خارج الأندلس ولجأ بعضهم الى سواحل بلاد البربر حيث استقروا بين قبائل البربر في جبال الريف(58)، وبالتالي يحتمل لجوء بعضهم سواء من العرب أو غيرهم الى الأسرة الحميرية، التي وجدوا عندها الترحيب لما تمتع به بعضهم من خبرة إدارية ووظيفيه عالية. والبعض الآخر من مهارات فنية وزراعية كبيرة. فأدى وجودهم الى إهمال الأمير الحميري للتوازن بين أنصاره من قبائل البربر مما دفع البرانس الى الثورة.

ولفهم المحاولة التي قامت بها غمارة للقضاء على إمارة بني صالح بنكور، ينبغي علينا أن نستحضر في الذهن خشونة هؤلاء الجبليين الجهلاء في ذلك العصر. يقول ابن خلدون. «كان غمارة هؤلاء غريقين في الجهالة والبعد عن الشرائع. والانتباذ عن مواطن الخير»(59). وسذاجتهم في الاعتقاد يضرب بها المثل، والروايات الواردة في هذا الشأن بالمصادر الاسلامية تلقي الضوء على هذه الفكرة فيروي البكري: «كان في بعض جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة يعرف بإبن كُسية وكان أهل موضعه يسمعُون منه ولا يعصونه طرفة عين. وإذا عصاه أحد أو خالفه حوّل كساه التي يلتحف بها فتصيب ذلك الرجل عاهة لحينه أو جائحة. وان كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك. وكان يخيل إليهم كأن برقة تلوح من تحت كسائه. ولبنية وعقبة .... في تلك الناحية منزلة ومزية وحظوة على سواهم»(60).

وفي بطن آخر من بطون غمارة، يذكر لنا حالة ساحر «كان معه عدل مملوء برءوس الحيوان وأنيابها، من بريها وبحريها، قد نظمها في حبل، واتخذها

(58) انظر البكري: المسالك ص 155، ابن عذاري: البيان المغرب 2:77، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 47، النويري: نهاية الأرب 22: 90، 91، السلاوي: الاستقصا 1: 151، أنظر المؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 224.

(59) ابن خلدون: العبر 6: 288

(60) البكري: المسالك ص 101

كالسبحة. فإذا سأله أحد عن شيء من الحدثان وما هو كائن، علق منه ذلك السبحة وقلده إياها، ثم قلقلها عليه، وانتزعها، وجعل يشمها قطعة، قطعة، الى أن يمسك في يده ما أمسك منها، ثم طفق يخبره خبره وما الذي سأل عنه وعما يدور له من مرض أو موت، أو ربح أو خسران، أو إقبال أو إدبار، أو غيره، أو غير ذلك، فلا يكاد يخطىء»[61].

ومن أعاجيب بلد غمارة أن عندهم قوماً يعرفون «الرقادة» وهم في وادي لو، عند بني سعيد، وعند بني قطيطن، وعند بني يروتن. يغشى على الرجل منهم يومين وثلاثة فلا يتحرك ولا يستيقظ ولو بلغ به أقصى مبلغ من الأذى، ولو قطع قطعاً. فإذا كان بعد ثلاثة من غشيته استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كالواله لا يتجه لشيء. فإذا أصبح في اليوم الثاني أتى بعجائب مما يكون في ذلك العام من خصب أو جدب أو حرب أو غير ذلك وهذا أمر مستفيض لا يخفي»[62].

ويضيف البكري أنه كان بمرسى بادس رجلا قصير القامة، مصفر اللون، يكرمه أهل ذلك الموضع ويقدمونه، ويذكرون أنه ينبط المياه في المواضع التي لم يعهد فيها ماء، عيوناً وآباراً، وانه يخبر بقرب الماء وبعده، وانه انما يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع لا غير»[63].

ومنذ بداية الفتح العربي في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، مرّ بمنطقة غمارة، عقبة بن نافع الفهري، ثم في نهاية القرن الأول الهجري / وبداية الثامن الميلادي، مرَّ بالمنطقة موسى بن نصير اللخمي وطارق ابن زياد، فبثوا الدعوة الاسلامية بين هؤلاء البربر. لكن الذي قام فعلا بنشر

(61) البكري: المسالك ص 101
(62) البكري: المسالك ص 101 ـ 102
(63) البكري: المسالك ص 102

الاسلام بينهم كان بنو صالح الحميريين السنيين. وإذا كانت غمارة لم تعرف عن الاسلام السني إلاّ القليل، فانهم اعتنقوا مذاهب الخوارج بحماسة أكبر. واشتركوا في ثورة البربر سنة 122هـ/740م، مع ميسرة وطردوا العرب من سبتة بعد أن خربوها. واستقر أحد زعماء هؤلاء البربر وهو ماجكس، في هذه المدينة وأعاد عمارتها، وحكم فيها أميرا مسلمًا هو وأولاده وقد ترددوا بين الولاء للأدارسة بفاس ثم للأمويين بالأندلس فيما بعد[64] وقرب نهاية هذه الأسرة البربرية في منتصف القرن الثالث الهجري تحالفت غمارة والبرانس للقضاء على إمارة بني صالح بالنكور ويروي البكري ان رئاسة هذا التحالف كانت لرجل يسمى «سكن»[65] اما ابن خلدون فيسميه «مسكن»[66]، فهل هناك علاقة بين هذا الاسم و «ماجكس» أو «ماكس» أو «ماجكِن»[67] وهي الأسماء التي أطلقت على زعيم غمارة الذي استرلى على سبتة وعمرها ولاشك أنه تطلع لفرض نفوذه على بقية بلاد الريف. وكيفما كان الحال فقد هاجم المتحالفون من البربر بني صالح اليمنيين في عقر دارهم بنكور ولكنهم هزموا وقتل رئيسهم وقضى على هذا التحالف الذي هدد الامارة العربية ببلاد الريف واضطروا للعودة الى الطاعة[68].

وما أن تخلصت إمارة نكور من الخطر الخارجي المتمثل في الغزو النورماني من جهة وتحالف البرانس وغمارة من جهة ثانية، حتى حاق بها خطر داخلي لا يقل عن الخطرين السابقين وهو الصراع في البيت الحميري حول السلطة، فقد

(64) البكري: المسالك ص 104، ابن خلدون: العبر6: 282 ـ 283، الفردبل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص 181 ـ 182.

(65) البكري: المسالك ص 92.

(66) ابن خلدون: العبر6: 284

(67) البكري: المسالك ص 104، ابن خلدون: العبر6: 282، محمد بن تاويت: تاريخ سبتة ص 22.

(68) البكري: المسالك ص 92.

ثار ادريس أخو صالح وتمكن من تحريض بربر بني ورياغيل وكزناية ضد أخيه وتحصن مع أنصاره بجبل كزناية (جزناية) المعروف بجبل كوين. وحينما قام صالح وجنده بمهاجمة الثائرين المتحصنين بالجبل هُزم واضطر الى الفرار، وانتهب إدريس معسكره ومتاعه وسلاحه، مما شجعه للزحف الى العاصمة نكور والاستيلاء عليها، ولكن نائب اخيه عليها رفض تسليم المدينة وأغلق أبوابها وقرر المقاومة، إلاّ اذا ثبت مقتل الأمير صالح، فعسكر إدريس وأنصاره من البربر بجبل المصلى المطل على المدينة، حيث قضوا ليلتهم وفي نفس الوقت تسلل صالح وبعض أصحابه ليلا إلى المدينة، وفي الصباح كان في استقبال أخيه ادريس الذي سُمح له بالدخول ـ وهو لايعلم بوجود صالح بها ـ ثم قبض عليه وجرد من سلاحه وأتوا به الى أخيه صالحاً فأمر بحبسه وحينما أشار عليه قاسم الوسناني وهو أحد أنصاره المقربين وعامله على صاع والكدية بقتله وألح عليه في ذلك، حتى يقضي على الفتنة، استجاب صالح وأمر بقتل أخيه، فامتنع الموالي من تنفيد أمر صالح، ولكن أحد فتيانه من الصقالبة يسمى عسلون قام بقتل إدريس[69].

ونتيجة لهذه الاضطرابات ثارت قبيلة مكناسة ويروى ابن خلدون وكانت مواطن مكناسة على وادي ملوية من لدن أعلى سجلماسة الى مصبه في البحر المتوسط[70] ولذلك يمكن القول أن مكناسة بلاد الريف كانت تقع على حدوده الشرقية ويذكر البكري «وامتنعت مكناسة عن صالح وحبسوا مغارمهم»[71]ويضيف ابن خلدون «وكان من رجالتهم لعهد دولة الشيعة مصالة بن حبوس بن منازل اتصل بعبيد الله الشيعي، وكان من أعظم قواده وأوليائه»[72]. مما يرجح وجود علاقة بين الدعاة الشيعة وهذه القبيلة، واندلاع

(69) البكري: المسالك ص 92 ـ 93

(70) ابن خلدون: العبرة: 170

(71) البكري: المسالك ص 93.

(72) ابن خلدون: العبرة: 171.

ثورتها نتيجة لميولها أو ميول بعض زعمائها الى المباديء الشيعية، مستغلين الفوضى والاضطرابات التى نجمت عن التهديد الخارجي والداخلي لامارة نكور العربية ولكن صالح الذي كان خبيراً بمعاملة القبائل البربرية، اكتفى بان أرسل اليهم رسالة يتوعدهم فيها ان لم يرسلوا ما عليهم من مغارم وختم الرسالة وأرسلها مع ثقة من ثقاته أمره أن يترك الرسالة وحماره اذا توسط بلاد مكناسة. أصابت مكناسة حمار صالح وكان معروفاً بينهم وأخذوا الرسالة، واجتمع زعماء مكناسة وبينها قرر البعض عقر الحمار وعدم الاستجابة لتهديد صالح والتمادي في الثورة، مال البعض الآخر الى دفع المغارم ومصالحه صالح والعودة الى الطاعة، وانتصر أصحاب الرأي الثاني. فجمعوا ما كان عليهم لصالح من المغارم وحملوا حماره بملحفة «وأتوا صالحاً بالحمار مجللا ومغارمهم موفاة واستعتبوه فعاتبهم»[73].

ورغم هذه المشاكل المتعددة فقد اهتم الحميريون بالمساهمة في الحركة العلمية التي بدأت في الأندلس إذ يروي ابن عبد الملك المراكشي أن موسى ابن ياسين مولى صالح بن إدريس الحميري صاحب نكور . . . «دخل الأندلس، وعنى بالحساب والفرائض، وصنف بها كتباً نافعة معروفة به»[74].

توفي صالح في 250هـ/864م وتولى بعده **سعيد بن صالح** أصغر أبنائه وامتدت إمارته حتى غره ذي الحجة سنة 304هـ/917م حيث قتل خلال مقاومته للغزو الفاطمي لبلاد الريف.

وفي خلال فترة حكمه الطويلة التي تزيد على نصف قرن تطورت إمارة نكور وازدهرت وتمتعت بعلاقات وطيدة بالدولة الأموية في الأندلس والدولة الادريسية في فاس. ونتيجة لهذه العلاقات شاع استخدام الصقالبة بإمارة

---

(73) البكري: المسالك ص 93، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 177.

(74) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة السفر الثامن، القسم الثاني ص 386.

النكور، حتى خصص بنو صالح لجندهم من الصقالبة قرية بجوار العاصمة. تعرف «قرية الصقالبة»[75] لمنع إختلاطهم بالعامة من أهل العاصمة. كما فعل المعتصم الخليفة العباسي عندما بنى مدينة سامرا لجنده من الأتراك.

والصقالبة من أشهر أنواع الرقيق الأبيض في المجتمع الاسلامي، وهم سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التي امتدت أراضيها من بحر قزوين الى البحر الادرياتي وكلمة esclave (صقلب) فرنسية قديمة، ومعناها عبد أو رقيق وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرمان والسكنداويين دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها الى عرب إسبانيا، ولذا أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة أو الفتيان والخلفاء أو المجابيب أو العلوج أو الخرس أو المماليك. ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية، وأستخدموهم في قصور الخليفة ولقد سيطر اليهود على تجارة الرقيق الأوربي وكانت احدى طرقهم عبر جنوب اسبانيا الى مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، ومنها الى مصر براً[76]ومن خلال تقليد البلاط الأموي ومرور تجارة الرقيق ببلاد الريف استخدم بنو صالح الصقالبة كجند في جيوشهم وكعبيد في قصورهم.

ويلقى البكري الضوء على فئة الصقالبة بإمارة نكور ومدى اتساعها أو انكماشها إذ يروى انه بعد توطيد سعيد لامارته دخل عليه عبيدهم الصقالبة فسألوه العتق. فقال لهم: «أنتم جندنا وعبيدنا، وانتم كالأحرار لا تدخلون في

---

(75) البكري: المسالك ص 93.

(76) DOZY : Histoire des Musulmans d'Espagne II. p. 154 Levi Provencal : l'Espagne musulmane au Xème siècle. p. 54. Guillaume : Legacy of Islam p. 101 ، أحمد مختار العبادي: الصقالبة في إسبانيا ص 7 ـ 10

المواريث، ولا نجري عليكم المقاسم، فما طلبكم للعتق ؟». فألحوا عليه في ذلك، فأبى، فناله جفاء وغلظة[77].

لم يكتف الصقالبة، بالجفوة فقط، اذ حينما لم يلب سعيد مطالبهم، أخذوا في التآمر مع أخاه عبيد الله[78] وعمه أبي علي الرضى، ونصبوا عبيد الله أمير للبلاد وزحفوا الى قصر الامارة لخلع سعيد بالقوة. ولكن سعيد لم يستسلم لهم بل عمل على مقاومتهم بما بقى في طاعته من الفتيان الصقالبة وانضم نساء بنى صالح في الدفاع عن قصر الامارة، وسرعان ما انضمت العامة من أهل العاصمة الى سعيد وتمكنوا من هزيمة الصقالبة وطردهم من المدينة فلجأوا الى قريتهم المعروفة بقرية الصقالبة وتحصنوا بها لمدة سبعة أيام، وتحول سعيد من الدفاع الى الهجوم، فخرج من العاصمة بعد ان حشد جنده وتمكن من محاصرتهم والانتصار بعد حرب شديدة وبينما أمر الأمير المنتصر بقتل من شارك من بني صالح الحميريين منْ بني عمه مثل الأغلب وأبو الأغلب، نجده يأمر بحبس عمه أبي علي الرضى لأنه (الأمير) كان متزوجاً بابنته طالت، كما يأمر باعتقال أخيه عبيد الله ويوكل به من يوصله الى مكة حيث أقام بها حتى مات[79].

أثارت قرارات الأمير المنتصر أقارب الأغلب وأبي الأغلب وجاهر كبيرهم سعادة الله بن هارون بإستنكاره لمقتل ابن عمه بقوله: «قتل سعيد ابن عمي وأبقي عمه وأخاه، وذنبهما واحد» وأخذ في تحريض قبيلة بني يصليتن[80] البربرية أصحاب جبل أبي الحسن على الثورة ضد الأمير الحميري، متفقاً معهم

(77) البكري: المسالك ص 93.

(78) عبد الله عند ابن خلدون: العبر 6: 284.

(79) البكري: المسالك ص 93 ـ 94، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 177 ـ 178.

(80) يصلاتن عند ابن عذاري: البيان المغرب 1: 178.

على الانضمام اليهم وأنصاره والانشقاق عن الأمير عند المواجهة الحربية. وبالفعل ثار بنو يصلتين بالجبل وحينما خرج اليهم الأمير سعيد للقضاء على ثورتهم واندلعت المعارك، تحيز سعادة الله بن هارون وأتباعه الى بني يصلتين فانهزم الأمير وأخذت بنو يصليتن بنوده وطبوله وقتلوا من مواليه نحو ألف رجل واضطر الأمير الى الانسحاب الى العاصمة نكور وأتبعه الثائرين لاقتحام المدينة ولكنه نجح في إيقافهم ثم هزيمتهم وأسر ميمون بن هارون أخا سعادة الله صاحب المؤامرة فقتله كما قام الأمير بحرق دور سعادة الله الذي نجح في الهروب الى مرسى تمسامان، ولكن سرعان ما صالحه سعيد وأمنه اذ كان شجاعاً يعتمد عليه فعاد الى العاصمة نكور وأرسله سعيد على رأس فرقة من جنده إلى بلاد بطوية وبني ورندىٰ حيث إستعان بهم لاعادة طاعة بني صالح في قبائل مرنيسة وزناتة فنجح في مهمته وعاد مظفراً إلى نكور حيث أقام بجوار الأمير سعيد(81).

برغم المشاكل الداخلية لامارة نكور، إلاّ أن العلاقات الوطيدة التي تربطها بالدولة الأموية بالأندلس سواء من الناحية المذهبية، إذ كانت كل منها تتبع المذهب المالكي أو العداء المشترك للقوى التي تظهر بالمغرب الأقصى خارجية كانت أو شيعية. هذه العلاقات أملت على إمارة نكور المساهمة في القضاء على الأخطار التي تواجه أمراء بنى أمية بالأندلس مثل ثورات المولدين، وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمهات إسبانيات ونشأوا على الاسلام وكانوا على عهد أمراء بني أمية يكونون الكثرة الغالبة من السكان(82) ولقد ظلوا هادئين منذ الفتح حتى أيام الحكم بن هشام في أواخر القرن الثاني الهجري، أي بقوا هادئين زهاء قرن من الزمان ومنذ ذلك التاريخ وحتى نهاية عصر الامارة في

(81) البكري: المسالك ص 94. ابن عذاري: البيان المغرب1: 178، وقارن ابن خلدون: العبر6: 284.

(82) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص 321.

أوائل القرن الرابع الهجري، ظلت حركاتهم مستمرة في الثغور[83] وحدها حيناً وفي جميع أنحاء الأندلس حيناً آخر.

وأخطر هذه الثورات ثورة عمر بن حفصون المولدي، فقد ظهر بين زعماء العصابات عام 267هـ/880 ـ 881م عمر بن حفصون الذي قدر له أن ينقلب من زعيم عصابة الى زعيم ثورة هائلة، تعتبر من أهم الثورات التي حدثت في تاريخ الأندلس سواء في طول أمدها، اذ بقيت مستمرة نصف قرن تقريباً أو في إتساع رقعتها أو فيما نتج عنها من اشعال نار الثورات أو الحرب الأهلية من أدنى الأندلس الى أقصاها وتهديد الأمير الأموي في عاصمته قرطبة بالذات[84].

ولذلك أسرع بنو صالح بمد يد العون للأمويين بالأندلس، كما سبق للأمويين أن ساعدوا بني صالح خلال الغزو النورماني لنكور من قبل ويروي البكري أن عبد الرحمن بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري وهو عم الأمير سعيد «وكان عبد الرحمن فقيهاً بمذهب مالك وحج أربعاً، وعبر الى الأندلس للجهاد فقطع عليه ابن حفصون الطريق فقتل من كان معه

(83) نقصد بالثغور تلك المدن القريبة من خط الحدود مع مسيحي الشمال والتي اتخذها المسلمون كمعاقل للاعتصام بها عند الخطر ولتنظيم وسائل الغزو عندما يتقرر القيام به وهي ثلاثة: الثغر الأعلى أو الأقصى في مدينة سرقسطة والثغر الأوسط بمدينة طليطلة الواقعة على نهر التاجو والثغر الأدنى بمدينة ماردة ثم إنتقل الى بطليوس الواقعة عند منعطف وادي آنة. انظر العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ص 21 ـ 23، الادريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس عن نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص 181 ـ 182، 187، 190، الحميري: الروض المعطار ص 96 ـ 98، 128، 129، للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 185 ـ 186.

(84) ابن الاثير: الكامل 7: 361، ابن عذاري: البيان المغرب 2: 155، ابن الخطيب: أعمال الاعلام (القسم الأندلسي) ص 31 ـ 34، للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 229 ـ 230.

وتخلص عبد الرحمن على فرسه، وحضر غزاة أبي العباس القائد واستشهد فيها» ولذلك يعرف «بالشهيد»[85].

وهذا النص في غاية الأهمية ويوضح لنا طبيعة العلاقات بين الأمويين وبني صالح الذين أرسلوا حملة بقيادة عم الأمير وحينما تمكن ابن حفصون من القضاء على هذه الحملة، ينضم عبد الرحمن الشهيد الى قوات الأمويين ويحارب في صفوفهم تحت قيادة أبي العباس أحمد بن أبي عبده القائد وهو من أكبر قواد الأمير عبد الله الأموي (275 ـ 300هـ/888 ـ 912م) وصاحب الفضل الأول في إنقاذ الامارة الأموية من الضياع. ففي 277هـ/890م اخرج الأمير عبد الله الأموي، قائده أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده على رأس فرقة من الفرسان معظمهم من العرب وانضم اليهم عبد الرحمن بن سعيد الحميري الى كورة جيان للقضاء على حلفاء ابن حفصون. وانتصر أبو العباس بعد أن قتل بعض فرسانه منهم عبد الرحمن الذي عرف بعد ذلك بالشهيد[86]. ويبدو أنه نتيجة لهذه العلاقة الخاصة يروي ابن الآبار المؤرخ الثقة أن بني صالح حكموا نكور وما اليها من أعمال المغرب كعمال لبني مروان الأمويين[87].

أما بالنسبة لعلاقات بني صالح الحميريين بالدولة الادريسية في فاس فبعد قيام محمد بن إدريس بتقسيم نواحي دولته، بناء على نصيحة جدته كنزة الى ثمانية أقسام، آلت إمارة صنهاجة وغمارة الى عمر بن إدريس منذ

(85) يذكر البكري أن حملة عبد الرحمن الشهيد الى الأندلس كانت في عهد أخيه صالح بن سعيد الذي توفي 250هـ. ولكن ثورة ابن حفصون وحملة إبن العباس الى كورة جيان كانت في 277هـ مما يرجح أن حملته كانت في عهد ابن أخيه سعيد بن صالح بن سعيد. أنظر المسالك ص 92، ابن خلدون: العبر6: 284 ـ 185.

(86) ابن حيان: المقتبس (ملشور) 3: 24، 92. البكري: المسالك ص 92. للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 286.

(87) ابن الآبار: الحلة السيراء 1: 193.

213هـ/828م وبالتالي لاشك أن حدث بينهما نوع من الاحتكاك نتيجة لاشتراك الحدود بين الامارتين خصوصاً بعد أن تمكن عمر بن إدريس من ضم بلاد أخويه القاسم وعيسى الى أملاكه وأصبحت مملكته تمتد من طنجة شمالا الى سلا وبلاد تامسنا وأزمور جنوباً، حتى مصب وادي أم الربيع، كما امتدت شرقاً من سبتة الى منطقة قبائل غمارة، وذلك الى أن توفي في 220هـ/835م في بلاد صنهاجة في موضع يعرف بفج الفارس، شمال مدينة فاس في أرض غمارة. مما يدل على توتر العلاقات بينهما في تلك المرحلة[88]. وللأسف لا تمدنا المصادر التي بين أيدينا بالمعلومات الكافية فيما عدا ما أورده البكري أنه في خلال إمارة سعيد بن صالح بن سعيد (250 ـ 304هـ) «تزوج أحمد ابن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخت سعيد، أم السعد، بنت صالح، وابتنى بها وسكن معها مدينة نكور الى أن مات»[89] مما يدل على انتقال الأمير الادريسي الى إمارة بني صالح لاجئاً نتيجة لخلافات في البيت الادريسي، اذ كان من أبناء سليمان بن عبد الله بن الحسين، أخو إدريس بن عبد الله بن الحسين.[90] ويضيف صاحب الاستبصار أن أمراء نكور «تصاهروا مع الحسنيين من بني إدريس ملوك المغرب»[91].

وفي أواخر فترة حكم سعيد، ظهرت الدولة الفاطمية بإفريقية في 297هـ/909م على انقاض الدولة الأغلبية بعد هروب زيادة الله الثالث نحو الشرق تاركاً عاصمته وقصوره مفتوحة للدعاة الفاطميين. وتمكن الفاطميون

---

(88) ابن أبي زرع: الروض القرطاس ص 52، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 211 ـ 212، ابن خلدون: العبر 4: 19 ـ 20.

(89) البكري: المسالك ص 94، ابن خلدون: العبر6: 284، 285.

(90) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 42 ـ 43.

(91) مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص 136.

من إسقاط الدول الخارجية ببلاد المغرب: الرستميون بتاهرت والمدراريون بسجلماسة[92]. وتطلع عبيد الله المهدي أول خُلفاء الدولة الفاطمية ببلاد المغرب (297 ـ 322هـ/909 ـ 934م) الى فرض نفوذه على جميع أنحاء المغرب، فكتب الى أهل المغرب يدعوهم الى الدخول في طاعته والخضوع لامامته وكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح .كوالي لامارة نكور لبني أمية بالأندلس وذيل كتابه أبياتاً منها :

فإن تستقيموا أستقمْ لصلاحكمْ    وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلاً
وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكمْ    وأدخلها عفواً وأملؤها عدلاً

وكان الأخمش وهو من شعراء الأندلس من أهل طليطلة بإمارة نكور، إذ كان شاعر بني صالح الحميريين في ذلك الوقت فأمره يوسف بن صالح بالرد على رسالة الفاطميين فكتب قصيدة طويلة منها:

كذبت، وبيت الله، لاتُحسنُ العدلا
ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
وما أنت إلاّ جاهل ومنافقٌ
تَمثلُ للجهالِ في السُّنة المثلى
وهمتُنا العليا لدين محمدٍ
وقد جعل الرحمنُ همتك السفلى

أثارت رسالة بني صالح الخليفة الفاطمي فكتب الى قائده مصالة ابن حبوس واليه على تاهرت بالزحف الى بلاد الريف لاخضاع بني صالح الحميريين وخرجت الحملة الفاطمية في ذي الحجة سنة 304هـ/917م من تاهرت ووصلت الى إمارة نكور وعسكرت بنسافت وهي تبعد عن العاصمة

(92) القاضي النعمان: رسالة إفتتاح الدعوة ص 205 ـ 208، 236 ـ 237، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 191 ـ 192.

بمسيرة يوم. وما أن علم سعيد بن صالح بوصول الحملة حتى خرج على رأس جنده لمواجهتها. وتمكن سعيد وأنصاره من الصمود للغزو الفاطمي لمدة ثلاثة أيام[93]. بل ويروي ابن خلدون «فغلبهم سعيد وقومه أياماً»[94].

لم يكتف سعيد بهذا النصر المؤقت وأراد إفشال الحملة عن طريق إغتيال قائدها مصالة المكناسي. فقام حمد بن العياش[95] من بني يطوفت وهو من شجعان البربر على رأس سبعة من الفرسان لاقتحام صفوف الجند الفاطمي والوصول الى القائد مصالة واغتياله. ولكن الجند تمكنوا من القبض على فرقة الاغتيال هذه وقتل الفرسان وعندما أتى دور قائدهم حمد بن العياش قال: «ليس مثلي يقتل» قال مصالة: «ولم؟» قال: «لأنك لا تطمع بسعيد إلاّ بي وعلى يدي» فاستبقاه مصالة وقربه وأكرمه ثم عينه قائداً على فرقة من الجند، وتمكن القائد البربري الخائن من التسلل الى معسكر سعيد من جانب كان يعلم الغرة به وفرق جنده لمهاجة أنصار سعيد وفي نفس الوقت هاجم مصالة فوقع جيش إمارة نكور بين شقى الرحى وأدرك عدم جدوى المقاومة وتراىء له شبح الهزيمة فبعث الى مدينة نكور من أخرج أسرته وماله الى جزيرة في مرسى نكور. وثبت هو وفتيانه وخاصته أمام الحملة الفاطمية حتى قتل ودخل مصالة مدينة نكور في المحرم سنة 305هـ/917م وأمر بإباحة المدينة فانتهبت الدور وسبيت النساء والذرية[96].

أرسل القائد الفاطمي برأس الأمير سعيد بن صالح ومنصور ابن ادريس بن صالح وغيرهم من بني صالح بن منصور الى افريقية واحتفل

---

(93) البكري: المسالك ص 94. قارن ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 193 ـ 194، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 178 ـ 179.

(94) ابن خلدون: العبر6: 285.

(95) أحمد بن العباس في ابن عذاري: البيان المغرب 1: 179.

(96) البكري: المسالك ص 95 و 96، ابن عذارى: البيان المغرب 1: 179.

الخليفة الفاطمي بهذا الانتصار فأمر بالطواف برؤوس بني صالح في مدينة القيروان ثم نصبت على أسوار مدينة رقادة وقام الشعراء بين يديه ينوِّهون بهذا النصر فأنشده أبو جعفر أحمد بن المروذي قائلا:

لما طغى الأرذل وابن الأرذل
في عصبة من الطغام الجهّل
قال نكور دون ربي معقلي
أتاه محتوم القضاء الفيصل
من الاله كالحريق المشعل
فحل أرضاً طال ما لم تحلل
حطم أهل كفرها بالكلكل
وجاء رأس رأسها المبذّل
على القنا من الرماح الذُبل
ذو لّمة شاعثه لم تغسل
ولحية غبراء لم ترجل[97]

أما بقية أسرة بني صالح الذين تمكنوا من الفرار الى مرسى نكور، فعندما وصلت اليهم أنباء هزيمة الأمير سعيد ودخول مصالة العاصمة نكور، أبحروا الى الساحل الأندلسي الى مدينة مالقة وبجانة[98]. وفي ذلك الوقت تمكن عبد الرحمن بن محمد، الأمير والخليفة الأموي (300 ـ 350هـ/912 ـ 961م) من اخضاع الكور المجندة والسيطرة على ثورة ابن حفصون وكانت مدينة بجانة والمرية إحدى المواقع الاستراتيجية الهامة التي تقرر القضاء على هذه الثورة عن طريق احكام الحصار على ابن حفصون وقطع جميع إتصالاته بالساحل

(97) البكري: المسالك، ص 96. وقارن رواية ابن عذاري والاختلاف في أبيات الأرجوزة، البيان المغرب 1: 179 ـ 180.

(98) البكري: المسالك ص 96، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 180.

الافـريقي الذي كان يمده بالتأييد الشرعي والمعاشي لحركته ونظرا لاستقرار قبائل عربية قيسية ويمنية بالمنطقة، حتى نسب الكثير من أقاليمها الى القبائل التي استقـرت بها مثـل أقـاليم برجلية قيس، واقليم قنت قيس الى القبائل القيسية. وإقليم ربع اليمن، وإقليم همدان، وعرب عذرة بقرية دلاية، وإقليم اليمانين، وإقليم بني أسد، وإقليم بني أوس، وجزء أرش اليمن الى القبائل اليمنية. لذلك أسند الأمير عبد الرحمن الأموي اليهم والى واليهم عبد الرحمن ابن مطرف بن عبد الرحمن بن أصبع من عرب طيء الذي نصبوه عليهم، حفظ الساحل والسيطرة على الطريق البحري الى الساحل الافريقي.[99].

ونزل بنو صالح الحميريين على عصبيتهم بمدينة بجانة وأمر لهم الأمير عبـد الـرحمن بالكساء الرفيعة والصلات الجزلة والتوسع عليهم ونظراً لأهمية مدينـة بجانة في ذلك الوقت فقد خيرهم الأمير الأموي بين المقام بالعاصمة قرطبة أو المقام بمرسى مالقة وفضل بنو صالح مالقة حتى يكونوا بالقرب من بلادهم[100]. إذ أقام مصالة بن حبوس المكناسي بإمارة نكور لمدة شهور[101].

ولا يفسر لنا هذه الاقامة الطويلة، إلّا أن القائد الفاطمي الذي ينتسب الى قبيلة مكناسة، إحدى قبائل بلاد الريف، أنه وجد صعوبة في إخضاع بقية أجزاء الامارة وفرض النفوذ الفاطمي على جميع قبائل بلاد الريف التى ارتضت حكم بني صالـح الحمـيريين. اذ يروي البكـري أن مصالة بعد هذه الفترة «إستخلف . . . رجلا من أصحابه يقال له دلول[102] وانصرف الى تاهرت»

---

(99) ولكن سرعان ما توفي ابن حفصون في شعبان 305هـ/918م وترك أربعة أبناء: جعفر، حفص الأصغر، عبد الرحمن، وسليمان. أنظر للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 252، 298، 299.

(100) البكري: المسالك ص 96.

(101) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 180، ابن خلدون: العبر6: 285.

(102) ذلول في ابن عذاري: البيان المغرب 1: 180.

ونظرا لأن الوالي الجديد من قبيلة كتامة فقد افترق عنه من كان معه من المشارقة أي شيعة الفاطميين من العرب. وبقي في القليل من أصحابه من عصبيته كتامة. (103).

ما أن وصلت هذه الأخبار بني صالح بمالقة، حتى اتفقوا على العبور الى إمارتهم لاستخلاصها من أيدي الفاطميين، ثقة منهم بمحبة رعيتهم من قبائل وبطون بربر جبال الريف. وحتى لا يتصارع الاخوة: إدريس، والمعتصم، وصالح ـ أبناء الأمير سعيد ـ حول السلطة، فقدْ اتفقوا على الابحار معا في وقت واحد، كل في سفينة، ومن يصل أولا تكون الامارة له، فوصل صالح أصغرهم سناً الى مرسى نكور قبل إخوته وما أن نزل الى المرسى المعروف بوادي البقر بتمسامان، حتى إلتف حوله أنصار بني صالح من البربر وزحفوا الى العاصمة واستولوا عليها بسهولة في 305هـ/918م والقبض على واليها الفاطمي دلول وأنصاره من كتامة حيث قاموا بقتلهم وصلبهم على ضفتي نهر نكور. (104)

إحتفلت الدولة الأموية بالأندلس بهذا النصر، كما إحتفلت الخلافة الفاطمية بالقيروان بهزيمة بني صالح من قبل. وما أن وصل كتاب صالح بالفتح الى الخليفة عبد الرحمٰن بن محمد الأموي، حتى أمر بقراءته بجامع قرطبة ونسخه وتم توزيعه على سائر مدن الدولة الأموية ليقرأ على منابر مساجدها. كما أمر بإمداد بني صالح بالمعدات الحربية من أخبية وآلآت وسروج وبنود وطبول ودروع وجميع أنواع السلاح والهدايا والعطايا من كساء رفيع وحلي، حتى عوضهم عما فقدوه خلال الغزو الفاطمي.

---

(103) البكري: المسالك ص 96، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 180، ابن خلدون: العبر 6: 285.

(104) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 180.

وسرعان ما لحق به أخويه إدريس والمعتصم ووصل إليه بقية إخوته وسائر قومه وأعطوه طاعتهم ولقبه أنصاره «باليتيم» لصغر سنه ومقتل أبيه. وقضى صالح فترة حكمه في العمل على نشر الاسلام والترويج لمذهب مالك بن أنس أسوة بأبيه وأجداده إذ يروي البكري «ولم يزل آل صالح في السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن أنس رضي الله عنه وكان سعيد وأبوه صالح يصليان بالناس، ويخطبان، ويحفظان القرءان»[105]. وذلك لمقاومة كل من الأفكار الخارجية التي كانت منتشرة في المغرب الأقصى ثم انكمشت في وادي ملوية شمالا وجنوباً حتى سجلماسة، والأفكار الشيعية الوافدة من الشرق مع الدولة الفاطمية، وأخيرا حركات التنبؤ والشعوذة إذ أن المغرب الأقصى في أوائل القرن الرابع الهجري كان يعاني محنة سياسية ودينية وأصبح يشكل منطقة فراغ تجتذب إليها جميع التيارات من الشمال (الأمويون) والشرق (الفاطميون).

ولذلك نجد قبيلة غمارة التي سبق وتحولت الى الاسلام على أيدي بني صالح منذ إستقرارهم ببلاد الريف، تميل الى المذهب الخارجي وتتأثر بالعادات البربرية القديمة التي جبها الاسلام وينتهي بها الأمر الى البدع والشعوذة، إذ قام بربري من غمارة، يدعو الى ديانة جديدة قادرة على إجتذاب البربر في 313هـ/925م ومتنبيء غمارة إسمه حاميم، وهذا الاسم مأخوذ من القرآن الكريم، ففيه سور كثيرة تبدأ بالحرفين «حا» و «ميم» وكنيته أبو محمد، وأبوه يحمل أسماء عربية إسلامية هي: أبو خلف مَنَّ الله، وكذلك جده، وجد جده[106]. وهذا يدل على أن هذه الأسرة البربرية كانت عريقة في الاسلام، رغم ما يرويه بعض مؤرخي السنة على عكس ذلك.

(105) البكري: المسالك ص 97

(106) اسمه أبو محمد حاميم بن منّ الله بن حريز بن عمرو بن وجفوال بن وزروال، انظر البكري. المسالك ص 100، ابن خلدون العبر6: 288.

إذ من الطبيعي أن يصف مؤرخي السنة، ديانة حاميم بأنها كفر وافتراء، وصاحبها دجال. كما سبق ونعتوا ميسرة الصفري بأنه «حقير» بسبب مذهبه الديني ولهذا أيضاً لقبوا حاميم بلقب «المفتري» وفي رواية أخرى «بالمقتدى» ولعلها هي الأصل ثم حرفها مؤرخي السنة الى المفتري(107).

وحاميم، مع اعترافه برسالة النبي محمد (ﷺ) العربي وإحترامه له، فإنه ادعى انما أراد إصلاح الاسلام، كما أصلح النبي محمد (ﷺ) التوحيد عند اليهود والنصارى بعد أن شوهه هؤلاء. فقد وضع حاميم «قرآناً» باللغة البربرية، أورد البكري بعضه بقوله «حلني من الذنوب يامن يحل البصر ينظر في الدنيا، حلني من الذنوب يامن اخرج موسى من البحر، ومنه، آمنت بحاميم وبأبي خلف، يريدون أبا حاميم وكذلك كان يكنى، وآمن رأسي وعقلي وما أكنّه صدري وما أحاط به دمي ولحمي وآمنت بتانفيت، وهي عمة حاميم، أخت أبي خلف من الله، وكانت كاهنة ساحرة، وكانت لحاميم أيضاً أخت تسمى دجّو، وكانت ساحرة كاهنة من أجمل الناس، وكانوا يستغيثون إليها في كل حرب وضيق، ويزعمون أنهم يجدون نفعها»(108). ويضيف ابن خلدون أنهم كانوا يستغيثون إليها في أوقات القحط والجدب.

كما يذكر ابن خلدون أن السحر كان لايزال في عصره أي في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) منتشرا رائجاً في غمارة. وكانت تمارسه النساء العواتق وكن يقدرن على استجلاب روحانية هذا الكوكب أو ذاك، كما يشأن، ويسخرنه للتأثير في الكائنات(109). وإذن فقد عاش حاميم في وسط

(107) البكري: المسالك ص 100 ـ 101، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 191، ابن خلدون: العبر6: 288.

(108) البكري: المسالك ص 100 وقارن ما أورده ابن ابي زرع: الأنيس المطرب ص 99، ابن خلدون: العبر6: 288، السلاوي: الاستقصا1: 175.

(109) ابن خلدون: العبر6: 288.

ملائم جداً، بفضل من أحاطوا به وبفضل شهرته الشخصية، كي يؤثر في سذاجة اعتقاد بني قومه وإقناعهم بصدق رسالته.

والقليل الذي نعرفه عن هذه الديانة، وصل إلينا عن طريق مؤرخي السنة أمثال البكري، وصاحب الاستبصار، وصاحب روض القرطاس، وابن خلدون، ومن الواضح أنها مغرضة ومهينة، وتصوّر حاميم كمتنبيء ومرتد عن الاسلام، لا يختلف كثيراً عن المتنبئين بشبه الجزيرة العربية خلال حركة الردة بعد وفاة الرسول (ﷺ). ورغم إيجاز هذه الأخبار، تسمح لنا مع ذلك بمعرفة السمات الأساسية للعبادة التي أقامها التشريع الديني الذي دعى اليه حاميم. وبالنسبة الى أركان الاسلام الخمسة: فالصلاة أصبحت اثنتان، صلاة الصبح والمغرب بدلا من الصلوات الخمس، ويكون السجود في الصلاة على بطون الأكف ويسجدون وبطون أيديهم تحت وجوههم» على حد تعبير صاحب روض القرطاس.

أما عن الصوم فقد أسقط عنهم صوم سبعة وعشرين يوماً من رمضان، وأبقى صوم الثلاثة أيام الأخيرة من رمضان. على أن يفطروا في اليوم الرابع، ويجعل العيد في اليوم الثاني من الفطر. وفي مقابل ذلك «فرض عليهم صوم يوم الخميس كله، وصوم يوم الأربعاء الى الظهر، فمن أكل فيهما غرم خمسة أثوار لحاميم»[110].

أما عن الزكاة، فيتفق كل من البكري وصاحب الاستبصار والسلاوي أنه «فرض عليهم الزكاة، العشر من كل شيء»[111]. بينما يروي صاحب

(110) البكري: المسالك ص 100، صاحب الاستبصار ص 191 وصاحب روض القرطاس يورد أخباراً مخالفة لما أورده البكري، لا يذكر مصدرها تقول أن حاميم «فرض عليهم صوم يوم الاثنين، وصوم يوم الخميس الى الظهر، وصوم يوم الجمعة، وصوم عشرة أيام من شهر رمضان، ويومين من شوال، ومن أفطر في يوم الخميس عمداً فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثوار، ومن أفطر يوم الاثنين فكفارته ثوران» أنظر الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 99.

(111) البكري: المسالك ص 100، صاحب الاستبصار ص 191، السلاوي: الاستقصا: 175.

روض القرطاس «وفرض عليهم الزكاة والعشر من كل شيء»(112). وبينما الرواية الأولى تفيد أخذ العشر من أموال المسلم، نجد الرواية الثانية تفيد الفصل بين الزكاة المقررة على عامة المسلمين حسب قول الرسول (ﷺ) «لّيس في المال حق سوى الزكاة» والعشر الذي يدخل في نطاق الخراج وهو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها(113).

أما بالنسبة للحج فقد أسقط حاميم الحج عن أتباعه(114).

أما عن المحرمات: فأسقط حاميم الطهر والوضوء بالنسبة للشرائع، كما قام بتحريم أنواع معينة من الأطعمة فالحوت لا يؤكل إلّا بذبح شرعي، وحرم أكل البيض، وأكل الرأس من كل حيوان وهذه الأنواع من تحريم الأطعمة تتفق كثيرا مع ما شرعه صالح بن طريف في قبائل برغواطة، مما يدل على تأثر ديانة حاميم بتعاليم صالح. وبينما يتبع التعاليم الاسلامية بتحريم لحم الخنزير، نجده يسمح بأكل الأنثى من الخنزير بحجة «انها حُرم ذكورها في قرآن محمد (ﷺ)»(115).

ولذلك ادعى ن. سلوش في بحثيه بعنوان «اليهود والهلينيون» ثم «اليهود والبربر» إن ديانة حاميم بغمارة، ذات أصول يهودية بربرية. بينما تساءل الفردبل عن وجود علاقة بين هذه الديانة وما بقي من آثار نصرانية ببلاد الريف، خصوصاً فيما يخص الصوم الأسبوعي الذي فرضه حاميم على أتباعه(116).

(112) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 99.
(113) أنظر الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص 111، 142، 146.
(114) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 191، السلاوي: الاستقصا: 175.
(115) البكري: المسالك ص 100، الاستبصار ص 191، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 99، السلاوي: الاستقصا: 175.
(116) N. Slousch : L'Empire des Berghouate et les origines du Bled essiba. Revue du Monde. Musulmane tome X, n. 3 p. 394 (Paris 1910).
، الفرد بل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص 182 ـ 185.

لم تستمر ديانة حاميم طويلا، إذ لم يتمكن من متابعة رسالته التى بدأها في 313هـ/925م، لأنه يبدو أن بني صالح السنيين حلفاء بني أمية أمثالهم في المذهب الديني، اتفقوا على التخلص من متنبيء غمارة ودعوته المناهضة للاسلام إذ يروي ابن حيان أنه «ممن خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله ايضاً، من املاك البرابر بالعودة، وهوى إليه بالمحبة، وأظهر البراءة من دعوة الشيعة والاعتقاد لدعوة الأموية الهادية. . . ومنهم صالح بن سعيد، وكان ممن انحاش الى الطاعة ولحق بأهل الولاية، وناغاهم في الألطاف والهدية»[117]. ويروي كل من البكري وابن عذاري أنه في 315هـ/927م «قتل حاميم المفتري بمصمودة الساحل من أحواز طنجة»[118].

ويضيف كل من صاحبي الاستبصار والقرطاس، «وجهز إليه الناصر المرواني من قرطبة عسكراً، فالتقت معه بأحواز طنجة سنة 315هـ فهزم وقتل لعنه الله، وحمل رأسه لقرطبة»[119]. وبرغم صموت ابن خيان فيما أورده عن فترة حكم عبد الرحمن الناصر في الفترة الأولى من 300 الى 330هـ فيما يخص دور الناصر في القضاء على ديانة حاميم، إلّا أن تفسير ذلك أن الدور الأكبر في القضاء على هذه الديانة يرجع الى جهود الأمير صالح بن سعيد الحميري الذي «لم يزل على هدى أولية من الاقتداء الى أن هلك سنة 315هـ»[120]. ولا يستبعد أنه قتل خلال قضائه على حركة حاميم بغمارة.

(117) ابن حيان: المقتبس، الجزء الخامس، ص 261 (أحداث سنة 317هـ).

(118) البكري: المسالك ص 101، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 192.

(119) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 192، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 99.

(120) ابن خلدون العبر6: 285. ويذكر ابن الخطيب ان صالح توفي في 335هـ. انظر تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (أعمال الاعلام) القسم الثالث، ص 177.

تولى الامارة بعده حفيده المؤيد بن البديع[121] بن صالح بن سعيد ابن صالح بن منصور في 315هـ ولكن إمارته لم تستمر إلّا سنتان إذ قتل في 317هـ/ 929م على يد موسى بن أبي العافية أحد أمراء زناتة بالمغرب الأقصى.

وهو موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن مجدول ابن تامريس بن فارديس بن ونيف بن مكناس بن ورصطيف رئيس قبيلة مكناسة، كان رجلا ثرياً وصاحب ماشية. تمكن من البروز كزعيم لزناتة في المغرب الأقصى، بفضل معاونة مصالة بن حبوس المكناسي القائد الفاطمي وابن قبيلته[122]. ويروي البكري أنه في سنة 317هـ/929م زحف موسى بن أبي العافية المكناسي، الى المؤيد بن عبد البديع أمير نكور «فحاصره حتى تغلب عليه فقتله واستباح المدينة وانتهبها وهدم أسوارها وخرب ديارها ونسف آثارها وتركها بلاقع تسفى عليها الرياح وتعاوى فيها الذئاب وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه مصالة بن حبوس»[123]. ولكن من الغريب ألّا يستمر احتلال زناتة لبلاد نكور بعد هذا الانتصار الحاسم، اذ يبدو أن موسى بن أبي العافية المكناسي الذي فرض نفوذه على معظم أملاك الدولة الادريسية في المغرب الأقصى تحت الراية الفاطمية الشيعية، تطلع الى الاستقلال بما تحت يده عن طريق تحويل دعوته الى الخلافة الأموية السنية بقرطبة، وضرب الخلافتان:

(121) تتفق المصادر أن الأمير التالي هو المؤيد بن عبد البديع (السميع) ولكن تختلف في قرابته الى صالح فبينما يذكر كل من ابن حيان والبكري تولية المؤيد بن عبد البديع بعد صالح، يروي ابن الخطيب أنه ابن عم صالح، ولكن ابن خلدون يقول انه ابن صالح. انظر ابن حيان: المقتبس، الجزء الخامس، ص 290، البكري: المسالك ص 97، ابن الخطيب: أعمال الاعلام (القسم المغربي) ص 177، ابن خلدون: العبر6: 285.

(122) ابن عذاري: البيان المغرب1: 213 ـ 214، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 83 ـ 84.

(123) البكري: المسالك ص 97.

الشيعة والسنية بعضها ببعض[124]. ولذلك آثر الانسحاب من إمارة نكور السنية والخليفة الدائمة لبني أمية.

وتولى إمارة نكور، **أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمن ابن سعيد بن إدريس بن صالح** فأعاد بناء مدينة نكور التي دمرها موسى ابن أبي العافية وعمرها، وأدار بها السور وحصنها وأعاد السوق اليها واستمرت ولايته لمدة ثلاث سنوات[125] من 320هـ/932م الى سنة 323هـ/934 ـ 935م قضاها أبو أيوب في الدفاع عن إمارته فبعد وفاة الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي في 322هـ وتوليه ابنه أبو القاسم القائم، لم يكن أقل حرصاً من أبيه على فرض السيطرة الفاطمية على بلاد المغرب الأقصى فأرسل حملة كبيرة بقيادة ميسور الفتى والحقه بإمدادات بقيادة صندل الفتى الأسود، فخرج صندل في جمادى الآخرة سنة 323هـ/935م من المهدية، فوصل الى مدينة جراوة بالقرب من تلمسان حيث إستراح ثم زحف الى هَراس وهناك كتب الى أبي أيوب اسماعيل أمير نكور الذي انتقل الى قلعة أكرى، يأمره بالقدوم اليه. أرسل أبو أيوب رسلا ورسالة يعلن فيها أنه في الطاعة. فلم يرض صندل بذلك وأعاد الرسل يستعجلونه في المسير الى القائد الفاطمي. ولكن الأمير الحميري أنف من معاملة القائد الفاطمي فقتل رسله[126].

ومن الغريب أن موسى بن أبي العافية المكناسي الزعيم الزناتي وحليف الأمويين، أحجم عن ملاقاة الجيش الثاني للفاطميين بقيادة ميسور الفتى وفضل الاعتصام بحصن الكاي، وترك مدينة فاس لقمة سائغة للقائد الفاطمي. وفي نفس الوقت أخذ في الشكوى من أمراء بني صالح متهما إياهم بالتحالف مع الفاطميين ضد الأمويين إذ راسل الخليفة بقوله: «وصاحب

---

(124) ابن حيان: المقتبس 5: 307 وما بعدها، ابن عذاري البيان المغرب1: 199.

(125) ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 177، ابن خلدون: العبر6: 285.

(126) البكري: المسالك ص 97 ـ 98.

نكور، قبحه الله، هو أضر بنا من أولئك القريش (الفاطميين) في الحقيقة، لأنه أرفق بالبحر، بعد أن وقف به الجوع والجهد، لما مكر بأمير المؤمنين، فيما بلغنا، وكاتبه يقول انه معنا وإن الميرة تجيئنا من بلده، ولا، والله العظيم، ما كان شيء مما قاله، وإن بلدنا وأحوازنا، على مابنا من مغاورة العدو لنا وتردده بناحيتنا، لأكثر رخاء وأوسع نعمًا من نكور وأحوازها، وما يأتينا من عنده إلاّ الغارات التي لا يزال يشنها على أطراف طاعتنا مما يليه، وما تمضي طرائف بلده وتحفه علانية إلاّ الى المقطوع ميسور، لا يسر الله أمره وقطع مدته»[127].

وما أن علم صندل بقتل رسله، حتى زحف الى قلعة أكرى وعسكر قريباً منها بموضع يقال له نسافت وهو الموضع الذي قتل فيه مصالة ابن حبوس، الأمير سعيد بن صالح من قبل. وقام الجيش الفاطمي بمحاصرة الأمير الحميري لمدة ثمانية أيام تعددت خلالها المعارك بينهما، انتهت بقتل أبو أيوب اسماعيل وأكثر أصحابه في شوال 323هـ/935م واستولى القائد الفاطمي على ما كان في القلعة من نساء إسماعيل وقرابته وأخذ له ولدين طفلين. ثم استولى القائد الفاطمي على مدينة نكور وولى عليها أحد رجاله وهو مرمازوا الكتامي وترك معه فرقة من الجند وانضم صندل الفتى بقواته الى صاحبة ميسور الفتى الذي كان محاصراً لفاس[128].

لم يستسلم بني صالح الحميريين لما وقع بهم من نكبات وهزائم إذ سرعان ما ظهر أحد أمرائهم وهو **موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة ابن المعتصم بن صالح بن منصور**، المعروف بإبن رومي، كان لاجئاً عند بربر بني يصليتن بجبل أبي الحسن بجبال الريف فبايعه أهل نكور فزحف بأنصاره من

(127) ابن حيان: المقتبس 5: 372.
(128) البكري: المسالك ص 98.

بني يصليتن الى العاصمة وقتل عاملها الكتامي ومن معه من الجند وبعث برؤوسهم الى الخليفة الناصر لدين الله الأموي بقرطبه[129].

ويذكر ابن حيان أنه في سنة 324هـ «غزا الأسطول الى العدوة، لنصر موسى بن أبي العافية، المقيم هناك بالدعوة، وكانت عدة مراكبه أربعين قطعة، وعدد رُكابه ثلاثة آلاف رجل، فيهم من الحشم خمسمائة. وكان اندفاعه من مدينة سبتة، فتقدم الى مليلية ونكور، فافتتحها، ثم جرى الى جراوة فافتتحها أيضاً... واستتم في غزاته هذه ستة أشهر، وقفل»[130] مما يدل على أن استعادة بني صالح لامارتهم كان بتنسيق مع الخلافة الأموية بقرطبة، إذ بينما جهز بنو صالح الحملة البرية لاستعادة الامارة، دعم الأمويون بني صالح بحملة بحرية، حمت سواحل الامارة واستعادت مدنها الساحلية.

ولكن سرعان ما اندلعت الصراعات بين أمراء بني صالح الحميريين حول السلطة، إذ لم تكد تمر شهور على ولاية موسى المعروف بابن رومي حتى ثار **عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن ادريس بن صالح ابن منصور** عليه، وتمكن من السيطرة على الامارة في نفس العام (324هـ) وطرده منها فأبحر موسى بأهله وولده الى الاندلس حيث استقر بجوار عصبيته العربية بمدينة بجانة، كما طرد ابنا عمه جرثم بن أحمد ومنصور بن الفضل فنزلا بمدينة مالقة بالأندلس. واستمرت إمارة عبد السميع حتى سنة 336هـ/947م إذ يبدو أنه أساء السيرة في رعيته من البربر وعصبيته من العرب[131]. إذ يروى ابن خلدون «ثم انتفض أهل نكور على عبد السميع وقتلوه»[132].

(129) البكري: المسالك ص 98، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 178، ابن خلدون: العبر6: 286.

(130) ابن حيان: المقتبس5: 382، 413 ـ 414.

(131) البكري: المسالك ص 98 ـ 99، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 178، ابن خلدون: العبر6: 286.

(132) ابن خلدون: العبر6: 286.

ويضيف البكري أنه في سنة 336هـ «استدعى أهل نكور، جرثم ابن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن إدريس بن صالح، فعبر البحر إليهم، فولوه على أنفسهم» واستمرت ولايته حتى ذي الحجة 360هـ/971م[133] وبالرغم من صمت المصادر عن دور إمارة بني صالح في خلال فترتي عبد السميع وجرثم. ويفسر ذلك عاملين: الأول قيام دولة الأدارسة الثانية ببلاد الريف التي إتخذت من قلعة النسر المنيعة عاصمة لها والتي تأرجحت تبعيتها بين المروانين بقرطبة والفاطميين بالمهدية[134]. والثاني توالي النكبات الطبيعية على المغرب الأقصى ففي 339هـ/950م نزل برد عظيم كبير الحجم، زنة الحجر رطل وأزيد، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس وأفسد الثمار والشجر، وكان ذلك أثر قحط شديد وغلاء عام. وفي 342هـ/953م تكرر البرد العظيم وصاحبته الريح الشديدة التي هدمت المباني. وفي 344هـ/955م كان الوباء العظيم الذي هلك فيه أكثر الخلق. وفي 355هـ/966م كانت ريح شديدة قلعت الأشجار وهدمت الديار وقتلت الرجال. وانتهت الأمور في 361هـ/971م بإنتشار الجراد الذي قضى على الزرع والشجر[135].

ولذلك أقتصرت جهود جرثم في خلال إمارته على نشر الاسلام إذ يذكر ابن خلدون بأنه «استقامت له الأمور، وكان على مذهب سلفه في الاقتداء والعمل بمذهب مالك الى أن مات»[136]. وبينما يروي كل من البكري وابن خلدون «وتوالت الولاية... في بني جرثم الى سنة 410هـ/1019م[137]

(133) البكري: المسالك ص 99، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 178، ابن خلدون: العبر6: 286.

(134) السلاوي: الاستقصا1: 177.

(135) انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 100 ـ 101، السلاوي: الاستقصا 1: 176.

(136) ابن خلدون: العبر6: 286.

(137) أنظر البكري: المسالك 99، ابن خلدون: العبر6: 286.

يوضح ابن الخطيب أنه في الفترة من 372هـ الى 410هـ تولى إمارة النكور، عبد السميع بن محمد بن عبد السميع بن محمد بن عبد السميع بن جرثم «وانقرضت بموته أيام هذا البيت بنكور»[138]. ولكن البكري يذكر أنه بعد استيلاء قبيلة أزداجة على إمارة نكور، إنتقل بنو جرثم الحميريين الى مالقة لاجئين الى الدولة الأموية التي كانت في حالة إنهيار وبالتالي لم تتمكن من مدّ يد العون لأمراء بني صالح كالعادة. ورغم ذلك حاول بنو جرثم استعادة إمارتهم فعادوا الى الامارة مرة ثانية ولكن الأمير يعلى بن أبي الفتوح الأزداجي من بربر البرانس تمكن من الاستيلاء على الامارة وطرد بني جرثم من جميع بلاد نكور، واستمرت سيطرة ازداجة على بلاد نكور، الى أن استولى المرابطون على البلاد وقاموا بتخريب عاصمة الامارة الحميرية في 460هـ/1067 ـ 1068م فتوالى عليها الخراب وتفرق أهلها في البلاد.

وهكذا إنتهت الامارة العربية ببلاد الريف بعد أربعة قرون تقريباً من بداية ولاية صالح بن منصور الحميري مؤسس هذه الامارة[139]. وهي دولة عربية سنية مالكية، لعبت دورا كبيراً في نشر الاسلام واللغة العربية بين أهل الريف من غمارة وصنهاجة. كما أنها في الوقت نفسه قاومت تيار الخوارج والشيعة ولقيت من وراء ذلك عناء كبيراً خفف من حدته تأييد الأمويين في الأندلس لها. وعلى الرغم من الغموض الذي أكتنف هذه الامارة الحميرية وندرة المصادر التاريخية التي سجلت تاريخها بوجه عام فإن المعلومات المتناثرة هنا وهناك تلقى الضوء على دور هذه الامارة المجاهدة، ذات المآثر الحميدة سواء في محاولة الاشتراك في القضاء على حركة المولدين في الأندلس والتي هددت الوجود العربي بها ومقاومة الغزو النورماني الوثني على بلادها.

---

(138) ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 178.

(139) البكري: المسالك ص 99، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 178 ـ 179، ابن خلدون: العبرة 6: 286.

ورغم ذلك فلم ينتهي الوجود العربي ببلاد الريف ففي الوقت الذي تمكنت قبيلة أزداجة من البربر من القضاء على العنصر العربي بإمارة بلاد الريف. كانت قبيلة صنهاجة البربرية بإفريقية، سبباً في إمداد بلاد المغرب بدماء عربية جديدة، تسربت الى جميع أوردتها حتى وصلت الى أدق أوعيتها الدموية، وبالتالي فقد كان التأثير العربي هذه المرة ببلاد الريف تأثيراً دموياً، أي تعديل التكوين السكاني والجنسي لقبائله البربرية.

ففي خلافة المستنصر بالله الفاطمي (427 ـ 487هـ/1035 ـ 1094م) تطورت علاقة الخلافة الفاطمية بمصر بالدولة البربرية الصنهاجية بإفريقية، من التبعية الى الاستقلال والعداء إذ أعلن المعز بن باديس الصنهاجي انفصاله نهائياً عن الدولة الفاطمية في 443هـ/1051م وحول دعوته الى الخلافة العباسية ببغداد فقام الوزير الفاطمي اليازوري بإغراء القبائل العربية التي كانت مقيمة بجنوب مصر (الصعيد) مثل بني هلال وسليم وزغبة ورياح بالهجرة الى إفريقية وأمدهم بالمال والسلاح وذلك للانتقام من قبيلة صنهاجة.

واجتاحت القبائل العربية بلاد المغرب وفرضت نفوذها على القبائل البربرية من صنهاجة وزناتة[140] وما يهمنا من هذه القبائل، قبائل المعقل من اليمن الذين انتقلوا الى المغرب رفقة الهلاليين، لقلة عددهم ويقال أنهم لم يبلغوا المائتين ونزلوا المنطقة التي تلي ملوية واستقر بنو عبيد الله منهم المنطقة الممتدة ما بين تلمسان الى تاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة، أي أنهم استقروا حول مصب وادي ملوية [141]. وقبيلة رياح المضرية التي نقلها الخليفة أبو يوسف يعقوب المعروف بالمنصور الموحدي (580 ـ 595/1184 ـ

(140) أنظر للمؤلف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ص 57 ـ 58.

(141) ابن خلدون: العبر6: 77، السلاوي: الاستقصا 2: 159 ـ 160، للمؤلف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ص 222 ـ 224.

1199م) بعد استيلائه على إفريقية في 583هـ/1187م إلى بلاد الهبط (الغرب) وهي المنطقة الممتدة من قصر كتامة (القصر الصغير) شمالا الى وادي ورغة، وإقليم أزغار البسيط الأفيح، جنوباً[142].

وعن طريق الحدود الشرقية لاقليم الريف، تسربت قبائل بني عبيد الله اليمنية، وعن طريق الحدود الغربية للاقليم تسربت كذلك قبائل رياح المضرية الى داخل بلاد الريف، إذ يروي عبد الله بن العربي البادسي، قال «كانت العرب قد تغلبت على الريف عام خمسة وثلاثين (وستمائة)، فخفنا منهم، فارتحل جميع أهل بادس بأموالهم وأمتعتهم الى الجزيرة التي في مرسى بادس، وكنا نحترس الديار رجالا بالأسلحة لا غير، قال: فإذا جاءت العرب غدوة انبسطوا في الوادي، وانقطع الناس في العدوتين: عدوة الصف وعدوة الركيبة، لا يقدر من يدخل الوادي من أجل العرب»[143] وما أن ضعف أمر الموحدين بالريف حتى فرضت القبائل العربية المغارم والضرائب على سكان الاقليم من البربر مثل بني ورترد المستقرين بوادي النكور من حوز المزمة الى وادي ملوية إذ يروي أبو عقيل عبد الرزاق عن جده إبراهيم بن عيسى بن أبي داود (560 ـ 650هـ/1164 ـ 1252م) قال: «أتاه يوماً جماعة من العرب المتغلبين على الريف، حين ضعف أمر الموحدين فيه، وكان أولئك العرب، يجبرون الناس على مغرم يأخذونه، فطلبوا قبيل بني ورترد بالمغرم، فأبوا عليهم وتمنعوا ببعض معاقلهم بساحل البحر» فطلب العرب من، الحاج إبراهيم بن عيسى بن أبي داود المرابط المجاهد المتصوف، القيام بالواسطة بينهما والصلح فقبل بعد تردد

(142) انظر الحسن الوزان: وصف افريقيا1: 237 والخريطة المقابلة لصفحة رقم 149، السلاوي: الاستقصا2: 151.

(143) أنظر عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ص 75.

«فتوجه الى جماعة بني ورترد وعرفهم بما طلبه العرب منهم، فأبوا من الانقياد إليهم»[144].

وفي حالة عدم استجابة السكان لهذه المغارم، كانت العرب تقطع عليهم الطريق وتنهب أموال التجار إذ يروي البادسي أن الشيخ أبي يعقوب ابن الشفاف منع محمد الغماري المنشد من حضور مجلسه لأنه سمح لنفسه بإرتداء جبة قرمز «كانت مغصوبة، غصبها بعض العرب المتغلبين على حوز بادس لبعض التجار، قطع الطريق عليهم وسلبهم»[145]. كما يضيف الحسن الوزان (ليون الافريقي) عندما يتناول جبل بني مَسْكَلدة بالريف بأنه «تمتد سهول كبيرة عند سفح الجبل، هي في أيدي بعض الأعراب الذين هم في حرب مع سكان الجبل في أغلب الأحيان»[146].

ولكن في نفس الوقت، نجد أن بعض القبائل العربية، تحولت الى البناء والمساهمة مع سكان الريف من البربر، في ازدهار الاقليم الزراعي. ففي مدينة المزمة التي يصفها الحسن الوزان بأنها مدينة كبيرة واقعة فوق جبل صغير على ساحل البحر المتوسط بالقرب من حدود إقليم كرط. يقع في أسفلها سهل كبير، عرضه نحو عشرة أميال وطوله ثمانية وعشرون ميلا من الشمال الى الجنوب، ويمر نهر نكور في وسطه فاصلا بين الريف وكرط. يسكن هذا السهل أعراب يحرثون أرضه ويحصدون منه كميات عظيمة من القمح، يبلغ نصيب أمير بادس منها زهاء خمسة آلاف مكيال[147].

كما كانت بمدينة المزمة بيوتات تنتمي الى بني صالح بن منصور الحميريين إشتهر البعض منهم بالصلاح والتقوى والتصوف مثل «الشيخ

(144) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 51، 61، 62.

(145) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 96.

(146) الحسن الوزان: وصف إفريقيا1: 264.

(147) الحسن الوزان: وصف افريقيا 1: 255 ـ 256.

إبراهيم بن صالح، وكان من وجوه المزمة وأعيانها. . . وهو حميري النسب، فيما اعتزى وانتسب، دأب على حياته في التستر بالأوراد، وتحسين المدعى فيها والمراد، فنال من كرامة الله ما وافق المراد». كما إشتهر البعض الآخر بإمتلاك الضيعات والجنان مثل الشيخ علي بن صالح وعمه إبراهيم بن صالح وأقاربهم الذين شكلوا بيتاً من بيوتات الأعيان بالمزمة، كان لبعضهم جنان بخارج المزمة يزرع فيه الرمان الطيب، والأرض الواسعة التي تتميز بجودة التربة وتوفر المياه للسقي حتى كانت تفوق مثيلتها في الانتاج والمحاصيل نتيجة للاهتمام بها.(148)

ومنهم علي بن يحيى بن القاسم الحميري، أصله من بلاد الريف مما يحاذي أرض غمارة، إستوطن الجزيرة الخضراء. يروي ابن عبد الملك المراكشي أنه «كان صالحاً متواضعاً مثابراً على الأعمال المبرورة. . . فقيها حافظاً مدرساً عاقدا للشروط. . . ومصنفه فيها الذي سماه: المقصد المحمود في تلخيص العقود من أنبل ما ألف في ذلك وأصدقه دلالة على تمكن معرفة مصنفه». ولي قضاء الجزيرة الخضراء وتوفي في ربيع الأول سنة 585هـ، فخلفه ابنه عبد الرحمن «على التلبس بكتب الوثائق والارتسام فيها»(149).

وكذلك بمدينة بادس الأسرة العلمية الخزرجية النسب وتولت هذه الأسرة الامامة والخطابة بمسجد بادس منهم الشيخ أحمد بن محمد بن الخضر ونسبه خزرجي، ينتهي الى قيس بن سعد بن عبادة وهو جد مؤلف صلحاء الريف الذي يروي عن عمته زينب «وكانت عجوز صدق، راوية للأخبار». وكان الشيخ أحمد إذا خرج لقضاء أرب فوجد إنساناً عرياناً كساه ثوباً من ثيابه، وربما أعطى في اليوم الثوبين والثلاثة.

---

(148) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 104 ـ 105.

(149) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول ص 213 ـ 214.

وثاني رؤساء هذه الأسرة العلمية الشيخ إسماعيل الخزرجي والد مؤلف صلحاء الريف ولي خطة القضاء ببادس «جبر على القضاء جبراً لم يجد عنه محيصاً» إضافة الى تعليم الصبيان الذي تمسك به بالرغم من تولية القضاء إذ كان يردد «ان ضيعت عيالي فأنا لما سواهم أضيع» ويلقي صاحب صلحاء الريف الضوء على مرتب معلم الصبيان وهو خمسة عشر ديناراً لتعليم مجموعة من الأولاد في العام. وتوفي الشيخ إسماعيل الخزرجي في ذي الحجة 685هـ/1286م[150].

وثالث أفراد هذه الأسرة مؤلف كتاب المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف وهو عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد ابن الخضر البادسي الخزرجي، وانتقل جده الأعلى من غرناطة الى بادس، وبها ولد عبد الحق في حدود منتصف المائة السابعة 650هـ/1252م. وعاش حتى أوائل القرن الثامن الهجري [151].

وبنو عبد الله الشريف الحسني الذين أتوا من بلاد الهبط واستقروا ببادس حيث يُعلمون الأولاد القرآن الكريم ومنهم الشيخ الصالح محمد بن عبد الله الحسني[152].

وبجبل بني مَسْكَلدة كان يوجد معهد علمي ديني، تكلف أهل الجبل بالصرف عليه إذ يروي الحسن الوزان «ويوجد من بينهم عدد من علماء الشريعة الاسلامية لهم طلاب كثيرون... ولا تفرض على أهل البلاد الضرائب ثقيلة، لانهم ينفقون على الفقهاء والطلبة»[153].

(150) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 126، 127، 131.

(151) انظر بيوتات فاس ص 88 ـ 91، عبد الحق بن إسماعيل: المقصد الشريف ص 5، 6.

(152) عبد الحق بن اسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 144

(153) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 125 ـ 126.

كما ساهمت بعض القبائل العربية في تنمية الحياة الاقتصادية ببلاد الريف، نجد أن البعض الآخر قد إندمج مع أهلها البربر وخفف حدة العصبية العرقية والقبلية في البلاد ومما يرجح ذلك أن الشيخ يحيى بن الحاج الجعوني من قبيلة بني يطوفت البربرية وهي على مسيرة يوم من مدينة بادس، وكان عالماً فذا، ومن فضائله أن ابن أخيه قتل طالباً عربياً كان يسكن عنده، فأمر بقتله (ابن أخيه) وقال لقومه. لا أسكن لكم بلداً حتى يقتل[154]. ويصف الحسن الوزان مساكن سكان الريف في القصور أو القرى بأنها بيوت حقيرة مكونة من طابق أرضي، سقوفها من قش أولحا الشجر تشبه اصطبلات الريف في أوربا.

أما الرجال منهم شجعان ولكنهم تعودوا السكر والملابس الرديئة[155] بصفة عامة وإن كانت هناك مناطق مثل جبل بني وليد يرتدي فيه الرجال لباساً حسناً ويتزينون بالحلي. وسكان منطقة آيشتوم فهم يلبسون في الواقع لباس الأشراف لا سيما أهل القرية الرئيسية حيث يقيم معظم الصناع والتجار والأعيان[156]. ويبدو أن اليهود تولوا التجارة في الخمور إذ كان بمدينة بادس زقاق طويل يسكنه اليهود وتباع فيه الخمر التي يعدها جميع السكان شراباً رائعاً جداً وفي خلال نزهات أهل الريف على الساحل مساء حين يكون الجو صحواً نراهم في زوارق صغيرة يتنزهون في عرض البحر ويتسلون بالشراب والغناء[157].

أما النساء فهن يقمن بمساعدة الرجال إذ «تذهب نساؤهم خلف قطعان ماعزهم ليرعينها، ويقمن بالغزل في أثناء ذلك» كما أنهن «يحرثن الأرض[158]

(154) الحسن الوزان: وصف إفريقيا: 264.

(155) الحسن الوزان: وصف إفريقيا: 252.

(156) الحسن الوزان: وصف إفريقيا: 260، 261.

(157) الحسن الوزان: وصف إفريقيا: 253 ـ 254.

(158) الحسن الوزان: وصف إفريقيا: 257، 258.

ويعملن معـا في الأرض إذ تخرج الزوجة «مع زوجها الى الفدان وهو يحصد الزرع وهي تلقط خلفه»[159]. ورغم هذا الدور الايجابي للمرأة الريفية، فنجد الحسن الوزان يتهم نساء بني منصور بأنه «ليس فيهن واحدة وفية لزوجها» كما يروي أن كل إمـرأة من نساء جبل مَرْنيسَة، أصابتها إهانة من زوجها مهما كانت ضئيلة، فرت الى الجبال الأخرى تاركة أولادها وتزوجت من رجل آخر. وهذا هو السبب الذي يجعل الرجال في الغالب يحملون السلاح وتكون بينهم مشـاجرات دائمة. وإن جنحوا للصلح فلابد أن يدفع من تبقى المرأة عنده للزوج الأول ما أنفقه في زواجه، وهم متشددون في هذا الأمر، ولهم قضاة مختصـون منهم، بحيث أنهم لا يكتفـون بسلخ الخصـوم المسـاكـين، ولكن ينتزعون قلوبهم[160].

ويضيف البكري الى ما سبق عادة «المواربة» عند أهل غمارة والتي يفتخر بها نسائهم وذلك أن الرجل إذا دخل بإمرأته البكر وارنها شباب أهل ناحيتها فاحتملوها وأمسكوها عن زوجها شهراً أو أكثر ثم يردونها. وربما فعل ذلك بها مراراً على قدر جمالها وبمقدار الرغبة فيها تفضل لذاتها.

ولا يتم إكرام الضيف عندهم إلاّ بأن يؤنسوه بنسائهم الأيامي منهن، يبيت الرجل مع ضيفه أخته الثيب أو بنته أو من لم تكن ذات زوج من نسائه. ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ويقولون أنه يفسد النسل وهم يرغبون في الرجل الجميل الشجاع وهم مخصوصون بالجمال ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها ضفاير ويطيبونها ويتعممون بها[161].

وعلى النقيض من ذلك يذكر الحسن الوزان أن سكان جبل لُوكاي أعيان وفرسان متكبرون الى أقصى حد، بحيث لم يقبلوا قط آداء اية اتاوة «يقبّلون

(159) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 141.

(160) الحسن الوزان: وصف إفريقيا1 : 260.

(161) البكري: المسالك ص 102.

جميع المنفيين من فاس، ويرحبون بهم ما عدا الزناة. لأن هؤلاء القوم غيرون لا يرغبون في وجودهم بينهم»[162]. ويضيف صاحب صلحاء الريف أنه وقعت فتنة بين بني وانجن وبين بني عيسى، وهم من قبيلة ورغة، فغصب بنو عيسى امرأة من بني وانجن... ثم بدا لهم فأمسكوها ثماني عشرة ليلة... فقصدهم بنو وانجن في عدد قليل، وبنو عيسى في عدد كثير، فقتل منهم بنو وانجن ثمانية عشر رجلا»[163]، أي كل ليلة برجل كدليل على انتقامهم ممن أهدر شرفهم.

ومن الجدير بالذكر أن المصادر تسجل لنا روايات غريبة كذلك في حق خوارج جبل نفوسة (بالمغرب الأدنى) مثل الرخص في المذهب والتساهل في أمور خاصة بالعفة والعلاقات الزوجية[164] ومثل هذا يقال عن قبائل كتامة في منطقة قسنطينة من أرض الجزائر التي نسب إليها بذل أولادها للأضياف النازلين بهم[165]

ولما كانت الجبال مناطق انعزال فربما لم يكن من الغريب أن تعيش فيها بعض الجماعات وهي محافظة على شيء من العادات والتقاليد القديمة، والتي لم يستطع الاسلام أن يقتلعها من جذورها العميقة تماما، يضاف الى ذلك أن هذه المعلومات وصلتنا عن طريق الكتاب من السنة أو الشيعة، وقد لا يخلو الأمر من تشنيع وسخرية حول الخوارج الذين كانوا مستقرين بهذه المناطق.

(162) الحسن الوزان: وصف إفريقيا1: 262.

(163) عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف ص 144.

(164) يروي صاحب الاستبصار «والزنا الحرام بجبل نفوسة في مذهبهم: ما منهم رجل عني إلا وله وصائف كثيرة يلبسهن فاخر الثياب ويحليهن بالحلي، ويبرزهن على الطريق للفواحش ولهم ديار معدة لذلك، وهذا عندهم معروف لا ينكره انظر الاستبصار في عجائب الأمصار ص 145.

(165) انظر الادريسي: صفة المغرب وأرض السودان والأندلس ص 99 وقارن ابن حوقل الذي ينسب هذه العادة الى قوم من بربر المغرب ما بين سجلماسة الى السوس الى نواحي الزاب ومنطقة قسنطينة وكتامة وسطيف وهو بعد ذلك في الصفحات التالية يذكر اندثار تلك العادة في بربر سطيف بعد مجاهدة أبو عبد الله الشيعي لهم، وخاصة كتامة منهم انظر صورة الأرض ص 91ـ93.

## الفصل الخامس :

# دور العرب في الدولة الادريسية

في نهاية القرن الثاني الهجري نشأت ببلاد المغرب، دويلات عربية مستقلة قامت بتأسيس مدن عربية إسلامية، كانت مراكز جذب للقبائل العربية من خارج بلاد المغرب وداخلها للعمل بخدمة هذه الدول وساعدت على نشر الحضارة الاسلامية في المناطق التي خضعت لنفوذها مما ساعد على تعريب المغرب في خلال القرن الثالث الهجري.

ففي 172هـ/788م قامت دولة الأدارسة بالمغرب الاقصى، ومؤسس هذه الدولة هو **إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب**[1]. ففي أول رجب سنة 145هـ/762م ثار محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية (أي الطاهر من الذنوب) ضد الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي، الخليفة الثاني بالدولة العباسية. ولكن الثورة فشلت إذ أن محمد بن عبد الله ثار بالمدينة بإقليم الحجاز، وكان متفقاً مع أخيه إبراهيم على أن يثور هو الآخر وفي نفس الوقت بمدينة البصرة في جنوب العراق حتى يقع المنصور بين نارين. ولكن حدث ان مرض ابراهيم بالجدري فتأخرت ثورته مدة شهرين مما أتاح الفرصة للمنصور كي يقضي على الأخوين واحداً بعد الآخر[2].

ويروي المسعودي أنه «كان تفرق أخوه محمد وولده في البلدان يدعون الى إمامته، فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد الى مصر، فقتل بها، وسار إبنه عبد الله إلى خراسان فهرب لما طلب الى السند، فقتل هناك. وسار ابنه الحسن

(1) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 43، البكري : المسالك ص 18

(2) تاريخ خليفة بن خياط 2: 649-651، أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ص 51-52

الى اليمن، فحبس فمات في الحبس، وسار أخوه موسى الى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى الى الرّي ثم الى طبرستان. . . ومضى أخوه إدريس بن عبد الله الى المغرب، فأجابه خلق من الناس»[3].

ويضيف الكندي أن علي بن محمد هو أول علوي قدم مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصَدفي ومن بايعه مثل دحية ابن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، ومنصور الأشل بن الأصبغ ابن عبد العزيز بن مروان، وزيد بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[4]. أي ان قبيلة صَدف وهي من قبائل حضر موت القحطانية[5] وبني أمية المضريين العدنانيين، وكانوا أنصاراً للعلويين بمصر.

وفي سنة 169هـ/785م ثار العلويون في الحجاز بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ وهو ابن عم النفس الزكية ـ بسبب إقامة والي المدينة من قبل الخليفة الهادي العباسي، حد الخمر على الحسن بن محمد النفس الزكية مع بعض أصحابه لأنهم شربوا نبيذا، مما أثار غضب الحسين رئيس العلويين في ذلك الوقت فقام بثورته واستولى على المدينة ثم إتجه الى مكة في موسم الحج، فانضم إليه بعض الحجاج والعبيد. وفي فخ وهو مكان بين مكة والمدينة تقابل العلويون مع الجيوش العباسية في معركة عامة سنة 169هـ/785م هزم فيها العلويون وقتل قائدهم الحسين الذي سمي بقتيل فخ[6]. وتمكن بعضهم من الفرار، مثل يحيى بن عبد الله الذي هرب نحو الشرق الى بلاد الديلم ونجح في اثارة أهل البلاد ضد الخلافة العباسية

(3) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر 3 : 296

(4) الكندي : الولاة والقضاة ص 111ـ112

(5) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 431

(6) تاريخ خليفة بن خياط 2 : 704، أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ص 75، 76

ببغداد، الى أن تخلص منه الخليفة هارون الرشيد بالسياسة على يدي معاونيه من البرامكة[7].

أما من فر الى بلاد المغرب فيروي المسعودي «وقد كان محمد بن جعفر ابن يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي. . . سار الى مصر، فطلب، فدخل المغرب، واتصل ببلاد تاهرت السفلى، واجتمع اليه خلق من الناس، فظهر فيهم بعدل وحسن إستقامة»[8]. ويضيف ابن حزم أن بني جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهم بنو أبي العباس محمد ابن محمد بن الحسن استقروا بناحية متيجة[9] وهي مدينة بالقرب من موقع الجزائر الحالية، تقع على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ولها مزارع ومسارح، وهي أكثر تلك النواحي كتاناً[10]. أما البكري فحينما يذكر مدينة تسمى حمزة يذكر أنه «نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن ابن علي بن أبي طالب. . . والحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وإبراهيم وأحمد ومحمد والقاسم وكلهم أعقب وعقبهم هناك»[11].

ويوضح صاحب روض القرطاس كيفية تسرب بنو سليمان الى بلاد المغرب أنه لما علم سليمان بن عبد الله بقتل أخيه محمد النفس الزكية «سار الى بلاد النوبة، ثم إلى بلاد السودان، ثم خرج الى زاب افريقية، ثم سار الى تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها، وذلك في أيام أخيه إدريس، فكان له بها أولاد كثيرون» ويعلق صاحب القرطاس «فكل حسني هناك من نسل

(7) ابن الابار : الحلة السيراء 1: 51
(8) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر 3: 343
(9) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 39
(10) الحميري : الروض المعطار ص 523
(11) البكري : المسالك ص 64-65 الحموي : معجم البلدان 2: 302

سليمان بن عبد الله بن حسن، وقد دخل ولده الى بلاد دكالة والسوس الأقصى»[12].

وأشهر هؤلاء العلويين الفارين الى المغرب، فهو إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان ابيه شيخ بني هاشم، كما كانت أمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن المطلب بن أسد بن عبد العزى حسب رواية البلاذري[13]. أو عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي حسب رواية ابي الفرج الأصفهاني[14]. ويذكر ابن الأبار أن إدريس فر الى المغرب بعد موقعة فخ في 169هـ/785م وينفي الرواية التى تقول «أن إدريس هرب الى المغرب في أيام أبي جعفر المنصور، عند قتل أخويه محمد وإبراهيم القائمين عليه بالمدينة وبالبصرة»[15] ولكن ما يورده كل من المسعودي وابن حزم عن هجرة بعض العلويين الى المغرب الأوسط واستقرارهم به يرجح الوجود العلوي بالبلاد قبل تأسيس الدولة الادريسية خصوصاً وأن الدول التي نشأت ببلاد المغرب، تدين بقيامها لمجهودات أنصار ودعاة من المشرق مثل الدولة الأموية بالأندلس فقد أسسها الأمير عبد الرحمن الداخل الأموي بمعاونة مولاه بدر واعتماداً على موالي بني أمية بالأندلس[16]. والدولة الفاطمية ببلاد المغرب فقد أسسها عبيد الله المهدي بمعاونة دعاة الفاطميين بالمغرب: أبي سفيان، والحلواني، وأخيراً أبي عبد الله الشيعي ومبايعة قبيلة كتامة البرنسية للفاطميين[17].

(12) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 15، 16

(13) البلاذري : أنساب الأشراف 3: 75 ويروي البلاذري أن عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث بن خالد المخزومية أم عيسى

(15) ابن الابار : الحلة السيراء 1: 51

(16) : ابن القوطية: افتتاح الأندلس ص 237، 271، دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا 1: 189، للمؤلف : القبائل العربية في الأندلس ص 122، 123

(17) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ص 54، 55، 57، 59، 71

ولذلك سوف نلاحظ أنه خلال رحلة إدريس ومولاه راشد ـ أو مولى أخاه عيسى بن عبد الله ـ من بلاد الحجاز الى بلاد المغرب، سوف يحصل على تسهيلات متعددة، لم تتوفر لسابقية ولاحقية من مؤسسي الدول بالأندلس والمغرب، الى أن انتهى الأمر باستقراره بالمغرب الأقصى[18]. مما يرجح انتشار دعاة العلويين بمصر وبلاد المغرب بين القبائل البربرية.

فبعد أن تمكن إدريس من الهروب وبصحبته راشد من الحجاز الى مصر، يروي الكندي أن علي بن سليمان العباسي والي مصر سهل هروبه الى بلاد المغرب نظراً لتطلعه لسلب هارون الرشيد الخلافة بقوله: «وعلى بن سليمان عليها (مصر) فعلم بمكانه ولقيه سراً فسأله بالله والرحم الاّ ستر عليه فإنه خارج الى المغرب فستر عليه»[19]. وكان علي بريد مصر واضح مولى صالح بن منصور، وكان رافضيا، فحمله على البريد الى أرض المغرب حتى انتهى الى مدينة وليلي من أرض طنجة[20]. وحينما علم هارون الرشيد بذلك اكتفى بعزل عمه على بن سليمان[21] وأمر بضرب عنق واضح وصلبه[22].

أما إدريس الذي استقر بمدينة وليلي الرومانية بطرف جبل زرهون في ظل حماية قبيلة أوربة البرنسية بقيادة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي الذي بايعه وقبيلته في رمضان 172هـ/ فبراير 789م «على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم» وكانت قبيلة أوربة في ذلك الوقت من

(18) ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 51، 53

(19) الكندي : الولاة والقضاة ص 131ـ132

(20) البلاذري : أنساب الأشراف 3: 137، ويروي الأصفهاني أن الذي ساعد إدريس ومولاه راشد على الهروب من مصر إلى بلاد المغرب رجل من موالي بني العباس وتطوع لمرافقة إدريس إذ أن على الطريق مسالح ومعهم أصحاب أخبار تفتش كل من يجوز الطريق إلى بلاد المغرب فمضى برفقة إدريس على غير الطريق حتى أخرجه بعد مسيرة أيام، حيث تنقطع المسالح، وسلمه لراشد الذي سافر في طريق القوافل العادية أنظر مقاتل الطالبيين ص 488، ابن الابار : الحلة السيراء 1: 52

(21) ألكندي : الولاة والقضاة ص 132

(22) ابن الابار : الحلة السيراء 1: 52

أعظم قبائل المغرب وأكثرها عدداً وأشدها قوة وبأساً[23]. ولعبت دوراً كبيرا خلال فترة الفتوحات الاسلامية برئاسة كسيلة الأوربي الذي تحول الى الاسلام على يدي أبي المهاجر دينار. ثم ثار ضد العرب بسبب معاملة عقبة بن نافع الفهري السيئة خلال ولايته الثانية وتمكن من الاستيلاء على القيروان وآلت إليه حكم إفريقية المسلمة بعد ان إضطر العرب الى الانسحاب الى برقة. ولكن ما أن تمكن العرب من القضاء على ثورة قبيلة أوربة حتى اضطرت الى الانسحاب غرباً الى المغرب الأقصى حيث أجارت إدريس «وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده، ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط» على حد تعبير ابن خلدون[24].

ولذلك فما أن بايعته قبيلة أوربة، حتى أسرعت قبائل زناتة لمبايعته وغيرهم من قبائل البربر مثل: زواغة، وزاواوة، ولماية، وسدراتة، وغياثة ونفزة، ومكناسة، وغمارة. فبايعوه ودخلوا في طاعته[25]. وكانت أولى أعماله هو إعادة ترميم مدينة وليلي وسورها المنحوت من الحجر الكبير والذي تخترقه الأبواب العالية العريضة، فأصبحت في زمن قليل مدينة متحضرة يقصدها الناس بكثرة من مختلف الأنحاء[26].

وثان أعماله اعداد جيش قوي من وجوه قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم وذلك للعمل على نشر الاسلام والجهاد في سبيل الله، إذ يروي صاحب الروض القرطاس أن معظم بلاد المغرب الأوسط والأقصى كانت «على دين النصرانية واليهودية والمجوسية» وبينما اتجهت الحملة الأولى غربا الى دولة برغواطة ببلاد تامسنا وهي دولة خارجية انحرفت عن التعاليم الاسلامية، حيث نجح ادريس في مهاجمة شالة عاصمتها وغزا بلاد تامسنا وتادلة حيث فتح

(23) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 19ـ20

(24) ابن خلدون : العبر 6: 193ـ194، 7: 14

(25) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 20

(26) الحسن الوزان : وصف إفريقيا 1: 228

معاقلها وحصونها وعاد الى وليلي في ذي الحجة 172هـ/789م حيث أقام هو وجنده لمدة شهر للراحة واصلاح أسلحتهم واعداد مهماتهم. وخرجت الحملة الثانية في صفر 173هـ/789م الى حصون فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة ببلاد فازار[27] وهو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر ويصف كل من صاحب الاستبصار والحميري نشاط السكان والثروة الحيوانية والنباتية للجبل بأنهم «أهل كسب من الغنم والبقر والخيل؛ وخيل هذا الجبل من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها، وهي مدورة القدود، حسنة الخلق والأخلاق، ولحوم غنمه أطيب اللحوم. وفي هذا الجبل أنواع النبات من العقاقير التي تتصرف في العلاجات الرفيعة، وفيه خشب الأرز العتيق الغالي[28] مما يدفعنا الى الاعتقاد الى أن دوافع هذه الحملة كانت الحصول على الخيول لفرسان ادريس والغنم والأخشاب لجيشه، استعدادا لغزو المغرب الأوسط، وخصوصا وقد استمرت الحملة لمدة أربعة أشهر انتهت في جمادى الآخرة سنة 173هـ/789م.

استراح ادريس لمدة شهر ونصف بوليلي، أعاد خلالها ترتيب جيشه وخرج في منتصف رجب 173هـ/ ديسمبر 789م على رأس الحملة الثالثة المتجهة شرقا الى تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط، ودار مملكة قبائل زناتة من مغراوة وبني يفرن. وما أن ظهرت طلائع جيش ادريس وعسكرت بخارج مدينة تلمسان حتى أتاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي الخزري، طالبا الأمان ومبايعا لادريس ودخل ادريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبايعته جميع قبائل زناتة[29]. وفسر بعض الباحثين ذلك بأن وصول أحد الأمراء العلويين إلى تلمسان على رأس أوربة فرصة تاريخية رحبت بها زناتة لتسبغ على نفسها الشرعيّة القانونية للسيطرة على البلاد من جهة والحصول على حليف قوي يتمثل في أوربة من جهة ثانية[30].

(27) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 20، 21

(28) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص 187، الحميري : الروض المعطار ص 435

(29) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 21

(30) اسماعيل العربي : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ص 65

ولكن ابن خلدون يروي أن نسابة زناتة بعضهم يزعم أنهم من قيس عيلان، والبعض الآخر ينسبون زناتة الى حمير ويعلق ابن خلدون على ذلك بقوله: «وانما حمل نسابة زناتة على الانتساب في حمير الترفع عن النسب البربري، لما يرونهم في هذا العهد خَوَلاً وعبيداً للجباية وعوامل الخراج... وأعجبوا بالدخول في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزية بتعدد الأنبياء ولا سيما نسب مُضر. وأنهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم بن نوح بن شيث ابن آدم، خمسة من الأنبياء ليس للبربر اذا نسبوا الى حام مثلها مع خروجهم عن نسب ابراهيم الذي هو الأب الثالث للخليقة إذ الأكثر من أجيال العالم لهذا العهد من نسله»[31].

يضاف الى ذلك أن زعيم قبيلة مغراوة، صولات بن وزمار في خلال فترة حكم عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث (24 ـ 35هـ/ 644ـ656م) وفد الى المدينة حيث أعلن إسلامه، فعقد له عثمان على قومه ووطنه وعاد الى بلاده مظاهراً لقبائل مُضر. وقيل أنه أُسر في بداية الفتوحات الاسلامية ونقل الى المدينة حيث استقبله عثمان لمكانته بين قومه، فمن عليه وأسلم، فعقد له عثمان على قومه وأعاده الى بلاد المغرب، فاختص صولاة هذا وسائر الأحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية، وكانوا خاصة لهم دون قريش[32]. ولذلك ما أن أسقط العباسيون الدولة الأموية في 132هـ/ 749م واستولوا على السلطة وثار ضدهم العلويون واضطر أحد أمراءهم الى الفرار لبلاد المغرب وتمكن من تأسيس إمارته المستقلة عن العباسيين، حتى رحبت به قبائل زناتة حينما طرق بلادهم.

وكانت أهم أعمال ادريس بمدينة تلمسان التي أقام بها لمدة سبعة شهور تقريباً هو بناء مسجد المدينة الجامع، وصنع منبر جميل كان يحمل نقشاً يحدد

---

(31) ابن خلدون : العبر 7: 5، 6

(32) ابن خلدون : العبر 7: 34

تاريخ انشائه وهو «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رض الله عنه، وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة»[33] (يونية ـ يوليه 790م) للعمل على نشر التعاليم الاسلامية بين قبائل بني يفرن ومغراوة الذين «كانوا سنية» ثم تحولوا الى الخارجية حينما اندلعت ثورتهم ببلاد المغرب الأقصى[34]. خصوصا وأن مدينة تلمسان كانت تحتوي على كنيسة مسيحية قوية معمورة لها أتباع من النصارى استمر وجودهم حتى عصر أبي عبيدة البكري الجغرافي الأندلسي في القرن الخامس الهجري[35]. مما يلقي الضوء على جهود هذا الأمير العلوي لنشر الاسلام وإدراكه لأهمية المسجد كقلب نابض بالمدينة الاسلامية، مما دفع المستشرق الانجليزي توماس أرنولد لاتهامه إدريس بأنه أسس مملكته بحد السيف، كما أرغم النصارى واليهود على الدخول في الاسلام ثم يعلق على ذلك بأن هذه الحادثة لم يكن لها نظير في تاريخ الكنيسة الوطنية في افريقية الشمالية[36]

أقلقت انتصارات الأمير العلوي، الخلافة العباسية ببغداد خصوصا بعد استيلائه على تلمسان «وهي باب افريقية، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار» ونظرا لطول المسافة وبعد البلاد ما بين المغرب الأقصى وبغداد[37] وإضطراب أمور افريقية نتيجة للصراع على السلطة في البيت المهلبي[38]، استبعد الخليفة هارون الرشيد العباسي استخدام القوة مع الأمير العلوي، ونصحه وزيره يحيى بن خالد البرمكي بالتخلص من الأمير بالحيلة واختير لذلك

(33) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 21، السلاوي : الاستقصا 1: 142
(34) ابن خلدون : العبر 7: 8، 16، 17
(35) البكري : المسالك ص 76
(36) توماس أرنولد: الدعوة إلى الاسلام ص 148ـ149
(37) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 22
(38) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص 183

سليمان بن جرير الشماخ أحد شيعة العلويين «من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدل والكلام والمكر والدهاء»[39] واختلف في نسب الرجل فالأصفهاني والبكري والحميري يرون أنه سليمان بن حريز الجزري. رجل من ربيعة[40] أما ابن الأبار فيسميه «الشماخ اليمامي»[41] وينسبه غيره «اليمني»[42] وتتفق أغلب المصادر أنه من موالي الخليفة المهدي العباسي[43].

وصل سليمان بن جرير الشماخ الى وليلي «مظهرا النزوع اليه فيمن نزع اليه من وحدان العرب»[44]، فاستقبله إدريس استقبالا حسنا لمعرفته برئاسته في الزيدية وحبه لآل البيت العلوي من جهة[45] ولأنه وهو العربي لم يجد في بلاد المغرب الأقصى من يأنس به ويستريح اليه من عصبيته العربية القليلة العدد «وذلك لجهل أهل المغرب في ذلك الوقت وجفاء طباعهم» من جهة ثانية[46] ولذلك لازم الأمير العلوي، سليمان «فكان لا يقعد ولا يأكل إلّا معه» حتى سنحت الفرصة لسليمان بالانفراد بإدريس فسمه في 175هـ/91-792م

(39) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 22 ويضيف البكري أنه كان متكلما ممن يرى رأي الزيدية وكانت له إمامة في الزيدية إذ كان متكلمهم وهو الذي جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره في الامامة أنظر المسالك ص 120، الحميري : الروض المعطار ص 610

(40) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص 489، البكري : المسالك ص 120 الاستبصار في عجائب الأمصار ص 195، الحميري : الروض المعطار ص 610 وسمي الجزري ينسبه إلى الجزيرة وهي ديار ربيعة التي تشمل المنطقة الممتدة بين الموصل ورأس العين ومايقع داخلها من المدن والقرى مثل نصيبين والخابور، كانت قبائل ربيعة العربية استقرت بواديه قبل الاسلام أنظر الحموي : معجم البلدان 2 : 494.

(41) ابن الابار : الحلة السيراء 1: 99

(42) أنظر إسماعيل العربي : دولة الأدارسة ص 67 حاشية (2)

(43) البلاذري : أنساب الأشراف 3: 137، ابن الابار : الحلة السيراء 1: 52، ابن خلدون : العبر 4: 17، السلاوي : الاستقصا 1: 143

(44) السلاوي : الاستقصا 1: 143

(45) البكري : المسالك ص 120

(46) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 22

وأسرع بالهرب وتمكن راشد مولاه من اللحاق به وإصابته ولكن لم يقتله[47].
وهكذا تمكن عربيا من ربيعة أو اليمن عن طريق المؤامرة من اغتيال الأمير العلوي المضري الذي أسس امارة بالمغرب الأقصى والأوسط مستقلة عن الخلافة العباسية، عملت عن نشر الاسلام بين القبائل البربرية لمدة ثلاثة أعوام ونصف عام، ونجحت في ذلك نجاحا بعيد المدى، يرجحه ليس فقط ارغام القبائل البربرية الوثنية لاعتناق الاسلام بل ونشره بين القبائل المسيحية واليهودية مما دفع المستشرقون الى اتهام الأمير العلوي بالتعصب وإرغامه لأهل الذمة بالتحول الى الاسلام بالقوة.

دفن إدريس بالقرب من وليلي، ولم يترك وريثاً من بعده، بل ترك جارية حبلى تسمى كنزة من قبيلة نفزة البربرية[48] ويذكر الحسن الوزان أنها «قوطية اعتنقت الاسلام»[49] ولذلك جمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس وقال لهم: «فان رأيتم أن تصبروا على الجارية حتى تضع حملها فإن كان ذكراً ربيناه، فإذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركاً بأهل البيت وذرية النبي (ﷺ)، وان كان جارية نظرتم لأنفسكم من ترضونه وترونه أهلاً لذلك» فوافقوه وقالوا: «إنك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان ادريس وتصلي بنا، وتحكم بما يقتضي الكتاب والسنة... على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك»[50] وبعد شهرين من وفاة ادريس وضعت كنزة غلاما سمي بإسم

(47) وقيل أنه سمه عن طريق قارورة غالية (عطر)، أو عن طريق تفاحة أو بطيخة أو عنب أو عن طريق سنون (دواء) للأسنان، أو سمكة مشوية، وهم وإن اختلفوا في الشيء الذي سم به، فهم مجمعون على أنه مات مسموما. الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص 490، البكري: المسالك ص 120، ابن الابار: الحلة السيراء 1: 52-53، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 23، الحميري: الروض المعطار ص 610، ابن خلدون: العبر 4: 18، السلاوي: الاستقصا 1: 144

(48) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 210، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 25، الحميري: الروض المعطار ص 546، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 3: 195. السلاوي: الاستقصا 1: 144، ويذكر الجزنائي أنها جارية مولدة من بلاد البربر أنظر جني زهرة الآس ص 15

(49) الحسن الوزان: وصف افريقيا 1: 174

(50) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 24-25

والده تيمنا، فهو ادريس بن ادريس أو هو ادريس الأصغر، كما يسميه ابن خلدون[51].

والفترة الممتدة من 175هـ/791م سنة مولد إدريس الأصغر، الى مقتل راشد في 186هـ/802م أي لمدة احدى عشر عاما، **هي فترة وصاية راشد وسيطرته على مقاليد الأمور. فمن هو راشد؟** فبينما يستنتج مما رواه الأصفهاني أنه عربي حجازي، اذ حينما فر ادريس الى مصر مع مولاه راشد جلسا «على باب رجل من موالي بني العباس فسمع كلامهما وعرف الحجازية فيهما. فقال أظنكما عربيين. قالا: نعم قال: وحجازيين. قالا: نعم»[52] يذكر صاحب الاستبصار أن «أصله من البربر»[53] ولكن صاحب مشاهير أعيان فاس يحسم هذه القضية ويوضح لنا أن راشد مولى إدريس من عرب كلاب بن كنانة ففي خلاله تناوله لبيت بني بكار بفاس يقول «ومنهم بيت بني بكار بن راشد مولى.. إدريس بن عبد الله.. وصاحبه الذي قدم معه المغرب لما فر. وكان الحجاج غلب عليهم لما قتل ابن الزبير وسبا أولادهم وغنم أموالهم لأنهم شيعة ابن الزبير وبطانته، وكان راشد من جملة من بيع من السبى، فأشتراه عبد الله الكامل ممن اشتراه من الحجاج بن يوسف وهو طفل ووهبه لولده الامام ادريس.. فأعتقه.. وبقي معه ملازما لخدمته وفي صحبته الى أن فر معه الى المغرب»[54].

(51) ابن خلدون : العبر 4: 18

(52) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص 488. ولقد أورد البكري نفس القصة مع شيء من الغموض إذ استبدل كلمة عربيين، بغريبين وكلمة حجازيين بمدنيين. أنظر المسالك ص 119

(53) مجهول : الاستبصار ص 194، ويعلق ناشر زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص 11 حاشية (30)، دون أن يشير إلى مصادره أنه راشد بن منصة الأوربي... اختلف في أصله، فقيل من العرب المولدين، وقيل حبشي وقيل أنه بربري من قبيلة وربة (أوربة) سبي مع أبيه منصة في غزو موسى ابن نصير ونقل معه إلى المشرق

(54) ومن المعروف أن ثورة عبد الله بن الزبير قضي عليها في 73هـ/692م وهذا يعني أن راشداً بفرض أنه ولد في نفس العام الذي قتل فيه ابن الزبير عاش حتى بلغ من العمر مائة وثلاثة عشر عاماً،

وكيفما كان الحال فقد تولى راشد العربي أو البربري المُعرب، قيادة الامارة العلوية الفتية في تلك المرحلة الحرجة من تاريخنا، اذ تولى تربية ادريس الأصغر وكفله حتى فطم وشب، فأدبه أحسن أدب، وأقرأه القرآن فحفظه وله من العمر ثمانية أعوام، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها، ودربه على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكائد الحروب.

وفي نفس الوقت تولى أمر البلاد، فكان يصلي بالناس، ويحكم فيهم بما يقتضي الكتاب والسنة. ويذكر ابن أبي زرع، الى أن بلغ إدريس بن إدريس من العمر احدى عشرة سنة وخمسة أشهر «عزم مولاه راشد على أخذ البيعة له على قبائل المغرب من البربر وغيرهم، فاتصل الخبر بابراهيم بن الأغلب عامل افريقية، فحاول قتل راشد، فاندس اليه من أبلغ أموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر فاستهواهم بها فقتلوا راشد»[55] ولكن ابن الأبار يروي لنا السبب الحقيقي لمقتل راشد وهو أن راشد بعد أن تمكن من السيطرة على الأسور، علا أمره واستفحل، وأكثر من تجنيد الجنود واعداد العدد والمواد لاستكمال رسالة مولاه وفتح بقية بلاد المغرب أي غزو افريقية. مما دفع ابراهيم لبذل الأموال حتى قتل راشد في 186هـ/802م[56]. ويرجح ذلك ما أورده ابن خلدون في مقدمته عن الدفاع عن نسب الأدارسة وتفنيد دعوى المنكرين له من الأغالبة بالقيروان وبنى العباس ببغداد بقوله: «ولما تأدى اليهم خبر الحمل المخلف لادريس، . . . واذا بالدعوة قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت. . فكان ذلك عليهم أنكى من وقع السهام. . فعند ذلك فزعوا الى أوليائهم من الأغالبة

= حينما تمكن إبراهيم بن الأغلب من قتله في 186هـ عن طريق التآمر وهذا غير معقول مما يضعف من قصة نسبي هذه أنظر، بعض مشاهير أعيان فاس في القديم ص 37.

(55) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 24ـ25، 27.

(56) ابن الابار : الحلة السيراء 1: 53، 100

بافريقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم»[57]

تولى كفالة ادريس الأصغر ـ بعد مقتل راشد ـ **أبو خالد يزيد بن إلياس العبـدي**، الى أن وصـل ادريس الى سن الرشد في 188هـ/804م بعد أن تخطى الثالثة عشر من عمره والمصادر التي بين أيدينا تصمت عن التعريف بأبي خالـد يزيد بن إلياس العَبْدي الذي استمرت وصايته لادريس الأصغر من 186هـ الى 188هـ[58]. واذا علمنا أن لقب العبدي يطلق على الأفراد الذين ينتسبون إلى «بني عبد الدار» بطن من قصي بن كلاب أو «بني عبد القيس» بطن من أسد، من ربيعة أو «بني عبد مناة» بطن من كنانة وكلهم من القبائل المضرية العدنانية[59] زجحنا قرابة الوصي الثاني أبي خالد يزيد للوصي الأول راشد لانتمائهما الى قبيلة كنانة العربية.

وتركزت أعمال أبي خالد يزيد بن إلياس العبدي في أخذ البيعة لادريس الأصغر على جميع قبائل البربر وتثبيت أمامته، فبويع المبايعة الأولى بعد تخطيه الحادية عشرة في 186هـ بعد اغتيال راشد. وبويع المبايعة الثانية بعد تخطيه الثالثة عشرة وبلوغه سن الرشد في 188هـ فرفعت الوصاية عنه وتولى حكم الامارة العلوية بنفسه[60].

وبدأ **إدريس الثاني** ولايته بخطبة الناس يوم الجمعة بقوله: «أنا قد ولينا هذا الأمـر الـذي يضـاعف للمحسن فيه الأجر، وللمسيء الوزر، ونحن ـ

(57) ابن خلدون: العبر 1: 32

(58) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 27، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 3: 197، ابن خلدون: العبر 4: 18، السلاوي: الاستقصا 1: 146

(59) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 116ـ118، 170، القلقشندي: صبح الأعشى 1: 350، 356، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب 336، 338، 344

(60) البكـري: المسالك ص 122، الاستبصار في عجائب الأمصار ص 196، ابن زرع: الأنيس المطرب ص 28، ابن خلدون: العبر 4: 18

والحمد لله ـ على قصد جميل فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا، فإن ما تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا»[61] ولا تمدنا هذه الخطبة أو المصادر المتوفرة بين أيدينا بمفهوم واضح للحكم عند الأدارسة.

كان الأدارسة شيعة معتدلين، ولعلهم كانوا زيدية وهم يركزون الخلافة، لا على البيعة، بل على الانتساب الى عائلة الرسول (ﷺ). والأدارسة ينحدرون من علي وفاطمة. فهم من أهل البيت والطابع الديني لحكم الأدارسة، أقل وضوحا مما هو عند بني رستم بتاهرت ولكنه يتميز بمميزات منها:

مسألة البركة ـ أي القول والايمان بأن ادريس منحه الله قدرة خاصة ـ عمل مولاه راشد على اذاعتها بين قبائل البربر. وكانت هذه القبائل من قبل، ثائرة ضد أهل السنة في بداية القرن الثاني الهجري. ولعل مسألة البركة هذه هي السبب، بالاضافة الى المبررات السابقة، الى البيعة السريعة لادريس والى الاعتراف به إماما. فليس من الواضح أسباب نجاح ادريس مع رئيس قبيلة أوربة المعتزلي وقبائل المغرب الأقصى الخارجية، إلا اذا اعتبرنا أن عاملاً آخر لعب دوراً، وهو ما يدعي «بركة أهل البيت» وتعلق القبائل البربرية بها[62].

إتخاذ الأدارسة «لقب الامام» كرمز لاستحقاقهم الشرعي للخلافة. ويبدو أنهم وجهوا اهتمامهم الى تأسيس سلطتهم السياسية والى تقويتها أكثر مما وجهوه الى تحديد مذهبهم الديني ويزعم أحد الباحثين أنهم كانوا ضد الخلافة السنية بدليل معارضتهم للخلافة العباسية ببغداد وولاتهم الأغالبة بإفريقية والدولة الأموية السنية بقرطبة[63] ولكن نظرة خاطفة على تشكيل أول جهاز

(61) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 28

(62) G. Marcais : La Berbérie Musulmane et l'orient au Moyen-Age P. 125 ، محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب ص 34.

(63) محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب 35

حاكم للامـارة العلوية، يتضح لنا أنهم اعتمدوا على علماء وفقهاء للمذهب السني المالكي[64].

ويبـدو أن انتشـار دعـوة الأدارسـة بسرعـة في وسط خارجي يعود الى مرونتهم ولا يلاحظ أية تعصب لهذه الدعوة في الحروب التي شنها إدريس الأول وخليفته ضد برغواطة في سهول تامسنا، ولا في استيلائه على مدينة تلمسان. كما أن ادريس الأصغر لم يقم بأي عمل متطرف من شأنه أن يبرهن عن اتباع ضيق لنظرية الشيعة لما حارب مصمودة وفتح مدنهم، ولما استعاد مدينة تلمسان وبالعكس فإن كل حركات الأدارسة وسكناتهم تبرهن على عدم التطرف العقائدي[65].

واذا كانت فترة حكم إدريس الأول تميزت بالعمل على نشر الاسلام بين القبائل البربرية، فإن أهم ما ميز فترة حكم إدريس الثاني (الأصغر) هو إقامته مدينـة فاس[66] التي تحولت الى منـطقة ضغط منخفض تجذب إليها تيارات متعددة من القبائل العربية سواء أتت من الأندلس أو من القيروان وافريقية.

(64) أنظر ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 27 والصفحات التالية لهذا البحث.

(65) ابن خلدون : العبر 4 : 17، 18، محمد ولد داداه: مفهوم الملك في المغرب ص 35

(66) هناك روايتان متناقصتان مرتبطتان بالأحداث المتعلقة بالتأسيس والرواية التي أكثر شيوعا، هي التي دونها المؤلفون في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. تقول بأن المدينة انشئت على العدوة اليمنى لنهر فاس سنة 192هـ/808م وهي السنة التي أخذ بها إدريس الأصغـر نفسه بتصريف الأمور. وتقول هذه الرواية نفسها، دون أن تقدم أي تفسير للأمر بأن إدريس عاد فبنى في السنة التالية مدينة ثانية على العدوة اليسرى للنهر، واتخذها مقرا له. وقد قام ليفي بروفنسال بدراسة قضية تأسيس فاس واهتدى إلى رواية ثانية أقل شيوعا وإن كانت أقدم عهدا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وبموجب هذه الرواية انتهى بروفنسال إن المدينة الواقعة على العدوة اليمنى هي من بناء إدريس الأكبر الذي أخذ ببنائها قبيل وفاته لكنه لم يتممها. فجاء ابنه بعد ذلك بنحو عشرين سنة أي في 193هـ/809م، فأسس مدينة على العدوة اليسرى، بدلا من استئناف العمل في مبان علتها الاعشاب والنباتات عبر السنين وبالرغم من جدية الدراسة إلا أنها تحتاج إلى نصـوص أخـرى مؤيدة وقد قام اسماعيل العربي بتفنيد رأي بروفنسال أنظر ليفي بروفنسال: الاسلام في المغرب والأندلس ترجمه السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين، القاهرة 1958 ص1ـ50. روجيه لوتورنو: فاس ص 19ـ20، إسماعيل العربي: دولة الأدارسة ص 87 وما بعدها.

فالامام الادريسي العربي، كان غريبا وحيدا، في محيطه الجديد، بالرغم من وجود بعض العناصر العربية القليلة التي كانت تحيط به، مثل راشد الكناني، وأبو خالد يزيد بن إلياس العبدي[67]. وبعض أهله مثل أخيه سليمان الذي استقل أبناؤه بالمغرب الأوسط وابن عمه داود بن القاسم ابن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. إلاّ أن هؤلاء كانوا قلة قليلة لم تستطع أن تغير من طبيعة الاحساس بالغربة والدليل على ذلك أن بعض هؤلاء الوافدين فضلوا العودة الى وحشة المشرق على البقاء في أمن المغرب، مثل داود ابن القاسم الذي رجع الى المشرق على أيام إدريس الأصغر، وان كانت ذريته قد بقيت في المغرب[68].

لذلك يروي صاحب القرطاس أن ادريس الثاني أقام بقية سنة 188هـ التي ولي فيها يعطي الأموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء والأشياخ «فانهالت عليه في العام التالي 189هـ» وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الأندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبني يحصب والصدف وغيرهم» من القبائل اليمنية الجنوبية. فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر. فاعتز بهم لأنه كان فريدا بين البربر[69].

وبدء ادريس الثاني بتشكيل حكومته من زعماء القبائل العربية الوافدة فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي، وكان من فرسان العرب وسادتها، ولأبيه مصعب مآثر بافريقية والأندلس. وينسبه صاحب مشاهير أعيان فاس بقوله: «هو عمير بن مصعب بن خالد بن هرثمة بن الأمير يزيد بن الأمير المهلب بن

(67) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 336، 338، 344، بيوتات فاس الكبرى ص 37

(68) البكري : المسالك ص 122ـ123، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 210، ابن خلدون: العبر 4: 17، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي 2: 441

(69) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 29

20

أبي صفـرة» هرب أبوه مصعب من المشرق هو وقومه من الأزد فاستقروا بالأندلس بعد قيام الدولة العباسية واضطهاد بني أمية وأنصارهم من بني المهلب الأزديين. ثم وفد الابن عمير بن مصعب مع قومه من الأزد على ادريس الثاني فيمن وفد عليه من الأندلس. فأستوزره ادريس واستخدمه في الامارة والحجابة[70].

كما عين عامر بن محمد بن سعيد القيسي من عرب قيس عيلان، قاضيا، وكان رجلا صالحا ورعا فقيا سمع من مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي السني، وسفيان الثوري وهو فقيه ومحدث مالكي شهير توفي (95 أو 97هـ/161م). وروى عنهما كثيرا، ثم خرج الى الأندلس برسم الجهاد، ثم جاز الى العدوة فوفد منها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب[71].

أما خطة الكتابة فقد أسندها الى أبي الحسن عبد الله بن مالك المالكي الخزرجي الأنصاري وهو الذي تولى كتابة العقد الخاص بشراء أرض مدينة فاس من أصحابها من القبائل البربرية[72]. بعد أن بعثه ادريس الثاني للاصلاح بين بطون البربر بالمنطقة التي شاعت بينهم الفتن والاضطرابات[73].

ويبدو أن ادريس الثاني أسند خطة الصلاة الى بني حدور الخزرجيين اذ يروي صاحب مشاهير أعيان فاس «ومنهم بيت بني حدور الخزرجيين، بيت فخر قديم وفقه، يروا أن جدهم وفد من الشرق على.. ادريس بفاس، وهو فارس عربي خزرجي من الأنصار، منهم الفقيه الصالح موسى بن محمد ابن موسى بن حدور، أم بجامع القرويين في الصلوات الخمس نيابة، وهو من

(70) مشاهير أعيان فاس في القديم ص 11، 12، 13، ابن خلدون: العبر 4: 18

(71) القاضي عياض: تراجم أغلبية من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي ص 468، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 29

(72) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 27، 32 ويذكر ابن خلدون أن إسم الكاتب هو أبو الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجي أنظر العبر 4: 18

(73) ابن خلدون: العبر 4: 18

أهل العلم والصلاح»[74]. في حالة عدم قيام الامام بنفسه بالصلاة بالمسلمين.

ونتيجة لتطور الأحداث بإفريقية والأندلس، توالت وفود القبائل العربية الى المغرب الأقصى. ففي افريقية قامت الدولة الأغلبية بالقيروان وفي خلال فترة حكم مؤسسها ابراهيم بن الأغلب (184ـ196هـ/800ـ812م) توالت ثورات الجند العربي وزعماء القبائل العربية[75] مما دفع بعضها سواء لعدم الاشتراك في الفتنة أو الخوف من انتقام الأغالبة والعباسيين، أو الميل للعلويين، الى الوفود على ادريس الثاني بوليلي. أما الأندلس فقد كان على رأس الدولة الأموية الحكم بن هشام الملقب بالربضي (180ـ206هـ/796ـ822م) ونتيجة الصراع بين الفقهاء والأمراء على النفوذ في الدولة استغله أهل قرطبه من العرب والبربر والمولدون في الاعلان عن سوء وضعهم بصفة عامة كطبقة اجتماعية كبيرة. اندلعت ثورة أهل قرطبة في 187هـ حسب رواية ابن الأثير أو 189هـ/804ـ805م حسب أغلبية المصادر المغربية والأندلسية مما دفع الحكم الى القبض على رؤسائهم ثم أمر بقتلهم وصلبهم، وتتبع من تمكن من الفرار منهم. وتوالت ثورات أهل قرطبة ضد الحكم بعد ذلك في السنوات التالية، واضطر أهلها من العرب من الهروب الى المغرب الأقصى، حيث لجؤوا الى ادريس الثاني بوليلي[76]. حتى كثر الناس لديه، وضاقت بهم المدينة ففكر ادريس الثاني في بناء مدينة فاس للاستقرار مع حاشيته العربية.

غضب أسحق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة أوربة وغيره الذين

(74) ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم ص 51

(75) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص 224ـ225، ابن الأثير: الكامل 6: 156ـ157، والنويري: نهاية الأرب 22: 254ـ255

(76) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس 1: 331، 2: 177، 180، ابن الاثير: الكامل 6: 188، ابن عذاري: البيان المغرب 2: 106، حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس ص 20 وما بعدها

تأثرت مكانتهم عند الامام بسبب توافد زعماء القبائل العربية والإلتفافهم حوله، وتحول الغضب الى ثورة بعد أن شكل الامام منهم وزرائه وقضاته وولاته، ثم فقدوا صوابهم جينما بدء الامام في العمل من أجل تأسيس عاصمة جديدة للامارة الادريسية بالمغرب الأقصى، واعتقدوا أنه بهذا العمل قضى على ما بقي من مكانتهم كزعماء لقبائلهم التي أجارت أول امام لهذه الأسرة العربية العلوية.

واستغل ابراهيم بن الأغلب، تذمر زعماء القبائل البربرية «فأرهف عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على ادريس» فكاتب ابن الأغلب، بهلول بن عبد الواحد المدغري وكان رئيسا معظما في قومه، وكان من خاصة ادريس ومن أركان دولته، واستهواه بالمال حتى بايع الرشيد العباسي، وانقلب على ادريس وحاربه وتمكن إدريس من استئلاف الزعيم البربري وتحييده[77]. ولكن حينما أحس ادريس من اسحق بن محمد زعيم أوربة بإنحراف عنه، وموالاة لابن الأغلب، أسرع وأمر أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي العربي - وصية الثاني بعد راشد - بقتله والقضاء على الفتنة في مهدها[78].

وتم اختيار موقع المدينة العربية الجديدة بعد عدة محاولات وان كان سبب بناء المدينة يعود الى وفود العرب فكذلك المحاولات التي بذلت لاختيار موقع المدينة، قد كان لها علاقة بالعرب سواء عن طريق مباشر أو غير مباشر ففي 190هـ/805-806م، اختار ادريس الثاني جبل زالغ كموقع للمدينة فقد «أعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاختط المدينة بسنده» وشرع في بنائها وبنى جزءا من سورها ولكن ما أن تساقطت السيول على الجبل حتى جرفت أمامها ما كان بناه من السور «وحمل ما حوله من خيام العرب» مما يدل أن هجرة العرب الى ادريس كانت قبائلية.

(77) أنظر ابن الابار: الحلة السيراء 1: 55، 111، 112، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 26-27، السلاوي: الاستقصا 1: 148-149.

(78) أنظر البكري: المسالك ص 123، السلاوي: الاستقصا 1: 149

أما المحاولة الثانية فكانت في المحرم 191هـ/806هـ عندما خرج ادريس الثاني يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا للمدينة، فوصل الى وادي سبو، حيث حمة خولان[79] نسبه الى قبيلة خولان العربية وهم بنو خولان ابن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ. وبلاد خولان في شرقي بلاد اليمن، وقد افترقوا في الفتوحات الاسلامية، وانتقلوا الى الشام ومصر والمغرب والأندلس، فخملت أنسابهم واندمجوا بغيرهم. وما يهمنا منهم هم خولان المغرب الذين نسبت اليهم حمه خولان[80]. وهي حمة سيدي حرازم الحالية. ويضيف البكري أنه في الطريق من مدينة طنجة الى مدينة فاس توجد قلعة ابن خروب وهي لكتامة من بطون مصمودة «ويقرب هذه القلعة قرية كبيرة لعرب خولان اهله، كثيرة الخير وهي على نهر زلول»[81] وشرع ادريس في حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب وابتدأ البناء ولكن ما أن أتى فصل الشتاء وازدادت مياه وادي سبو حتى خشي ادريس فيضان الوادي على المدينة فأوقف البناء وعاد الى وليلي.

وشاءت الأقدار أن تتم المحاولة الثالثة الناجحة على يد أحد زعماء القبائل العربية الذي وفد على إدريس وهو الوزير عمير بن مصعب الأزدي الذي أسند اليه إدريس مهمة اختيار موقع المدينة فسار عمير في جماعة من قومه الأزد ونزلوا بالقرب من موقع فاس على عين غزيرة المياه، فنسبت العين اليه وسميب «عين عمير»[82] ثم اختاروا موقع المدينة الذي أثبتت الأحداث التالية ما يتمتع به من مميزات متعددة.

أولى هذه المميزات وقوع فاس عند ملتقى طريقين رئيسيين حددتهما طبيعة الأرض هناك، أحدهما يبدأ عند شواطىء البحر المتوسط (في طنجة أو

(79) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 29ـ30، السلاوي: الاستقصا 1: 149

(80) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 392ـ933، القلقشندي: نهاية الأرب ص 248

(81) البكري : المسالك ص 109

(82) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 30، السلاوي: الاستقصا 1: 150

سبتة أو باديس القديمة) ويمتد الى الصحراء وما وراءها الى قلب القارة السوداء، مجتازا سهل سايس الذي تقوم فاس عند طرفه. وهو طريق يكاد يكون خطاً مستقيمًا، ويمكن اجتيازه حتى في الشتاء، لأن الثلوج لا تتساقط بغزارة على المناطق الجبلية التي يخترقها. والطريق الثاني يبدأ من المحيط الأطلسي الى المغرب الأوسط. وقد يختلف اتجاهه بين المحيط وفاس، إلاّ أن اتجاهه بعد هذه المدينة تحدده طبيعة الأرض. ففاس تقع عند تقاطع هذين الطريقين الرئيسيين[83].

أما ثان هذه المميزات وهي في غاية الأهمية بالنسب الى المغرب الأقصى وهي وفرة مصادر مياه المدينة. فالماء الذي تمتصه الطبقات الكلسية في الأطلس الأوسط، يُكَوِّن منطقة من المياه الجوفية، تتفجر منها في سهل سايس، ينابيع كثيرة تتحد لتغذي نهر فاس، أو على الأصح أنهار فاس، يضاف الى ذلك الينابيع التي تتفجر من العدوات الشديدة الانحدار التي حفرها نهر فاس مسيلاً له. اذ يروي صاحب روض القرطاس أن منابع نهر فاس «عيون كثيرة تزيد على ستين عنصرا ومياهها تطرد في فسيح الأرض» وترتب على ذلك أنه حتى لو تمكن العدو المحاصر للمدينة من تحويل مجرى النهر مؤقتا، وهو ما حدث في الواقع بعد بناء فاس، فإن سكان المدينة لا تنقطع عنهم المياه ألبتة، ذلك لأنها تتجمع حتى داخل الأسوار.

وثالث هذه المميزات أن المدينة بنيت على مقربة من المقالع التي زودتها بمواد البناء اذ كانت تقع بين جبلين، ولم تكن بعيدة من جبال الأطلس الأوسط وغاباته الغنية بالأخشاب، وكانت تقوم في وسط منطقة زراعية خصبة[84].

ورغم هذه المميزات الهامة، فإن موضع فاس لم تستوطنه جماعات ذات

(83) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ترجمة نقولا زيادة ص 15، 17

(84) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 31، السلاوي: الاستقصا 1 : 150، روجيه لوتورنو: فاس ص 17، 18

قيمة قبل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[85]. والمصادر العربية تذكر أن مدينة قديمة قامت في الموضع نفسه، ذلك على الرغم من أنه لم توجد آثار أو بقايا لها في الفترة التي أنشئت فيها المدينة الاسلامية[86].

وتـذكـر أغلبية المصادر أن مدينة فاس بنيت على مرحلتين متتاليتين: الأولى تبدأ في 191هـ/807م حينما قام ادريس الثاني وحاشيته العربية بمعاينة موضع مدينة فاس، وشراء ادريس لموضع عدوه الأندلس (بالضفة اليمنى لنهر فاس) من أصحابها بني يرغش من البربر بمبلغ ألفي درهم وخمسمائة درهم. وتولي الفقيه أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري، كتابة، عقد الشراء.

ضرب ادريس الثاني أبنيته وقبابه، لاقامته وحاشيته العربية وبقية من وفد عليه من العرب، ثم شرع في بناء سور المدينة من الخشب والقصب وسمى الموضع الذي نزل به ادريس، جرواوة. ثم أمر ادريس ببناء الجامع الذي برحبة البير المعروف بجامع الأشياخ، الذي خصصه للخطبة وانتهى بناء المدينة في غرة ربيع الأول 192هـ/يناير 808م. ومن المحتمل أن المدينة عرفت في ذلك الوقت باسم فاس، بناء على ما عثر عليه من نقود سُكت بها[87]، وانها

(85) روجيه لوتورنو : فاس ص 18

(86) كانت تسمى ساف وينقل ابن أبي زرع عن البرنسي أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار يبنيها لسكناه بقنطرة عزيلة من المدينة... فوجد في الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم المسند «هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة للعبادة» أنظر الأنيس المطرب س 37، 38، 45

(87) هناك رأي ثان يذكر أن بناء المدينة تم في 172هـ والمؤسس هو إدريس الأول (الأكبر) ولقد أورد ليفي بروفنسال عدة أدلة على صحة رأيه هذا منها:
العثور على دراهم سكت بمدينة فاس في 185هـ، 189هـ قبل تاريخ التأسيس بمدة أما الدراهم التي تحمل إسم إدريس الثاني فقد سكت في مدينة العالية ومؤرخه في السنوات 198، 207، 208... إلخ. أنظر ليفي بروفنسال: الاسلام في المغرب والأندلس ص 15-19، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 32، 38، الجزنائي : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص 19، 24

لم تكن سوى بلدة صغيرة ذات طابع بربري ريفي، شأنها في ذلك شأن القرى المتناثرة التي تنتشر في جنوب المغرب الأقصى والتي لا تضم من العمران غير بضعة دور متنوعة[88].

أما المرحلة التالية فتبدأ في العام التالي 193هـ/809م، بعد شراء ادريس الثاني لموضع عدوة القرويين، بالضفة اليسرى لنهر فاس، من بني الخير الزواغيين بثلاثة آلاف درهم وخمسمائة درهم، وكان موضعها شعراء وغياضا ملتفة، وتميزت بكثرة العيون وتدفق الأنهار، فانتقل ادريس الثاني من موضع عدوة الأندلس، اليها، ونزل بموضع يعرف بالقرمدة، وضرب فيه قيطونه، وأخذ في بناء الجامع، وهو المسجد الذي سيعرف بعد ذلك بجامع الشرفاء، وأقام فيه الخطبة، ثم أخذ في بناء داره المعروفة بدار القيطون، ثم بنى القيسارية أي السوق الكبير الى جانب المسجد الجامع، وأدار الأسواق حول المسجد من كل جانب.

ولكي يرغب ادريس الثاني أتباعه من العرب والبربر في البناء وتعمير المدينة أعلن بينهم «من ابتنى موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالى» فأسرع الناس بإبتناء الديار واغتراس الثمار، وكثرت العمارة فكان الرجل يختط موضع منزله وبنيانه وبستانه من الشعراء ثم يقطع منه الخشب فيبني به لا يحتاج الى خشب من مكان آخر.

وبالاضافة الى ذلك، لما فرغ ادريس الثاني من بناء المدينة وأداره السور حولها وترتيب الأبواب في مدة تتراوح ما بين ثلاثة أو أربعة سنوات، عمل على استقرار القبائل العربية بها فأنزل كل قبيلة بناحية من نواحيها «فنزلت العرب القيسية من باب افريقية الى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين، ونزلت الأزد بجوارهم، ونزل اليحصبيون بجوار القيسية من الجهة الأخرى»[89].

(88) أنظر ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس ص 35

(89) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 38، 39، 50

ومن أهم البيوتات القيسية العدنانية التي لعبت دورا بارزا في تاريخ مدينة فاس الاداري والعلمي بيت بني يسكر الكنانيين، نسبة الى بني كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعد بن عَدْنان[90]. بيتهم بيت ثروة قديم، جاء جدهم من المشرق الى المغرب وهو فارس عربي كناني ممن وفد على الامام ادريس بن عبد الله، فأسكنه بفاس، منهم الفقيه أبي الفضل محمد يسكر توفي بفاس في ذي القعدة 598هـ/1202م والفقيه محمد بن عبد الله بن أبي الفضل.

وبيت بني حَنين، وهم من العرب من كنانة، بيت فقه وثروة، ولهم زقاق بفاس أحدثوا به رحا يقال له ميزاب بن حنين. وكانوا أهل جمال وحسن، منهم الفقيه الشاعر أبو الطيب سعيد بن حنين، توفي بفاس سنة 473هـ/1080م[91].

وبيت بني بكار القيسيين، وبيتهم بيت علم وفقه، ومنهم الفقيه بكار بن عبد الرحمن القيسي الذي توفي بفاس في 540هـ/1145م. وبيت بني السلالجي، وبيتهم بيت ثروة وفقه، منهم الفقيه الامام المعروف بالسلالجي، وكان فقيها اماما عاملا محصلا وهو صاحب البرهانية في أصول الدين، وشهرته بالسلالجي لسكناه بجبل سليلجو، وكان يتردد اليه من فاس، وهو الذي أنقذ أهل فاس من التجسيم، وعنه نشأ في المغرب علم أصول الدين، توفي بفاس في 594هـ/1197م شبهه البعض بالعالم الامام أبي المعالي الجويني امام الحرمين. ومن أحفاد السلالجي من وهب حياته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة الناس ويصف صاحب مشاهير أعيان فاس، جدهم بقوله «كان ظريف الشكل حسن البزة، صاحب شجاعة قوي الساعد، اذا رأيته بالنهار كأنه امرأة وبالليل كالأسد، يتسور ليلا على سور البلد ويرمي بنفسه

(90) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 10، مشاهير أعيان فاس ص 41

(91) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص 322، مشاهير أعيان فاس ص 39، 41

خارج المدينة، وقد استعد لذلك بسكينه في يده» لمعاونة المسافرين الذي يأتون الى فاس ويدخل عليهم الظلام فيضطرون للنوم خارج المدينة، حتى يأتي الصبح وتفتح الأبواب، فيتعرضون لقطاع الطرق، الذين يسلبون أموالهم ويمثلون بنسائهم[92].

ومن البيوتات المضرية التي تنتمي والقيسية الى القبائل العدنانية الشمالية، بيت بني شون من قبيلة هذيل وهم هذيل بن مدركة بن إلياس، وهما من خندف من مضر[93] منهم القاضي عبد الله بن أحمد بن وشون الهذلي، ولي القضاء بفاس وتوفي في 519هـ/1125م، وولي القضاء منهم بالمغرب جملة[94].

وبيت بني الغرديس، التغلبيين، نسبة الى بني تغلب وهم حي من وائل، من ربيعة، من العدنانية[95] بيتهم بفاس بيت علم وفقه وكتابة، نزل جدهم بكار بن مرهون بن عيسى سجلماسة، ثم دخل المغرب ولهم بيت شهير بفاس[96].

وبيت بني بكار بن راشد مولى الامام ادريس بن عبد الله وهو من عرب بني كلاب بن كنانة من المضرية، وبيت بني بكار بيت علم متين، ولي القضاء منهم بفاس في دولة الأدارسة ثلاثة قضاة، وانقرضوا ولا عقب لهم[97].

وبيت بني أبي حاج القرشي، بيتهم بيت حسب وثروة وفقة وعلم وعدالة، ولهم زقاق بفاس يقال له درب أبي حاج، منهم الفقيه المدرس المفتي

(92) مشاهير أعيان فاس ص 41، 45، 46، جذوة الاقتباس ص 289، سلوة الأنفاس 2: 183

(93) ابن حزم : جهرة أنساب العرب ص 185ـ186، القلقشندي: نهاية الأرب ص 435

(94) مشاهير أعيان فاس ص 41، جذوة الاقتباس ص 235 ، سلوة الأنفاس 2: 49

(95) ابن حزم : جهرة أنساب العرب ص 286ـ287، القلقشندي: نهاية الأرب ص 186

(96) مشاهير أعيان فاس ص 69

(97) أنظر ابن حزم : جهرة أنساب العرب ص 265ـ266، القلقشندي: نهاية الأرب ص 407، مشاهير أعيان فاس ص 37ـ38

الخطيب أبو عمران موسى بن أبي حاج القرشي المعروف بأبي عمران الفاسي، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبسبب ذلك أخرجه من فاس واليها لمغراوة فاستقر بالقيروان الى أن توفي في 430هـ/1038م. وتولى القضاء بعضهم بفاس في أيام المرابطين وفي غير فاس من المغرب.

وبيت بني عتيق العبدريين، وبنو عبد الدار من قريش، بيتهم بيت علم وثروة وحسب، ولهم درب بطالعة فاس يقال درب ابن عيتق، منهم الفقيه محمد ابن عبد الله بن يحيى بن عتيق العبدري، توفي بفاس. وكانت جماعة منهم فقهاء وعدول.[98]

أما البيوتات اليمنية التي نافست القيسية في الادارة والعلم والفقه فأهمهم بيت بني الملجوم وهم بنو عمير وزير الامام ادريس الثاني يتمون الى المهلب بن أبي صفرة الأزدي، القائد المشهور، هرب عمير وقومه من الأزد من المشرق[99] ويرجح من مدينة الكوفة حيث استقرت قبيلة الأزد بعد تأسيس المدينة في 17هـ/638م ولجأوا الى الأندلس حيث استقروا بمدنه، سرقسطة وطليطلة ورية[100]. وما أن قامت الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى حتى لجأ بنو عمير وعصبيتهم من الأزد الى ادريس الثاني ونسبت اليهم «عين عمير» التي هي بخارج مدينة فاس، سميت به لنزوله عليها هو وقومه الأزد.

وكما سبق وقام مؤسس الدولة الادريسية، بالعمل على امتزاج العنصر العربي بالعنصر البربري، حينما ترك جاريته البربرية حاملا في ادريس الثاني، كذلك نجد عمير الوزير يتخذ له زوجات بربريات بالاضافة الى زوجته العربية الأولى من بني الخير الزواغيين الزناتيين وكان ساكنا بها مع قومه من الأزد وقومها الزواغيين بعين عمير، مما يدل على تجاور البطنين العربي والبربري.

(98) مشاهير أعيان فاس ص 13

(99) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 1: 64 ترجمة 1277، 2: 81 ترجمة 1329، 151 ترجمة 1419 للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 454

(100) أنظر مشاهير أعيان فاس ص 44-45، 52، جذوة الاقتباس 1: 241

أما الثانية من بني بهلول الزناتيين، وكان ساكنا بها مع قومها بني بهلول عن يمين المار الى فحص سايس منحدرا على وادي فاس، نحو فرسخ (ثمانية كيلومترات) من مدينة فاس. والثالثة عاتكة بنت الامام ادريس الثاني، وكان ساكنا بها بطالعة مدينة فاس[101].

وعمير بن مصعب هو جد بني الملجوم المذكورين أعلام مدينة فاس، تداولوا القضاء بها والفتوى والشهادة ومنهم: الفقيه العالم يوسف بن عيسى من أهل الفتوى والشورى وهو الذي استفتاه يوسف بن تاشفين اللمتوني لما أراد القضاء على أمراء الأندلس وتوفي في ذي الحجة 492هـ/1099م[102]. والفقيه الامام القاضي المفتي المدرس عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى ابن قاسم المدعو بالملجوم بن مصعب بن عمير، ولي القضاء بفاس ومكناس الزيتون وكان عارفا بالفقه. والنوازل ذاكرا للمسائل، متقدما في الأحكام، عالما بالفرائض توفي في 545هـ/1150م[103]، وابنه الفقيه القاضي عبد الرحيم ولي القضاء بعد أبيه. وتوفي في 603هـ/1206م[104].

ومنهم بيت البان الأزديين، بيتهم بيت فقه، منهم الفقيه القاضي محمد البان الأزدي، والبان التي عرف بها امرأة اسمها البان بنت جنان، ولي القضاء بفاس أيام مغراوة، وولي القضاء بالمغرب منهم جماعة ولا عقب لهم.

ومنهم بيت بني الملحُوم (بضم الحاء المهملة)، وهم من الأزد، وليسوا من بيت الملجوم[105].

ومنهم بيت أبي منديل الأنصاريين، بيتهم بيت علم وصلاح وتعليم

(101) مشاهير أعيان فاس ص 13ـ14

(102) أنظر ترجمته في جذوة الاقتباس ص 345

(103) أنظر ترجمته في جذوة الاقتباس ص 281

(104) أنظر ترجمته في جذوة الاقتباس ص 267، الذخيرة السنية ص 41

(105) مشاهير أعيان فاس ص 46ـ47

القرآن الكريم، منهم الفقيه الخطيب علي بن أبي منديل الأنصاري امام جامع القرويين وخطيبه.

ومنهم بيت بني حزب الله الخزرجيين[106]، بيتهم بيت أصالة وعلم، أصلهم من الأندلس، استوطنوا مدينة فاس، ومنهم الفقيه المدرس الخطيب أبو فارس بن هلال الخزرجي وأولاده الخطباء.

وبيت بني فرقاجة، بالجيم، ويقال بالشين، الخزرجيين، بيتهم بيت فقه وثروة، ولهم زقاق بفاس يقال له وطا ابن فرقاجة، منهم الفقيه محمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن يوسف بن حسون. وكل من بني حزب الله وبني فرقاجة ينتسبون الى سعد بن عبادة الخزرجي.[107].

وبيت بني حدور الخزرجيين، بيت فخر قديم وفقه، وفد جدهم وهو فارس عربي خزرجي من المشرق على ادريس الثاني بفاس، منهم الفقيه موسى ابن محمد بن موسى بن حدور وأخوه الفقيه أبو حامد محمد بن موسى ابن حدور.

وبيت بني رضوان النجاريين[108] من الخزرج، كانوا بمالقة وجدهم رضوان بن يوسف بن رضوان الخزرجي الأنصاري، وولده القائد يوسف والد الخطيب القاضي الكاتب أبي القاسم عبد الله شيخ ابن الخطيب وغيره، واستقر خلفهم بفاس، ولهم بيت وحظوة بها[109].

(106) نسبة إلى قبيلة الخزرج، أحد قبيلي الأنصار، أخوه الأوس ويقال لكليهما بنو قيلة، وكان لهم ملك مدينة يثرب قبل الاسلام مع اخوتهم الأوس، نزلوها عند خروج الأزد من اليمن أنظر القلقشندي: نهاية الأرب ص 52-53

(107) مشاهير أعيان فاس ص 17، 18، 19، 38

(108) نسبة إلى بني النجار، بطن من الخزرج، من الأزد واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، منهم أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ) انظر القلقشندي: نهاية الأرب ص 76

(109) مشاهير أعيان فاس ص 51، 52، 70

أما البيوتات العربية والتي لم نتمكن من التعرف على أصولها العدنانية أو القحطانية فمنهم: بيت بني لُبابة، وبيتهم من العرب، وهم من ولد الفقيه محمد بن لبابة، وبيتهم بيت فقه وعدالة، منهم الفقيه منصور بن لبابة، ومنهم جماعة بسماط العدول[110].

وبجانب القبائل العربية استقرت القبائل البربرية مثل صنهاجة ولواته ومصمودة وكذلك خلق كثير من اليهود، فأنزلهم ادريس الثاني بناحية أغلان الى باب حصن سعدون وفرض عليهم الجزية، فكان مبلغ جزيتهم في كل سنة ثلاثين ألف دينار[111].

ويروي صاحب الروض القرطاس أنه في خلال ذلك الوقت «وفد عليه (ادريس الثاني) في تلك الأيام جماعة من الناس من بلاد العراق فأنزلهم بناحية عين علو»[112] ويرجح أحد الباحثين أنه ربما كان هؤلاء هم الثلاثمائة بيت من أهل القيروان، الذين أسكنهم ادريس معه فأعطوا اسمهم لهذا الجزء من المدينة أي عدوة القرويين[113] ولكن صاحب مشاهير أعيان فاس، يؤكد رواية الروض القرطاس ويوضح أن هذه الهجرة كانت عراقية الأصل، ويبدو أنها مشكلة من البطون العربية التي استقرت بمدينة الكوفة والتي كانت تميل الى البيت العلوي وكذلك مجموعة من الموالي الفرس الذين سبق ونزلوا مدينة الكوفة واستقروا بجوار العرب وشاركوا في أواخر الدولة الأموية في الحركة

---

(110) جذوة الاقتباس ص 235، مشاهير أعيان فاس ص 46

(111) إذا علمنا أن متوسط مقدار الجزية أربعة دنانير للفرد من الرجال الاحرار العقلاء أدركنا أن عدد اليهود من الرجال الذين فرضت الجزية عليهم 7500 فرد وإذا كان متوسط الأسرة اليهودية أربعة أفراد كان عدد اليهود حوالي ثلاثين ألف فرد. أنظر موطأ الامام مالك ص 188 والماوردي: الأحكام السلطانية ص 142ـ145 ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 46

(112) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 39

(113) أنظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 448.

الشيعية[114] ومنهم بيت بني مُلولة (بضم الميم واللام مع التخفيف) وهم من الفرس، وتولى القضاء منهم بفاس جماعة [115].

وهكذا يتضح لنا أن سكان المدينة الأوائل كانوا مكونين من ثلاثة عناصر متباينة. عرب جذبتهم مكانة الأسرة الادريسية، وبربر من أهل المنطقة، وفئة من غير المسلمين، من اليهود ولعل بينهم بعض من النصارى[116]. ولكن سرعان ما انضم اليهم، بعد فترة وجيزة مجموعتان أخريتان، الأولى من قرطبة بعد 202هـ/817م، والثانية من القيروان سنة 210هـ/825م. وقد خرجت كل مجموعة من بلدها، نتيجة ثورة فاشلة أسهمت فيها[117].

أما المجموعة الأولى فهم أصحاب ثورة الربض[118] بقرطبة ضد الأمير الحكم بن هشام الأموي، الذين تعددت ثوراتهم ضده، وكانت آخر هذه الثورات في 202هـ/817م، وشاركت فيها جميع سكان قرطبة من العرب، والبربر، والمولدين وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين عرب كانوا أم بربر

(114) أنظر البلاذري : فتوح البلدان ص 276، 279، الطبري: الأمم والملوك 4: 189ـ192، 263، ابن الاثير: الكامل 3 : 32، للمؤلف : دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 263

(115) مشاهير أعيان فاس ص 38

(116) يذكر المستشرق تيراس Terrasse أنه عثر عند باب جليسة على قبور يرجح أنها لنصارى، يرجع تاريخها إلى ما قبل الفتح الاسلامي أنظر Histoire du Maroc... P. 120 كما يستدل على وجود أقلية من النصارى في فاس بوجود باب في سور المدينة يسمى باب الكنيسة أنظر البكري: المسالك ص 116

(117) روجيه لوتورنو : فاس ص 20، 21

(118) الربض كلمة عامة تعني الضاحية أو الحي والجمع أرباض وكانت مدينة قرطبة من قديم مدينة عامرة بالسكان فلما جاء عبد الرحمن الداخل وأصبحت عاصمة للامارة الأموية بالأندلس، نزلها جموع من البربر القادمين من المغرب، وأصبحت المدينة غاصة بالسكان. ولما ولي ابنه هشام أعاد بناء الجسر الروماني القديم الممتد على نهر الوادي الكبير ليربط المدينة بأرضها الجنوبية فامتد العمران إلى ضفة النهر الأخرى المواجهة للمدينة فنشأ فيها حي آهل بالسكان عرف بالربض وقد امتد من ضفة النهر جنوبا حتى بلدة شقندة أنظر أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي الأندلسي ص 331، 332، للمؤلف : القبائل العربية في الأندلس ص 215

وأمهات اسبانيات ونشأوا على الاسلام وكانوا على عهد أمراء بني أمية يكونون الكثرة الغالبة من السكان.

وبعد قضاء الحكم على الثورة طرد الباقين من أهل الربض وتفرق جمهورهم من المولدين الى أطراف الثغور عامة وطليطلة خاصة حيث يمكنهم أن يحظوا بعطف سكانها المولدين المعادين لأمراء قرطبة[119].

أما الربضيون الذين غادروا الأندلس فيقدر المؤرخون العرب عددهم بعشرين ألفاً[120] لجأ بعضهم الى سواحل بلاد البربر حيث استقروا بين قبائل البربر في جبال الريف شمال المغرب ونزلت الأغلبية منهم بمدينة فاس ويقال أنهم كانوا جمعا غفيرا يقدر بأربعة آلاف أهل بيت وفي رواية أخرى ثمانية آلاف أهل بيت وتمكنوا من السيطرة عليها حتى سميت باسمهم وعرفت بمدينة الأندلسيين[121] كما نزل الباقين ومنهم بني موسى بأوزفور بالقرب من مدينة أغمات في جنوب المغرب، والبعض الآخر بمدينتي اغيغي ووليلي بالقرب من مدينة مكناس[122] مما يرجح انتماء أغلبية هذه الجماعات الى العناصر العربية والبربرية[123].

اذ أننا نجد العناصر العربية، سواء كانت من عرب قيس أو اليمن، تشارك في الثورة، بل وتتولى قيادتها، فقد استقر بالربض «أربعة آلاف فقيه

(119) ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 45، أنظر DOZY : Histoire des Musulmans d'Espagne 2 : 303

(120) ابن الخطيب : أعمال الأعلام (القسم الأندلسي) ص 16، للمؤلف : القبائل العربية في الأندلس ص 224

(121) ابن عذاري : البيان المغرب 2 : 76، 77، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 47 النويري: نهاية الأرب 22 : 90، 91، السلاوي: الاستقصا 1 : 151

(122) البكري : المسالك ص 155، للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس 225

(123) يذكر إبراهيم حركات أن الربضيين «جلهم من أصل سلتي روماني» ولكن هذا الرأي تدحضه الدراسة الحديثة لثورة الربض والعناصر التي شاركت فيها وإن كان ذلك لا يمنع من وجود بعض هذه العناصر ضمن المجموعات التي هاجرت من الأندلس الى فاس أنظر المغرب عبر التاريخ 1 : 110، وللمؤلف: القبائل العربية في الأندلس «ثورة الربض بقرطبة» ص 215ـ225.

وطالب»[124] ولذلك يروي ابن سعيد أن الفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافري وهو من عرب معافر أحد بطون القحطانية من أعظم قبائل عرب اليمن، قد اشترك في المؤامرة[125] وكذلك عيسى بن دينار بن وافد الغافقي، من عرب غافق قاعدة كورة حصن البلوط، وقد نسب الحصن الى اسم القبيلة العربية التي استقرت فيه، قد اتهم بالانضمام الى الثوار[126] فإذا أضفنا الفقيه يحيى ابن مضر القيسي، وهو من عرب الشام، الذي صلبه الحكم وأصحابه يوم الهيج[127] اتضح لنا صعوبة اشتراك هؤلاء الفقهاء والعلماء دون أن يتبعهم الكثير من قواد القبيلة التي ينتمون اليها، خاصة وان صوت الشرع في تلك الفترة يكون أقوى من صوت زعامة القبيلة اذا اختلفت مع رأي الدين.

ويرجح ذلك ما يرويه الخشني أن رجلا من عرب الفرج بن كنانة، اتهم بالحركة في الهيج، فتدخل القاضي الفرج بن كنانة القاطن في حي عرب كنانة بمدينة قرطبة لانقاذه عند الأمير الحكم بقوله: «أيها الأمير أصلحك الله ان قريشا حاربت النبي ﷺ وناصبته العداء ثم انه صفح عنهم وأحسن اليهم وأنت أحق الناس بالاقتداء به لقرابتك منه»[128] مما يدل على تفوق نسبة العرب بمدينة قرطبة خصوصا وأن القبائل العربية التي دخلت الأندلس استقرت أولا بالحواضر اذ يروي صاحب مشاهير أعيان فاس «والعرب الذين دخلوا اليها استقر أكثرهم بالحواضر»[129] ويضيف ابن بسام أن «أكثر أهل

---

(124) انظر النويري : نهاية الأرب 22: 91

(125) أنظر ابن سعيد: المغرب من حلي المغرب 1: 43، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 423، كحاله: معجم القبائل العربية 3: 115

(126) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس 1: 331، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب 1: 35، القلقشندي: نهاية الأرب ص 386، الحميري: الروض المعطار ص 426-427

(127) ابن الفرض: تاريخ علماء الأندلس 2: 177، المقري: نفح الطيب 1: 344

(128) انظر الخشني : قضاة قرطبة ص 41.

(129) بيوتات فاس الكبرى ص 25.

21

بلاد هذا الأفق أشراف عرب»[130] ويؤكد ذلك المقري : «ففيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية»[131].

أما الفريق الآخر من الربضيين الذين غادروا بلادهم وهم نحو الخمسة عشر ألفا، فقد اتجهوا شرقا حتى بلغوا شواطىء الأسكندرية فنزلوا في ضواحيها في أوائل عصر الخليفة المأمون العباسي واستغلوا اضطراب الأحوال بمصر نتيجة صراع الأمين وأخيه المأمون واستولى الربضيون على مدينة الاسكندرية بمعاونة حلفائهم أعراب البحيرة من قبيلة لخم وأسسوا فيها امارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية دامت أكثر من عشر سنوات[132] نصبوا خلالها عليهم «رجلا منهم يعرف بالكناني»[133] مما يرجح أن أغلبية هذا الفريق من العناصر العربية.

أما المجموعة الثانية الوافدة من القيروان، ففي عهد الأمير الأغلبي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب (201ـ223هـ/817ـ837م)، تميزت فترة حكمه بالاضطرابات الداخلية، سواء من الجند العربي أو العامة، حتى اقتصرت سلطته في بعض الأحيان على العاصمة القيروان فقط وأشهر هذه الثوارت، ثورة منصور بن نصر الطنبذي من كبار رؤساء الجند العربي بالجيش الأغلبي، سنة 209هـ/824م ويبدو أنه نتيجة لفشل هذه الثورة من جهة، ولخوف بعض زعمائها من انتقام الأمير الأغلبي بعد أن تمكن من السيطرة على ولاية افريقية من جهة ثانية[134]، لجأت بعض البيوتات العربية الى المغرب

(130) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الأول، المجلد الأول ص 33.

(131) المقري : نفح الطيب 1: 153.

(132) الكندي : الولاة والقضاة ص 163 ابن الأبار : الحلة السيراء 1 : 45، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب 1 : 42، ابن الخطيب: أعمال الأعلام (القسم الاندلسي) ص 26، للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 225

(133) أنظر الكندي: الولاة والقضاة ص 164.

(134) انظر ابن الأبار: الحلة السيراء 2 : 382ـ385، ابن الأثير : الكامل في التاريخ 6: 330، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 98ـ99.

الأقصى، لخدمة الدولة الادريسية الناشئة والاستقرار بمدينة فاس، وكانوا ثلاثمائة أهل بيت فأنزلهم ادريس الثاني بالعدوة اليسرى لنهر فاس والتي كانت تعرف باسم «العالية» ثم أصبحت تعرف باسم «عدوة القرويين» فسميت بهم ونسبت اليهم[135].

وهكذا فقد ازداد سكان فاس في برهة قصيرة. وكان هؤلاء القادمون ممن ألف حياة المدينة الاسلامية. وقد كان بعضهم، على الأقل، ممن له مشاركة بشؤون الفكر أو ممن حذق بأمور الصناعة وفنونها. ولعل اتخاذ فاس خصائص المدينة الاسلامية بسرعة فائقة يرجع الى هؤلاء القوم. خصوصا بعد أن ازداد عدد السكان، زيادة كثيرة، بحيث أصبح من الضروري في مطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أن يبني جامعان كبيران ليحلا محل المسجدين الصغيرين اللذين ضاقا بالمصلين، وهذا هو أصل الجامعين المشهورين: جامع القرويين، وجامع الأندلسيين[136].

ويلقي صاحب مشاهير أعيان فاس الضوء على أعمال وحرف عرب عدوة الأندلس فالطبقة الأولى منهم: «بنو هاشم وقريش وبنو اسماعيل وبنو قحطان، فإنهم احترفوا في الحلول بها، الحرف التي ليست بخاملة نحو تدريس العلم والتوريق (سرد كتب الوعظ في المساجد) على الكراسي، ولحمل الشهادة والنساخة للكتب، وتعليم الصبيان، وامامة المساجد والوقوف عليها من نحو اصلاح وقبض كراء وولاية نظارة وحسبة وكتابة عند الملوك ووزارة وولاية الأمور الصالحة». أما الطبقة الثانية«ومن احترف منهم فاحترف الفلاحة وخدمة أجنات (الحدائق) غلة وغرس ونسج حرير وبيعه غير منسوج وطيه وبيع بز، وتسبب بجلبه، وبيع عطر، وسبك شمع، ونسج غزل الكتان، وبيع لبن البقر

(135) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 47، السلاوي: الاستقصا 1: 151، ليفي بروفنسال: الاسلام في المغرب والأندلس ص 17.

(136) روجية لوتورنو: فاس ص 21.

لمن يمخضه». وأما الطبقة الثالثة «من تدقع منهم ببيع الفاكهة والخبز والخضر»(137).

ونجح عرب عدوة الأندلسيين في استزراع الفواكه الصيفية بفاس، كالتفاح الليوبي والطلحي والكلخي، وأصناف الكمثري والمشمش والبرقوق والتوت، حتى أنه بمرج قرقة خارج فاس كانت تثمر الأشجار مرتين في كل سنة في أكل الناس التفاح والكمثري بالمدينة الصيف والشتاء.

أما عرب عدوة القرويين فتصفهم المصادر بأنهم أهل رفاهية ونخوة في البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب، وأكثرهم صناع وتجار وسوقة وتمكن بعضهم من زراعة الرمان السفري الذي ليس في المغرب مثله حلاوة ولذة وولادة، والتين الشعري والسبتي الطيب الحسن، والعنب والخوخ والجوز والسفرجل وسائر الفواكه الخريفية تأتي في عدوة القرويين في نهاية الطيب والحسن والحلاوة(138).

ولم يقتصر دور البيوتات العربية على تحويل عدوتي فاس الى مدينة اسلامية مزدهرة، بل تعداه الى التأثير في سكانها من البربر، اذ تم تعريبهم، كما انتشر التعريب بين القبائل البربرية التي كانت تستقر بجوار مدينة فاس ويروي الحميري حينما يصف مدينة فاس بأنه «يسكن حولها قبائل من البربر، لكنهم يتكلمون بالعربية»(139).

وهكذا كما كان تأسيس القيروان بإفريقية بداية لتعريب المغرب الأدنى كذلك كان تأسيس فاس في المغرب الأقصى، استكمالا لتعريبه وترسيخ الاسلام بين قبائله البربرية حتى قال جويتيه. أن بناء فاس «أعظم عمل قام به الأدارسة، فهي ترمز، بحق لمجدهم وعبقريتهم، وهذا العمل اذا نظرنا اليه

---

(137) انظر مشاهير أعيان فاس ص 23.

(138) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 43، 44.

(139) الحميري : الروض المعطار ص 434.

من زاوية تركيز الحضارة الاسلامية في المغرب، يفوق كل ما قامت به دولة أخرى في المغرب، من قبل ومن بعد»[140].

ومن الغريب أن النزاع توالى بين العدوتين نتيجة لاختلاف مصادر الهجرة لكل منهما اذ يروي البكري أن بغرب عدوة الأندلسيين يوجد بابان: باب الحوض، وباب سليمان «ومن هذين البابين يخرج أهل هذه العدوة الى الحرب، اذا كان بينهم اختلاف، وتقوم الحرب حينئذ بموضع يعرف بكدية الفول»[141] ويضيف الادريسي «وبين المدينتين أبدا فتن ومقاتلات وبالجملة فإن أهل مدينتي فاس يقتل فتيانها بعضهم بعضا»[142]. فهل كان لهذا التناحر والنزاع، صدى، لما كان بين الأندلس والمغرب من صراع متعدد الأشكال متنوع المظاهر؟ حتى أصبحت العلاقة بين الأندلسيين والمغاربة تنعت في بعض المناسبات بنعوت شتى، فالحجاري مؤلف المسهب يصفها بالكراهية ويقرر ذلك بقوله «وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الأندلس» حتى أننا نجد ابن الخطيب يستخدم في هذا المقام كلمة «النفرة» وتتكرر عنده استعمال عبارة «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة» وما يشبهها وأطلق عليها مؤرخ آخر ألفاظ «العداوة» «والبغضاء» «والحسد» اذ يروي المقري «فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم فلم تجد أندلسياً إلاّ مبغضاً بربريا وبالعكس» ويعلل المقري ذلك نتيجة لما بين الشعبين من فوارق عرقية واجتماعية وحضارية[143].

(140) Gaufier : le passé de l'Afrique du Nord p. 292-293.

(141) البكري : المسالك ص 116.

(142) الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان والأندلس ص 76.

(143) ابن الخطيب: أعمال الاعلام 2: 227، المقري: نفح الطيب 6: 112 ويروي الجزنائي أن آخر هذه الصراعات قبل توحيد العدوتين بين الاخوين: الفتوح وعجيسة فقد استقر الفتوح في عدوة الأندلسيين وعجيسة في عدوة القرويين «وكانت بين الاخوين عداوة، وصار القتال بينهما وبين أهل العدوتين، وكان قتالهم بالموضوع المعروف بكهف الوقادين»، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص 41. وانظر محمد بن شريفة: مقاله «من منافرات العدوتين» بمجلة كلية الاداب، جامعة محمد الخامس، العدد الاول، يناير 1977 ص 7، 8.

ولكن سرعـان ما ذابت هذه الفـوارق بين العـدوتـين: الأنـدلسيين والقـرويين، حينـما قام يوسف بن تاشفين المرابطي بالاستيلاء على فاس في 462م/1070م اذ كان يعرف ما بين المدينتين التوأمين من نزاع لذلك هدم الأسـوار الخاصة بكل منهما، وبنى تحصينات دارت بهما معاً، ووسع جامع القرويين فأصبح بذلك جامع المدينة الرئيسي. وقد كان توحيد فاس عملاً ذا أهمية كبرى. وان لم تكن فاس عاصمـة المـرابطين فقد كانت، على الأقل، احـدى مدنهم الرئيسية وقد طوقوا جيدها بمنة كبيرة اذ، دفعوا بها في سبيل التقدم السريع فإذا كانت فاس مُدينة لأحد الادريسيين بنشأتها الأولى، فإن يوسف ابن تاشفين هو مؤسسها الثاني، اذ أنه وحدها ومنحها حافزا اقتصاديا ودينيا كبيرا[144].

أقـام ادريس الثاني بمدينة فاس حتى سنة 197هـ/812ـ813م وفي المحـرم من نفس العام قام على رأس جيشه الذي لاشك تشكل بعضه من العـرب الـوافـدين اليه، بغـزو بلاد المصـامدة بالسوس الأقصى وتمكن من الاستيلاء على مدينتي أغمات ونفيس[145] واذا علمنا أن المدينة الأولى كانت مركزاً تجارياً هاماً بين السودان الغربي وبلاد المغرب الأقصى. والمدينة الثانية كانت مدينة قديمة، أهلها من الروم ونصارى البربر، غزاهم عقبة بن نافع الفهري في 62هـ/681م وأصاب بها غنائم كثيرة، كما أقام بها مسجدا قبل عودته الى افريقية[146]. أدركنا أهداف هذه الحملة في السيطرة على تجارة جنوب المغرب الأقصى ونشر الاسلام بين أهل الذمة الذين كانوا مستقرين بهذه المنطقة.

(144) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 141، الجزنائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص 41ـ42، روجية لوتورنو : فاس ص 22ـ23.

(145) البكري : المسالك ص 123، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 50.

(146) اليعقوبي : البلدان ص 110. البكري: المسالك ص 154، 160، الادريسي: صفة المغرب وأرض السودان والأندلس ص 66ـ67، الحميري : الروض المعطار ص 46، 578.

عاد ادريس الثاني الى فاس حيث استراح الى شهر المحرم 199هـ/814م، ثم خرج لاعادة فرض سيطرته على قبائل نفزة (نفزاوة) بالمغرب الأوسط وكانوا يدينون بمذهب الأباضية من الخوارج ويضمرون العداء للعرب بصفة عامة وقبيلة قريش المضرية بصفة خاصة، إلّا أن بني المهلب الأزديون اليمنيون تمكنوا في منتصف القرن الثاني الهجري من استئلافهم بعض الوقت خلال ولاية عمر بن حفص بإفريقية. ولكنهم سرعان ما عادوا الى سيرتهم الأولى في اثارة المشاكل لولاة افريقية والدعوة الى المذهب الأباضي الخارجي[147] مما دعى ادريس الثاني لغزوهم واخضاعهم والاستقرار بمدينة تلمسان لمدة ثلاثة سنوات حيث قام بتنظيم أمور امارته الشرقية واصلاح أسوار المدينة وجامعها وأمر بإقامة منبرا جديدا له، وأهم من ذلك كله، هو مراقبة هذه القبائل البدوية واحكام السيطرة عليها[148].

عاد ادريس الثاني الى فاس، بعد أن اطمأن على استتباب الأمن على حدود بلاده الشرقية، حيث توفي في 213هـ/828م بفاس حسب رواية صاحب الروض القرطاس[149]، أو بمدينة وليلي، بالقرب من جبل زرهون، حيث دفن الى جانب قبر أبيه هناك حسب رواية البكري[150].

ترك ادريس الثاني، اثنى عشر ولدا، ما بين راشد وقاصر، تولى الامامة منهم **محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله**، أكبر أبناءه بناء على وصية إدريس وتتفق المصادر على أن كنزة والدة إدريس الأصغر، وجده محمد واخوته، كان لها نفوذها في تسيير أمور الدولة، فقد أشارت على حفيدها الامام بأن يجعل

(147) انظر ابن خلدون: العبر 6 : 150-151.

(148) انظر البكري : المسالك ص 123، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 50، السلاوي: الاستقصا 1 : 154.

(149) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 50، السلاوي: الاستقصا 1 : 155.

(150) البكري : المسالك ص 123-124، رواية البرنسي بابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 50، السلاوي : الاستقصا 1 : 155.

اخوته على رأس أقاليم الدولة وولاياتها المختلفة وتذكر الروايات صراحة أن هذا الأمر كان تقسيما للدولة وتوزيعها على اخوة محمد[151].

واختلف الباحثون حول أسباب هذا التقسيم، فالبعض يذكر أن الهدف منه كان العمل على تقوية الأسرة، بأن تكون الولايات والقيادات العسكرية بين أيدي أفرادها ويدلل على صدق ذلك بما حدث في بداية الدولة العباسية، حينما قام أبو العباس، الخليفة العباسي، بتعيين اخوته وعمومته وقرابته، كولاة له في أهم ولايات الدولة الاسلامية[152]. أما البعض الآخر فيعلل ذلك بأن الروح الديمقراطية المتغلغلة في البربر، أبت للامام الجديد إلّا أن يجعل حكم الأمبراطورية حكما جماعيا[153].

وبالرغم من وجاهة التعليل الأول، وعدم توفيق التعليل الثاني، إلّا أن موضوع التقسيم ما زال يحتاج لايضاح، واذا علمنا أن المؤرخ والجغرافي اليعقوبي يروي لنا أن بلاد المغرب الأوسط، خلال قيام الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى، كانت تنقسم الى ثلاثة مناطق: الأولى المنطقة الغربية وعاصمتها تلمسان وهي تحت نفوذ أمراء بني محمد بن سليمان بن عبد الله العلوي وهم أبناء سليمان الذين هربوا من المشرق الى المغرب ونجحوا في تأسيس هذه الامارات. والثانية، المنطقة الوسطى، وهي تحت نفوذ الرستميين بتاهرت. والثالثة، المنطقة الشرقية ومركزها متيجة، وهي تحت نفوذ أبناء الحسن بن سليمان الذين ينحدرون من الحسين بن علي بن أبي طالب[154] تساءلنا عن طبيعة العلاقات بين الأسرة الادريسية بفاس وبقية الامارات العلوية بالمنطقة الغربية ومركزها تلمسان.

(151) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 51، ابن خلدون: العبر 4: 19، السلاوي: الاستقصا 1: 156، 157.

(152) انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 458.

(153) انظر اسماعيل العربي: دولة الأدارسة ص 123.

(154) انظر اليعقوبي: البلدان ص 103، 104، 107، 108.

ويروي ابن خلدون أن سليمان[155] فر الى المغرب أيام العباسيين، فلحق بجهة تيهرت بعد مهلك أخيه إدريس وطلب الأمر لنفسه هناك، فاستنكر البربر طلبه، فلحق بتلمسان فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هنالك. وورث ملكه من بعده ابنه محمد بن سليمان، ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط واقتسموا ممالكه ونواحيه[156] ويضيف التنسي أنه في أيام محمد ابن سليمان استفحل ملك عمه إدريس بن إدريس بالمغرب الأقصى، فاستدعاه محمد هذا ليستعين به على البلاد المشرقية، فقدم عليه إدريس، وقدموا جيوشاً دوخوا بها شلفا وما وراءه الى أحواز بجاية، ثم رجع إدريس الى بلاده وترك المغرب الأوسط بين أيدي ابن عمه، محمد بن سليمان، ففرق محمد بنيه على أعماله: فأقام ابنه عيسى بأرشغول، وأقام ابنه إدريس بجواره، وأقام ابنه الحسن بتاهرت، وأقام ابنه ابراهيم بتنس، وكان ابنه أحمد، ولي عهده، بتلمسان[157].

ومن هذه الروايات يتضح لنا أن بني سليمان سيطروا على تلمسان، كما أنهم استدعوا الأدارسة لمساندتهم ضد خوارج المغرب الأوسط، الذي حكموه بالاتفاق مع أبناء عمهم، وذلك يتعارض مع تطورات الأحداث في المغرب الأقصى فإجماع المصادر على استقرار إدريس الثاني لمدة ثلاثة أو أربعة أعوام بتلمسان لترتيب أمورها دليل على محاولته لتأمين حدوده الشرقية مع منافسيه ـ وليس مع محالفيه ـ من أبناء العم. الذين استغلوا ضعف قبضة الأدارسة على حدودهم الشرقية، حتى أسرعوا بملأ هذا الفراغ وشغله معتمدين على نسبهم المشترك الى العلويين.

---

(155) اختلفت الروايات حول سليمان هذا. فالطبري يروي أنه قتل في وقعة فخ سنة 169هـ، والبعض يذكر أنه هو الذي تولى الامارة، والبعض الآخر يروي أن محمدا ابنه هو الذي تولى الامارة بتلمسان انظر الطبري: الرسل والملوك 5: 28.

(156) ابن خلدون : العبر 4: 23.

(157) انظر التنسي : شرف بن زيان ورقة 121، اسماعيل العربي: دولة الأدارسة ص 144.

ولذلك ما أن توفي محمد بن سليمان، وتولى ابنه أحمد ولي عهده امارة المغرب الأوسط، حتى أقر اخوته لما تحت أيديهم «فأبقى اخوته على نحو ما فعل أبوه، فصار كل من هو بموضع يتوارثه أعقابه، واختص هو وأعقابه بدار الملك التي هي تلمسان»[158] وهذا يفسر لنا لماذا لم يحاول إدريس الثاني العودة مرة ثانية الى تلمسان منذ آخر حملاته في 199هـ/814م، بالرغم من أن فترة حكمه امتدت الى سنة 213هـ/828م. كما يفسر لنا سبب تقسيم الأدارسة لامارتهم الناشئة، عندما حذوا حذو أبناء عمهم بهدف المحافظة على ولاياتها المتعددة والمترامية الأطراف والمتنوعة التضاريس من تسرب منافسة أبناء العم أو غيرهم.

وكما اختلف الباحثون حول أسباب التقسيم، كذلك اختلفت المصادر حول التقسيم نفسه فقد تم تقسيم الدولة الادريسية الى ثمانية امارات[159] بالاضافة الى فاس التي احتفظ محمد بن ادريس بولايتها بإعتبار أنها العاصمة الكبرى لدولة الأدارسة. وأما من بقي من اخوته القصر الثلاثة فقد أقاموا معه بفاس في كفالة جدتهم كنزة[160]. ورغم تأثير هذا التقسيم على تفكك الدولة، إلّا أنه أدى الى توزيع الأمراء الأدارسة على مختلف أنحاء الدولة الادريسية من سبتة وطنجة شمالا الى بلاد لمطة بالسوس الأقصى جنوبا ومن تلمسان شرقا الى ساحل الأطلس غربا، ولاشك أنه أتبعهم حلفاؤهم من العرب ومواليهم الذين

---

(158) انظر التنسي: شرف بني زيان ورقة 128، اسماعيل العربي: دولة الأدارسة ص 144.

(159) الأولى للقاسم وهي تشمل سبتة وتطوان وبلاد مصمودة. والثانية لداود وله بلاد هوارة وبلاد تسول وتازا ومكناسة وغياثة. والثالثة لعيسى وله مدينة شالة وسلا وأزمور وبلاد تامسنا. والرابعة ليحيى وله مدينة البصرة وأصيلا ومدينة العرائش. والخامسة لعمر وله بلاد صنهاجة الهبط وغمارة. والسادسة لأحمد وله مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا والسابعة لعبد الله وله مدينة أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس الأقصى وبلاد لمطة. والثامنة لحمزة وله مدينة وليلي وأعمالها ومدينة تلمسان وأعمالها. انظر البكري: المسالك ص 124، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 202-205، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 51، ابن خلدون: العبر 4: 19.

(160) ابن خلدون: العبر 4: 19، السلاوي: الاستقصا 1: 156.

استقروا بجوارهم مساهمين في نشر الاسلام وتعريب المغرب الأقصى. اذ يروي صاحب روض القرطاس «فأقام الأدارسة ولاة على بلاد المغرب، فضبطوا ثغورهم، وحكموا بلادهم وأمنوا سبلهم، وحسنت سيرتهم»(161).

ولكن سرعان ما اندلعت الصراعات بين أمراء الأدارسة، فثار عيسى في سلا فأمر الامام محمد أخاه القاسم والي طنجة، بالزحف لاخضاع عيسى ولكنه اعتذر لصلة الرحم، ولكن عمر والي بلاد غمارة، رحب بتنفيذ الأمر وقام بإخضاع كل من عيسى والقاسم على التوالي وضم ولايتهما إليه وهكذا سيطر على نصف الدولة الادريسية تقريباً إلى أن توفي في 220 هـ/835م. فخلفه ابنه علي فيما آل اليه من ولايات الدولة الادريسية بموافقة الامام محمد ابن ادريس الذي سرعان ما لحق بأخيه عمر بعد سبعة شهور في 221هـ/836م(162).

وتولى **علي بن محمد** - ولي عهده - الحكم من بعده في الفترة (221-234هـ/836-849م) بالرغم من أنه لم يتجاوز التاسعة من عمره. واذا علمنا أن كل من أم علي بن عمر - والي نصف الدولة الادريسية تقريباً - والامام علي بن محمد بفاس كانت أزدية يمنية(163)، أدركنا سر الصراع الذي اندلع فجأة في الأسرة الادريسية وهو تقديم أبناء العربيات دون غيرهم لتولي السلطة وولاية العهد سواء كان ذلك في العاصمة فاس أو في العواصم الصغرى بالولايات.

وبالتالي فقد كان وصول الصبي الصغير الى منصب الامامة، دون وصاية راشد جديد أو أبي خالد، لا تعني أن الامامة الادريسية كانت قد مدت

(161) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 51 وقارن السلاوي: الاستقصا 1: 157.
(162) البكري : المسالك ص 124، ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 131-133، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 51-53، ابن خلدون : العبر 4: 19-20
(163) أنظر ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 52-53

جذورها قوية في أرض فاس، وأنها كانت تستطيع الوقوف وحدها بعد نصف قرن من قيامها بين قبائل أوربة[164]، بل كان وصوله الى الامامة استنادا على مشاركة العصبية العربية التي تمثلت في أخواله من قبيلة الأزد اليمنية في الحكم ويؤكد ذلك ما أورده ابن خلدون الذي يروي أنه بعد ولايته «قام بأمره الأولياء والحاشية من العرب وأوربة، وسائر البربر وصنائع الدولة وبايعوه غلاماً مترعرعاً وقاموا بأمره وأحسنوا كفالته وطاعته»[165] وما أن تولى الأمور بنفسه حتى سار بسيرة أبيه وجده في العدل والفضل والدين «فكان الناس بالمغرب في زمانه في أمن ودعة» إلى أن توفي في 234هـ/849م.

فتولى أخوه يحيى بن محمد بن إدريس الذي كان ولياً لعهده وفي خلال فترة حكمه «قصد اليه الناس من الأندلس وافريقية وجميع بلاد المغرب»[166] والثغورالقاصية»[167] حتى ضاقت المدينة بسكانها وبالوافدين عليها.

إذن نحن أمام هجرة بيوتات أو جماعات عربية أو غيرها من المغرب والأندلس إلى الدولة الادريسية وعاصمتها فاس، تشبه حركة الهجرة خلال فترة حكم إدريس الثاني. وإذا كانت المصادر سمحت لنا بالتعرف على نوعية هذه الهجرات وأسبابها في الحالة الأولى (في عهد إدريس الثاني). فما هي الأسباب وراء الهجرة الثانية في عهد يحيى ؟ ففي إفريقية آلت إمارة الدولة الأغلبية إلى أبي العباس محمد بن الأغلب التميمي (226ـ242هـ/841ـ856م) ونشأ صراع بينه وبين أخيه أحمد حول السلطة انتهى بانتصار الأمير الأغلبي وطرد المنافس الى الشرق، مما يرجح أن أتباعه اضطروا إلى مغادرة إفريقية شرقاً وغرباً[168].

(164) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي 2 : 462
(165) أنظر ابن خلدون : العبر 4: 20، السلاوي: الاستقصا 1: 158
(166) أنظر ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 53، ابن خلدون : العبر 4: 20
(167) ابن خلدون : العبر 4: 20، السلاوي: الاستقصا 1: 159
(168) رواية الرقيق بالنويري : نهاية الأرب 22 : 266ـ270

وفي خلال إمارة أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب التميمي (261ـ289هـ/875ـ902م) أسرف في سفك دماء أصحابه وحجابه وأبنائه وقتل ثمانية من إخوته، كما أعد مذبحة لزعماء مدينة بلزمة من بني تميم عصبيته العربية بعد أن فشل في إخضاعهم بالقوة، فأظهر العفو عنهم واستقدمهم إلى رقاده حيث أمر جنده بقتل ألف رجل من زعمائهم غيلة. مما أدى إلى اضطراب إفريقية وتعدد الثورات بتونس والجزيرة وصطفورة وباجة وقمودة والأربس، بالاضافة إلى اشتداد القحط بالبلاد فغلت الأسعار وهلك الناس حتى أكل بعضهم بعضا. ولاشك أن هذه الأحوال السيئة كانت وراء هجرة بعض عرب إفريقية إلى المغرب الأقصى وفاس[169].

أما في الأندلس، فقد كانت الدولة الأموية تمر بها يعرف بفترة الطوائف الأولى، بسبب الاضطرابات التي تلت وفاة عبد الرحمن الثاني واستمرت حتى تولية عبد الرحمن الثالث، نتيجة لثورات المولدين وأهم هذه الثورات، ثورة عمر بن حفصون التي تطلب إخمادها والقضاء عليها استنزاف جهود أربعة أمراء أمويين على التوالي : محمد بن عبد الرحمن، المنذر بن محمد، عبد الله ابن محمد (238ـ300هـ)، عبد الرحمن الثالث. وهذه الفترة في مجموعها كانت مليئة بالاضطرابات السياسية، كما كانت سلطة الحكومة الأموية بقرطبة في خلالها ضعيفة محدودة إذ أن ابن حفصون أعلن أنه يسعى لاسقاط دولة العرب في الأندلس مما دفع الكور المجندة إلى التكتل للدفاع عن نفسها والانتقام لما وقع بها، أما بقية العرب خصوصاً بعد أن اقتصرت سيطرة الأمير الأموي على العاصمة فقط لاشك أن بعضهم اضطر إلى الهجرة إلى الساحل الافريقي، بصفة عامة والمغرب الأقصى وفاس بصفة خاصة، حيث الأمان والاستقرار[170].

---

(169) رواية الرقيق بالنويري : نهاية الأرب 22: 277ـ279، 286

(170) ابن عذاري : البيان المغرب 2: 154، 155، 158، 172، للمؤلف: القبائل العربية في الأندلس ص 229، 230، 242

أمـا عن وفـود «الثغور القاصية» حسب تعبير ابن خلدون، وهو يعني الوافدين من غير المغرب والأندلس أي من المشرق. فمن المعروف أن العرب بعد أن فتحوا الامبراطورية الفارسية وأهم ولايات الامبراطورية البيزنطية، لم يعدوا يكتفون بالعيش على الغنيمة، كما كان الحال في عهد الرسول ﷺ وأبي بكـر، على أن يأخذ الخليفة الخمس، اذ منذ عهد عمر بن الخطاب، صار المقاتلة من الحجاز، أو من انضم اليهم من عرب الجزيرة أو الشام «روادف» يتسلمون وعائلاتهم من الصبيان والنساء مرتبات ثابتة تسمى «العطاء»، إذا قيدوا في سجـلات، وهو ما عرف بالديوان، كما كان معروفا عند البيزنطيين والفرس ولذلك قيل أن عمر أول من دون الدواوين[171].

وسرعان ما طُبق ذلك على المقاتلة العرب في مصر وافريقية. وقد استمر العطاء يدفع للعرب حتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، التي اعـتـمـدت على الـفـرس والـترك، حتـى خلافـة المـعـتـصـم (218ـ227هـ/833ـ842م) الذي ازداد اهتمامه باقتناء الجنود الأتراك، لأن أمه كانت تركية من جهة، وللتخلص من النفوذ الفارسي والعربي في الجيش والحكومة من جهة ثانية[172]. ولذلك بدأ ولايته بالأمر «بإسقاط من في الديوان من العرب وقطع أعطياتهم»[173] في جميع الولايات العباسية. وتتابعت النكبات على العنصر العربي ففي رجب 242هـ/856م كان عنسبة بن اسحاق الضبي

(171) البلاذري : فتوح البلدان ص 449، ابن الاثير: الكامل 2: 273، 350ـ352، سعيد ابن بطريق: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق 1: 192

(172) المسعودي : مروج الذهب 3: 459، 465، 466، 476

(173) الكندي : الولاة والقضاة ص 193، ابن عذاري : البيان المغرب 2: 40 ويروي ابن قديد أن مروان بن محمد الجعدي (127ـ132هـ/744ـ750م) آخر خلفاء بني أمية قطع عطاء العرب سنة، ثم كتب إليهم كتابا يعتذر إليهم فيه «إني إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية، لعدو حضرني، فاحتجت فيه إلى المال، وقد وجهت إليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوا هنيئا مريئا، وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه» أنظر الكندي: الولاة والقضاة ص 194.

آخر ولاة مصر من العرب، إذ تلاه ولاة من الأتراك. وفي 249هـ/863م أمر الخليفة المنتصر العباسي باضطهاد العلويين في جميع الولايات العباسية وبأن لا يملك علوي ضيعة «ولا يركب فرسا وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد، إلّا العبد الواحد، وان كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس، قُبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة»[174].

وكما ثارت القبائل العربية بمصر نتيجة لقرار المعتصم ففي ربيع الآخر 219هـ/834م «لما قُطع العطاء، خرج يحيى بن الوزير الجَروي في جمع من لخم وجذام وقال: هذا أمر لا نقوم في أفضل منه، لانه منعنا حقنا وفيئنا» كذلك أنف العلويون وزعماء البيوتات العربية العريقة مثل بني مدلج من قبيلة كنانة العدنانية، من حرمانهم من الوظائف الادارية ومساواتهم بالموالي، أو دونهم[175]، خصوصا اذا كان الأمر متعلقا بصفوة العنصر العربي ممثلا في العلويين وبالتالي فلا يستبعد أن بعضهم بسبب هذه الوضعية المرزية، لجأ مع غيره من عصبيته العربية الى المغرب الأقصى، حيث الدولة العلوية.

ولذلك كان من الطبيعي أن يزداد تحضر مدينة فاس عاصمة المغرب الأقصى، وتكثر العمارة بها، وتظهر ضواحي جديدة تلحق بها، ويهتم الأمير يحيى بتزويد عاصمته بالمباني ذات المنافع العامة، مثل الحمامات التي ازداد عددها، وكذلك الفنادق التي أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم[176]. كما ساهمت الأسر العربية الموسرة التي هاجرت الى المدينة في عهد يحيى في بناء المنافع العامة لبني جلدتهم، مثل محمد بن عبد الله الفهري الذي انتقل من القيروان الى فاس واستقر بها اذ يروي الجزنائي أنه «نزل بعدوة القرويين مع أهل بلده الذين وفدوا معه» فمات وترك بنتين وهما فاطمة (أم

(174) الكندي : الولاة والقضاة ص 202، 204

(175) الكندي : الولاة والقضاة ص 194، 205، القلقشندي : نهاية الأرب ص 416

(176) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 53، ابن خلدون : العبر 4: 20

البنين)، ومريم وورثا ثروة طائلة، قررتا صرفها في بناء المساجد بعد أن ظهرت الحاجة الى بناء مساجد محلية جديدة تلبي حاجة المصلين الذين كانت أعدادهم تزداد مع ازدياد حجم المدينة وكثرة الوافدين والمهاجرين الى العاصمة الادريسية، وهكذا قامت فاطمة ببناء جامع القرويين في 245هـ/860م، وفي البداية، كانت مساحة الجامع متواضعة، اذ احتوى على أربع بلاطات أي أروقة عرضية موازية لحائط القبلة وصحن صغير. وقامت مريم ببناء جامع الأندلس في نفس العام، وكانت مساحته ست بلاطات وصحن صغير، وأعان على بنائه جملة من الأندلسيين الساكنين هناك ولذلك سمي بجامع الأندلسيين[177].

استمر الجامعان المتواضعان حتى نهاية الدولة الادريسية واستيلاء زناتة على فاس فأدارت الأسوار حول العدوتين: القرويين والأندلس، وزادت في مساحة الجامعين، ونقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء الصغير الى مسجد القرويين وكذا من مسجد الأشياخ الى مسجد الأندلس[178].

تولى امارة الدولة الادريسية، بعد ذلك، ابنه **يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس** واعتباراً من ولايته، لا تمدنا المصادر بتواريخ كل أمير بالسنوات أو الشهور ويروي ابن عذاري: أن يحيى ولى « أعمامه وأخواله أعمالا، فولى حسينا القبلة (الجنوب) من مدينة فاس الى أغمات، وولى داوود، المشرق من مدينة فاس: مكناسة، وهوارة، وصدينة، وولى القاسم غربي فاس: لهاته وكتامة[179]» ومن الغريب أنه بعد التقسيم الأول للدولة الادريسية الى ولايات. يتم الآن تقسيم ولاية العاصمة الى أربعة أقاليم: ثلاثة للأعمام والأخوال،

(177) الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص 45، 92 وقارن ماورد بابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 54، 55

(178) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 55، 56، السلاوي : الاستقصا 1 : 160

(179) يخلط ابن عذاري بين أعمال كل من يحيى وابنه وسمية يحيى كذلك، إذ يجعل منهما شخصا واحدا أنظر البيان المغرب 1 :211

والاقليم الرابع الذي يقع في الجوف (شمال) فاس، هو الذي بقي للأمير الادريسي. وهذا التقسيم الثاني يدل على الصراع الذي نشأ بين الأعمام والأخوال في الأسرة الادريسية، واذا علمنا أن الأعمام ينتسبون الى صلب الأدارسة أي العلويين العدنانيين. وأن الأخوال من عرب الأزد ينتمون الى القحطانية وآلت اليهم الوظائف الكبرى بالدولة، أدركنا احتمالية وجود صراع قبلي بين الأمراء وحاشيتهم حول السلطة. ويرجح هذا الاحتمال أن بقية أمراء الأدارسة، استقلوا بولاياتهم واستمالوا قبائلها[180].

خصوصا وأن الأمير يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس، لم يكن في مستوى الأحداث، فقد انهمك في شرب الخمر وملاحقة النساء، حتى انتهى به الأمر الى متابعة احدى بنات اليهود التي اشتهرت بجمالها الى الحمام، وراودها عن نفسها فاستغاثت، فبادر اليه الناس منكرين لفعله ليقتلوه، ففر من عدوة القرويين الى عدوة الأندلس، حيث توفي لما أحسه من الخجل والعار والفضيحة[181].

ثارت العامة وتمكن عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي، أحد زعماء البيوتات العربية، القحطانية، أقرباء الأزديين، من الاستيلاء على مقاليد الأمور بالمدينة، ولكن زوجة الأمير الادريسي المتوفي، عاتكة بنت علي بن عمر ابن إدريس وهي تنتمي الى الأسرة الادريسية، كتبت الى أبيها علي بن عمر المسيطر على نصف ولايات الدولة الادريسية تعلمه بصنيع زوجها وموته وثورة الجذامي[182]، وفي نفس الوقت استدعاه أهل الدولة من العرب والبربر والموالي. فأسرع على رأس جيشه، حيث تمكن من الاستيلاء على فاس وهكذا انتقل الحكم من بني محمد بن ادريس الى بني عمر بن ادريس[183].

(180) ابن عذاري : البيان المغرب 1 :211

(181) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 77ـ78، السلاوي : الاستقصا 1 :162

(182) البكري : المسالك ص 124، 125، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 211ـ212

(183) ابن خلدون : العبر 4 : 21، السلاوي : الاستقصا 1 : 162

وهكذا وصل علي بن عمر بن ادريس الى الحكم بناء على ثورة العامة بزعامة أحد رؤساء العرب من الجذاميين القحطانيين، وهو عبد الرحمن بن أبي سهل، إلّا أن حكمه سرعان ما يسقط نتيجة لثورة خارجية بقيادة أحد زعماء العرب الفهريين، العدنانيين وهو عبد الرزاق الفهري وكان من الخوارج الصفرية وأصله من وشقة بالأندلس[184]. يبدو أن بيته استقر بمدينة وشقة مع عصبيته من فهر في خلال الفتوحات الاسلامية، ثم اضطر عبد الرزاق الى مغادرة المدينة بعد سيطرة عرب بني تجيب اليمنيون على الثغر الأعلى في رمضان 276هـ/890م اذ يروي العذري أنه «لما دخل المسلمون الأندلس، وتقدموا الى الثغر الأعلى، احتل بعض العرب بوشقة. . . ونزلوا منها بموضع يعرف اليوم بالعسكر، نسب اليهم لنزولهم فيه، فحصروا وشقة، وأهلها نصارى، وبنوا عليها المساكن، وغرسوا الكروم، وحرثوا لمعاشهم، واتصل ذلك من فعلهم سبعة أعوام. وأهل وشقة في القصبة القديمة محصورين. فلما ضاقت لذلك حالهم نزلوا الى هؤلاء العرب مستأمنين لأنفسهم وذراريهم وأموالهم. فمن دخل في الاسلام ملك نفسه وماله وحرمته، ومن أقام على النصرانية أدى الجزية. . . ثم أن أولئك العرب لم يزالوا حتى ثار بنو سلمة التجيبيون، وباينوا بالخلعان وحاربوا أهل الطاعة[185] مما دفع بعضهم الى الانتقال من الثغر الأعلى.

لجأ الزعيم العربي الخارجي الى جبال مديونة بالقرب من مدينة فاس، حيث تحصن ويبدو أنه لم يحتاج لجهد كبير لجذب القبائل البربرية التي لم تنس ذكرياتها الثورية الخارجية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. اذ سرعان ما انضمت اليه قبائل مديونة وغياثة وغيرهم وبنى قلعة منيعة بجبال مديونة أطلق عليها اسم مدينته «وشقة». وزحف بأنصاره الى فاس وحاول علي بن عمر بن ادريس مقاومته في عسكر ضخم ولكن انتهى الصراع لصالح

(184) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 78، 79، السلاوي : الاستقصا 1: 162

(185) أنظر العذري: ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ص 56ـ57

الـزعيم الفهري بعد انهزام على بن عمر ومقتل الكثير من جنده مما اضطره للفرار الى بلاد أوربة. فدخل الفهري مدينة فاس.[186]

واذا كانت عدوة الأندلسيين سارعت بمبايعته عصبية للقبيلة فهي التي استقـر منها عدد عظيم بالأندلس، وكذا تعصباً للأندلس الذي اعتقد أهله أنهم أكثـر تقدما وحضارة من هؤلاء البربر الخشنين[187]، فقد رفضت عدوة القرويين الاعتراف بسلطة الثائر الأندلسي الخارجي، وفضل زعمائها من العرب والبربر دعوة أحد أمراء الأسرة الادريسية لتولي السلطة، فاستدعوا الأمير **يحيى بن القاسم بن ادريس**[188] الذي دخل العدوة، حيث بايعه أهلها، وقاتل عبد الرزاق الفهري الخارجي حتى أخرجه من عدوة الأندلس. وبايعه أهلها وجميع من بها من الأنـدلسيين الـذين نزلـوا بها من الـربضيين ويبـدو أنـه حاول استرضائهم، فقد أسند ولاية عدوة الأندلس الى أحد زعماء العرب من قبيلة الأزد اليمنية، وهو ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي من بني المهلب بن أبي صفـرة القـائـد العـربي المشهـور بحـروبـه في الثغـور وصد الخوارج بالدولة الأموية[189] الى أن أغتيل يحي بن القاسم بن ادريس في 292هـ/904ـ905م

(186) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 78ـ79، السلاوي : الاستقصا 1: 162ـ163

(187) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 178ـ180، أنظر ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس 1: 103، 260، 2: 1، 290، المقري : نفح الطيب 1 : 233، 290، 3 : 18، 23 للمؤلف : القبـائـل العربية في الأندلس ص 423ـ424، أنظر مقالة «من منافرات العدوتين» لمحمد بن شريفة مجلة كلية الأداب (محمد الخامس) العدد الاول (1977) ص 7 ـ 43.

(188) ويعـرف في المصادر بالعدام مرة وبالعوام مرة أخرى وبالمقدم مرة ثالثة أنظر البكري : المسالك ص125، ابن أبي زرع: الأنيـس المطرب ص79 وهو جدالأشراف الجوطيين بفاس فإنهم أولاد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى (العدام) وإنما قيل له الجوطي نسبة إلى جُوطة وهي قرية كانت على نهر سبو بالعدوة الجنوبية منه نزلها يحيى بن محمد فنسب إليها وقبره معروف بها أنظر السلاوي : الاستقصا 1: 163

(189) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 79. ويضيف ابن أبي زرع أن الأمير يحيى الادريسي قام بتعيين ابنه عبد الله بن ثعلبة المعروف بعبود وحينما توفي عبد الله، ولي بعده ولده محارب بن عبد الله بن ثعلبة ولكن البكري يوضح أن عبد الله بن ثعلبة قتل في أيام موسى بن أبي العافية أنظر الأنيس المطرب ص 79 وقارن المسالك ص 127

بيد الربيع بن سليمان، الذي يبدو أنه كان أحد زعماء الخوارج اذ قضى يحيى ابن القاسم فترة ولايته في قتال الخوارج الصفرية بالمغرب الأقصى[190].

وتولى الامامة من بعده الأمير يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس (292ـ309هـ/905ـ921)، بعد أن بايعه أهل عدوتي فاس: القرويون والأندلسيون، وخطب له بها وهكذا عادت السلطة الى بني عمر بن إدريس، ولاة غمارة ببلاد الريف ويروي ابن أبي زرع أنه كان «أعلى بني ادريس قدرا وصيتا، وأطيبهم ذكرا، وأقواهم سلطانا، وأوسعهم ملكا، وأكثرهم عدلا... كان فقيها حافظا للحديث، ذا فصاحة وبيان ولسان، ومع ذلك كان بطلا شجاعا حازما»[191]، ورغم ذلك لم يتمكن من الصمود للغزو الفاطمي لبلاد المغرب الأقصى بعد تأسيس الدولة الفاطمية في افريقية.

ففي سنة 305هـ/917م وصلت حملة مصالة بن حبوس المكناسي القائد الفاطمي الى فاس وعندما حاول يحيى مقاومتها في جموع العرب والبربر والموالي هزم واضطر الى الانسحاب للتحصن بمدينة فاس، فحاصره مصالة، حتى أعلن يحيى مبايعته للامام الفاطمي بافريقية ودفع الضرائب المستحقة عليه للخلافة[192]، اسوة بما كان عليه الولاة في الدولة الأموية بدمشق والخلافة العباسية ببغداد، وهكذا أصبح يحيى واليا على فاس للفاطميين.

انسحب مصالة بن حبوس المكناسي إلى افريقية، بعد أن عمل على تدعيم عصبيته من مكناسة لمنافسة سلطة الأدارسة بالمغرب الأقصى وتطلع موسى بن أبي العافية زعيم قبيلة مكناسة وصاحب تسول وبلاد تازة لفرض

(190) البكري: المسالك ص 125، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 79، ابن خلدون العبر 4: 21.

(191) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 80، ابن خلدون: العبر 4: 21

(192) البكري: المسالك ص 125، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 80، السلاوي: الاستقصا 1: 165ـ166

سيطرتـه على البـلاد. ولـذلـك ما أن وصلت حملة مصـالـة الثانية في 309هـ/921م حتى تآمر الزعيمان عصبية لقبيلة مكناسة ضد الأمير الادريسي الذي خرج لاستقبال القائد الفاطمي، في قوم من وجوه عسكره من العرب، فقبض مصالة عليهم ودخل مصالة فاس والأمير الادريسي مقيد بالحديد على جمل للتشهير به ثم عذب حتى أخرج ما له وذخائره، ثم نفاه مصالة الى مدينة أصيلا عند بني عمه[193].

عاد مصالة الى القيروان، بعد أن عين ريحان الكتامي عاملا على فاس ولكن لم تستمر ولايته أكثر من ثلاثة شهور، اذ ثار عليه **الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام**[194] وتمكن من التسلل الى فاس بشيعته وأنصاره، في غفلة من أهلها وواليها، فاستولى عليها وقتل ريحان وقيل نفاه عنها واجتمع الناس على مبايعته وأطاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب وامتد نفوذه إلى مدائن لواتة وصفرو ومديونة ومكناسة والبصرة.

نظر موسى بن أبي العـافية إلى عودة نفـوذ الأدارسة إلى مدينة فاس ـ منـافسيه ـ بشيء من القلق، ثم لاحظ انتشـار نفـوذهم وازدياده بالمغـرب الأقصى، فتملكه الذعر وبالتالي ففي 311هـ/923م خرج الأمير الادريسي لقتال موسى ابن أبي العافية ـ حليف الفاطميين ـ والتقى الجيشان بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازة. فانتصر الحجام وهزم ابن أبي

(193) ولم يرض الأمير الادريسي بهذه المعاملة غير العادلة، وقرر السفر إلى افريقية لعرض شكواه على الامام الفاطمي، ولكن في خلال سفره، قبض عليه، وقام موسى بن أبي العافية بسجنه بمدينة الكاي نحو العشرين سنة وما أن أطلق ابن أبي العافية سراحه حتى قرر استكمال رحلته إلى الخليفة الفاطمي لعرض شكواه ووصل المهدية خلال ثورة أبي مخلد بن كيداد اليفرني وحصاره للمهدية عاصمة الفاطميين فمات بها غريبا جائعا في 332هـ. أنظر البكري: المسالك 125ـ126، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 80، 81، السلاوي: الاستقصا 1: 166ـ167.

(194) ففي خلال إحدى المعارك بين الحسن وعمه أحمد بن القاسم، هاجم الحسن أحد فرسان عمه فطعنه في موضع المحاجم، ثم تكرر ذلك منه ثانية وثالثة فقال عمه: إن ابن أخي لحجام، فلزمه ذلك اللقب أنظر البكري: المسالك ص 126ـ127

العافية هزيمة ثقيلة إذ قتل نحو ألفين وثلاثمائة من جنوده من جملتهم ابنه منهال وفقد الحجام نحو السبعمائة من جنده. ولكن تمكن موسى من تحويل هذه الهزيمة إلى انتصار، إذ تتبع جيش الأمير الادريسي المنتصر، فانقض عليه وتمكن من هزيمته وعاد الحسن الحجام إلى فاس للراحة، تاركاً جيشه خارج فاس، فغدر به حامد بن حمدان الهمداني عامله على المدينة، فقد أغلق أبواب المدينة في وجه الجند كما دخل على الأمير الادريسي، ليلا في داره، فقيده. وأرسل يستدعي موسى بن أبي العافية إلى فاس[195]. وهكذا حكم الحسن الحجام لمدة عامين بفاس[196].

وإذا علمنا أن حامد بن حمدان الهمداني ينتسب إلى قبيلة همدان العربية من القبائل القحطانية، وديار همدان كانت باليمن. ولما جاء الاسلام تفرقت همدان في الولايات الاسلامية ومن ضمنها بلاد المغرب. وكانت قبيلة همدان شيعية منذ انحيازها إلى علي بن أبي طالب في خلال الفتنة الأولى بالدولة الاسلامية[197] أدركنا أن حامد الهمداني العربي، تآمر ضد الأسرة الادريسية، نتيجة لمذهبه الشيعي، وتمكن من السيطرة على عدوة القرويين من فاس حتى 313هـ/925م.

ففيها زحف موسى بن أبي العافية ـ حليف الفاطميين في هذه المدة ـ لتلبية دعوة الهمداني ودخل عدوة القرويين ولكنه اضطر لقتال أهل الأندلس الذين قاوموه بقيادة واليها عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي الذي تولى المدينة بعد وفاة أبيه ثعلبة بن محارب الأزدي والي المدينة في عهد الأمير يحيى ابن القاسم الادريسي، ويبدو أن الوالي الأزدي قتل خلال مقاومة المدينة لجند

(195) البكري: المسالك ص 126ـ127، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 82ـ83، ابن خلدون: العبر 4: 22، السلاوي: الاستقصا 1: 167ـ168

(196) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 83، السلاوي: الاستقصا 1: 169

(197) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 369ـ372، ابن خلدون: العبر 2: 252، القلقشندي: نهاية الأرب ص 438ـ439

مكناسة، إذ بعد استيلاء موسى على عدوة الأندلس قام بتعيين أخاه محمد ابن ثعلبة بن محارب الأزدي والياً على عدوة الأندلس، لاستئلاف أهلها وترضية بني محارب الأزديين[198].

وما أن سيطر على العدوتين، حتى طالب الهمداني بالأمير الادريسي المسجون ليثأر لابنه منهال المقتول ولكن الزعيم العربي الشيعي المذهب، أدرك فداحة عمله ولم يشأ سفك دماء آل إدريس وهم من الطالبيين على يديه، فأسرع بإطلاق سراح الحسن الحجام الذي هرب بالتدلي من سور عدوة القرويين فانكسرت ساقه فتحامل حتى انتهى إلى عدوة الأندلس وتوفي بعد ثلاثة أيام في عام 313هـ/925م. أما الهمداني الزعيم العربي الشيعي فقد اضطر إلى الفرار، خوفاً من انتقام موسى إلى المهدية عاصمة الفاطميين بإفريقية[199].

وانقرضت دولة آل إدريس من فاس وأعمالها، وتداول المغرب الأقصى الفاطميون بإفريقية، والأمويون بالأندلس. ولكن لم ينتهي دورهم ببلاد المغرب إذ رغم قيام موسى بن أبي العافية بطرد بقية الأدارسة من ديارهم وبلادهم مثل شالة وآصيلا وغيرهما من البلاد التي كانت في أيديهم. إلا أن إبراهيم بن محمد ابن القاسم الادريسي تمكن في سنة 317هـ/929م من بناء قلعة حجر النسر[200] وقد وصف الادريسي هذا الحصن بقوله: «وكانت مدينة محدثة لآل إدريس، وهي على جبل شامخ الذرى، حصينة منيعة، لا يصل إليها إلا من طريق واحد، والطريق صعب المجاز يسلكه الرجل بعد الرجل، وهي خصبة كثيرة الخيرات وماؤها فيها، ولها بساتين وعمارات»[201] ويجمع المؤرخون على أنها في شمال المغرب وإن كانوا قد اختلفوا في تحديد مكانها، فالبعض يجعلها في

(198) أنظر ابن خلدون: العبر 6: 177

(199) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 83، السلاوي: الاستقصا 1: 178، 170

(200) البكري: المسالك ص 127، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 84

(201) الادريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية من نزهة المشتاق ص109

أحواز سبتة، والبعض الآخر يجعلها في الطريق بين تطوان وشفشاون بالقرب من زاوية المولى عبد السلام بن مشيش في قبيلة سوماتة[202].

وفي هذه القلعة المنيعة، تجمعت فلول أدارسة المغرب الأقصى، حيث حاصرهم موسى بن أبي العافية وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ولكن أكابر أهل دولتـه عارضـوه وقالوا «أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين. هذا شيء لا نوافقك عليه ولا نتركك له» مما اضطر موسى إلى ترك أبا الفتح التسولي، أحد قواده، في ألف فارس لمحاصرتهم، والانسحاب إلى فاس[203] لمواجهـة تآمر البيوتات العربية بعدوة الأندلس إذ قام بعزل عامله عليها محمد بن ثعلبة بن محارب بن عبود الأزدي[204] ويروي البكري أن موسى قتل الوالي الأزدي[205] وابنيه محمدا ويوسف، وتمكن ابنه محارب من الفرار إلى قرطبة وقيل المهدية[206].

لم يكتف موسى بالقضاء على الدولة الادريسية بفاس والمغرب الأقصى، بل وتتبـع أبنـاء عمهم في المغـرب الأوسط، فزحف في 319هـ/931م إلى تلمسان وكانت بيد الحسن بن أبي العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكـبر فطرده منها واستولى عليها وهكذا فرض سيطرته على كل من المغـربـين الأوسط والأقصى[207]. ومـا أن رغبه عبد الرحمن الناصر الأموي

(202) أنظر البكري : المسالك 114، 126، أحمد المكناسي : المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب ص 8ـ9

(203) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 84، السلاوي : الاستقصا 1: 169

(204) أنظر ابن خلدون : العبر 6: 177

(205) وهو عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي

(206) البكري : المسالك ص 127، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 84، السلاوي: الاستقصا 1: 170

(207) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 84، السلاوي : الإستقصا 1: 170

بالأندلس في دعوته، حتى حول ولائه من الفاطميين إلى الأمويين[208]. مما أثار عبيد الله المهدي الفاطمي فأرسل في 320هـ/932م حملة مشكلة من عشرة آلاف فارس بقيادة حميد بن يصليتن المكناسي، يرافقه حامد بن حمدان الهمداني، أحد زعماء عرب عدوة القرويين وواليها السابق الذي اضطر إلى الهروب إلى المهدية خوفاً على حياته من موسى.

انتصرت الحملة الفاطمية، وتولى حامد بن حمدان الهمداني ولاية فاس في 321هـ/933م. ولما اتصل خبر هزيمة موسى إلى بني إدريس المحصورين بقلعة حجر النسر لمدة أربعة سنوات مضت، قويت نفوسهم واندفعوا من قلعتهم، مهاجمين لجند أبي الفتح التسولي وهزموهم ونهبوا معسكرهم[209].

استمر حامد بن حمدان الهمداني والياً على فاس حتى سنة 322هـ/934م وما أن توفي عبيد الله المهدي، حتى ثار عليه أحمد بن بكر ابن عبد الرحمن بن سهل الجذامي ـ وهو حفيد الثائر الأزدي في عهد الأمير يحيى ابن يحيى بن محمد بن إدريس ـ ويبدو أن بيتهم كان من بيوت الرئاسة العربية اليمنية بفاس. إذ قام أحمد الجذامي بقتل حامد الهمداني، بالرغم من انتماء الاثنين إلى العصبية العربية اليمنية، وبعث برأسه وبولده إلى موسى بن أبي العافية، الذي أرسلهما بدوره إلى عبد الرحمن الناصر بقرطبة[210]. ولما سمع أبو القاسم بن عبيد الله المهدي ـ الإمام الفاطمي الجديد بذلك أرسل حملة في 323هـ/934-935م لإخضاع فاس مرة ثانية بقيادة ميسور الخصي، ولكن ما أن وصلت الحملة إلى فاس وبدأت في الحصار حتى خرج أحمد بن بكر الجذامي مبايعاً، بين يديه الهدايا النفيسة والمال الجليل، فأخذ ميسور الهدايا

---

(208) يروي ابن حيان أنه اعتبارا من سنة 317 هـ بدأت المكاتبات بين موسى والناصر بشأن تحويل موسى ولائه من الشيعة الى الأمويين بقرطبة أنظر المقتبس 5: 261

(209) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 84-85، والسلاوي: الاستقصا 1: 171

(210) البكري: المسالك ص 128، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص 84-85، السلاوي: الاستقصا 1: 171-172

والمال وقبض على الثائر الجذامي وقيده وأرسله إلى المهدية. فأغلق أهل فاس الأبواب وحاصرهم ميسور مدة سبعة أشهر، اتفقوا بعدها على الصلح وقيام أهل فاس بمبايعة الامام الفاطمي بالمهدية وكتابة إسمه على السكة والخطبة له على منابر مساجدهم وإمداد الحملة بالانطاع واللبود وقرب الماء والأثاث، بالاضافة إلى ستة آلاف دينار على أن يفك الحصار ويقر عليهم حسن بن قاسم اللواتي الوالي الذي نصبوه على أنفسهم، واستمر حسن والياً على فاس، إلى أن عاد أحمد بن بكر الجذامي من المهدية مكرماً في 335هـ/946م وقيل سنة 341هـ/952م فتخلى له حسن عن الولاية[211].

تحول ميسور، بعد صلحه مع أهل فاس، وانضمام آل إدريس بمواليهم من العرب والبربر اليه، لمحاربة موسى بن أبي العافية ويروي ابن أبي زرع: «فكانت بينهما حروب عظيمة، ولي معظم تلك الحروب بنو إدريس، قاتلوه حتى هرب الى الصحراء أمامهم، وتملك الأدارسة أكثر ما كان بيد موسى ابن أبي العافية، قائمين بدعوة أبي القاسم الشيعي»[212] وما أن انسحب ميسور الى افريقية في 324هـ/935-936م حتى عاد موسى لفرض سيطرته على أعماله بالمغرب الأقصى ومدينة فاس فولى على عدوة الأندلس أبا يوسف بن محارب الأزدي اليمني، وهو الذي مدن عدوة الأندلس، وكانت حصونا[213].

أما الأدارسة فقد انتهت رئاستهم، لابني محمد بن القاسم بن إدريس الثاني وهما: القاسم الملقب بكنون (قنون)، وشقيقه ابراهيم، وهما شقيقا الحسن الحجام[214]. واتخذ الأدارسة من قلعة حجر النسر حصنا لهم، حينما تنزل بهم الخطوب يتحصنون بموقعها الحصين وأسوارها المتينة ومياهها الجارية

(211) البكري: المسالك ص 128، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 85-86، السلاوي: الاستقصا 1: 172

(212) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 86، السلاوي: الاستقصا 1: 173

(213) ابن خلدون: العبر 6: 178، السلاوي: الاستقصا 1: 173

(214) البكري: المسالك ص 128، 129، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 3: 218

المتوفرة، وثمارها الوفيرة[215]، أما اذا صفت لهم الأيام، اتخذوا من مدينة البصرة عاصمة لهم وهي تعرف ببصرة الكتان، اذ كان أهلها في بدء أمرها جميع تجاراتهم بالكتان، أو ببصرة الذبان، لكثرة ألبانها، أو الحمراء لانها حمراء التربة. أسسها الأدارسة في بداية القرن الثالث الهجري في الوقت الذي أسست فيه أصيلا، استقرت بها بعض قبيلة قضاعة العربية اذ يذكر البكري أن مقبرتها الغربية تعرف بمقبرة قضاعة[216].

* اجتمع بنوا إدريس وبايعوا **القاسم بن محمد بن القاسم** واتخذ جانب الفاطميين الى أن توفي في 337هـ/948م وتولى بعده ابنه **أبو العيش أحمد ابن القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس** وتصف المصادر أبي العيش هذا بأنه كان عالما فقيها دينا ورعا حافظا للسير عالما بتواريخ الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر، عاقلا حليما شجاعا كريما، كان يعرف في بني ادريس بأحمد الفاضل، وكان يميل لمذهب السنة، لذلك قطع دعوة الفاطميين في امارته، وحول ولائه الى الدولة الأموية السنية بالأندلس، وبايع عبد الرحمن الناصر الأموي، وخطب له على جميع منابر عمله. وكعربون لهذا التحالف الجديد اضطر أبو العيش للتنازل عن مدينتي طنجة وسبتة للأمويين، اذ أدرك أنه لا قبل له بمقاومة الجيوش الأموية «وبقي أبو العيش واخوته وبنو عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته»[217].

وسرعان ما تمكن الناصر من السيطرة على أكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر، وخطب له على منابره من تاهرت الى طنجة ـ ما عدا سجلماسة ـ وكان لبني يفرن ومغراوة من زناتة، ولاية للأمويين وتشيع لهم.

(215) الادريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ص 109.

(216) البكري: المسالك ص 110، ابن عذاري: البيان المغرب 1:235، الحميري: الروض المعطار ص 108، ليون الافريقي: وصف افريقيا ص 310، 311

(217) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 87، 88، السلاوي: الاستقصا 1: 177، 178.

وذلك بولاية عثمان بن عفان، لجدهم صولات بن وزمار المغراوي الذي وفد عليه وأسلم على يديه، فسرت تلك الـولاية في عقب زنـاتـة للأمـويين عموما[218]، لذلك قام الناصر بتعيين زعيم زناتة محمد بن الخير المغراوي واليا على عدوتي فاس «وكان من أبسط ملوك زناتة يداً وأعظمهم شأناً وأحسنهم الى ملوك بني أمية انحياشا وأخلصهم طوية» كما قام بتعيين يعلى بن محمد اليفرني في 347هـ/958م والياً على مدينة طنجة وأحوازها فنزلها في قبائل يفرن. مما يدل على أن النـاصر عمل على انشاء قوة أخرى، تحل محل القوة الادريسية بالمغرب الأقصى[219]، اذ كان يريد اتباعا من موالي بني أمية، لا أنداداً من قريش.

وأدرك أبـو العيش الادريسي، تخطيط النـاصر وأهدافه، وهانت عليه الولاية وفضل جهاد نصارى شمال اسبانيا، وما أن علم الناصر، حتى رحب بذلك وأمر أن يبني له على امتداد الطريق بين الجزيرة الخضراء والثغر، ثلاثين قصرا لاقامته، كمحطات استراحة، وأن يجري له فيها ألف دينار في كل يوم ضيافة له، ومن الفرش والأثاث والطعام والشراب لتجهيز هذه القصور. ومات أبو العيش شهيدا بالثغر في 348هـ/959م[220].

وفي 347هـ/958م استخلف أبو العيش، على عمله أخاه الحسن ابن كنون وهو آخر أمراء الأدارسة بالمغرب الأقصى. كما قام المعز لدين الله معد ابن اسماعيل الفاطمي بإرسال حملة مشكلة من عشرين ألف فارس من قبائل كتـامـة وصنهاجة وغيرهم من القبائل العربية بإفريقية بقيادة جوهر الصقلي، لاستعـادة المغرب الأقصى للنفوذ الفاطمي. وتمكن جوهر من الحاق الهزيمة بالجيش الزناتي الموالي للأمويين بقيادة يعلى بن محمد اليفرني والي طنجة بالقرب من مدينة تاهرت واستعاد سجلماسة وفي رمضان 349هـ/960م حاصر مدينة

(218) ابن خلدون : العبر 1: 260-261، 6: 141، السلاوي : الاستقصا 1: 179

(219) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 88-89، ابن الخطيب : أعمال الأعلام 3: 218-219

(220) البكري : المسالك ص 130، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 89، ابن الخطيب : أعمال الأعمال 3: 219، ابن خلدون : العبر 6: 291

فاس لمدة ثلاثة عشر يوماً حتى دخلها عنوة وقتل حُماتها وشيوخها وسبى أهلها. ولاشك أن من بينهم الكثير من العناصر العربية، كما قبض على واليها العربي أحمد بن بكر الجذامي اليمني والى الأمويين وعاد به مع خمسة عشر رجلا من أشياخها الى المهدية، بعد أن أقام ببلاد المغرب الأقصى مدة ثلاثين شهرا، مكن خلالها للفاطميين(221).

أما الحسن بن كنون زعيم أدارسة المغرب الأقصى، فقد اضطر لمبايعة الفاطميين، وما أن انسحب جوهر بجيشه الى افريقية، حتى اضطر للعودة لمبايعة الأمويين بقرطبة مرة ثانية. واستمر ولائه حتى نهاية فترة حكم عبد الرحمن الناصر وتولية ابنه الحكم المستنصر. ولكن ما أن انتقل الفاطميون من افريقية الى مصر، وأسندوا ولاية بلاد المغرب الى قبيلة صنهاجة موالى آل علي بن أبي طالب(222)، بزعامة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، في ذي الحجة سنة 361هـ/972م حتى زحف بلكين الى بلاد المغرب للثأر لمقتل أبيه زيري على أيدي زناتة وبني حمدون الجذاميين منافسي صنهاجة بإفريقية والفارين منها(223)، واعادة النفوذ الفاطمي. ولكن تقدم بلكين لم يتجاوز المغرب

(221) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص 89_90 السلاوي : الاستقصا 1 :180

(222) ابن خلدون: العبر 6: 202.

(223) يعود أصل جد عائلة بني حمدون الجذاميين، الى كورة البيرة من الأندلس، وفي عام 287هـ/900م توجه ثعلبة بن حمدون الى الحج برفقة جده وهو في السابعة عشر ونزل في كتامة، حيث كان أبو عبد الله الشيعي يبشر بالدعوة الفاطمية، فعمل معه واستبدل الداعي اسمه الى علي، وسرعان ما احتل في الدعوة، ومن ثم في الدولة الفاطمية مركزاً مرموقا، وقد استخدمه الخليفة الفاطمي الأول في مهمات في المشرق، كما رافق ابنه في حملاته باتجاه الغرب وبنى بتكليف منه مدينة المسيلة، التي يطلق عليها الشيعة اسم المحمدية نسبة للفاطمي الآمر ببنائها، وأضحى أميرا عليها وعندما قتل علي أثناء الحروب بين الفاطميين وأبي يزيد النكاري، حل ابنه جعفر في مكانته الرفيعة. ولكن حدث صراع بينه وبين زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة، أدى في النهاية لاضطراره الى الهروب الى قبيلة زناتة أعداء صنهاجة انظر ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي ص 32_37، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس ص 74.

الأوسط، وبقي المغـرب الأقصى للأدارسة يسيطرون على أغلب بقاعه منذ تحطيم دولة موسى بن أبي العافية المكناسية.

كانت علاقات الأدارسة بالحكم الأموي علاقات تبعية في أول الأمر، إلّا أن النزاع سرعان ما ذر قرنه بين الأدارسة من أبناء العمومة، وانتقل فيما بعد ليصبح بين بعضهم وبين الحكم الأموي سيد الجميع، ولعب الدور الرئيسي في هذا المجال الحسن بن كنون، صاحب حجر النسر، المعقل الرئيسي للأدارسة، كما كان يبسط سلطاته مباشرة أو عن طريق اخوته أو أقاربه الموالين له على مواقع أخرى مثل أصيلا والبصرة[224].

وفي رمضان سنة 361هـ/972م قرر الحكم المستنصر القضاء على نفوذ الأدارسة بالمغرب الأقصى فأرسل حملة بقيادة محمد بن قاسم بن طملس لمحاربة ابن كنون ولكن تمكن ابن كنون من هزيمة الحملة في ربيع الأول 362هـ/973م. مما دفع الحكم الى ارسال قائده الأعلى غالب، صاحب منطقة الثغر الأوسط، واستمر الحكم في امداد مولاة بالرجال والقواد مثل يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي الذي خرج على رأس حملة رؤسائها: اخوته وبني عمه من قبيلة بني تجيب اليمنية[225]. ويروي كل من ابن أبي زرع وابن خلدون «وأمده الحكم بعرب الدولة الذين بالأندلس ورجال الثغور»[226] في المحرم 363هـ/973م واستولى غالب على مدينة البصرة ثم حاصر الأدارسة بقيادة الحسن بن كنون في قلعة النسر، ولما اشتد عليهم الحصار، أعلنوا التسليم مقابل الأمان للأهل والمال والرجال والانتقال الى قرطبة « واستنزل غالب جميع العلويين الذين بأرض العدوة من معاقلهم وأخرجهم عن أوطانهم

(224) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي ص 99، البكري: المسالك ص 131-132، أحمد بدر تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) ص 96.

(225) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي ص 79، 102، 108، 128-129.

(226) ابن خلدون: العبر 6: 291، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 92، السلاوي: الاستقصا 1: 183.

ولم يترك بالعدوة رئيسا منهم»[227]. ثم زحف الى مدينة فاس واستولى عليها واستعمل محمد بن علي بن قشوش على عدوة القرويين، وعبد الكريم بن ثعلبة بن محارب الأزدي على عدوة الأندلسيين[228] واستمرا حتى سنة 369هـ/979م، حين هاجم بلكين بن زيري الصنهاجي المغرب الأقصى واستولى على فاس وأمر بقتلها[229].

استسلم ابن كنون، على نفس الشرط الذي اشترطه الحكم وأخبر به قواده المحاربين وهو «الجنوح والرجوع عن غيه والانابة الى رشده باللحاق بسده أمير المؤمنين، وهي أقل الأحوال المرتضى بها منه أو نفيه عن أرضه واخراجه عن جميع ذلك البلد». أما أتباع الادريسي الذين استسلموا قبله، أثناء تقدم جيش الخليفة فكان وضعهم غير ذلك، اذ تقبل عودتهم للطاعة ويبقوا في أمكنتهم ويسجل لهم على قومهم على أساس الاعتراف بإمامه الحكم والطاعة له، التي يعتبرونها كجزء من ايمانهم ويقسمون على أن تصبح أملاكهم وعبيدهم صدقة وأن يسيروا الى مكة مشياً على الأقدام في حالة مخالفتها. ومن مظاهر هذه الطاعة موالاة من والي الخليفة ومعاداه من عاداه والسير مع السنة والجماعة وفق أحكام المذهب المالكي[230].

وفي المحرم 364هـ/974م استقبل الحكم المستنصر بالله بقرطبة موكب النصر لقائده غالب ومن معه من العلويين «فسلم الحسن بن كنون على الحكم، فأقبل عليه وعفا عنه، ووفا له بعهده، وأوسع له ولرجاله في العطاء، وكانوا سبعمائة رجل أنجادا» وأثبت جميع أهله ورجاله في ديوان العطاء وسكنوا قرطبة وأقاموا بجوار الخليفة الأموي في أمن وغبطة الى سنة 365هـ/975م

(227) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 92.

(228) ابن خلدون: العبر 6: 292، السلاوي: الاستقصا 1: 184.

(229) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 101.

(230) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص 81، 89-91، 96، أحمد بدر: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) ص 97-98.

حيث حلت بالأدارسة نقمة وغضب الحكم وتروي المصادر أن السبب المباشر لذلك أنه كان للحسن بن كنون قطعة عنبر غريبة الشكل، كبيرة الحجم، ظفر بها في بعض سواحل العدوة المغربية التابعة له فأعدها كوسادة، يتوسدها، فعلم الخليفة الأموي بأمرها فطلبها لنفسه فامتنع الحسن من تسليمها له، فنكبه وسلبه جميع أمواله وصادر قطعة العنبر. وأمره بطرده وعشيرته الادريسية من قرطبة وإجلائهم الى الشرق[231] ويلقي كل من ابن أبي زرع وابن خلدون الضوء على الأسباب الحقيقية للغضب على الأدارسة وطردهم، بأن الحكم أراد بتغريبهم التخفف منهم والراحة من نفقاتهم من جهةد ويرضي عصبية بني أمية المعارضة لوجودهم بالأندلس من جهة ثانية. وسوء خلق الحسن وسعايه بني عمه من الأدارسة فيه عند الخليفة من جهة ثالثة[232].

انتقل الأدارسة من الأندلس الى مصر، حيث نزلوا ضيوفاً على أقربائهم الفاطميين، وأحسن العزيز بالله نزار بن المعز الفاطمي استقبالهم وأقاموا بالقاهرة الى أن لحق بهم بنو حمدون الجذاميون اليمنيون من الأندلس، مغضوباً عليهم من محمد بن أبي عامر المنصور، حاجب هشام المؤيد الأموي في 372هـ/983م، ويبدو أنهم كانوا وراء تحريض الأدارسة لاستعادة امارتهم بالمغرب الأقصى، اذ يروي ابن أبي زرع ما أن دخلت سنة 373هـ/983م حتى كتب نزار للحسن بعهده على المغرب وأمر عامله على افريقية بلكين ابن زيري بن مناد أن يقويه بالجيوش، فسار الحسن الى بلكين فأعطاه جيشاً من ثلاثة آلاف فارس، فاقتحم بهم بلاد المغرب، واستطاع الحسن بن كنون البقاء في المغرب سنة واحدة وتسعة أشهر، لا بفضل ما استطاع جمعه من أعوان في المنطقة أو بمساعدة وعون الخليفة الفاطمي ونائبه في بلاد المغرب، وانما بسبب استغلاله للمنافسة بين القبائل الزناتية الموالية لقرطبة، والتي ترجع الى الحظوة

(231) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 93، السلاوي: الاستقصا 1: 184-185.

(232) ابن خلدون: العبر 6: 292، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 93، السلاوي: الاستقصا 1: 185.

التي نالها زيري بن عطية زعيم مغراوة في بلاط الخليفة في قرطبة بعد انتصارته اللامعة على أتباع الفاطميين واستيلائه على فاس وتعيينه لابناء ولاة فاس من العرب الذين قتلهم الزعيم الصنهاجي فقد ولى عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة الأزدي على عدوة الأندلس، وعلي بن محمد بن علي بن قشوش على عدوة القرويين، وولى الفقيه قاسم بن عامر الأزدي قضاء المدينتين. وحينما استدعاه المنصور العامري لزيارة قرطبه في 382هـ/992م حمل بين يديه هدية عظيمة، كان أبرزها طير فصيح يتكلم بالعربية والبربرية وهكذا نرى أن تأثير الدولة العربية ببلاد المغرب الأقصى لم يقتصر على تعريب السكان من البربر، بل وتعداهم الى تعريب طيورها البربرية كذلك. وأثارت هذه المكانة يدو ابن يعلى زعيم قبيلة يفرن الزناتية ـ منافس زيري ـ فأخذ جانب الحسن بن كنون الادريسي[233].

تجاه هذا التكتل وجه المنصور المعافري حملة أندلسية بقيادة عمر بن عبد الله المعافري الشهير بعسكلاجة، ابن عمه، للانضمام الى المغراويين بزعامة زيري بن عطية وأخيه وأمدهم بقوات جديدة بقيادة ابنه عبد الملك، وأمام هذه القوى، انهزم الحسن بن كنون وحلفائه من بني يفرن، والتمس الادريسي الأمان واللحاق بالأندلس، فقبل ذلك منه. لكن المنصور نكث بوعد ابن عمه وانفذ من قتل الحسن وهو في طريقه الى قرطبه في جمادى الأولى سنة 375هـ/985م[234].

وهكذا انتهت الدولة الادريسية (رمضان 172هـ/789م الى جمادى الأولى 375هـ/985م) التي استمرت لمدة مائتين سنة وثلاث سنوات سوى

---

(233) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 307، 308، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 93ـ94، 103ـ104، ابن خلدون: العبر 6: 292، 7: 39، 41، السلاوي: الاستقصا 1: 185ـ186. أحمد بدر: تاريخ الأندلس في القرن الرابع ص 100.

(234) ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 222ـ224، ابن خلدون: العبر 6: 292، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 94.

23

شهرين وامتدت من السوس الأقصى الى مدينة وهران واتخذت من فاس، ثم من البصرة عاصمة لها. وكان الأدارسة يكابدون مملكتين عظيمتين: دولة العبيديين بإفريقية ومصر ودولة بني أمية بالأندلس. وكانوا ينازعون الخلفاء الى درك الخلافة ويقعدهم ضعف سلطانهم وقلة مواردهم. وكان سلطانهم اذا اشتد وقوى امتد الى مدينة تلمسان، واذا اضطرب حالهم وضعف أمرهم، لا يجاوز سلطانهم البصرة وأصيلا وحجر النسر الى أن انتهت دولتهم بالمغرب الأقصى[235].

وكما انتشر العلويين بالمغرب الأقصى عن طريق الأدارسة، انتشرا كذلك بالمغرب الأوسط ويروي ابن خلدون أن سليمان أخو ادريس الأكبر «فر الى المغرب أيام العباسيين ولحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه ادريس، وطلب الأمر هناك فاستنكره البرابرة وطلبه ولاة الأغالبة فكان في طلبهم تصحيح نسبه» وتمكن سليمان من الاستيلاء على مدينة تلمسان وخضعت له قبائل زناتة وغيرها من البربر. وبعد وفاته آلت تلمسان الى ابنه محمد بن سليمان، ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط، واقتسموا ممالكه ونواحيه[236].

ويلقي اليعقوبي الضوء على حدود الامارات العلوية بالمغرب الأوسط التي تركزت في المناطق الشرقية (ميتجة) والمناطق الغربية (تلمسان)، تفصل بينهما الدولة الرستمية بتاهرت.

ففي المناطق الشرقية بالمغرب الأوسط، وبعد الانتهاء من حدود الزاب الغربية تبدأ امارات العلويين: فقد تغلب الحسن بن سليمان بن سليمان ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على مدينة هاز عاصمة المنطقة وسكانها من زناتة وصنهاجة وهم أصحاب عمارة وزرع وضرع[237]. ثم

(235) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 94ـ95، السلاوي: الاستقصا 1: 187.

(236) ابن خلدون: العبر 4: 23.

(237) اليعقوبي: البلدان ص 103.

آلت الى ابنه حمزة بن الحسن، واليه ينسب سوق حمزة، وولده بها كثير، وكذلك ولد أخوته في تلك الجهة أيضا[238].

كما تمكن بنو محمد بن جعفر من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب من التغلب على اقليم متيجة، وهو بلد واسع فيه عدة مدن وحصون وهو بلد زرع وعمارة.

وتولى محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ولاية مدينة مدكرة. ومدينة الخضراء. وأشهر أبناء محمد، هو عيسى ابن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، صاحب مدينة سوق ابراهيم. ويروي اليعقوبي أن «كل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف بهم وينسب اليهم»[239].

وفي المناطق الغربية بالمغرب الأوسط، اعتبارا من مدينة تمطلاس تبدأ امارة بني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن. وأهم مدنها مدينة تلمسان، وواليها محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان. وتليها غربا مدينة العلويين التي عرفت بهم، ثم مدينة نهالتة وواليها محمد بن علي بن محمد ابن سليمان، ثم مدينة فالوسن وهي آخر مملكة بني محمد بن سليمان بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن[240].

ويضيف ابن خلدون الى هذه الامارات، أرشكول وواليها عيسى ابن محمد بن سليمان وأولاده من بعده، وجراوة وواليها ادريس بن محمد ابن سليمان، وتنس وواليها ابراهيم بن محمد بن سليمان، ثم لأولاده من بعده.

(238) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 49.
(239) اليعقوبي: البلدان ص 103ـ104.
(240) اليعقوبي : البلدان ص 107، 108.

وبعد قضاء الفاطميون على إماراتهم، حمل جوهر الصقلي بني حمزة منهم الى القيروان، وبقيت منهم بقايا في الجبال والأطراف معروفون هنالك عند البربر[241].

(241) ابن خلدون : العبر 4: 23، 24.

الفصل الســادس

# الأغالبة التميميون في إفريقية وصقلية

ويتضح من الأحداث التاريخية لدور العرب والأدارسة في المغربين الأقصى والأوسط، أن الخلافة العباسية، بعد أن فشلت في القضاء على الأدارسة، خوفاً على نفسها من إتساع أهدافهم، إذ أنهم لم يفكروا في فصل المغرب عن بقية العالم الاسلامي، كما يزعم البعض، بل كانوا يريدون توحيد العالم الاسلامي تحت قيادتهم، مستندين في ذلك الى أصلهم الشريف وشرعيتهم في الحكم[1] بالاضافة الى ما ساد المغرب الاسلامي من نزعات الاستقلال التي أدت الى اقتطاع المغربين الأوسط والأقصى عن سلطان الخلافة العباسية، وتشكيل خطر دائم هدد بإنفصال إفريقية ذاتها، وزوال النفوذ العباسي كلية من المغرب[2].

(1) إذ توجد في خزانة الرباط وثيقة هامة، وهي قطعة من رسالة للامام إدريس الأول إلى أهل مصر، يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت النبوي الذي ينتمي إليه ويصف التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي الموروث عن الرسول ويطالبهم بتأييده ومساندته، هذه الرسالة حررت بنصها الكامل في الجزء الثاني من سيرة إمام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم في رسالة له وجهها إلى أهل المغرب سنة 1048 هـ. وهو مخطوط بمكتبة الأمبروزيانا بميلانو تحت رقم 115 ورقة 71ـ75، وتوجد صورة لها بخزانة الرباط أنظر أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص 50، عبد الهادي التازي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية ص 26.
كما توجد وثيقة هامة بالمرجع الشافي لعبد الله بن حمزة من أئمة الزيدية باليمن تؤكد مدى نص الأدارسة على أصلهم العلوي والقرابة للرسول إذ يذكر إدريس أنه «ابن عبد الله، بن الحسن، بن الحسن، ابن علي بن أبي طالب، عم رسول الله (ﷺ)، ورسول الله وعلي بن أبي طالب جدّاي، وحمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار في الجنة عمّاي، وخديجة الصديقة، وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله.(ﷺ) وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أمّاي، والحسن والحسين أبناء رسول الله (ﷺ) أبواي، ومحمد وإبراهيم أبناء عبد الله المهدي والزاكي أخواي» أنظر مجلة التضامن عدد 3 لسنة 1974م، ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ 1: 119.

(2) محمود اسماعيل : الاغالبة ص 47.

دفع هذان العاملان، الخلافة العباسية، إلى إقرار قيام أسرة عربية موالية وهم الأغالبة بتولي شؤون إفريقية، على أن تتمتع بالاستقلال الذاتي في إطار من الولاء والتبعية لها. ويعلق على ذلك النويري الذي ينقل عن الرقيق القيرواني بقوله: «هذه الدولة، أول دولة قامت بإفريقية وجرى عليها إسم الدولة، وكان من قبلهم عمالا إذا مات أحد منهم أو صدر منه ما يوجب العزل عزله من يكون أمر المسلمين إليه من الخلفاء في الدولة الأموية والعباسية، فلما قامت هذه الدولة كانت كالمستقلة بالأمر، وانما كانت ملوكها تراعي أوامر الدولة العباسية، وتعرف لها حق الفضل والأمر، وتظهر طاعة مشوبة بمعصية، ولو أرادوا عزل واحد منهم والاستبدال به من غير البيت لخالفوهم، وصار ملوك هذه الدولة يوصون بالملك بعدهم لمن يروه من أولادهم واخوتهم فلا يخالفه قوادهم، ولا يراعون أهلية من يوصي اليه، بل يقدمونه على أي صفة كان مستحقاً أو غير مستحق»[3].

والأغالبة ينتمون الى قبيلة تميم العربية الشمالية، إحدى قبائل بني إلياس ابن مضر، انجبت أعظم شعراء الجاهلية، وتعتبر لغتها العربية حجة بين لغات القبائل، ساهموا في الفتوحات الاسلامية واستقروا بمدينتي البصرة منذ انشائها في 14هـ وكانت لبني تميم قريتين من قراها السبع[4]، وفي الكوفة منذ تأسيسها في 17هـ، حيث استقرت تميم شرقي مسجد المدينة وميدانها بجوار قبائل مزينة و محارب و أسد، وازدادت قوتهم، حتى حالفهم من استقر بجوارهم من المقاتلة الفرس الذين انضموا الى العرب[5]. وبعد تأسيس الدولة الأموية ولكي تقضي على معارضة كل من المدينتين لحكمها قام زياد بن أبية أمير المدينتين

(3) النويري : نهاية الأرب في فنون الادب 22 : 251.

Venderheyden M : La Berberie Orientale sous la dynastie des Benou 'L-Arlab, Paris p. 8

(4) البلاذري : الأمم والملوك 4 : 148، 199، والمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 262

(5) البلاذري : فتوح البلدان ص 276، 279، الطبري: الرسل والملوك 4: 189_192، 263، ابن الاثير: الكامل في التاريخ 3: 32.

بنقل خمسين ألف أسرة عربية الى ولاية خراسان، المقاطعة الفارسية الشرقية لكي يتخلص نهائياً من ثورات العلويين بها ويدعم الفتوحات الاسلامية بإقليم ما وراء النهر في الوقت نفسه[6]، وكانت تميم ضمن القبائل التي نقلت الى خراسان.

ومن خراسان أتت الأسرة الأغلبية، إذ كان أصل الأغلب، وهو والد مؤسس الأسرة بإفريقية، من أهل مرو الروذ (وادي المرح) بخراسان، إنتقل الى مصر حيث أصبح من جندها، أي أنه كان من الجند العربي الخراساني الذي وفد مع القوات العباسية الى مصر[7]. ولقد لعب الأغلب دوراً بارزاً في قيام الدولة العباسية، إذ يروي ابن الآبار أنه «كان ممن سعى في القيام بدعوة بني العباس مع أبي مسلم، وحارب معه عبد الله بن علي، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هُبَيْرة، وفي مقتل أبي مسلم، ويقال انه الذي ضربه فأطار يده، ثم تولى حز رأسه»[8] ودخل الأغلب إفريقية في 144هـ/761م كنائب للوالي محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، الى أن آلت اليه ولايتها في أواخر 148هـ/765م ومات مقتولا في 150هـ/767م[9].

و مؤسس الدولة الأغلبية العربية، هو **إبراهيم بن الأغلب بن سالم ابن عقال بن خفاجة التميمي**، (184 ـ 196هـ/800 ـ 812م) قتل أباه وهو لم يتجاوز عشر سنين. وتتفق المصادر أنه قضى صباه في الدرس والتحصيل بالفسطاط حيث كانت تستقر أسرته، إذ كان «كثير الطلب للعلم والاختلاف الى الليث بن سعد الفقيه» ولما بلغ مبلغ الرجال انتظم في سلك الجندية، لكنه لم يمكث بها طويلا فغادرها الى إفريقية، حيث أصبح والياً على إقليم الزاب[10] وسرعان ما آلت إليه إمارة إفريقية.

(6) البلاذري : فتوح البلدان ص 400، وللمؤلف: دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 314ـ315.

(7) البلاذري : فتوح البلدان ص 233.

(8) ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 68ـ69

(9) انظر البلاذري : فتوح البلدان ص 233.

(10) ابن الاثير : الكامل في التاريخ 5 : 96، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 92.

ويختلف المؤرخـون حول الأسباب المباشرة التي أدت الى تولي إبراهيم الامـارة فالـرقيق القيرواني يرى أن فوز إبراهيم بها جاء نتيجة ما قام به من «منـاصرته لابن العكي وإخراجه تمام بن تميم»(11). أما ابن الآبار فيرى أن السبب نجاحه في الكيد للأدارسة بالمغرب الأقصى(12). على أن الذي لا شك فيه أن إبـراهيم بن الأغلب تطلع لطلب الامـارة من الـرشيد بعـد أن قدم للخلافة ما يعزز طلبه، وبعد أن عضده أهل إفريقية لمقتهم العكي، وكذا هرثمة بن أعين واليها السابق، مولى بني ضبية المضري الذي شنفه بقوله «ليس بها أحـد أفضـل طاعـة ولا أبعـد صيتاً ولا أرضى عند الناس من إبراهيم» خصوصاً بعد أن شفع إبراهيم طلبه للامارة بعرض سخي، وهو أن يتنازل عن الاعانة السنوية التي ترد من مصر وقدرها مائة ألف دينار، والتعهد بدفع أربعين ألف دينـار سنـوياً للخـلافـة، على أن تكـون إمـرة افـريقية له ولذويه من بعده.(13). ولهذا لا نرجح رأي كل من Bury و Amori الذي يعزو قيام دولة الأغـالبة الى مشاكل الخلافة في المشرق(14). وما يذكره حسين مؤنس متعلقا بسياسة الرشيد التى كانت ترمي الى تصفية الجناح الغربي من الدولة الاسلامية بعد أن نفضت الخلافة يدها من شؤون البحر المتوسط(15). ولكن ليس من المستبعد، كما يعتقد Vonderheyden أن تكون الخلافة إزاء فشلها في مواجهة الأوضـاع الجديدة في بلاد المغرب، قد راودتها فكرة الاعتماد على أسرة قوية موالية لها بإفريقية(16).

(11) عن النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب 22 : 252.

(12) ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 235.

(13) ابن الأثير : الكامل 5 : 104، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب 22 : 252، ابن خلدون: العبر 4 : 250 Fournel : Les Berbers. Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes N.I. p. 272.

(14) Bury : A History ot the Eastern Roman empire V.I pp. 232, 244.

A mari : Storia dei Musulmani di Sicili V.I p. 116

(15) أنظر حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط إلى الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية مجلد 4 عدد 1 ص 86.

(16) Vonderheyden : La Berberie Orientale P.8. ، محمود إسماعيل: الأغالبة ص 24، 30.

ولم تخذل الأسرة التميمية العربية، الخلافة العباسية، بل وفت لها بالتزاماتها، فقد خطبت للخلافة على منابر مساجدها، ورفعت شعار بني العباس، ولم تنقطع عن دفع الضرائب السنوية، ونقشت إسم الخليفة على السكة، وأطلقت إسم العباسية على حاضرتها الجديدة[17].

وبدأ إبراهيم بن الأغلب ولايته في 184هـ/800م[18] ببناء عاصمة جديدة له. إذ رغم ما يرويه ابن عذاري أن إبراهيم «لما ملك إفريقية... أحسن الى عرب جيشها»[19] نجد في الوقت ذاته ينفي زعمائهم المشاغبين الى عاصمة الخلافة ببغداد حتى يتخلص من ثوراتهم. أما عامة جند إفريقية المستقرين بالقيروان، فقد عمل إبراهيم على التحرر من تسلطهم، إذ بينما كان يداريهم ويتغاضى عن سوء اخلاقهم وشراسة طباعهم، كان يعمل على الانتهاء من بناء عاصمة الامارة على مسافة ثلاثة أميال في الجنوب الشرقي للقيروان وتوفير الحرفيين وأهل الصناعة لها من العبيد إذ «أظهر أنه يحب أن يتخذ من كل صناعة من يغنيه عن إستعمال الرعية» من ناحية، وفي نفس الوقت أخذ في شراء العبيد من السودان[20] وتدريبهم على إستعمال السلاح

(17) محمود إسماعيل: الأغالبة ص 32، محمد ولد داده: مفهوم الملك في المغرب ص 43-44

(18) يفهم من النصوص أن الرشيد عين إبراهيم واليا على إفريقية في 20 من المحرم من عام 184م ولكن ابن مقاتل الوالي السابق عطل هذه الولاية إلى 12 من جمادى الآخرة من عام 184م أنظر الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب ص 220، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب 22: 252-253

(19) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 92

(20) لقد تشبه إبراهيم بن الأغلب بكل من الخلافة العباسية التي بدأت في الاعتماد على عناصر غير عربية مثل الفرس والترك والدولة الأموية بالأندلس، إذ عمد الأمراء الأمويون إلى إحاطة أنفسهم بالمولودين من جهة والأعاجم أو (الخرس) من جهة ثانية. خصوصا وأن عنصر السودان عرفوا من قبل في إفريقية الرومانية والبيزنطية وكذا في مرحلة الفتوحات العربية للمغرب والأندلس ففي إحدى المخطوطات بالخزانة الحسنية التي تتناول وصف الأندلس والفتح العربي، يذكر المؤرخ أن حملة طارق بن زياد كانت تشتمل على سبعمائة مقاتل من السودان.
أنظر البلاذري: فتوح البلدان ص 277، البكري: المسالك ص 28، النويري: نهاية الأرب 22:

لتوفير الحماية للمدينة الجديدة «وأظهر للجند أنه أراد بذلك إكرامهم عن حملة» من ناحية أخرى[21].

يضاف الى ذلك أنه من المحتمل أن ابراهيم بن الأغلب أراد أن يتشبه بتقليد الخلفاء الأمويين والعباسيين في إتخاذهم القصور خارج عواصمهم، أو إشباعاً لرغبته في الظهور بمظهر العظمة والأبهة[22].

واختار إبراهيم موقع عاصمته الجديدة التي عرفت بالعباسية، تيمناً بالخلافة العباسية ببغداد، أو القصر القديم نسبة الى موضع قلعة قديمة كانت في المنطقة التي بنيت عليها المدينة في 185/801م حسب رواية ابن عذاري[23] وبينما يكتفي اليعقوبي المتوفى في 284هـ/895م بوصفها بقوله: «ومنازل بني الأغلب على ميلين من مدينة القيروان في قصور قد بنى عليها عدة حيطان»[24]. يروي البكري أن دار أمراء بني الأغلب تقع على بعد ثلاثة أميال

---

= 253، حسين مؤنس: رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، المجلد 18، سنة 74ـ1975 ص 128 Biquet : Histoire de l'Afrique septemtrionale sous la domination Musulmane p. 25

Vonderheyden : La Berberie Orientale P. 197, 235.

(21) انظر النويري نهاية الأرب 22: 253.

(22) أما عما يروي أن سكان القيروان الورعين التقين، أبدوا سخطهم على الأمير لاقباله على الخمر وانغماسه في حياة اللهو والملذات، فاضطر إبراهيم إلى إقامة هذه المدينة للاستمتاع بالحياة بعيدا عن أنظار رعيته، فلا يناله شيء من تقريع فقهائهم وإنتقادهم لسلوكه، تفنده رواية الرقيق القيرواني «لم يل افريقية قبله أحد من الأمراء أعدل منه سيرة ولا أحسن سياسة ولا أرفق برعية» والنويري «كان فقيها عالما خطيبا شاعرا ذا رأي وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكائدها، جريء الجنان، طويل اللسان، حسن السيرة» وما أورده القاضي عياض عن علاقة إبراهيم بن الأغلب بقاضيه عبد الله ابن غانم أنظر عياض: تراجم أغلبية، مستخرجه من مدارك القاضي عياض ص 13ـ16، 18ـ19، 21، النويري: نهاية الأرب 22: 255ـ256، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الاسلامي 2: 455.

(23) يروي ابن عذاري أن المنطقة كانت تحت سيطرة بني طالوت وقام إبراهيم بشراء الأرض منهم أنظر البيان المغرب 1: 92ـ93.

(24) اليعقوبي: البلدان ص 100.

في جنوب مدينة القيروان[25] أما ياقوت الحموي فيطلق عليها «قصر قيروان» ويصفهـا بقوله «كانت مدينة عظيمة في قبلي القيروان بينهما أربعة أميال»[26] ويتفق كل من البكري والحموي أنه كان بالمدينة «رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان»[27] ربما كانت لعرض الجند ويمكن القول أنها احتوت على قصر الأمير وما يلحق به من الدواوين ودار سك النقود ومساكن حاشيته[28] والمسجد الجامع[29].

وسرعان ما اتسعت المدينة الجديدة، حتى أصبحت ذات حمامات كثيرة، وفنادق لنزول التجار والغرباء، وأسواق جمة، وبنيت لها مواجل (خزانات) المياه وتعددت، حتى إن أهل القيروان، قلت مواردهم المائية في بعض السنوات، فكانوا يجلبونه من العباسية[30] ولذلك أحيطت المدينة بالأسوار التي احتوت على خمسة أبواب: بابي الرحمة والحديد بجنوبها، وبابي غلبون، والريح بشرقها، وباب السعادة بغربها، يفتح الى المقبرة الكبيرة لسكان المدينة[31] وهكذا أضيفت قاعدة عربية إسلامية جديدة الى بقية القواعد بشمال إفريقية مثل القيروان وفاس.

وبعد بناء المدينة، نقل إبراهيم بن الأغلب إليها «السلاح والعدد سرا» ثم استغل الظلام فانتقل من دار الامارة بالقيروان، حيث كانت ترصده عيون منافسيه من زعماء الجند العربي، الى قصره بالعباسية، بعبيده وحشمه وأهل

(25) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 92.
(26) ياقوت الحموي : معجم البلدان 4: 362
(27) أنظر المغرب في بلاد افريقية والمغرب ص 28، معجم البلدان 4: 362.
(28) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي 2 : 32.
(29) يصفه كل من البكري والحموي بقولها: «وفيه صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد، سبع طبقات لم ير (يبن) أحكم منها ولا أحسن منظرا» أنظر البكري ص 28، معجم البلدان 4: 362.
(30) أنظر البكري ص 28، الحموي: معجم البلدان 4: 362.
(31) البكري ص 28.

بيته... وأسكن معه من يثق به من الجند»[32] العربي ومن المحتمل عصبيته من عرب بني تميم حتى غدت العاصمة الجديدة أشبه بقلعة منيعة.

وسرعان ما تأكدت ظنون إبراهيم بن الأغلب، ففي 186هـ/802م ثارت القبائل اليمنية بزعامة خريش[33] بن عبد الرحمن بن خريش الكندي اليمني والي مدينة تونس وزعيم العرب البلديين بإفريقية، إذ يصف الرقيق القيرواني خريشاً الكندي بأنه من «أبناء العرب» ومؤرخ القيروان يستخدم كلمة «الأبناء» كثيراً عند كلامه عن عساكر تلك الفترة وحروبها. ويقصد أبناء الجند الذين ولدوا في إفريقية سواء كانوا من العرب البلديين، أي عرب الفتوح الأولى، أو من الوافدين بعد ذلك، من عرب أهل الشام أو الجند الخراساني[34].

ويذكر الرقيق أن زعيم الثورة «خلع السواد» ـ وهو شعار الخلافة العباسية ـ[35] كما أن الثوار من عرب مدينة تونس ومن حالفهم من البربر كانوا يرددون «بغداد، بغداد، فلا والله، لا اتخذت لكم طاعة بعد اليوم أبداً»[36] مما يدل أن هذه الثورة كانت خروجاً على التبعية العباسية وإنهاء لنفوذها في إفريقية[37] مما يرجح أن ثورة الزعيم اليمني وأتباعه من عرب تونس، كانت بسبب سياسة إبراهيم بن الأغلب المالية، إذ كيف يتسنى للوالي الجديد دفع ما التزم به للخلافة العباسية من ضرائب سنوية. يروي الجهشياري أنها لم

(32) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 93، النويري : نهاية الأرب 22: 253

(33) «حمديس» عند النويري وابن خلدون «الكندي» عند ابن عذاري وانظر تعليق حسين مؤنس حول تفضيل خريش عند ابن الابار: الحلة السيراء 1: 101، 140، الرقيق القيرواني ص 224ـ225، نهاية الأرب 22: 254، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 93، العبر 4: 250.

(34) أنظر تاريخ خليفة بن خياط 2: 748، الرقيق القيرواني ص 224ـ225، ابن الابار : الحلة السيراء 1: 391

(35) أنظر آدم متز : الحضارة الاسلامية 1: 255ـ256

(36) الرقيق القيرواني ص 224ـ225، النويري : نهاية الأرب 22: 255.

(37) ابن الاثير : الكامل 5: 104

تقتصر على ما سبق ووعد به إبراهيم بن الأغلب (40 ألف دينار)، بل إزدادت حتى أصبحت ثلاثة عشر ألف ألف درهم ومائة وعشرون بساطاً، وهو أكثر قيمة مما كان يرد كمعونة من الخزانة المصرية إلى إمارة إفريقية (100 ألف دينار)[38]. وكذا توفير المبالغ لشراء العبيد للعمل بمختلف الحرف والصناعات ولتشكيل بعض فرقه العسكرية، وكذا الصرف على بناء عاصمته الجديدة، دون فرض ضرائب جديدة على أهل إفريقية من العرب والبربر من جهة وحرمان الجند العربي من مستحقاتهم في ديوان الجند من جهة ثانية.

إضافة إلى ذلك، إحتمال مغازلة الزعيم اليمني للعلويين الذين سطع نجمهم بالمغرب الأقصى وأسسوا عاصمتهم العربية بفاس، وتمكن بعض أمرائهم من تكوين بعض المراكز العلوية القوية بالمغرب الأوسط، إذ يروي ابن الآبار أن الزعيم اليمني مال الى علي بن أبي طالب[39] مما يدل على طابع الثورة الشيعي كما يضيف ابن خلدون أن ابن الأغلب بعد قضائه على ثورة خريش «صرف همة الى تمهيد المغرب الأقصى، وقد ظهر فيه دعوة العلوية بإدريس ابن عبد الله»[40].

ولذلك نجد أن إبراهيم بن الأغلب، يسارع بإرسال قائده عمران ابن مخالد الربعي (الربيعي)[41] أحد زعماء القبائل العدنانية بإفريقية، الى تونس

(38) ويروي الجهشياري أن أبا الوزير عمر بن المطرف الكاتب «عمل في أيام الرشيد تقديرا عرضه على يحيى بن خالد (البرمكي) لما يحمل إلى بيت المال بالحضرة (بغداد) من جميع النواحي من المال والأمتعة جاء فيه: برقة ألف ألف درهم، وافريقية ثلاثة عشر ألف ألف درهم، ومن البسط: مائة وعشرون بساطا. أنظر كتاب الوزراء والكتاب ص 281ـ282 وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام 2: 280، 282، 284. ومن المعروف أن قيمة الدرهم بالنسبة للدينار لم تكن ثابتة ففي ذلك الوقت كان الدينار يساوي عشرة دراهم وتطورت قيمته في المشرق إلى ثلاثة عشر درهما أحيانا وإلى خمسة عشر درهما في أحيان أخرى أنظر آدم متز: الحضارة الاسلامية 2 ؛ 377 تعليق (3).

(39) ابن الابار: الحلة السيراء 1: 102.

(40) ابن خلدون : العبر 4: 250.

(41) عمران بن مجالد في عياض : تراجم أغلبية ص 68 ويضيف «الربعي» ابن خلدون: العبر 4: 251

على رأس جيش كبير حيث إلتقوا بالثوار بسبخة تونس، وتفاني الفريقان في القتال عصبية حتى إنتهى بهزيمة اليمنية وقتل خريش بن عبد الرحمن الكندي وعشرة آلاف من أتباعه، ودخل القائد الأغلبي مدينة تونس، وانتقم من أنصار الثورة اليمنية وأقر الأمور في المدينة[42].

ولكن سرعان ما ثارت القبائل العربية البلدية بمدينة طرابلس، لما نزل بإخوانهم بمدينة تونس. ففي 189هـ/805م يروي ابن الأثير أن عرب مدينة طرابلس، كانوا دائموا الشكوى من الولاة، فيستبدلهم إبراهيم بن الأغلب. وحدث أنه ولى في هذه السنة سفيان بن المضاء للمرة الرابعة، فثار عرب طرابلس على سفيان، وعزموا على خلعه وطرده، وزحفوا إليه، فقاتلهم في المسجد الجامع، فهزموه، ثم أمنوه، فخرج من طرابلس لشهر من ولايته في شعبان 189هـ/805م واستعمل الجند إبراهيم بن سفيان التميمي بدلا من ابن المضاء، مداراه لبني الأغلب التميميين. ولكن سرعان ما وقع الخلاف بين طوائف الجند من العرب: «الأبناء» وهم أبناء الجند الذين ولدوا في إفريقية. وقوم من بني كنانة وبني يوسف، حتى فسدت طرابلس.

وما أن بلغت إبراهيم أنباء هذه الفتنة حتى أرسل الى طرابلس جنده لاخضاعهم، وفي نفس الوقت استدعى زعماء الجند العربي من الأبناء وخصومهم حيث عفي عنهم وعمل على استرضائهم، استئلافاً لعصبيتهم من العرب بطرابلس، وأعادهم الى بلدهم[43].

وهكذا تمكن إبراهيم بن الأغلب عن طريق القوة تارة وعن طريق السياسة تارة أخرى من إخضاع القبائل اليمنية والبلدية بإفريقية. أما عصبيته

= وعمران بن مخلد في ابن الأثير: الكامل 5: 104 ويضيف ابن الابار «الربيعي» أنظر الحلة السيراء 1: 104.

(42) الرقيق القيرواني ص 224-225، ابن الأثير: الكامل 5: 104، النويري: نهاية الأرب 22: 254، ابن خلدون: العبر 4: 250.

(43) ابن الأثير: الكامل 5: 121، ابن خلدون: العبر 4: 250، 251.

القيسية العدنانية، التي تشكل منها أغلبية جنده، واتخذ من زعمائها مستشاريه وولاته وقواده. فقد ساءها، تخلص إبراهيم من سطوتها، بإنتقاله الى سكني قلعته الجديده «العباسية» وتشكيل حرسه من السودان من جهة. واضطراب أحوالها الاقتصادية نتيجة لما تحملته من أعباء من سياسته المالية من جهة ثانية. إلّا أن دورها في القضاء على الثورات بتونس وطرابلس، عمل على اشتداد قوة ساعد هذه العصبية ودفعها للاعتقاد بأن الولاية الأغلبية بإفريقية، لا تستمر إلّا في ظل حماية سيوفها. خصوصاً بعد وفاة هارون الرشيد في 193هـ/809م واندلاع الصراع في المشرق بين الخليفة محمد الأمين وأخيه المأمون حول السلطة[44].

لذلك ما أن حدثت جفوة بين إبراهيم بن الأغلب وقائده ووزيره عمران ابن مخالد الربعي. أحد زعماء العدنانية بإفريقية - إذ يروي الرقيق أن إبراهيم لما بنى عاصمته الجديدة ركب هو وقائده عمران بن مخالد الربعي، وكان إبراهيم مشغولا بالتفكير في كيفية الانتقال لمدينته الجديدة، دون إثارة الجند العربي. وكان الزعيم القيسي يحادثه طوال الطريق وهو لم يدر شيئاً فقال لعمران: «ألم تعلم، أني لم أسمع من حديثك شيئاً، أعده علي» فغضب الزعيم القيسي لمثل هذه الاهانة وأخذ في تأليب عصبيته ضد إبراهيم[45] فانضم اليه عامر بن المعمر بن سنان التميمي، صاحب الشرطة، ووالي قسطيلية السابق، وعمرو بن معاوية القيسي، أحد فرسان قبيلة قيس وسادتها بإفريقية[46].

---

(44) وهذا النزاع يعتبر استمرارا للصراع القائم بين العرب والعجم، وكان يمثل الحزب العربي الامين وأمه زبيدة ووزيره الفضل بن الربيع. أما الحزب الفارسي فيمثله المأمون ووزيره الفضل بن سهل أنظر تاريخ خليفة بن خياط 2: 740 المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 3: 336، 387-389، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص 274، 276، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي ص 94.

(45) أنظر النويري: نهاية الأرب 22: 254-255، ابن الأثير: الكامل 6: 156-157.

(46) أنظر ابن الآبار: الحلة السيراء 1: 106-110.

بدأت الثـورة في 194هـ/810م بتونس وسرعان ما انصاع له غالبية الجنـد العـربي، فاستـولى عمـران على القـيروان في نفس العـام، وبلغ من استفحال خطره أنه غلب على معظم بلاد افريقية. كما حاصر إبراهيم عاماً كاملا في قلعته بالعباسية، بعد أن خندق إبراهيم حولها واعتصم بأسوارها. وأصبحت البـلاد طوال هذا العـام نهبـاً للاضـطراب والفوضى «كانت خيل إبراهيم تضرب الى القيروان، فتقتل من قدرت عليه. وخيل عمران تفعل مثل ذلك»[47].

ويروي القاضي عياض أن عمران حاول إغراء فقهاء إفريقية بتأييده في صراعه ضد الأغالبة لاكساب ثورته نوعاً من الشرعية، إذ لما غلب على القيروان أرسـل الى الفقيه أسـد بن الفـرات مولى بني سليم بن قيس، يعرض عليه الانضمام إليهم فتمارض أسد ولزم بيته فبعث إليه عمران بقوله «إن تخرج معي وإلّا بعثت إليك من يجرك برجلك» فقـال (أسـد) للرسـول: لئن أخـرجني لأنادين: «القاتل والمقتول في النار» فلما سمع عمران ذلك تركه[48].

وكما حمت العباسية بأسوارها، ابن الأغلب، وصمدت للثائرين، كذلك سارع الخليفة العباسي لانقاذ واليه على إفريقية. وتتفق المصادر أن هذا الخليفة هو هارون الرشيد[49] وتابعهم في ذلك جلة الباحثين[50] ولكن هارون الرشيد توفي في جمادي الآخـرة سنـة 193هـ/809م، أي قبـل قيام ثورة عمران، ولذلك أهمل ابن عذاري ثورة عمران، بينما نجد المؤرخ الرقيق المدقق يروي أنه «وصل الى إبراهيم رسول أمير المؤمنين»[51] مما يرجح أنه كان الخليفة محمد الأمين.

(47) النويري : نهاية الأرب 22: 254ـ255، ابن خلدون : العبر 4: 251

(48) القاضي عياض : تراجم أغلبية ص 68. وقارن ابن خلدون : العبر 4: 251.

(49) أنظر ابن الأثير: الكامل 6: 156ـ157، ابن خلدون: العبر 4: 251.

(50) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص 377، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 38، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 34.

(51) الرقيق عن النويري : نهاية الأرب 22: 255، أنظر ابن عذاري: البيان المغرب 1: 94.

وكيفما كان الحال فقد وصل رسول الخلافة بأرزاق الجند، وأسرع إبراهيم بن الأغلب بإرسال إبنه عبد الله إلى طرابلس، لملاقاة الرسول واستلام أرزاق الجند منه خوفاً من تمكن الثوار من السطو عليها. وكان رنين الذهب أقوى من المبادىء والتحالفات إذ يروي الرقيق «لما صار المال إليه (ابراهيم) تطلعت أنفس الجند الى أرزاقهم، وهموا بإسلام عمران» فزحف إبراهيم الى القيروان على رأس فرسانه وجنده وعبيده، مظهرا محاصرتها، وفي نفس الوقت «أمر مناديه، فنادى من كان له إسم في ديوان أمير المؤمنين فليتقدم لقبض عطائه» فلحق أتباع عمران بإبراهيم وخشى عمران تخلي الجميع عنه، فترك القيروان ليلا وسار الى بلاد الزاب وبصحبته من بقى مخلصاً له مثل عمرو ابن معاوية وعامر بن المعمر وأسرع إبراهيم بدخول القيروان، فخلع أبوابها وهدم أسوارها إمعاناً في الانتقام من أهلها العرب الذين ساندوا الزعيم القيسي[52].

لم تكن حركة عمران بن مخالد الربعي آخر ما واجهه إبراهيم بن الأغلب من مشاكل، فطرابلس ما لبثت أن عمتها الاضطرابات، إذ أن الخلافات القبلية التقليدية بين القيسية واليمنية من جهة والصراعات العنصرية العربية البربرية من جهة ثانية وجدت في هذه المدينة الحصينة البعيدة عن مقر الامارة ما ساعد على إذكاء جذوتها.

فقد كانت مدينة طرابلس قديمة حصينة وبعد فتح عمرو بن العاص لها هدم سورها ولكن قام عبد الرحمن بن حبيب بإعادة بناء السور من جهة البر في بداية القرن الثاني الهجري، وقام هرثمة بن أعين والي إفريقية من قبل الرشيد بإعادة بقية السور من جهة البحر في نهاية القرن الثاني الهجري[53]

---

(52) أنظر رواية الرقيق القيرواني بالنويري : نهاية الأرب 22: 255، ابن الاثير: الكامل 6: 156 ـ 157، ابن خلدون: العبر 4: 251.

(53) التجاني : الرحلة ص 239ـ240، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 9، الحموي: معجم البلدان 4: 25.

وإضـافـة الى هذه الحصـانـة يروي اليعقوبي بأن أهلها «أخلاط من العرب والعجم والبربر» موزعين بين المذاهب السنية والخارجية الأباضية[54].

ولـذلـك ما أن بدء الصراع بالخلافة العباسية بين الأمين ممثل الحزب العربي والمأمون ممثل الحزب الفارسي (الموالي) يتطور الى صراع مسلح إعتباراً من بداية سنة 195هـ/810م[55] حتى انعكست آثاره على الشمال الافريقي، بشكـل عام، ومـدينـة طرابلس بصفـة خاصـة وتحفل المـراجع بالكثير من التفصيلات عن حوادث الشغب التي انتشرت في المـدينة، وما قام به نواب الأمـير الأغلبي من جهـود للقضـاء عليها[56]. ويبدو أن الرستميين كعنصر فارسي أولا وكزعماء للخوارج الأباضية من البربر ثانياً وكليهما ينتمون الى شعوب البـلاد المفتوحة والذين نظر إليهم كموالي استغلوا هذا الصراع للقضاء على النفـوذ العـربي بطرابلس إذ تروي المصـادر الأباضية أن نفوذ عامل الأغالبة بمدينة طرابلس إمتد الى بعض بطون هوارة الأباضية المستقرين بجوار المدينة وعـدتهم ثلاثـمائة أسرة وبديهي أن يطمع هؤلاء الأباضية في الاستقلال عن سلطان العرب للدخول في طاعة بني رستم، فدأبوا على إثارة المتاعب في وجه

(54) اليعقوبي: البلدان ص 99

(55) أنظر تاريخ خليفة بن خياط 2: 754، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص 277.

(56) ففي مصر لعب الجند العربي، دورا كبيرا في الفتنة، إذ يبدو أن هؤلاء الجند كانوا لايزالون مرتبطين بدار الخلافة. فما أن خلع الامين أخاه المأمون وترك الدعاء له على المنابر وتوليته ابنه موسى العهد بدلا منه، حتى غضب العرب في مصر وفي غيرها من الولايات الاسلامية وعولوا على خلع الأمين، لنكثه العهد الذي تركه أبوه الرشيد وأودعه الكعبة. فأرسل هرثمة بن أعين أحد قواد المأمون إلى وكيله عبـاد بن حيان على ضياعـه في مصر. لدعـوة النـاس لمبايعة المأمون في جمادى الآخر سنة 196هـ/812م فأجابه أكثرهم وخلعوا والي الأمين وبايعوا عبادا. ولما علم الأمين بما حدث في مصر من خلعه وطرد عامله كتب إلى ربيعة ابن قيس، وكان زعيم قبيلة قيس، بولايته على مصر، وطلب من اليمانية بمساعدته. فأظهروا دعوة الأمين وخلعوا المأمون، ودارت بين الفريقين مناوشات وحروب أنظر الكندي: الولاة والقضاة ص 146ـ150 ويضيف ابن تغري بردي أن الأمير الأغلبي فشل في القضاء على شغب مدينة طرابلس مما اضطره إلى طلب العون من خليفة بغداد، ومسير الجند من مصر لمساعدته في قمع فتن مدينة طرابلس أنظر النجوم الزاهرة 2: 124، 125.

العامل العربي على طرابلس وعمدت جماعات منهم الى الاغارة على المدينة، وبث الرعب بين سكانها، فكان عاملها العربي يسرف في الانتقام من الأباضية بها حتى لقد خرجت جموع غفيرة منهم ولجأوا الى الصحراء، ويبدو أنهم استمدوا العون من جيرانهم أباضية نفوسة، فقد نجحوا عام 196هـ/812م في اجتياح طرابلس، والحقوا بها الخراب والدمار. وهب إبراهيم بن الأغلب لاستنقاذ النفوذ العربي، فرمى الثوار بإبنه عبد الله على رأس ثلاثة عشر ألف من الجند العربي الذي أفلح في استرداد المدينة وأثخن في الأباضية تنكيلا، ثم حصنها بتجديد أسوارها[57].

واستنجد الأباضية بالامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ـ وكان إذ ذاك بجبل نفوسة ـ فاستجاب لهم وخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها وضرب الحصار حول طرابلس. ولم يستطع عبد الوهاب اقتحام المدينة، فقد أغلق عبد الله الأغلبي أبوابها وباشر القتال من باب واحد وتمكن جنده من اغتيال بعض مشاهير الأباضية. كما استطاع عن طريق جواسيسه افساد خطط المحاصرين.[58]

ونتيجة لسياسة إبراهيم بن الأغلب تجاه زعماء القبائل العربية بإفريقية، أقدم بعضهم على الهجرة الى المغرب الأقصى، للاستقرار في ظل الدولة الادريسية، وكانت عدتهم ثلاثمائة أسرة، وقد أسس لهم إدريس الثاني ربض القرويين بمدينة فاس عام 193هـ، ورغم اغتباط إبراهيم لهذه الهجرة التي أتاحت له التخلص من بعض مناوئيه، إلّا أنه لا شك أن ترحيب إدريس الثاني

---

(57) المالكي: رياض النفوس 1: 216، أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 76ـ77، الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب 1: 65ـ66، ابن الأثير: الكامل 6: 270، ابن خلدون: العبر 4: 251، محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 142.

(58) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 76ـ77، الشماخي: السير ص 160، النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية 2: 145، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 142.

بهم كان يعتبر عملا عدائياً تجاه الامارة الأغلبية، مما دفع إبراهيم للتطلع الى المغرب الأقصى ونجح في استمالة واحد من أكبر أعوان إدريس الثاني هو بهلول ابن عبد الواحد زعيم مطغرة. واضطر إدريس لطلب المسالمة ويروي الرقيق أن إبراهيم دعا كبار مستشاريه وهم: يحيى بن زياد صاحب البريد، وعبد الله ابن عمر بن غانم القاضي، وابن عوانة الكلبي، وشاورهم في أمر إدريس، فأشاروا عليه بأن يدعه طالما وادعه وان يرضى لنفسه وله السلامة[59].

وبالرغم من الصراع الدائر بين إبراهيم بن الأغلب وزعماء الجند العربي، حول من تكون له السيطرة على مقاليد الأمور بولاية إفريقية العربية، إلّا أن كليهما انحاز للعصبية العربية، ويروي كل من أبي العرب والمالكي أن الأمير التميمي، حينما علم أن أبا خالد عبد الخالق المتعبد المعروف بالقتاب الزاهد، يعاني من ظروف معاشية قاسية أرسل في طلبه وقال له: «بلغني أنك من العرب، وأن لك عيالا، فخذ هذه المائة دينار». فقال له: عبد الخالق: «أنا عنها غني» فقال إبراهيم: «زيدوه مائة أخرى» فقال له عبد الخالق: «لو كان بي حاجة الى ذلك لكان في المائة كفاية». فلم يزل يقول «زيدوه» وعبد الخالق يكلمه بالكلام الأول حتى بلغ معه خمسمائة دينار، فقال له إبراهيم ابن الأغلب «أفسدكم البربري - يعني البهلول - والله لو أدركته لجعلته يرقص خلفي»[60] معرضا بأصل بهلول ابن راشد (128 - 183هـ) البربري من جهة ومقللا من قيمته الفقيه من جهة أخرى. وتجمع المصادر أن بهلول بن راشد، وإن لم يكن عربياً، إلّا أنه كان من موالي حجر رعين: إحدى بطون ذي رعين من قبائل حمير العربية. وتروي أن بهلول بن راشد أقام وليمة ودعى إليها جماعة من أصحابه دون مناسبة يعرفونها فقالوا: «يا أبا عمرو، لم صنعت هذا الطعام، وليس عندك شيء يصنع لأجله الطعام؟» فقال: «إني كنت خائفاً من

(59) البكري: المغرب ص 123، الرقيق القيرواني ص 225، ابن الأثير: الكامل 6: 156

(60) أبو العرب: الطبقات ص 66، المالكي: رياض النفوس 1: 328، الدباغ: معالم الايمان 2: 28.

أن أكون من البربر، لما جاء فيهم من الحديث، فسألت عن أصلي من يعلمه، فأخبرت أني لست من البربر فأحدثت لذلك هذا الطعام شكراً لله عز وجل، إذ لم أكن من البربر»[61].

ورغم انشغال إبراهيم بن الأغلب في القضاء على معارضة من زعماء القبائل العربية بإفريقية ومقاومة النفوذ البربري الأباضي بطرابلس والعلوي بفاس فقد إستغل فترات الهدوء في التعمير والبناء فأخذ في زيادة عمران مدينة العباسية واقطع آله ومواليه الاقطاعات في داخل أسوارها، وبذلك تطورت الضاحية الملكية الى عاصمة البلاد بدلا من القيروان[62]. ففيها استقبل إبراهيم رسل الخليفة العباسي، كما إستقبل رسل شرلمان الذين جاءوا، في الظاهر، يطلبون آثار القديس سيبريون في حين أن هدفهم الحقيقي، كان إنشاء علاقات ديبلوماسية مع المسلمين وجس نبض ابن الأغلب فيما يتعلق بالقيام بعمل مشترك ضد الدولة الأموية بالأندلس[63].

كما أن قيام دولة الأغالبة، كان بداية تحول في تاريخ العلاقات المغربية البيزنطية، فتسنى للبلاد التمتع بالاستقرار السياسي الذي حرمت منه طويلا، وأصبح الولاة قادرين ليس فقط على صد إغارات البيزنطيين، بل والقيام بحملات مضادة على مراكزهم البحرية والاستيلاء عليها. فبعد أن حصن إبراهيم بن الأغلب سواحل الامارة بإقامة سلسلة من الرباطات فيما بين طبرقة وطرابلس، شرع في اتخاذ سياسة الهجوم[64] فأغار في 189هـ/805م على

(61) أبو العرب : الطبقات ص 58، المالكي: رياض النفوس 1: 210، القاضي عياض: المدارك 3: 90-91، الدباغ: معالم الايمان ٤: 273.

(62) أنظر رواية الرقيق بالنويري: نهاية الأرب 22: 255، حسن حسني عبد الوهاب: الورقات 1: 357، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 38.

(63) بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ص 188.

(64) Vonderheyden : La Berberie Orientale sous la dynastie des Benou'L-Arlab P. 275. ، محمود إسماعيل الأغالبة ص 148.

البلوبونيز، وساعد الصقالبة في حصار مدينة باتراس تنفيذاً لمخطط وضعه العباسيون للتضييق على القسطنطينية براً وبحراً[65].

وفي نفس العام عقدت معاهدة بين إبراهيم بن الأغلب وقسطنطين حاكم صقلية مدتها عشر سنوات وهي دليل على تراجع في خطط البيزنطيين نحو إفريقية، كما تم الاتفاق على فداء الأسرى[66].

إستمرت إمارة إبراهيم بن الأغلب لمدة اثني عشر عاماً طوال ثلاثة عهود: الرشيد، الذي ولاه الامارة اعتباراً من 184هـ/800م. ومحمد الأمين، الذي دعمه مالياً وعسكرياً خلال ثورات زعماء الجند في 194هـ/810م وإقرار المأمون لامارته بعد تأكيده لخلافته وتفوقه على أخيه الأمين إعتبارا من بدء الصراع المسلح بينهما في 195هـ/810م. الى أن توفي إبراهيم في أواخر شوال سنة 196هـ/يوليه 812م، بعد أن أوصى لابنه أبي العباس عبد الله بالامارة من بعده[67].

وكان أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (196 ـ 201هـ/812 ـ 817م) بمدينة طرابلس صامدا لمحاصرة الأباضية بزعامة عبد الوهاب ابن الرحمن الرستمي، وكاد عبد الوهاب أن يعود من حيث أتى، لولا أن أسعفه الحظ بموت إبراهيم وإستدعاء إبنه عبد الله الى القيروان لتقلد الامارة. فاضطر عبد الله الى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام أباضية

---

(65) Setton : On theraids of the Moslms in the Aegan P.31f. ، السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ص 235.

(66) حسن حسني عبد الوهاب: الورقات 1: 357، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 38. Bury : A history of the easton Romon empire P. 295.

(67) ابن الأثير: الكامل 6: 156ـ157، النويري: نهاية الأرب 22: 255، ابن خلدون: العبر 4: 251، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 94ـ95.

هوارة الى دولتهم وإنسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس العربي، ونص في الاتفاق على أن «يكون البلد والبحر لعبد الله، وما كان خارجاً عن ذلك لعبد الوهاب»[68]. ورجع أبو العباس عبد الله الى القيروان في صفر 197هـ/812م وتسلم السلطة من أخيه زيادة الله وأقره الخليفة المأمون على ولاية إفريقية في 198هـ/813م ـ بعد أن تخلص من أخيه الأمين ـ وبإقرار المأمون لولاية عبد الله ثبتت الأسرة الأغلبية العربية إقدامها في إفريقية ومنذ ذلك الحين صارت إفريقية ملكية عربية وراثية في الأغالبة[69].

بدأ عبد الله ولايته التي إستمرت لمدة خمس سنوات وشهرين (196 ـ 201هـ / 812 ـ 817م) باتباع سياسة والده السلمية تجاه صقلية. ففي سنة 198هـ/813م جدد المعاهدة التي عقدها والده من قبل مع حاكم صقلية البيزنطي لمدة عشرة سنوات أخرى، كما تم تبادل الأسرى، وتقرر تأمين سلامة التجار بين الجانبين[70]. بخلاف ما حدث تجاه الامارة الرستمية المجاورة. إذ سرعان ما ضرب عبد الوهاب الرستمي، صفحاً بإتفاقه السابق مع عبد الله، وأخذ في الاغارة على الأراضي الأغلبية، فاستولى على قابس وهي ميناء على البحر كان تابعاً للأغالبة[71]. وكذلك آلت اليه بعض القرى والحصون الأخرى ثم عبرت جيوشه الى جزيرة جربة واستولى عليها، وعاد عبد الوهاب إلى جبل نفوسة ومنه الى تاهرت بعد أن ولى عمالا على هذه النواحي الجديدة[72].

(68) ابن الأثير: الكامل 6: 157. وقارن رواية ابن خلدون «فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله، وأعمالها لعبد الوهاب». وسير الشماخي ص 196.

(69) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 95

(70) أنظر المالكي: رياض النفوس 1: 270، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 211 تعليق (81)، محمود إسماعيل: الأغالبة ص 149.

(71) اليعقوبي: البلدان ص 99

(72) ابن خلدون: العبر 6: 159، 185، سير الشماخي ص 161، النفوسي: الازهار الرياضية 2: 146ـ147، محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 143.

وبدلا من مواجهة خطر الخوارج الأباضية على حدود الامارة الشرقية، إنشغل الأمير عبد الله بالمشاكل الداخلية للامارة، وانقلب على أخيه زيادة الله ويروي ابن عذاري «وحمل عبد الله في امارته على أخيه زيادة الله حملا شديداً وكان يتنقصه، ويأمر ندماءه بإطلاق السنتهم بسبه، وزيادة الله مع ذلك يظهر له التعظيم والتبجيل والصنع الجميل، ولا يظهر له تغيراً، ولا يظهر عليه منه أثر»[73]. وبالرغم من صمت المصادر عن أسباب هذا الانقلاب وتعليل الباحثون له «بالحساسيات بين أفراد الأسرة الأغلبية»[74]. إلّا أنه يمكن تفسير هذه العداوة إذ علمنا أن زيادة الله هو الذي أخذ البيعة لأخيه عند وفاة والدهما إبراهيم، وأدار شؤون المملكة لمدة أربعة شهور لحين عودة عبد الله الى القيروان، ويبدو أنه اضطر لاتخاذ بعض القرارات الصعبة تجاه زعماء الجند العربي «لسوء ظنه بهم»[75] إذ يذكر الرقيق أن عبد الله بعد استلامه السلطة حمل على أخيه «وأمر بإطلاق من كان في حبسه»[76] وهكذا أصبح معتقلي زيادة الله بالأمس، هم ندماء الأمير عبد الله ومستشاريه اليوم.

ولذلك يعلن الأمير عفوه عن عمران بن مخالد الربعي الذي تحصّن بإقليم الزاب هو وأنصاره حتى وفاة إبراهيم بن الأغلب فأرسل الفقيه يحيى ابن السلام بن أبي ثعلبة التميمي، صاحب الحديث والتفسير بالقيروان، بالأمان الى الزعيم القيسي الذي عاد الى القيروان وسكن مع الأمير الأغلبي في القصر القديم. ولكن بالرغم من سياسة المداراة التي اتبعها عبد الله مع زعماء الجند العربي، قيسية كانوا أم يمنية، إلّا أنه لم يتوان من إنزال عقابه بالمتآمرين ضده، فعندما علم بتآمر عمران أسرع بالتخلص منه وقتله مما أغضب الفقيه يحيى ابن

(73) أنظر البيان المغرب 1: 95

(74) أنظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 41

(75) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 96

(76) أنظر النويري: نهاية الأرب 22: 256.

السلام، لانه كان وسيطاً في أخذ الأمان لعمران فقال: «لا أسكن بلدا أخفر فيه العهد على يدي» وانتقل يحيى الى مصر حيث توفي بها في 200هـ/815م[78].

ويرجح هذا التفسير، تعديل عبد الله للسياسة المالية بالامارة الأغلبية إذ بدلا من تقليص مخصصات القواد من زعماء القبائل العربية أو إلغائها، إسوة بها اتخذه أبوه إبراهيم بن الأغلب، نجده يقوم بتعديل نظام الضرائب وتحميل عامة رعيته أعباء مالية إضافية، لكي يرضى هؤلاء الزعماء من جهة ويدفع التزامات الامارة الأغلبية، تجاه الخلافة العباسية ببغداد من جهة ثانية إذ أورد ابن خلدون بياناً مفصلا بجباية الخراج في عهد الخليفة المأمون، من جميع الولايات التابعة للخلافة العباسية، يخص إمارة إفريقية منها «ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين، ومن البسط مائة وعشرون»[79]. وهذا النص يعني أن الأمير الجديد دفع قيمة الخراج المقررة على إمارة إفريقية في عهد أبيه مضاعفة، مما يفسر إشتطاطه في فرض الضرائب وتعديلها وتثبيتها وتحصيله قيمتها نقدا بدلا من تحصيلها عينا، حتى لايربط دخل الخزانة بالتغيرات الطقسية وما يتبع ذلك من خصب وجدب. فقد كانت الضريبة المعتادة هي العشر من المحصول الزراعي وما تنتجه الأرض عينا، فجعل عبد الله الضريبة «ثمانية دنانير للقفيز[80] أصاب أو لم يصب» حسب رواية ابن عذاري[81] وثمانية عشر دينارا

(78) أبو العرب: الطبقات ص 37ـ39، المالكي: رياض النفوس 1: 188ـ192، ابن الأبار الحلة السيراء 1: 105.

(79) انظر ابن خلدون : العبر (المقدمة) 1: 224ـ226، جرجي زيدان: التمدن الاسلامي 2: 53ـ55، حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام 2: 284.

(80) والقفيز، مكيال يعادل الأردب تقريبا وكذلك مساحة من الأرض يعادل 144 ذراع، انظر المنجد مادة قفير.

(81) انظر ابن عذاري: البيان المغرب 1: 95.

على الفدان كما يذكر ابن الأثير[82] وثمانية دنانير لكل زوج[83] (بقرتان أو ثوران) يتخذان للحرث.

ويذكر Farrugra de Condia أن دار السكة التي أسسها الأغالبة بالقيروان قد أصدرت في بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، عمله خاصة كتب عليها «للخليفة» وهي التي خصصت كضريبة سنوية ترسل الى بغداد[84].

وكيفما كان الحال فقد كان فقهاء المسلمين يعتبرون كل مازاد عن الضرائب الشرعية (وهي عشر الأرض والزكاة وجزية أهل الذمة) ضرائب غير قانونية ولذلك سرعان ماهب حفص بن حميد الجزري على رأس رجال صالحين من أهل جزيرة شريك، حيث إستقر بها رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب منذ الفتح العربي لبلاد المغرب[85]، فدخلوا على أبي العباس وشكوا إليه معاناة العامة من الناس وطالبوه بالغاء هذه الضريبة التي تتناق مع قواعد السنة ولكن الأمير الأغلبي لم يستجب لطلب الفقهاء. فعادوا الى القيروان في ذي الحجة 201هـ/يونيه 817م غير راضين عن الأمير، الذي سرعان ما أصابه المرض وتوفي بعد أيام من إجتماعه العاصف مع الفقهاء[86].

وآلت الامارة الى أخيه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201 ـ 223هـ/817 ـ 837م). ولما كان زيادة الله قد لقي معاملة سيئة من أخيه

---

(82) ابن الأثير: الكامل 6: 155.

(83) انظر المالكي: رياض النفوس 1: 332، النويري: نهاية الأرب 22: 256.

(84) انظر مقالة Monnaies aghlabites du Musée du Bardo Revue Tunisienne, 1935. p. 272

Lavoix (H): Catalogues des MONN. Musul. de la Bib. Note Espagne et Afrique, 346

(85) اليعقوبي: البلدان ص 100ـ101.

(86) انظر المالكي: رياض النفوس 1: 331ـ332، ابن الأثير: الكامل 6: 329، رحلة التجاني ص 11، 12، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 15.

المتوفى وحاشيته من زعماء الجند العربي، كان من الطبيعي أن يلقى هؤلاء معاملة سيئة من الأمير الجديد. ولذلك إندلعت الاضطرابات الداخلية، من جانب الجند العربي وغيرهم، وانضم عامة أهل إفريقية الى هذه الاضطرابات حتى أنه لم يبق بين يدي زيادة الله في بعض الأحيان إلاّ القيروان، وبعض الأقاليم القليلة من إفريقية.

ففي سنة 207هـ/822م ثار زياد بن سهل، ويعرف بابن الصقلية[87] بفحص أبي صالح وهي منطقة زراعية[88]. وقام بمحاصرة مدينة باجة في شمال الولاية ويروي اليعقوبي أن المدينة كانت تتميز بحصانتها «عليها سور حجارة قديم» وسكانها من العرب والعجم «قوم من جند بني هاشم القدم، وقوم من العجم» أما البربر فقد كانوا مجاورين للمدينة وهم من وزداجة ولا طاعة لبني الأغلب عليهم[89] ويضيف البكري أن باجة كانت تسمى «هرى إفريقية لريع زرعها وكثرة رقاعها وأنها خصبة، لينة الأسعار، امحلت البلاد أو خصبت... ويردها كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم الالف والأكثر لانتقال الميرة فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم»[90] وتلقى هذه المعلومات بعض الأضواء على طبيعة ثورة ابن الصقلية المعادية للعنصر العربي، ذات الدوافع

(87) مما يدل أنه كان من طبقة المولدين بإفريقية، الأمهات من نصارى صقلية والأباء من مسلمي البربر أو العرب. ويسميه ابن عذاري «ابن الصقلية» أي أن أمه من رقيق الصقالبة الذين كانوا يجلبون من البلغار المستقرون حول نهر الفولجا. اذ كان العبيد من الصقالبة هم أفضل أنواع الرقيق الأبيض، جمالا وطاعة وتهذيب. انظر البيان المغرب 1: 96-97، ابن خلدون: العبر 4: 252، آدم متز: الحضارة الاسلامية 1: 300.

(88) اذ تطلق كلمة «فحص» على كل موضع يستقر به سهلا كان أو جبلا بشرط أن يزرع، ثم صارت هذه الكلمة علما لعدة مواضع في المغرب والأندلس مثل: فحص الأُجُم وهو حصن منيع من نواحي افريقية، وفحص سُوَر بخين بطرابلس. وفحص البلوط شمال قرطبة، والفحص أطلق على نواحي بأعمال مدينة طليطلة، وعلى أحد أقاليم أكشونية، وكذا أقاليم اشبيلية. انظر الحموي: معجم البلدان 4: 236.

(89) اليعقوبي: البلدان ص 101.

(90) البكري: المغرب ص 56.

الاقتصادية. ولذلك أسرع زيادة الله بإرسال سالم بن سوادة التميمي ـ أحد زعماء عرب بني تميم عصبية الأغالبة بإفريقية ـ وقائدهم القديم المحنك، ذي الخبرة الطويلة في حرب الثوار منذ دخولهم البلاد[91] ـ على رأس فرقة من الجند، فهزموا زيادا، وقتلوا من وجدوا معه على الخلاف، وغنموا الأموال وفكوا حصار المدينة ذات الأهمية الاقتصادية الكبرى للامارة الأغلبية[92].

وفي العام التالي 208هـ/823م تمرد عمرو بن معاوية القيسي، رفيق عمران بن مخالد الربعي في ثورته الفاشلة سنة 194هـ، والذي استألفه الأمير عبد الله الاغلبي ضمن من استألفهم من زعماء الجند العربي، والذي أصبح والياً على القصرين في عهد زيادة الله. فأعلن الثورة «وتغلب على تلك الناحية» وبالرغم من صموت المصادر عن أسباب هذه الثورة، إلّا أن ابن عذاري يذكر أن العامة ثارت ضد زيادة الله[93] ويعلل الرقيق القيرواني ذلك انه لما تولى زيادة الله «اغلظ على الجند وأمعن في سفك دمائهم واستخف بهم وحمله على ذلك سوء ظنه بهم، لتوبثهم على الأمراء قبله وخلافهم على أبيه مع عمران ابن مخالد، وكان أبوه أعفى عن كثير من زلاتهم وصفح عن إساءتهم، فسلك زيادة الله فيهم غير سبيل أبيه»[94].

والقصرين Kasserine من بلاد قمودة وهو إقليم متسع فيه المدن والحصون[95] وقلعة القصرين لعبت دوراً هاماً على الحدود الغربية لدولة الأغالبة[96]. أما زعيم الثورة فيصفه الرقيق بأنه «كان من شجعان الجند

(91) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 231.
(92) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 97.
(93) انظر ابن عذاري: البيان المغرب 1: 96ـ97.
(94) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 257ـ358.
(95) اليعقوبي: البلدان ص 101ـ102، القاضي نعمان: رسالة افتتاح الدعوة ص 192 تعليق 3، 4.
(96) Marçais : l'architecture musulmane, p. 29.

ورؤسائهم، وأهل الشرف منهم»[97]. ولذلك حينما راجعه أحد أبنائه فيما عزم عليه بقوله: «إنك دخلت في أمر عظيم وعرضت نفسك للهلاك، ولست من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عدد ولا عدة! فراجع أمرك، واتق الله في نفسك! » لم يقبل مثل هذه النصيحة من إبنه، بل وعاقبه بضربه مائتي سوط وأعلن ثورته[98] فأرسل إليه زيادة الله، قائده أبي هارون موسى مولى الأمير إبراهيم بن الأغلب، ووالي القيروان على رأس جيش قام بمحاصرته بالقصرين أياماً، فلما ضاق به الأمر وفنيت الاقوات، ألقى بيده[99]، وأعلن التسليم مقابل الأمان. وجيء بعمرو وولديه حباب وسكتان الى زيادة الله الذي كان في مجلس شراب مع قوم من وجوه أهل بيته، فأمر بحبسهم عند ابن عمه الأغلب بن عبد الله المشهور بغلبون وكان وزيراً له، الى أن يرى فيهم رأيه.

واستمر مجلس شراب الأمير كعادته، إلى أن دخل أبو عمار مضحك زيادة الله فسأله «ما يقول الناس، يا أبا عمار؟» فأجاب: «يقولون: إنما منعك أن تقتل عمرو بن معاوية، مخافة أن تثب القيسية على عمك بمصر! »[100].

ويدل النص على وجود علاقات بين العصبية القيسية بإفريقية ومصر التي كانت تمر بمرحلة اضطرابات نتيجة للصراع بين الأمين والمأمون وما أن إنتهت الخلافة الى المأمون، حتى إندلع الصراع بين بعض القواد من الجند العربي، الذين عمل كل منهم على الاستئثار بالسلطة والاستقلال عن الخلافة. وليس أدل على ذلك من أن الشرطة قد تقلدها خمسة في بضعة أسابيع، كما أخذت سلطة الخليفة تضعف تدريجيا في هذه البلاد التي أصبحت في وسط هذه الفوضى غنيمة لمن غلب ويذكر «ساويرس» نقلا عن الوثائق المعاصرة أن الثوار استطالوا على مصر لاضطراب الأمور في بغداد، وقام الخارجون بجباية

(97) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 258.
(98) انظر ابن عذاري: البيان المغرب 1: 97-98.
(99) النويري : نهاية الأرب 22: 258.
(100) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 98.

الضرائب لأنفسهم، ومن هؤلاء الخارجين: عبد العزيز الجروي الذي إستولى على شرق الدلتا، والسري بن الحكم الذي إستولى على الوجه القبلي في مصر الى أسوان، أما غربي الدلتا، وتشمل الأسكندرية وأعمالها، ومريوط والبحيرة جميعها، فقد ملكها قبيلتا لخم وجذام اليمنيتين[101].

ثار غضب الأمير الأغلبي لهذا التلميح، الذي اعتبره جارحاً، فانتقم من الثائرين بطريقة شنيعة، إذ أمر وزيره بنقلهم الى سجنه ثم قتل عمرو ابن معاوية بيده، ثم أمر بقتل ابنه الأكبر وأبقى على الصغير ولكنه أبى العيش بعدهما فلا «خير في الحياة بعدهما» حسب قوله فأمر زيادة الله بضرب عنقه[102].

وعوضاً عن ثورة القيسية بمصر، التي لم تتوفر النصوص لدينا، عن صحتها من عدمه، فقد ثارت العصبية القيسية بإفريقية، لما نزل بأحد زعمائها وبنيه، وقاد هذه الثورة منصور بن نصر الطنبذي[103].وهو من نسل دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة سيد عرب جشم بن معاوية من قبيلة هوازن[104] الذي شارك في غزوة حنين سنة 8هـ/630م ضد الرسول (ﷺ) وقتل في المعركة[105] ويروي ابن خلدون أن موطن بني جشم: السروات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن الى الشام، كسروات الجبل وسروات جشم متصلة بسروات هُذيل، وانتقل معظمهم الى المغرب[106].

(101) ساويرس: سير الآباء البطاركة ص 428، سيده اسماعيل كاشف: مصر في فجر الاسلام ص 163ـ166، حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام 2: 202

(102) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 98.

(103) نسبة الى قصرة طُنْبُذَة بقرية المحمدية التي تقع بالقرب من مدينة تونس، وبه لقب الطنبذي، ومن الجدير بالذكر أن هناك قرية من أعمال البهنسا من صعيد مصر، تحمل نفس الاسم انظر الحموي: معجم البلدان 4: 42ـ43.

(104) انظر الواقدي: كتاب المغازي 3: 889.

(105) انظر ابن هشام: السيرة النبوية 2: 437، 453.

(106) ابن خلدون: العبر 2: 370.

ويبدو أن منصور الطنبذي طمع في اغتصاب الامارة لنفسه عن طريق إستغلال كراهية الجند للأمير الأغلبي، وحقدهم عليه[107] بالاضافة إلى ثورة القيسية بإفريقية، إذ كان والياً على مدينة طرابلس فصاح مهدداً عرب بني تميم عصبية الأمير الأغلبي: «يابني تميم لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد». فكتب صاحب الخبر (البريد) بكلامه الى زيادة الله فعزله عن الولاية واستقدمه الى القيروان ولكن تمكن الأغلب بن عبد الله بن الأغلب المعروف بغلبون الوزير من التوفيق بين الأمير الأغلبي وواليه السابق الذي أخذ في التردد الى مجلس الأمير حتى اطمأن اليه وأذن له بالسفر الى قصره طنبذة بقرية المحمدية التي تبعد عشرة أميال من مدينة تونس ومن هناك أخذ منصور في مراسلة «الجند ويذكر لهم ما يلقون من زيادة الله وما فعل بعمرو بن معاوية وابنيه، ويخوفهم أن يفعل بهم وبأولادهم كفعله بعمرو»[108].

وما أن علم زيادة الله بتآمر الزعيم القيسي، حتى أرسل قائده محمد ابن حمزة السبال المعروف بالحرون على رأس خمسمائة فارس[109] من مواليه[110] سراً الى تونس لمفآجأة الثائرين والعودة بهم موثقين.

وبدلا من أن يُوقع القائد الأغلبي بالثائر القيسي، حدث عكس ذلك، إذ يبدو أن منصور علم بإرسال الفرسان، فتحصن بقصره في طنبذة، وما أن وصل القائد الأغلبي تونس حتى عسكر بدار صناعتها وشكل وفداً من أربعين شيخاً من أهل تونس برئاسة شجرة بن عيسى المعافري[111]، قاضي المدينة، وأرسلهم الى طنبذة لاقناع منصور بالطاعة والحضور إلى تونس. أدرك الثائر

(107) ابن الأثير: الكامل 6: 300.

(108) النويري: نهاية الأرب 22: 258-259، رحلة التجاني ص 8 تعليق (1)، الحميري: الروض المعطار ص 387.

(109) ثلاثمائة فارس في ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 382-383، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 98.

(110) الحموي: معجم البلدان 4: 43.

(111) انظر القاضي عياض: تراجم أغلبية، ترجمة 23، ص 151.

25

القيسي المكيدة فأعلن أنه ما خلع يداً من طاعة وأنه سيلبي أوامر القائد الأغلبي، وفي الوقت الذي كان منصور يكرم فيه الوفد بقصره بالمحمدية، أرسل البقر والغنم والعلف، برفقة خطابه يعلن فيه ولائه وحضوره في الغد مع القاضي، إلى القائد الأغلبي. ولم ينس أن يتحف موالى الأمير بهدية من النبيذ المعتق. وهكذا إطمأن كل من الوفد بالمحمدية والموالى بتونس.

وما أن حل الظلام حتى قام منصور بالقبض على أعضاء الوفد الأربعين والقاضي وحبسهم في قصره واستولى على دوابهم واستعان بها في تجهيز رجاله وتسلل الى تونس حتى إذا كان بالقرب من دار الصناعة، أمر بالطبول، فضربت، وأمر أصحابه، فكبروا وهاجم موالى الأمير المتخمين بالطعام من جهة والواقعين تحت تأثير الخمر من جهة ثانية، فقتل أغلبهم في 25 صفر 209هـ/ 26 يونيو 824م خصوصاً وقد انضم بعض عامة تونس الى المنصور، ولم يسلم من الموالي، إلاّ من كان عارفاً بالسباحة، فألقى بنفسه في البحر[112].

ثار زعماء الجند العربي ـ سواء كانوا قيسيين أو يمنيين ـ بتونس وقرروا الانضمام الى منصور الطنبذي إذ يروي اليعقوبي أن أهل تونس خالفوا على زيادة الله «وكان منهم منصور الطنبذي، وحصين التجيبي، والقريع البلوي»[113] ولكن خشي هؤلاء القواد ـ خصوصاً اليمنية منهم ـ ان يستميل الأمير الأغلبي التميمي، الثائر القيسي، وكلاهما من مُضر «بدنياه وماله» فيتخلى عنهم ولذلك اشترطوا على منصور لكي ينضموا إليه ان يخضب يده. بدماء أهل بيت الأمير، للقضاء على أية أمل للتقارب[114] بينهما، فأمر منصور بقتل كل من إسماعيل بن سفيان بن سالم والي تونس ـ من أهل بيت زيادة الله ـ وابنه محمد.

(112) النويري: نهاية الأرب 22: 259ـ260، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 99. وانظر الحموي: معجم البلدان 4: 43.

(113) انظر اليعقوبي: البلدان ص 101.

(114) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 99.

وما أن علم زيادة الله بذلك حتى شكل جيشاً من «صناديد الجند» برئاسة وزيره غلبون لمحاربة الطنبذي في 10 ربيع الأول / 8 يوليه وشيعه بنفسه مهددا «والله! لئن انهزم واحد منكم، لاجعلن عقوبته مافر منه وهو السيف»(115). وأثار قسم الأمير الغاضب، بعض فئات جنده حتى أنهم هموا بالوثوب على غلبون فمنعهم جعفر بن معبد بقوله « لا تحملكم إساءة زيادة الله فيكم أن تغدروا بمن أساء إليكم وفك رقابكم» إذ كان غلبون مهتمًا بتحسين العلاقات بين الأمير وقواد جنده(116).

وفي 20 ربيع الأول / 18 يوليه إلتقى الجيشان بسبخة تونس وهزم الوزير غلبون وبينما يعلل ابن عذاري هذه الهزيمة بتعبئة منصور لأنصاره وتفانيهم في الهجوم على أعدائهم(117). يذكر الرقيق أن قواد غلبون تآمروا مع الطنبذي «فكاتب القواد الذين مع غلبون، منصورا وأصحابه وأعلموهم أنهم منهزمون عنه»(118). ومما يرجح ذلك أن القواد اجتمعوا بعد الهزيمة الي قائدهم غلبون وأعلنوا أنهم بذلوا قصارى جهدهم، وأنهم لا يأمنون على أنفسهم من غضب الأمير الأغلبي وطالبوا بالأمان للعودة الى القيروان، وفي نفس الوقت لجأ كل منهم الى منطقة استقرار عصبيته فتغلب عليها واستقل بها كرواية ابن عذاري: «وتواثب القواد على أعمال إفريقية، كل قائد على بلده يضبطها، ويمتنع فيها»(119) أما عامة الجند فقد «صار... كلهم الى منصور الطنبذي، وأعطوه أزمة أمورهم، وولوه على أنفسهم» ولذلك حينما استجاب الأمير الأغلبي لنصيحة وزيره ومنح الأمانات لقواده وجنده المنهزمين، لم

(115) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 99ـ100.
(116) النويري: نهاية الأرب 22: 260.
(117) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 100.
(118) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 260.
(119) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 100، النويري: نهاية الأرب 22: 260.

يستجب أحداً منهم لندائه وهكذا اضطربت إفريقية ناراً. حتى لم يبق مواليا للأمير، إلّا الساحل وقابس[120] ونفزاوة وطرابلس[121].

وسرعان ما انضم زعيم اليمنية بإفريقية، عامر بن نافع بن عبد الرحمن إبن عامر بن نافع بن محمية المسيلي[122]، من أهم قواد بني الأغلب، الى الثورة، وهو ينتمي الى قبيلة مُسْيلة بن عامر، قبيلة كبيرة من مذحج اليمنية وأسندت إليه المناصب الهامة في دولتي إبراهيم بن الأغلب وابنه عبد الله، وهو من أسرة لعبت دورا بارزا في نصرة الدولة العباسية فمنهم عامر بن إسماعيل بن عامر ابن نافع قاتل مروان بن محمد وابنه يحيى بن عامر الذي كان موالياً للمأمون ولكنه انقلب عليه برفضه مبايعة على الرضا بولاية العهد، حتى دفع حياته ثمناً لذلك[123] ولذلك تمكن الزعيم اليمني وأعوانه ومواليه[124] من القضاء على الحملة الثانية التي أرسلها الأمير الأغلبي بقيادة ابن عمه محمد بن عبد الله ابن الأغلب. فقد قتل أغلب قادة الجيش مثل: محمد بن غلبون، وعبد الله ابن الأغلب، ومحمد بن حمزة الرازي، كما قتلت الرجالة عن آخرهم، وتتبع المنتصرون بقية الجند من الفرسان.

لم يكتف زعماء الجند العربي بهذه الانتصارات، وزحفوا بزعامة الطنبذي الى القيروان عاصمة إفريقية، واستولوا عليها في 5 جمادي الأولى / 2 سبتمبر (من نفس العام)[125] وكما حاول عمران بن مجالد من قبل إضفاء الشرعية على

(120) النويري: نهاية الأرب 22: 260.

(121) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 101

(122) في الأصل المسيلي، وهو تصحيف والمسيلة أحدثت بعد هذا التاريخ بزمن طويل والصواب نسبة الى مُسْيلة بن عامر، قبيلة كبيرة من مذحج انظر اللباب 3: 211، 212، المالكي: رياض النفوس 1: 392 تعليق(2)، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 100.

(123) ابن الأبار: الحلة السيراء 2: 383 وما بعدها

(124) اذ يذكر المالكي أن أبي الوليد مروان بن أبي شحمة المُسلي الافريقي الفقيه العابد وابنه عبد الرحمن ابن مروان كانا من موالي آل عامر بن نافع انظر رياض النفوس 1: 392.

(125) النويري: نهاية الأرب 22: 260-261.

ثورته ضد الأغالبة، كذلك حاول منصور الحصول على الشرعية بضم كل من أسد بن الفرات بن سنان، مولى بني سليم، وأبي محرز محمد بن عبد الله الكناني، القاضيان للقيروان في ذلك الوقت، الى الثورة ولكنه لم يوفق بسبب مقاومة ابن الفرات وغيره من فقهاء القيروان.

فيروي المالكي أن منصور «نزل بعسكره بين شرقي القيروان وقبليها، وخندق خندقاً هناك، فخرج اليه أسد وأبو محرز وهما جميعا قاضيان، فدخلا على منصور، وعنده وجوه الأجناد وغيرهم، فقال لهما منصور في كلام كان منه: «اخرجا معنا، أما تعلمان أن هذا البائس ظلم المسلمين؟» فأما أبو محرز فإنه خاف من منصور وأصحابه فقال «نعم، وظلم اليهود والنصارى». وأما أسد فقال لهم: «قد كنتم أعواناً له قبل هذا الوقت، وأنتم وهو على مثل هذا الحال، وكما وسعنا الوقوف عنه وعنكم، فكذلك يسعنا الوقوف عنه وحده» فثار بعض الجند عليهما، وانصرفا وهما خائفان[126].

ويضيف القاضي عياض أن الفقيه عبد الله بن أبي حسان اليحصبي وهو من أشراف إفريقية، بنسبه العربي اليمني، وفقهه ودينه، كان يسكن بالقيروان بحارة يحصب المنسوبة إليهم، وأبوه من عربها البلديين، تولى ولاية الأربس، وله دور كبير في إخضاع بربر نواحيها. لم ينضم الى ثورة الجند «وكان سيء الرأي فيهم» لذلك أغاروا على منازله وانتهبوها وطلبوه فاستخفى[127] وقال فيهم:

| | |
|---|---|
| أباح طغام الجند جهلا حريمنا | وشقوا عصا الاسلام من كل جانب |
| وعاشوا وجاروا في البلاد سفاهة | وظنوا بأن الله غير معاقب |
| ولو أنهم عرب كرام لدافعت | نفوس كرام عن حريم الأعارب |
| ولكنهم أوباش كل قبيلة | وقبط وأغنام لئام المناصب[128] |

(126) انظر المالكي : رياض النفوس 1 : 270. وقارن القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 69.
(127) .أنظر القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 70، 71، 74
(128) المالكي: رياض النفوس 1 : 289

وحينما إشتد طلبهم له، لجأ الفقيه اليمني الى قومه من قبيلة يحصب الذين انضموا الى الثورة، ومت إليهم بالنسب، واستجار بهم، فأجاروه وأمنوه[129].

ورغم فشل الطنبذي في الحصول على الشرعية لثورته من فقهاء القيروان، إلا أنه ضرب السكة بإسمه[130]. إسوة بزعماء حركات المعارضة السياسية والدينية للسلطة المركزية. ورمزا للامارة والسيادة. واضطرت هذه الظروف زيادة الله للخروج بنفسه على رأس ما بقي من جنده، حيث اتخذ معسكراً له بين القيروان والقصر القديم (العباسية) وحفر خندقاً حوله. وهكذا تحولت الحرب بين الخصميين، الى حرب خنادق بدلا من حروب ميدانية لمدة أربعين يوماً يبدو أن زيادة الله خلالها كان يستعد لحملته الكبرى إذ يروي ابن عذاري «ثم زحف زيادة الله على تعبئة عبأها لنفسه قلباً وميمنة فلما رأى ذلك منصور، هاله وراءه» والتقى الجيشان، وهزم منصور وأنصاره هزيمة قاسية وقتل أصحابه قتلا ذريعاً في 15 جمادي الآخرة / 12 سبتمر وهرب منصور الى تونس[131].

دخل زيادة الله القيروان «وكان أهلها أعانوا منصورا على قتال زيادة الله، وانقسم أنصاره الى قسمين: الأول يدعو الى الانتقام من أهل القيروان فقال البعض «أبدأ بها وأقتل من فيها»[132] وقال البعض الآخر «العفو مفسده ولن يلدغ المؤمن من حجر مرتين» وأنشد آخر:

---

(129) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 74

(130) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 101 ويعلق De Candia في مقاله Monnaies Aghlabites du Musée du Bardo. Revue Tunisiènne Tunis 1935.

إن ما ذكره ابن عذاري ينطوي على مبالغة، إلا أن حسن حسني عبد الوهاب، يذكر أنه وجد درهم فضة من نقود الطنبذي بأنه مثل الدرهم الأغلبي تماما، غير أنه بدل كلمة «غلب» رمز الأغالبة كلمة «عدل» وفيه إسم «منصور بن نصر» وتاريخه سنة 220هـ/825م أنظر ورقات 1: 430.

(131) أنظر ابن عذاري : البيان المغرب 1: 100.

(132) النويري : نهاية الأرب 22: 261.

من لم يؤدبه جميل ففي عقوبته صلاحه

أما القسم الثاني فيدعوا الى العفو إذ يروي القاضي عياض أنه لما «ظفر زيادة الله بعد بالقيروان، جمع العلماء فسألهم في حال الجند القائمين عليه، فعرفوه ما في العفو ورغبوه فيه»[133]. ولكن زيادة الله حسم قضية أهل القيروان بقوله: «إني عاهدت الله تعالى، إن ظفرت، أن أعفو وأصفح» ولذلك أكتفى بهدم سور القيروان ونزع أبوابها[134] حتى لا يتحصن بها ثائر.

وهكذا لم يقدر لثورة الطنبذي أن تحقق أهدافها، فما أن تعثرت حتى بدأت في الانهيار «ووقع الشتات والحسد بين الجند، ووقع الخلاف بين منصور وعامر بن نافع»[135] أي بين زعماء الثورة من القيسية التي ينتمي إليها منصور الطنبذي، واليمنية التي ينتمي اليها عامر بن نافع المذحجي. ولقد حاول زيادة الله استغلال هذه الفرصة للقضاء على الزعيم اليمني الذي عاد الى وطنه بمدينة سبيبة ولم يكن بإفريقية أخصب أرضاً منها، ولا أكثر بساتيناً وثماراً وعيوناً جارية[136]، بالاضافة الى هذه الخصوبة فقد كانت المدينة حصينة قديمة أزلية، مبنية بالصخر، وحواليها جبال كثيرة يسكنها من العرب قوم يعرفونْ ببني المغلس وبني الكسلان[137]، يتمون الى عصبية زعيم المدينة اليمني على الارجح. ولذلك ما أن التقت القوات الأغلبية بقيادة محمد ابن عبد الله بن الأغلب بأنصار عامر بن نافع قرب سبيبة في 20 محرم 210هـ/ 4 مايو 825م حتى هزموا وقتل قائدهم محمد بن عبد الله وتمادت الهزيمة حتى القيروان[138].

(133) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 74، 75.
(134) النويري: نهاية الأرب 22: 261، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 100.
(135) النويري: نهاية الأرب 22: 262
(136) أنظر مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ص 161
(137) أنظر البكري: المغرب ص 146.
(138) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 100ـ101.

ولم يعرف اليأس طريقه للأمير الأغلبي، ووجد ضالته في سليمان ابن سوادة التميمي، أخو سالم قائد الأغالبة المتمرس والذي تولى القضاء على ثورة ابن الصقلبية، إذ تطوع سليمان للقضاء على ثورة جنوب إفريقية واختار من ديوان الجند الأغلبي مائتي فارس يثق بهم وأغدق على تجهيزهم بالمعدات اللازمة وبدأ سليمان بن سوادة التميمي بهذه الفرقة القليلة العدد الزحف الى بلاد الجريد التي دعى أهلها، القائد عامر بن نافع الزعيم اليمني الى بلادهم[139]. إذ أدرك ابن سوادة على ما يبدو أن الثائرين بجنوب إفريقية ليسوا أكثر من عصابات من الجند، استفادت من شدة مراس رجالها، وأقاليمها النائية وخطورة الطريق إليها. إذ يروي كل من البكري وصاحب الاستبصار أن الطريق الذي يربط نفزاوة ببلاد قسطيلية في «أرض سواخة لا يهتدي للطريق فيها إلاّ بخشب منصوبة، وأدلاء تلك الطريق بنو موليت، لأن هناك ظواعينهم، فإن ضل أحد يمينا أو شمالا غرق في أرض ديماس تشبه في الرطوبة بالصابون. وقد هلكت فيها العساكر والجماعات ممن دخلها ولم يدر أمرها»[140] وما أن وصل سليمان الى نفزاوة، حتى انضم إليه واليها القائد عبد الصمد بن جناح الباهلي القيسي وجنده من العرب وخلق كثير من زناتة «ففتح البلاد، بلداً بلداً، حتى بلغ قسطيلية»[141]. حيث كان عامر بن نافع الثائر اليمني قد وصل فعلا ونظراً لأن أغلبية سكانها من بقايا الروم الذين تحولوا الى الاسلام ومن البربر. فلم يتمكن الثائر اليمني، إلاّ من جمع ألف عبد أسود، من الذين يعملون بزراعة النخيل والفواكه، مسلحين بالفؤوس والمساحي، وعسكر بهم وأنصاره بمدينة تقيوس من بلاد قسطيلية لحصانتها اذ يصفها الجغرافيون بأنها أربع مدن متقاربة عليها أسوار يكاد يكلم بعض أهلها بعضاً لتقاربها»[142].

(139) النويري : نهاية الأرب 22: 261.

(140) أنظر البكري : المسالك ص 48، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 150، 158.

(141) النويري : نهاية الأرب 22: 261.

(142) أنظر مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص 156، الحميري: روض المعطار ص 139.

إلتقى ابن سوادة وفرقته والجند العربي بقيادة القائد الباهلي، ومن انضم اليه من عرب مدينة توزر قاعدة بلاد قسطيلية، الذين استقروا بها منذ الفتوحات الاسلامية[143] وغيرهم من البربر. بقوات الثائر اليمني وانتصر ابن سوادة ولكن عامر بن نافع اليمني انسحب الى قسطيلية حيث «أقام بها ثلاثة أيام، يجبي أموالها ليلا ونهاراً، حتى كمل له من ذلك ما أراد»[144] إذ نتيجة لخصوبة الأرض وازدهار زراعة النخيل والزيتون والفواكه بالبلاد بلغت جبايتها مائتا ألف دينار[145]». وهكذا تمكن زيادة الله من فرض نفوذه على بلاد قسطيلية والزاب وطرابلس[146].

ولكن سرعان ما تصدعت جبهة الثائرين، بسبب التنافس بين زعيمي الثورة، منصور الطنبذي زعيم القيسية، وعامر بن نافع زعيم اليمنية ويروي ابن عذاري ان الزعيم القيسي كان يتوعد زميله اليمني، خصوصاً بعد ان يتأثر بالشراب وفاجأ الزعيم اليمني، حليفه وحاصره بقصره بطنبذة بالمحمدية، ثم اتفقا على خروج القيسي الى المشرق مقابل الأمان[147]. ولكن أنصاره من عصبيته أنفوا من الاتفاق وقال له بعض أصحابه «تفعل ذلك بنفسك ويسومك الضيم، انهض الى الأربس فانهم سامعون مطيعون» ويبدو أن اغلبية أهلها كانوا من القيسية ويذكر اليعقوبي أنها «مدينة كبيرة عامرة بها أخلاط من الناس»[148] ويضيف الجغرافيون العرب أنها كانت قاعدة هامة لجند الامارة الأغلبية التميمية[149].

---

(143) الادريسي : وصف افريقيا الشمالية والصحراوية من نزهة المشتاق تحقيق هنري بيريس (الجزائر 1957) ص 75.

(144) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 101

(145) انظر البكري : المسالك ص 49.

(146) ابن خلدون : العبر 4 : 253.

(147) النويري : نهاية الأرب 22 : 262، ابن عذاري: البيان المغرب 1 : 101.

(148) اليعقوبي: البلدان ص 101.

(149) أنظر البكري: المسالك ص 46، الحموي : معجم البلدان 1 : 136، الحميري: الروض المعطار ص 24ـ25.

تسلل منصور وأنصاره ليلا متوجهين الى الأربس، وعندما علم الزعيم اليمني بذلك في صباح اليوم التالي، أسرع للحاق بهم وعلى أبواب المدينة تقاتل الزعيمان وانهزم منصور وانسحب الى المدينة وشدد عامر الحصار عليها حتى تضرر أهلها وقالوا لمنصور «إما ان تخرج عنا، والا دفعناك الى عامر!»[150] مما اضطر منصور الى طلب وساطة أحد قواده الذين تنكروا له وانضموا الى الزعيم اليمني وهو عبد السلام بن المفرج الربعي[151] نسبه إلى عرب بني ربيعة ويذكر علماء الأنساب أن ربيعة تنسب الى القحطانية عن طريق الأزد أو كعب أو خثعم، كما أن ربيعة تنسب الى العدنانية عن طريق عامر أو بكر بن وائل أو تميم[152]، ونرجح ان القائد الربعي ينتسب الى ربيعة بني تميم العدنانية ـ التي ينتمي إليها عمران بن مخالد الربعي وزير إبراهيم بن الأغلب ـ إذ عاتبه بقوله «بهذا كان جزائي منكم يا معشر الجند! وقد علمتم أن قيامي على القوم انما كان من أجلكم[153]» ثم طلب التوسط للحصول على الأمان وانتقاله الى المشرق مرة ثانية وبذل القائد الربعي مجهوداً كبيراً لتلبية مطالبه. ولكن الزعيم اليمني الذي تظاهر بالموافقة أسر الى أعوانه بتسليم منصور وأخيه الى إبنه حمديس بن عامر والي جربة الذي ضرب عنقهما[154].

وثار القائد عبد السلام بن المفرج الربعي لاغفار ذمته، كما ثار قواد الجند المضرية، لاغتيال منصور وأخيه، وأعلنوا الثورة بمدينة باجة معقل المضرية بإفريقية[155]، وأسروا هاشم بن نافع والي المدينة وأخا الزعيم اليمني. وزحف

(150) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 102.
(151) ابن خلدون : العبر 4: 253.
(152) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (بيروت 1984م) ص 240ـ241.
(153) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 102.
(154) ابن الأثير : الكامل 6: 405 ابن الابار: الحلة السيراء 2: 384، النويري : نهاية الأرب 22: 262، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 102.
(155) أنظر اليعقوبي الذي يروي «وبها قوم من جند بني هاشم القدم»، البلدان ص 101 والبكري الذي يذكر «ومن قرى باجة المغيرية ، قرية شريفة»، المسالك ص 57

القائد الربعي على رأس المضرية الى عامر بتونس وانتصرت المضرية وانسحب الزعيم اليمني الى جربة منهزماً، حيث تدهورت صحته، ولما ايقن بالموت إستدعى بنيه ونصحهم بعد الانتهاء من دفنه عند موته ان يلحقوا بزيادة الله قائلا: «ما رأيت في الخلاف خيراً» وهكذا انتهت ثورة الزعيم اليمني وأبناءه في 213هـ/828م وقضى على الفتنة التي استمرت أكثر من ثلاثة عشر عاماً حتى قال زيادة الله «الآن وضعت الحرب أوزارها»[156] وتوالى زعماء الجند العربي، يتسللون الى زيادة الله، الواحد تلو الواحد، وهو يؤمنهم ويحسن اليهم[157].

ورغم ذلك لم تهدأ حدة ثورات الجند والصراعات القبلية، الا لتظهر من جديد ففي 216هـ/831م ثارت الفتنة بين قائدين من قواد الجند العربي الاول، مطيع السُلمي أو السهمي[158] وهو ينتسب الى بني سلمة أو الى بني سهم. وكلا البطنان ينتميان الى العدنانية، وبنو سلمة، بطن من قشير، دخلوا افريقية مع حملة كلثوم بن عياض القشيرى وابن أخيه بلج بن بشر القشيرى في 123هـ/741م، الذين استقر بعضهم في المغرب والبعض الآخر في الأندلس. وبنو سهم. بطن من قريش من العدنانية، دخلوا إفريقية مع عقبة ابن نافع الفهري سواء في مرحلة رباطه ببرقة وطرابلس أو في ولايته الاولى أو الثانية[159].

أما القائد الثاني، فهو إسماعيل بن الصمصامة، زعيم عرب بني سعد ابن سعد مناة، وهم بطن من قبيلة تميم، استقروا بإقليم الزاب بغرب إفريقية، حيث استقرت بعض القبائل القيسية مثل عرب بنو ضبة من ربيعة ابن نزار بن مضر الذين استقروا بمدينة مقرة ذات الحصون العديدة. ويروي اليعقوبي خلال وصفه لاقليم الزاب و «مقره لها حصون كثيرة. . . أهلها من

(156) أنظر ابن أبي عذاري : البيان المغرب 1: 103.
(157) أنظر النويري: نهاية الارب 22: 262-263.
(158) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 104
(159) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 270، 274

بني ضبة. . . ومنها الى حصون تسمى برجلس وطلمة. . . بها قوم من بني تميم من بني سعد، يقال لهم بنو الصمصامة[160]» ونظرا لوجود هذه البطون العربية على الحدود الأغلبية، الرستمية، فقد كانوا دائمين الثورة ضد الأغالبة.

ولذلك رغم عدم ذكر ابن عذاري لموقع النزاع بين القائدين، يمكن لنا تحديده باقليم الزاب، دون تجاوز الحقيقة، حيث التقى القائدان بمن معهما واقتتلا ودارت الهزيمة على القائد مطيع وفر أنصاره[161]. ورغم ذلك لم تهدأ المنطقة، إذ ثار بنو الصمصامة على الأغالبة «وظفر ابن الأغلب ببعضهم فحبسهم»[162].

وفي 218هـ/833م اندلعت الاضطرابات بشمال إفريقية، ففي جزيرة شريك ثار فضل بن أبي العنبر أحد قواد الأمير الأغلبي ووالى الجزيرة[163]. ورغم عدم ذكر المصادر لانتمائه القبلي، إلا أن هناك عدة مؤشرات تلقى لنا الضوء على انتمائه القبلي، فالثورة بدأت بجزيرة شريك، نسبه الى أحد ولاتها السابقين وهو شريك العبسي[164]، وبنوعبس قبيلة عربية من غطفان من العدنانية،[165]، لا شك أن استقر بعضها في الجزيرة. خصوصا وان اليعقوبي يصف الجزيرة بأنها موغلة في البحر يحيط بها ماء البحر، كثيرة التجارة، وفيها قوم من رهط عمر بن الخطاب، وسائر بطون العرب. . . ولها عدة مدن ليست بالعظام يتفرق فيها الناس»[166] مما يدل ان الجزيرة كانت مجال خصب

(160) أنظر اليعقوبي : البلدان ص 103

(161) ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 104

(162) أنظر اليعقوبي : البلدان ص 103.

(163) أنظرّ المالكي : رياض النفوس 1 : 335، ابن الأثير: الكامل 6 : 460، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 105، ابن خلدون: العبر 4 : 253.

(164) البكري : المسالك ص 45، الحموي: معجم البلدان 2 : 136، الحميري: الروض المعطار ص 165.

(165) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 313-314

(166) أنظر اليعقوبي : البلدان ص 100-101

للنشاط التجاري مع صقلية وغيرها من جزر غرب البحر المتوسط والشواطيء الجنوبية لاوربا وبالتالي شكلت منطقة جذب لاستقرار العرب بها.

وما أن أعلن فضل الثورة وتمكن من هزيمة فرسان الأمير الأغلبي الذين أتوا لاخضاعه، وفرض سيطرته على المنطقة وأعلن الاستقلال بها، حتى أعلن القائد عبد السلام بن المفرج الربعي العدناني، والي باجة للأغالبة فيما يبدو، تأييده لثائر جزيرة شريك وانضم بانصاره الى الفضل ولكن الأمير الأغلبي أرسل جيشاً بقيادة أبي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب، ابن عمه، قضى على الثورة وقتل القائد عبد السلام بينما إستطاع الفضل وعسكره الفرار الى تونس(167).

تتبع أبو فهر محمد وجنده الثائرين واقتحموا مدينة تونس، وقتلوا كثيراً من أهلها، ويبدو أن جيش الامارة الأغلبية استخدم القسوة المتناهية للقضاء على ثورة مدينة تونس المستعصية على الطاعة، إذ يروي كل من أبي العرب والمالكي أن الجيش الأغلبي لما اقتحم تونس «أرادا استباحتها وقتل أهلها وسبيهم» ومال الفقهاء الى جانب الثوار الذين انضم اليهم عامة الناس ومنهم أبي الوليد عباس بن الوليد الفارسي الفقيه الذي جلس في داره ولم يقاتل، حتى اقتحم الجند الأغلبي عليه داره، فخرج بسيفه وهو ينادي في الناس: «الجهاد، الجهاد» فقتل وقطعت رأسه، وطرحت جثته في رمضان 218/833م(168).

(167) ابن الاثير: الكامل 6: 460، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 105، ابن خلدون: العبر 4: 253.

(168) اذ يروي كل من أبي العرب والمالكي أن الفضل تميز خلال ولايته للجزيرة، بحسن سياسة العامة واحترام أراء الفقهاء والزهاد. فبعدما قام بتحصين حصون الجزيرة نزل وأعوانه وأحماله أحد حصونها بساحل البحر فأدخل الأعوان الأحمال في مسجد من مساجد الحصن وكذلك كلابا وطيورا كانت معهم الى الحصن. وهنا اعترض اسماعيل بن رباح الجزري الزاهد واشتكى الى الفضل قائلا: «أما ترى ما فعل أعوانك في بيت من بيوت الله عز وجل؟» فأسرع الفضل يأمر أعوانه، بتنفيذ أوامر الفقيه الزاهد. انظر أبو العرب: الطبقات ص 67-71، المالكي: رياض النفوس 1: 248-250؛ 335.

ونتيجة لاضطرابات الجند العربي المستمرة، وعدم الاستقرار الذي عرفته معظم ولايات إفريقية، يذكر الباحثون أن الأمير الأغلبي، عمل على توجيه نشاط جنده ورعاياه نحو الجهاد الى صقلية، بدلا من صرفه في الفتن والتقاتل فيما بينهم[169]. خصوصاً وأن سياسة المسالمة التى إتبعها كل من ابراهيم ابن الأغلب وابنه عبد الله من بعده لم تحترم من الطرف البيزنطي الذي استغل ثورات الجند العربي لكي ينقض إتفاقية السلام التي سبق ووقع عليها، ويبدو أنه أخذ يبحث عن مبرر للنقض، إذ يروي ابن الأبار أن «صاحب القسطنطينية فاوض الأمير الأغلبي لشراء عمودي محراب جامع القيروان»[170]. ورغم ما يعلمه من استحالة قبول أمير مسلم لمناقشة مثل هذا الأمر. ناهيك عن التفاوض حول البيع ذاته.

ولذلك أرسل زيادة الله في 204هـ/819م حملة بحرية بقيادة أبا العباس محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم التميمي لغزو صقلية، حيث ألحق الضرر بالسواحل الصقلية، وعاد محملا بالغنائم والأسلاب[171]. كما أنفذ أسطولا آخر لغزو جزيرة سردينة لكنه عاد مهزوماً[172]. كما استكمل زيادة الله تحصينه لشواطىء إفريقية، عن طريق إقامة القلاع والمحارس «كقصر زياد» و «القصر الكبير»[173]. وسرعان ما أغار الأسطول البيزنطي بقيادة فيمي الرومي (أيو فيميوس Euphemios) على سواحل إفريقية في 211هـ/826م واختطف عدداً من تجارها[174] مما دفع زيادة الله

(169) انظر السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الاسلامي ص 387.، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 210، 211.

(170) ابن الأبار: الحلة السيراء ص 252، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 149.

(171) انظر ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 181، المكتبة الصقلية 2: 331.

(172) ابن الأثير: الكامل 5: 185.

(173) انظر المالكي: رياض النفوس 1: 422ـ428.

(174) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 459.

لارسال حملته البحرية الكبرى في 212هـ/827م لفتح جزيرة صقلية والعمل على إستقرار العرب بها.

وساهمت القبائل العربية في هذه الحملة كحماة لقواعدها بإفريقية، ومخططين ومبررين لقيامها ثم كجند وقادة فيها، إذ شارك العرب في بناء الرباطات بسواحل إفريقية، مثل الزاهد أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي، نسبه الى قبيلة بني ربيعة العربية، كان تاجراً في «سوق البزازين» في القيروان، ثم ترك ذلك. وسكن «قصر زياد» وهو الذي تولى بناءه، وذلك أن أسد بن الفرات لما أراد غزو صقلية، أراد عبد الرحيم الخروج معه، فشاور في ذلك سحنوناً الفقيه، فأشار عليه ببنيان «قصر زياد» لحراسة المسلمين وغوثالهم، عوضاً عن الاشتراك في الحملة. فتولى عبد الرحيم بناء «قصر زياد» وإصلاحه وانفق فيه إثنى عشر ألف دينار في 212هـ. ورابط فيه مع أسرته مجاهداً إذ يروي عنه أخ يقال له «هاشم» من أهل الفضل والعبادة. وابن أخيه محمد بن علي بن عبد ربه، بالاضافة إلى إخوانه وغيرهم من عرب بني ناقد المستقرين بجوار القصر[175].

وحينما نشأ نزاع بين قواد صقلية، حول السلطة بالجزيرة وانتهى بهزيمة فيمي قائد جيش الأسطول، لم يجد فيمي ملجأ إلاّ إفريقية، مستنجداً بالأمير الأغلبي ضد خصومه وعرض على زيادة الله فكرة غزو الجزيرة، على أن يكون عامله عليها، يدفع الجزية ويدين له بالطاعة. وفي نفس الوقت وفدت سفارة من بطريق صقلية الى البلاط الأغلبي تدعو الأمير لاتخاذ موقف الحياد من النزاع القائم في الجزيرة. لم يسرع زيادة الله الى تلبية عرض فيمي، بل عقد مجلسه وطرح القضية على وجوه أهل القيروان وفقهائها من العرب وغيرهم[176].

وتجمع المصادر على وجود ثلاثة اتجاهات بين زعماء القبائل العربية ومواليهم، داخل مجلس الأمير الأغلبي: الأول برئاسة أبي سعيد سحنون ابن

(175) المالكي: رياض النفوس 1: 421، 422، 423، 425.

(176) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 66، النويري: نهاية الأرب 22: 459-460.

سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي الفقيه، ويروي المالكي أنه «كان من صليبه العرب، من تنوخ، أصله من الشام، من حمص. قدم به أبوه سعيد مع جند أهل حمص[177]» إذ قال سحنون: «كم بينها (صقلية) وبين بلاد الروم؟» قالوا: «يروح الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع». قال: «ومن ناحية إفريقية؟» قالوا: «يوم وليلة». قال: «لو كنت طائراً ما طرت عليها»[178]. وهذا النص يوضح معارضة الفقيه التنوخي اليمني ومن اتبعه لغزو صقلية بسبب سهولة اتصالها وسرعته مع بلاد الروم مما يضمن لها سرعة الامدادات. وصعوبة الاتصال وبطئه مع بلاد المسلمين مما يعرض جنود الحملة البحرية لخطر الحصار والمجاعة والهلاك.

والاتجاه الثاني مال الى التريث، وكان على رأس هذا الرأس، أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني المضري القاضي الذي قال «نستأني في هذا الأمر حتى يتبين»[179].

والاتجاه الثالث مال بعضهم الى غزوها وتنصيب فيمي والياً عليها، كتابع للأمير الأغلبي، إذ قالوا «نغزوها، ولا نسكنها، ولا نتخذها وطناً» ومال البعض الآخر وهم الأغلبية الى غزوها، والاستقرار بها «وأشار من بقي بغزوها، ورغبوا في ذلك، وسارعوا إليه»[180]. وكان على رأس الرأي الأخير

(177) المالكي: رياض النفوس 1: 345، 346. وانظر مصادر ترجمته تعليق ص 345.

(178) النويري: نهاية الأرب 22: 460.

(179) المالكي: رياض النفوس 1: 270، 274. ويستنتج بيوري Bury من موقف أبي محرز القاضي تمسكه بحرمة الاتفاقية المعقودة بين الطرفين، تلك الاتفاقية التي لم ينقضها الجانب البيزنطي، ويعني المعاهدة التي كان أبو العباس عبد الله قد أقرها في عام 198هـ/813م، وجددها زيادة الله في عام 208هـ/823م والواقع أن المصادر العربية تذكر أن كثيرا ما أغار البيزنطيون على شواطىء افريقية وآخرها غزوة فيمي وأسره نفراً غير قليل من رعايا الأغالبة. انظر النويري نهاية الأرب 22: 459، A history of the eastern Roman empire p. 297-98، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 154.

(180) النويري: نهاية الأرب 22: 460.

القاضي أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم القيسيين[181]، والذي تولى قيادة الحملة البحرية الى صقلية.

وفي صباح السبت الموافق للنصف من شهر ربيع الأول من سنة 212هـ/ 14 يونيه 827م، أبحر الأسطول الأغلبي المشكل من مائة مركب، سوى مراكب فيمي القائد البيزنطي، حاملا جنود الحملة البحرية المشكلين من عشرة آلاف راجل وسبعمائة فارس[182]. «من أشراف إفريقية، من العرب، والجند، والبربر، والاندلسيين، وأهل العلم والبصائر»[183]. وذلك يعني أن العرب الذين شاركوا في الحملة كانوا من سلالة القرشيين وعرب الفتوح الاولى في إفريقية الذين عرفوا بالبلديين إذ يصف اليعقوبي سكان مدينة القيروان في عصر الأغالبة بأنهم «أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان» وسكان جزيرة أبي شريك بأنهم «قوم من رهط غمر ابن الخطاب وسائر بطون العرب»[184]. كما يروي البكري أنه بجوار مدينة الأربس (لربس) «مدينة الانصاريين. . . نسبت إلى قوم نزلوها من الانصار من ولد جابر بن عبد الله» وكذا يصف أهل مدينة المنستير أنهم «قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان، وهو اختطها عند دخوله إفريقية، وبها عرب»[185]. أما الجند فهم جماعات من العرب الشاميين الذين اشتركوا في الحملات التي كان يسيرها خلفاء بني العباس الى إفريقية مثل عرب بني تميم المستقرون في تونس والذين كانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة في عصر الأغالبة لانتساب الأغالبة إليهم[186]، وكذلك عرب السناجرة المستقرون بمجانة وهم ينتسبون الى

(181) انظر القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 52.
(182) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 460.
(183) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 103.
(184) اليعقوبي: البلدان ص 100، 101.
(185) البكري: المسالك ص 47، 56.
(186) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123-124.

سنجار من ديار ربيعة شمال العراق حيث استقرت قبائل ربيعة وانتقل بعضهم الى افريقية وعمل الجند للسلطان ومن زعمائهم القائد عمران بن مخالد الربعي وعبد السلام بن المفرج الربعي، وكذا منصور الطنبذي الزعيم القيسي ويروي اليعقوبي «وهم من الجند القوم الذين كانوا قدموا مع ابن الأشعث» القائد العباسي[187].

وما أن ألقت الحملة مراسيها بساحل مازر (مزارة Mazara) ، حتى تمكن العرب من إيقاع الهزيمة بالبيزنطيين والاستيلاء على المدينة وعين أسد ابن الفرات قائد الحملة، أبا زاكي الكناني المضري والياً عليها[188]، نظراً لاهميتها الاستراتيجية فالمدينة تعتبر أقرب السواحل الصقلية الى إفريقية، كما كانت بعيدة عن مركز القوة البيزنطية بالجزيرة، مثل سرقوسة وطبرمين[189].

زحف أسد بقواته العربية لملاقاة بلاطه القائد الأرمني على رأس قوات كبيرة[190]. والتقوا بمرج بلاطة حيث هُزم البيزنطيين واضطر القائد الصقلي للانسحاب إلى جنوب إيطاليا حيث قتل هناك. ثم سار العرب الى سرقوسة وحاصروها ومال القائد ابن الفرات إلى مسالمة أهلها الذين طلبوا الأمان ولكن منتشاريه المتطرفين أبوا ذلك وصمموا على إستمرار الحصار والقتال[191]، خصوصاً بعد أن وصلتهم الامدادات من إفريقية.[192].

(187) اليعقوبي: البلدان ص 100، 101 ويضيف المالكي أن الفرات بن سنان مولى بني سليم وابنه أسد الذي سيتولى قيادة حملة صقلية البحرية، دخلا الى القيروان في جيش ابن الأشعث. كذلك انظر رياض النفوس 1: 254.

(188) النويري : نهاية الأرب 22: 461.

(189) انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 218.

(190) ويبالغ المالكي ويروي أن جيش بلاطه كان مائة وخمسين ألف انظر رياض النفوس 1: 272، النويري : نهاية الأرب 22: 264.

(191) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 461-462، ابن خلدون: العبر 4: 254.

(192) ابن الأثير: الكامل 5: 186، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 103، ابن خلدون: العبر 4: 254.

وبادر الامبراطور ميخائيل الثاني البيزنطي بإرسال أسطول ضخم لفك الحصار عن المدينة، كما أرسل الى البندقية مناشداً دوقها تقديم المساعدة[193]. ويبدو أن ما أصاب الجيش العربي بعد ذلك من هزيمة إنما يعزي الى هذه النجدة من ناحية، ثم الى انتشار الطاعون من ناحية أخرى، حتى فكر بعض كبار القواد من العرب في العودة الى افريقية ولكن القائد ابن الفرات قاوم هذه الدعوة واضطر الى معاقبة ابن قادم أحد قواده لكي يقضي على الفتنة في مهدها[194]. وما أن توفي ابن الفرات في شعبان 213هـ/828م واختار رؤساء الحملة محمد بن أبي الجواري قائداً حتى انسحب العرب الى مازر وقرروا العودة الى إفريقية ولكن الأسطول البيزنطي حال دون تنفيذ هذه الخطة لمحاصرته الأسطول العربي. ويروي النويري أن العرب نتيجة لذلك احرقوا سفنهم كدليل على التصميم على الاستقرار بالجزيرة «ورحلوا الى حصن مناو... فملكوا الحصن وسكنوه، وملكوا حصن جرجنت، وسكنه طائفة من المسلمين»[195]. ولذلك هدأت نفوسهم واطمأنوا الى طيب المقام. وهكذا تجمع المسلمون في ثلاث نقاط بالجزيرة: الأولى في مازر والثانية في مناو (ميناو). والثالثة في جرجنت.

---

(193) فازيليف: العرب والروم ص 78، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 223، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 155.

(194) وابن قادم هو محمد بن قادم، أخذ عن أسد بن الفرات وصحبه في غزوة صقلية وابنه أبو يحيى أحمد ابن محمد بن قادم، من أصحاب أسد أيضا، شارك في غزوة صقلية، «كان حافظا لمذهب أهل العراق ومذهب أهل المدينة» توفي سنة 247هـ. ويذكر أبو العرب في طبقات أعلام الحنفية، يحيى ابن محمد بن قادم ويصفه بأنه كان في نصاب علم، ولم يكن عنده فقه، وأنه كان معاصرا وجارا له، تقرأ عليه المغازي في مسجده المعروف «بمسجد ابن قادم».
انظر أبو العرب: الطبقات 114، المالكي: رياض النفوس (تحقيق حسين مؤنس) 1: 503، القاضي عياض: تراجم أغلبية من المدارك ص 44، 46، 99، 175، ابن ناجي: المعالم 2: 72.

(195) النويري: نهاية الأرب 22: 462 وراجع تعليق المحقق (33) بشأن الأراء المختلفة حول حرق الأسطول، وقارن ابن عذاري: البيان المغرب 1: 104، ابن خلدون: العبر 4: 254.

وفي ذلك الوقت وصلت الامدادات البيزنطية الى الجزيرة بقيادة البطريق تودط (Théodote) وبالرغم من تمكن العرب من هزيمته في أحواز قصر يانة وأسر تسعونَ من قواده(196) إلّا أنه بعد وفاة محمد بن أبي الجواري قائد الحملة في أول 214هـ/829م، تمكن تودط من محاصرة العرب في ميناو وايقاع الهزائم المتتالية بالسرايا العربية التي تخرج للبحث عن الامدادات الغذائية، مما إضطر عرب حصن جرجنت الى تدمير الحصِن والانضمام الى إخوانهم في مازر. واشتد الحصار على العرب حتى قتل الكثير منهم، ـ وقلت الاقوات والميرة فأكلوا دوابهم واضطروا الى أكل الكلاب وأشرفوا على الهلاك(197). غير أن وصول الامدادات في بداية 215هـ/830م المتمثلة في النجدة الأندلسية وقوامها ثلاثمائة مركب بقيادة أصبغ بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش، ودفعة أخرى بقيادة سليمان بن عافية الطرطوشي، بالاضافة الى امدادات لاحقة من إفريقية، رجحت كفة العرب وتمكنوا من استرداد كل ما فقدوه من قلاع وحصون(198). ثم حاصروا مدينة بلرم لمدة عام الى أن طلب قائدها الأمان لنفسه وأهله وماله، وأجابه العرب الى مطلبه، ودخل العرب بلرم في رجب سنة 216هـ/831م حيث اتخذوها عاصمة لهم بعد أن اتسعت رقعة الأرض التى استولوا عليها بغرب الجزيرة ولذلك يرسلَ الأمير زيادة الله الى صقلية قريبة أبي فهر محمد ابن عبد الله التميمي والياً فوصلها في 217هـ/832م(199). وبسقوط بلرم أصبح الاتصال بين العرب في صقلية وإفريقية أمراً ميسوراً، وبات في الامكان نقل المؤن والامدادات الى أية بقعة في الجزيرة، في مأمن من الأسطول البيزنطي

(196) ابن الأثير: الكامل 5: 186، النويري: نهاية الأرب 22: 463.

(197) النويري: نهاية الأرب 22: 463، ابن الأثير: الكامل 6: 336، ابن خلدون: العبر 4: 254.

(198) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 104، النويري: نهاية الأرب 22: 463. Bury: A History of the eastern Roman empire p. 304

(199) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 181، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 104، النويري: نهاية الأرب 22: 464.

خصوصاً وقد كان الامبراطور البيزنطي الجديد «تيوفيل» الذي خلف ميخائيل الثاني في 829م/214هـ مشغولا بمواجهة حملات الخليفة العباسي المأمون في الجبهة الشرقية بأرمينية[200].

واستغل زيادة الله ذلك لتدعيم الجبهة الصقلية وتعددت سرايا العرب ففي 220هـ/835م زحف محمد بن سالم الى ناحية طبرمين على شمال الشاطىء الشرقي للجزيرة، جنوب مسينا . وفي 222هـ/837م خرج الفضل ابن يعقوب الى جبل النار في منطقة أتنا بشمال غربي الجزيرة وعبد السلام بن عبد الوهاب الى قصر يانة، وبغض النظر عن نتائج هذه السرايا التى لم تحقق انتصارات حاسمة، إلّا أن العرب في الواقع غنموا الكثير من السلاح والمتاع والدواب[201].

وبرغم انشغال زيادة الله طوال فترة حكمه في القضاء على ثورات زعماء الجند العربي، فقد ساهم في نشر الاسلام بجزيرة صقلية ونقل العرب للاستقرار بها. كذلك لم يمنعه ذلك من التعمير والتشييد بإمارة إفريقية العربية، واعتز بهذه الأعمال حتى اعتبرها حسنة يرجو بها رحمة الله يوم القيامة وهي: بناء المسجد الجامع بالقيروان، الذي اختطه عقبة الفهري سنة 50هـ/670م ثم جدده حسان بن النعمان الغساني سنة 84هـ/703م، ووسعه بشر بن صفوان الكلبي سنة 105هـ/725م، وبنى منارته، ثم جدده بعده يزيد بن حاتم المهلبي سنة 157هـ/774م، وأخيراً أعاد زيادة الله بنائه، ليصبح أثراً باقياً الى اليوم من آثار الأغالبة. يتناسب من حيث السعة أو من حيث الفخامة، بمدينة القيروان التي أصبحت أعظم عواصم المغرب. وأعاد

(200) Ostrogorosky : History of the Byzantine state p. 188 ، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 157 .

(201) انظر ابن الأثير: الكامل 6: 336، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 106، ابن خلدون: العبر 4: 254، 255، فازيلييف: العرب والروم ص 118، Scott : History of the Mornsh empire in Europe vol 2. p. 11 .

زيادة الله البناء بالصخر والآجر والرخام، تاركاً محراب عقبة القديم بعد أن كساه كله بالرخام المخرم المنقوش بالكتابة وبغيرها من الزخرف. وبلغت تكاليف البناء ستة وثمانين ألف دينار[202].

ويذكر بروكلمان أن هذا المسجد يعتبر من أفخم المنشآت الدينية في الاسلام وأن يكن دون مساجد سامراء ومصر ضخامة واتساعاً. ويشتمل الصحن الرئيسي على سبعة عشر رواقاً يمتاز أوسطها - وهو أوسعها جميعا - بصفين مزدوجين من الأساطين، وتواكبه من جانبيه بلاطه معارضه تمتد من حائط المحراب، وصف مزدوج من الأساطين. ويفصل الرواق الرئيسي عن الصحن أبواب خشبية رائعة، وجميع أروقة الصحن تقوم على دعائم مرتكزة على أعمدة مزدوجة تزيد في جمال البناء[203].

أما ثان أعمال زيادة الله المعمارية فهو رباط سوسة المعروف بقصر الرباط وهو حلقة في سلسلة الرباطات والمحارس التي أنشأها أمراء الأغالبة وزعماء الجند العربي، للاستعداد الدائم لملاقاة غارات البيزنطيين على سواحل إمارة إفريقية، وقد لعبت الأربطة دوراً هاماً في الحياة الدينية والحربية وكان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلا للنذير بإقتراب سفن العدو. ورباط سوسة من أهم الأربطة التي أقيمت في عصر الأغالبة، أسس سنة 206هـ/821م وهو يقع على خليج قابس، بداخل مدينة سوسة وقبل بناء أسوارها. ويشتمل الرباط على سور مربع الشكل طول ضلعه 40 مترا تقريباً، مزود عند أركانه ومنتصف أسواره بأبراج معظمها نصف أسطوانية، وتنتهي الأسوار من أعلى بشرفات مستديرة الرؤوس. أما الفناء المربع في داخل الحصن، فهو أشبه

---

(202) انظر البكري: المسالك ص 22-23، أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان ص 23 - 26، السيد عبد العزيز: المغرب الكبير 2: 422-424، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 73-74.

(203) انظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ص 248

بصحن الجامع الكبير، وتحيط بجوانبه وراء الأروقة غرف العباد وصوامعهم[204].

وثالث أعماله، بناء قنطرة باب أبي الربيع، فقد إهتم خلفاء بني أمية، بالمنشآت الخاصة بالأعمال المائية والخزانات والمواجل في إفريقية إهتماماً كبيرا، وحرص أمراء الأغالبة على الاستمرار في هذه السياسة[205]. فشيد زيادة الله قنطرة باب أبي الربيع في القيروان، التي كانت ساقية عظيمة تحمل الماء من الجبل القريب عبر الوادي، على إرتفاع شاهق بفضل حناياها أو أقواسها الكبيرة. مما كان له أثره في العمارة الاسلامية في إفريقية وسائر بلاد المغرب والأندلس. وذلك أنه كانت توجد في إفريقية نماذج لهذا النوع من السواقي المحمولة على القناطر منذ أيام الرومان[206].

أما رابع هذه الأعمال، التي تدخل في نطاق تدعيم التعمير والتشيد المعماري، عن طريق إقامة العدل بين الناس، وتعيين القضاة العادلين. وإذا كان إبراهيم بن الأغلب وفق في اختياره لأبي محرز للقضاء، لتقواه وعدله وورعه، حتى اختاره زيادة الله، خلال إمارته، للقضاء كذلك وامتنع أبو محرز عن قبولها، فأمر زيادة الله، صاحب الشرطة، فأجلس أبا محرز بالمسجد الجامع، للنظر بين الخصوم، عنوة، فلما رأى الناس أبا محرز في مجلس القضاء بالمسجد، كبروا، حتى سمع الأمير الأغلبي تكبيرهم[207]. واستمر أبو محرز في القضاء، حتى وفاته في رمضان 214هـ/829م فقام زيادة بتعيين إبنه أحمد ابن أبي محرز عوضاً عنه في رمضان 220هـ/835م.

---

(204) Creswell : A Short account early Muslim architecture, p. 231-232 ، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 449ـ450، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 71ـ72.

(205) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 458.

(206) انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 72 حاشية (184).

(207) انظر أبو العرب: الطبقات 84ـ85، المالكي: رياض النفوس 1: 274ـ278.

ويبدو أن خطة القضاء، إستمرت خالية واحتاج الناس الى قاضي وامتنع الفقهاء والعلماء عن قبولها بسبب الفتن والثورات المتعددة وتعرض حياة القاضي للخطر. فلما رأى الأمير الأغلبي ذلك، جمع العلماء بقصره وطلب منهم ترشيح قاضي للمسلمين فامتنعوا، وعندما علم بتقديمهم أحمد بن أبي محرز، إماماً لهم في الصلاة قال: «رضوه لدينهم، رضيته أنا للدنيا» وأجبره على القضاء فاشترط على الأمير ألاّ يقبل من أحد من أقاربه أو حشمه أو من يلوذ به وكيلا واستمرت ولايته للقضاء لمدة تسعة أشهر ثم توفي في 221هـ/835م.

ولذلك كان زيادة الله يقول: «ما أبالي، إن شاء الله، ماقدمت عليه يوم القيامة، وقد قدمت أربعة قبل وفاتي، قيل: ماهي؟ قال: بنائي المسجد الجامع بالقيروان، انفقت فيه ست وثمانين ألف دينار. وبنائي القنطرة بباب أبي الربيع، وبنائي الحصن بسوسة، وتوليتي أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية»[208].

ورغم ذلك، يحق لنا أن نتساءل عن مدى تعصب الأمير الأغلبي لانتمائه القبلي في قبيلة تميم المضرية وتشبعه بعادات وتقاليد زعماء القبائل العربية إذ لما أعاد زيادة الله بناء جامع القيروان قال لعبد الله بن أبي حسان اليحصبي وهو من أشراف عرب إفريقية اليمنيين: «عاد المسجد مضرياً» لأن مختطه عقبة بن نافع الفهري القرشي، وزيادة الله التميمي وهما مضريان. وكان حسان ابن النعمان الغساني، ويزيد بن حاتم الأزدي، قد جدداه قبل زيادة الله. وهما يمنيان. فقال له إبن أبي حسان اليحصبي اليمني: أجل! عثوت أحلاسها[209]. لم يكتف الأمير الأغلبي بذلك ففي أحد مجالسه قال لابن أبي حسان.. «محونا آثاركم من الجامع» فأجابه الشريف اليمني بقوله: «الأصل لنا والفرع لكم» مما يلقي الضوء لتعصب الأمير لمضريته.[210].

(208) انظر المالكي: رياض النفوس 1: 395_398.

(209) المراد بالعبارة: بالغت في افساد ما سبقت اليه من تجديد الجامع.

(210) انظر القاضي عياض: تراجم أغلبية من ترتيب المدارك ص 75.

وحينما أراد الخليفة المأمون، مكافأة قائده عبد الله بن طاهر في 210هـ/825م فاسند إليه ولاية القسم الغربي من أقاليم الخلافة، وكتب إلى زيادة الله يأمره بالدعوة لعبد الله بن طاهر على منابر إفريقية، بمعنى أن تتبع إفريقية إمارة مصر، وتفقد استقلالها الذاتي، وبالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها إمارة الأغالبة في ذلك الوقت وانحسار نفوذها حتى اقتصر على الساحل ومدينة قابس ونفزاوة وطرابلس. ومطالبة زعماء الجند العربي الثائر، الأمير الأغلبي بالخروج من إفريقية. إلّا أن الأمير التميمي المضري أنف من الدعاء لابن طاهر، واصفاً إياه «عبد خزاعة» أي مولى خزاعة. وهي قبيلة من الأزد من القحطانية، لاشك استقرت ببلاد فارس وانتسب إليها عبد الله ابن طاهر الفارسي بالموالاة. وهكذا آنف الزعيم التميمي المضري من الدعاء لمولى خزاعة اليمنية وكتب رسالة الى الخليفة يرفض فيها الأمر، ويخبره بأنه سيدافع عن حقوقه حتى ولو أدى الأمر الى إندلاع الحرب وارفق بالرسالة كيساً به ألفي دينار إدريسية، مذكراً الخليفة العباسي بجهوده وجهود أسلافه في مناوءه الأدارسة الذين إشتد خطرهم بالمغرب الأقصى(211).

وعندما أعلن زيادة الله في 219هـ/834م العفو عن المشاركين في ثورة الجند بتونس وأمنهم. يروي ابن عذاري: «وكان فيهم عبد الرحمن وعلي ابنا أبي سلمة، وأبو العزاف، وكانوا شعراء فصحاء» فقام عبد الرحمن ومدح زيادة الله مما أثار خوف يعقوب بن يحيى شاعر زيادة الله على ما يبدو لمكانته، فأنشد الأمير الأغلبي محرضاً له:

تسمع أيها الملك المعان ... قوافي في معانيها البيان
يتم أمان من خضب العوالي ... وليس لشاعر أبدا أمان
لأن قوافي الأشعار تبقى ... على الأيام ما بقي الزمان
وقد يرجى لجرح السيف برء ... ولا برء لما جرح اللسان

(211) انظر ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 165ـ166، النويري: نهاية الأرب 22: 264، ابن خلدون: العبر 4: 252. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 228.

ولكن الأمير لم يلتفت لهذا التحريض وأمضى لهم أمانهم. وقال لأبي العزاف «ما منعك أن تستأمن إلينا قبل هذا الوقت؟» قال: «أيها الأمير! كنت مع قوم حمقى، يولـون كل يوم والياً، ويعزلون آخر. فرجوت أن تكون لي معهم دولة!» فضحك زيادة الله، وقال: «قد عفوت عنك!»[212]. وإذا علمنا أن مدينـة تونس كانت منطقة إستقرار للقبائل العربية وزعماء الجند العربي أدركنا أن هؤلاء الشعراء، الذين تطلع أحدهم لولاية المدينة، لا شك أنهم من العرب العدنانيين.

وبالرغم من تعصبه القبلي، ألا أنه كانت تتمثل فيه الأريحية العربية وهي العفو عند المقدرة. فعندما أقسمت أخت عامر بن نافع الزعيم اليمني الثائر متوعدة والدة الأمير الأغلبي بقولها: «والله لأجعلن جلاجل (أم زيادة الله) تطبخ لي الفول بيصاراً» إعتقاداً منها بإنتصار أخيها. فلما إنتصر زيادة الله بالقيروان على عامر، أمرت جلاجل (أم زيادة الله) بفول فطبخ بيصاراً وبعثت به الى أخت عامر مع بعض خدمها. فوضع بين يديها وقالت الجارية التي أحضرتـه إليها: «سيدتي تسلم عليك وتقول لك قد طبخت هذا لك لابر قسمـك» فأوحشها ذلك وقالت: «قولي لها قد قدرت فافعلي ماشئت» فبلغ ذلك زيادة الله فقال لأمه: «قد ساءني ما فعلت يا أم إن الاستطالة مع القدرة لؤم ودناءة، وقد كان أولى بك أن تفعلي غير هذا» قالت: «نعم سأفعل ما يرضيك ويحسن الأحدوثة عنا» وبعثت إليها بكسوة وصلة والطاف ورفقت بها حتى قبلت ذلـك وطابت نفسها[213]. وهكذا نرى الزعيم التميمي الذي يأنف من أن يضام، يأنف أن يُستذل أعدائه ويُحقر شأنهم.

**وتوفي زيادة الله وآلت إمارة الأغالبة إلى أخيه أبي عقال الأغلب ابن إبراهيم بن الأغلب المعروف بخزر[214] (223 ـ 226هـ/ 838 ـ 841م)**

(212) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 105.

(213) النويري: نهاية الأرب 22: 265.

(214) ولقب «خزر» هو من الأسماء المغربية المشهورة عند زناتة ويميل بعض الباحثين الى أن اطلاقه على

وهو الابن الثالث لابراهيم بن الأغلب، الذي يتولى الامارة. اضطرته ظروف الخلاف بين أخويه، عبد الله، وزيادة الله، وخوفه من انتقام زيادة الله بعد توليته الامارة، فاستأذنه للحج فأذن له فخرج وبرفقته محمد وإبراهيم أبناء أخيه عبد الله وبعد قضاء الحج، إستقر بمصر، الى أن تمت مكاتبات بينه وبين زيادة الله، فأمنه، فعاد الى إفريقية «فأكرمه وأحسن إليه، وجعل أمور دولته بيده»[215].

وبعـد وفاة زيادة، آلت إليه الامارة، وتتفق المصادر[216] على أنه «لم يكن في أيامه حروب، فأمن الجند، وأحسن إليهم. وغير أحداثاً كثيرة كانت للعـمال، وأجـرى على العـمال الأرزاق الواسعة، والعطايا الجزيلة، وقبض أيديهم عن أموال الناس وكفهم عن أشياء كانوا يتطاولون إليها. وقطع النبيذ من القـيروان» والنص يدل على قيام أبـو عقال الأغلب بعملية إصلاحات داخلية للعمل على إستقرار الامارة. تتمثل في دفع مرتبات الجند ومخصصات الولاة لضمان عدم جُورهم وأخيراً منع بيع النبيذ في مدينة القيروان والذي يبدو أنه شاع شربه بمدينة عقبة التابعي إذ عاقب الأغلب على بيعه وشربه.

ولم يعكر صفو هدوء فترة إمارة أبي عقال الأغلب التي إمتدت لمدة أقل من ثلاث سنوات، إلّا ثورة إقليم قسطيلية ببلاد الجريد. ويبدو أن الامام أفلح بن عبـد الوهاب لتاهرت والذي إشتهر بالدهاء والسياسة، كان وراء تحريض أتباعه من البدو الأباضية المقيمين ببلاد الجريد لاثارة القلاقل بإمارة الأغـالبـة، إذ أن بربـر زواغة ولواتة ومكناسة، تمردوا على العامل الأغلبي

= الأمير الأغلبي كان محاباه للزناتية اذ لا يستبعد أن تكون أمه منهم ولكن اذا علمنا أن خزر تطلق على الرجل الذي ينظر بمؤخرة عينية بدهاء أو على الرجل ذو العيون الضيقة، أدركنا أنه لم يكن لقبا بقدر ما كان صفه اشتهر بها الأمير الذي تميز عهده بالهدوء والاصلاحات الداخلية وكان ضيق العيون. انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 76.

(215) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 265.

(216) انظر ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 168، ابن الأثير: الكامل 6: 493-494، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 107، ابن خلدون: العبر 4: 198.

بقسطيلية وأردوه قتيلا، فأرسل إليهم الأمير الأغلبي في 224هـ/838م حملة بقيادة قائده عيسى بن ريعان الأزدي فقتلهم واستأصل شأفتهم[217].

كما أن الأمير الأغلب قام في نفس العام بإرسال الامدادات الى العرب بصقلية، فتمكنوا من الاستيلاء على حصن البلاط، وأبلاطنو، وقرلون. ومرو وفي العام التالي (225هـ/840م) أغار أسطولهم على أرض قلورية، مما مكنهم في 226هـ/841م من غزو منطقة قصريانة وبذلك وطد العرب أقدامهم في وسط جزيرة صقلية. قبل وفاة الأغلب في ربيع الآخر 226هـ/841م[218].

وتولى الامارة بعده ابنه **أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب** (226 ـ 242هـ/ 841 ـ 856م) ويروي ابن خلدون أنه في بداية إمارة أبي العباس «شيد مدينة بقرب تاهرت وسماها العباسية وذلك سنة سبع وعشرين، وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم»[219] وقد تضاربت أقوال المؤرخين حول دوافع إنشاء المدينة، وكذلك أسباب إقدام الامام الرستمي على إحرَاقها، فالبعض يرى بأن إنشاء العباسية مرتبط أشد الارتباط بما جرى عليه الأمير محمد بن الأغلب من سياسة الاهتمام بأمور المغرب ومعاداة الرستميين، إذ من الواضح أن بناء مدينة عربية أغلبية في قلب المملكة الرستمية، يعني إتخاذها قاعدة عسكرية أمامية، يمكن منها تهديد الدولة الأباضية[220]. ويرى البعض الآخر أن إنشاء المدينة كان لسبب إقتصادي مؤداة أن تحتل مكانة تاهرت الاقتصادية، ولذلك نرى الامام أفلح لم يحاول في البداية مقاومة إقامة

(217) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 107، ابن خلدون: العبر 4: 255، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 143.

(218) ابن الأثير: الكامل 6: 494، ابن خلدون: العبر 4: 255ـ256، النويري: نهاية الأرب 22: 266.

(219) انظر ابن خلدون: العبر 4: 256.

(220) Mercier : Histoire de l'Afrique septentrionale vol. 1. p. 285

المدينة وتخطيطها، وما أن تم بناؤها، ونظمت أسواقها على نسق عجيب، وترتيب غريب حتى أسرع بمهاجمتها بجيوشه وأجلى سكانها ثم أحرقها[221] يضاف الى ذلك حرص الأمير الأغلبي على متابعة الفارين من زعماء الجند العربي وأتباعه الذين أقاموا بتاهرت واستقروا في أحد أرباضها، وعكفوا على إثارة المتاعب على الحدود مع الامارة الأغلبية[222].

ورد الأمير الأغلبي على إحراق العباسية بتدبير المكائد للامام أبي بكر ابن أفلح الذي تولى الامامة بعد وفاة أبيه سنة 240هـ/854م، وتمكن عن طريق صنائعه في تاهرت من إثارة العراقيل في وجه الامارة الرستمية، ويروي صاحب الازهار الرياضية أن شخصاً يدعى خلف الخادم ـ مولى بني الأغلب ـ إستطاع عن طريق بذل الأموال، إثارة الشقاق بين سكان تاهرت، فانقسموا الى معسكرين، الامام وأنصاره من العجم والنفوسيين في جانب، والجند والعرب في جانب آخر، ونجح مولى بني الأغلب في تحريض العرب والجند، فأحرقوا درب النفوسيين في تاهرت، وبالرغم من جهود الامام أبي بكر في رأب الصدع، وقضائه على الحزب المناوىء في عدة مواقع، فأن الخلافات والفتن ظلت مستشرية حتى عهد خليفته[223].

ونظراً لتولية أبي العباس محمد بن محمد بن الأغلب وهو في الواحد والعشرين من عمره، وتميزه بقلة العلم وعدم تمكنه من لغة الضاد، وإنكبابه على الشراب والاشتغال باللهو والملذات فقد «غلب عليه وتولى أموره ووزارته أبناء علي بن حميد وهما أبو عبد الله وأبو حميد»[224] وعلي بن حميد، هو وزير

(221) الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية 2: 189، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 568.

(222) الشماخي : سير علماء ومشايخ جبل نفوسة ص140، دائرة المعارف الاسلامية مادة بني رستم. الباروني: الأزهار الرياضية 2: 181، 182.

(223) الباروني : الأزهار الرياضية 2: 221، 232، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 108

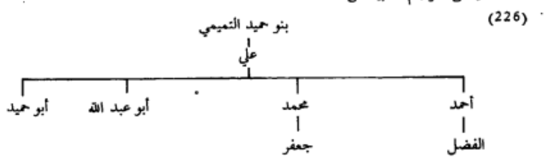
(224) أنظر النويري : نهاية الأرب 22: 266، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 3: 21.

الأمير زيادة الله الأول، وينتسب الى عرب بني تميم، وإشتهر بحبه للعلم واستضافة العلماء بمجلسه ويروي القاضي عياض و «كان العلماء يأكلون طعام علي ابن حميد الوزير، خلا سحنون وولده، فلم يكن يأتيهم ولا يأكل طعامهم»[225] ولذلك حينما أراد الأمير زيادة الله معاقبة الفقيه سحنون لامتناعه عن الصلاة خلف قاضيه عبد الله بن أبي الجواد، أمر عامله على القيروان بضرب سحنون خمسمائة سوط وحلق رأسه ولحيته ولكن علي بن حميد تدخل وحذر الأمير الأغلبي بقوله: «لا تفعل، فإن العكي انما هلك في ضربه للبهلول بن راشد» فقيه إفريقية، فاستجاب زيادة الله لنصيحة وزيره. وساهم بنو علي بن حميد التميميون في إدارة الامارة الأغلبية وكذا في الحياة العلمية. فبينما تولى أبو عبد الله محمد بن علي بن حميد الوزارة بعد أبيه، كان أبو الفضل أحمد بن علي ابن حميد «فقيها عالماً كريماً جواداً معظماً» وكانت له مائدة يغشاها أصحابه كما كان يطعم المائتين من الناس في الفضول والعسرات «وجد له بعد موته آلة كثيرة، منها مائدتان زجاجاً أوتي إليه بهما من بغداد. . . ووجد له سبعون جبة وشي» كما يروي و «بيعت كتبه بعد موته بألف دينار ومائتين»[226].

ولكن أبو جعفر أحمد بن الأغلب أخو الأمير الأغلبي نظر الى إزدياد نفوذ بني حميد التميميين، بعين الحسد والغيرة، خصوصاً وأن بطانته ومستشاريه،

(225) كان أبو جعفر أحمد بن حسان البغدادي، صهر علي بن حميد من أصحاب سحنون. أنظر القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 329.

(226)




أنظر القاضي عياض: تراجم أغلبية 115-116، 127، 322-323. وقد عثر على عمود قبر أبي الفضل محمد بن علي بن حميد التميمي، توفي يوم الاثنين في شوال من سنة 242هـ أنظر B. Roy et L. Poinssat: Inscriptions arabes de Karaouan n 52,1,112.

من بني حمزة الجرويين، نسبة إلى جروة من قبيلة عبس العدنانية[227]، عملوا على تحريضه ضد أخيه وحاشيته من بني حميد وتمكن أحمد من مصانعة بعض موالي الأمير الذي كان غافلا لانشغاله باللهو واللعب وهاجم القصر بمدينة العباسية في 231هـ/844م في وقت الظهيرة وقتل الوزير أبي عبد الله محمد ابن علي بن حميد التميمي وهرب أبو حميد بن علي الى الأمير من المذبحة واندلعت الحرب بين أنصار الأمير الأغلبي وأنصار أخيه، الذين أعلنوا طاعتهم للأمير وأن حركتهم ضد أولاد علي بن حميد الذين قهروا الناس واستأثروا بالأموال. وتظاهر الأمير محمد بن الأغلب بقبول عذرهم وتحالف الاخوان أن لا يغدر أحدهما بصاحبه وفي المقابل تنازل الأمير الاغلبي لأخيه عن إختصاصاته، بل ودفع إليه أبا حميد بن علي بشرط ألا يقتله ولا يصله بمكروه، ولكنه قام بتعذيبه واستصفى أمواله، ثم تظاهر بطرده الى مصر، وأمر أبي نصر مولى إبراهيم ابن

(227) يروي كل من ابن قتيبة الدينوري والبلاذري أن جروة من قبيلة عبس العدنانية، كان أصاب دما في قومه (عبس) فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليمان لأنه وهو العدناني حالف اليمانية. ونظرا لأن بني عبد الأشهل أحد بطون بني النبيت من الاوس من الأزد فقد اعتبر بعد الاسلام من الأنصار. أنظر المعارف 114، انساب الأشراف 1: 328-329، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 310. ويضيف كل من الكندي وساويرس أنه خلال فترة الصراع بين الأمين والمأمون حول الخلافة ببغداد اضطربت الأمور بمصر وثار زعماء الجند العربي بها وعمل كل منهم على الاستقلال بناحيته وجباية الضرائب لأنفسهم ومن هؤلاء الخارجين، عبد العزيز الجروي الذي استولى على شرق الدلتا حيث استقرت القبائل القيسية ولكن سرعان ما تمكنت الخلافة العباسية من إخضاع مصر وزعماء الجند العربي بها. وبتولية المعتصم الخلافة في 218 هـ تحول النفوذ من العنصر العربي إلى الأتراك، إذ أسقط المعتصم أسماء العرب من ديوان العطاء مما اضطرهم إلى الاندماج بالمصريين واحتراف الزراعة وغيرها، ثم حمل الناس على القول بخلق القرآن وامتحن الفقهاء والمحدثين والشهود مما دفع الكثير من العرب إلى الهروب من البلاد ولا يستبعد أن آل الجروي ممن هرب غربا إلى افريقية. أنظر الولاة والقضاة ص 180-181، ص 445 - 447، سير الاباء البطاركة ص 428، سيدة اسماعيل كاشف : مصر في فجر الاسلام ص 163-164، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام 2: 202-203.

الأغلب بالتخلص منه خلال الطريق بقلشانة[228]، وهي موضع المعرس لمن خرج من القيروان الى قابس وتقع على إثنى عشر ميلا من القيروان[229].

وقام أبو جعفر أحمد بعزل حجاب أخيه محمد وعين عوضاً عنهم خمسمائة من عبيده ومواليه حجاباً من قبله لحفظ أبواب قصر الأمير الأغلبي وكعيون داخل القصر له. ثم نقل دواوين الامارة الى قصره وصار الأمر كله له وهكذا لم يبق للامير الشرعي من الامارة إلاّ الشكل فقط. وكافأ أبو جعفر أحمد حاشيته من بني الجروي وعين نصر بن حمزة الجروي وزيراً له.

وسرعان ما تبادل الاخوان موقفهما، فأسرف أبو جعفر أحمد في الشراب كما كان أخوه في الماضي، وارتكب من الأخطاء ما زاد حجم معارضيه، فتوليته نصر الجروي وزيراً، أثار حفيظة أخيه داود بن حمزة الجروي[230] الذي لعب دوراً بارزاً في إعداد الانقلاب ضد الأمير الأغلبي، وتطلع لشغل وظيفة الوزير والمقدم عند أبي جعفر أحمد، فلما لم يحصل على مبتغاه، تحول الى المعسكر المخالف.

وبقيامه بحبس القائد خفاجة بن سفيان بن سوادة التميمي، وهو ابن شيخ زعيم عرب تميم بالقيروان دون حق، دفع أخاه أحمد بن سفيان بن سوادة وعصبيته من بني تميم الى الانضمام الى الأمير الأغلبي والتدبير لاسترداد سلطته وإطلاق سراح أخيه من الحبس.

كما أن الأمير الأغلبي لم يهدأ بعد ضياع سلطته، ففي الوقت الذي تظاهر فيه بإدمانه للشراب فإذا «جاءه رسول من أخيه، يستدعى كأساً كبيراً، ويمسكه بيده، ويحضر الرسول، فيتوهم أنه يشرب، فإذا انصرف رد الكأس فلا يشربه» أخذ في الاتصال بوجوه قرابته من بني تميم وجنده وعبيده، يسألهم

(228) النويري: نهاية الأرب 22: 266-267.

(229) أنظر البكري: المسالك ص 29، الحميري: الروض المعطار ص 466.

(230) أنظر ابن الابار: الحلة السيراء 1: 170.

نصرتـه فانضـم إليه القـائد عامر بن عون القرشي وزعماء مدينة القيروان من العـرب[231] وغيرهم. إذ يروي القاضي عياض أنه لما ولى أحمد بن الأغلب «أخذ الناس بالمحنة بالقرآن وخطب به بالقيروان» ولم يستثن أبو جعفر أحمد فقيه إفـريقية سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي من ذلك، فجمع له قواده، وقاضيه ابن أبي الجواد وغيرهم وسأله عن القرآن وأنكر الفقيه خلق القرآن وأشار ابن أبي الجواد بقتله ولكن إنتهت المحاكمة بالزامه بالاقامة الجبرية في منزله، ومنعه من التدريس، والأمر بأخذ ثياب من يدخل عليه من تلاميذه وأتباعه مما أثار عامة السنة بمدينة القيروان ضد أبي جعفر أحمد[232].

وقـاد القـائد أحمد بن سفيان بن سوادة التميمي حركة إسترداد سلطة الأمـير الأغلبي الشرعي، فعمـل على تسهيل دخوله أتباع الأمير من العبيد والمـوالي وغـيرهم كسقـائين الى المدينة، حيث أواهم في قصره وكان عددهم ثلاثمائة رجل وجهزهم بالسلاح، لمواجهة أنصار أبي جعفر في جميع أنحاء المدينة.

وتولى القائد عامر بن عون القرشي، مهمة التخلص من عبيد وموالي أبي جعفر أحمد في داخل القصر. فاتفق مع الأمير الأغلبي بأنه سوف يكمن مع أنصاره بقصر الماء مع غروب الشمس، منتظراً إشارة الانقضاض.

أمـا الأمير الأغلبي ففي أحد أيام سنة 232هـ/845م أرسل الطعام والشراب الى المـوكلين ببابه من العبيد والموالي، مظهراً إكرامهم، وما أن أثّر الشراب فيهم، حتى قبلوا تجريدهم من سيوفهم، بحجة إجلائها لهم. وبعد الغروب أقفلت أبواب القصر فأمر الأمير بوضع الشموع المضاءة في أعلى قبة قصره، ودق طبوله كاشارة لانصاره بالتحرك. وسرعان ما انقض عامر القرشي

---

(231) النويري: نهاية الأرب 22: 267ـ269 وقارن ابن الأثير: الكامل 6: 519، ابن عذاري: البيانُ المغرب 1: 108 وما بعدها.

(232) انظر القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 116ـ 117.

27

وأنصاره على عبيد وموالي أبي جعفر أحمد، بداخل القصر، فقتلوهم عن آخرهم، بينما قام أحمد بن سفيان بن سوادة التميمي ومن إنضم إليه من العبيد والموالي بمقاتلة أعوانه بالمدينة الذين أظهروا مقاومة عنيدة، فأرسل الزعيم العربي الى عرب القيروان يستنصر بهم «فأقبلوا إليه في جموع عظيمة وهم ينادون بطاعة محمد» كما نجح الأمير الأغلبي في إطلاق سراح أنصاره وغيرهم الذين كانوا في سجن أخيه[233]. وهكذا سرعان ما وضعت السيوف في أنصار أبي جعفر أحمد من كل جانب فقتلوا وهرب هو إلى قصره.

أدرك أبو جعفر أحمد عدم جدوى المقاومة، وسوء موقفه، وبعد قتل أنصاره من العبيد والموالي، لم يجد غير عصبيته التميمية ملجئاً له، فأخرج خفاجة بن سفيان بن سوادة التميمي من حبسه وقال له «الله، الله، في دمي وحرمي، فانها حرمك! » فقال له خفاجة: «حبستني ظلما منذ سبعة أشهر». فقال: «ليس هذا وقت العقاب فاغثني» وتغلبت العصبية القبلية على ماعداها وخرج الزعيم العربي ممتطياً فرسه وشاكياً سلاحه للدفاع عن بني عصبيته، حتى صاح به عرب القيروان «ياخفاجة، يابن شيخنا، ومن نكرمه ونحفظه، انما اخرجك هذا الملعون من حبسه الساعة بعد سبعة أشهر، فما هذه النصيحة له؟» ورغم إقتناع الزعيم التميمي، بوجهة نظر عرب القيروان، إلاّ أنه رغم ذلك، عمل على الحصول على الأمان له من الأمير الأغلبي، الذي أمر بإخراجه الى مصر، فسار الى العراق حيث توفي بها.

أما الأمير الأغلبي، فقد أغدق على «أهل القيروان ومن نصره، فخلع عليهم جميع ما كان في خزائنه» ولما فرغت، تحول الى ثياب حرمه فوزعها عليهم إبتهاجاً بالنصر[234].

---

(233) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 109. النويري: نهاية الأرب 22: 267_269.

(234) النويري: نهاية الأرب 22: 268_269، ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 182، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 109، ابن خلدون: العبر 4: 256.

نتيجة للصراع حول السلطة في البيت الأغلبي، إندلعت الاضطرابات بالمناطق الحساسة بالامارة الأغلبية مثل إقليم الزاب وتونس. إضافة الى إنقسام رؤساء الجند وكذلك ولاة المدن والأقاليم، بين الاخوين المتصارعين. ففي إقليم الزاب إنتهز سالم بن غلبون، الذي كان والياً على الاقليم من قبل محمد، فرصة الصراع وشق عصا الطاعة[235]. واستولى على مدينة طبنة «وهي مدينة الزاب.. العظمى وهي التي ينزلها الولاة، وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر»[236] وبعد أن استتبت الأمور لمحمد ظل سالم على عصيانه إذ كان موالياً لأخيه أحمد مما جعل الأمير محمد يعزله عن ولايته في 232هـ/845م. ويبدو أن والي الزاب إستهان بالأمير الأغلبي، فزحف إليه بالقيروان، ولكن خلال الطريق عدل عن هدفه وقرر دخول مدينة الأربس (لُربس). إلّا أن أهلها منعوه من دخولها[237]. إذ يصفهم اليعقوبي بأنهم «أخلاط من الناس»[238] ويبدو أنهم راعوا مصالح المدينة وقرروا عدم الزج بأنفسهم في الفتنة. ولذلك زحف الى مدينة باجة «هرى إفريقية» فدخلها وضبطها[239]. وكان المتداولون لولايتها طوال العصر الأغلبي بنو علي بن حميد التميميين، حتى إذ عزل منهم أحد عن ولايتها، لم يزل يسعى ويتلطف ويهادى ويتاحف حتى يرجع إليها، فقيل لبعضهم: «لم ترغبون في ولاية باجة» فقال: «لأربعة أشياء: قمح عندة، وسفرجل زانة، وعنب بلطة، وحوت درنة»[240]. أسرع الأمير محمد بإرسال حملة قوية بقيادة خفاجة بن سفيان ابن سوادة التميمي للقضاء على ثورة سالم وإنقاذ المدينة[241]. «فإن بها تمتار جميع

(235) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 108ـ109.

(236) اليعقوبي: البلدان ص 102.

(237) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 109.

(238) اليعقوبي : البلدان ص 101.

(239) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 109.

(240) انظر البكري: المسالك ص 57.

(241) ابن عذاري : البيان المغرب 1: 109.

البلدان، عربها وبربرها، لكثرة طعامها ورخصه»[242] فقام خفاجة بمحاصرة المدينة ومهاجمتها، حتى اضطر سالم الى الفرار ليلا، فتبعه ولحقه وقتله في 233هـ/846م وأرسل رأسه الى الأمير الذي أمر بضرب عنق ابنه أزهر بن سالم الذي كان محبوساً عنده.[243]

وفي العام التالي اندلعت الثورة بتونس (234هـ/848م)، منافسة القيروان أو «إحدى القيروانين»[244]. «والمخصوصة بالقيام على الأمراء والخلاف للولاة» حتى يروي أنها «خالفت نحو عشرين مرة»[245]. وتولى قيادة الثورة «القويع البلوي» كرواية اليعقوبي[246]. وعمرو بن سليم التجيبي المشهور بالقويع كرواية ابن عذاري[247]. والقوييع كرواية القاضي عياض.

وحاول الأمير محمد بن الأغلب بناء على نصيحة قواده الحصول على فتوى من قاضيه سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي باعتبار القوييع خارجي وجهاده واجب على عامة الناس، حيث أن سحنون داعية مطاع بينهم، إلّا أن القاضي سحنون رفض إعطاء مثل هذه الفتوى بقوله: «غشك من دلك على هذا، متى كانت القضاة تشاورها الملوك في صلاح سلطانها؟»[248].

فأرسل الأمير الأغلبي قائده خفاجة بن سفيان بن سوادة التميمي على رأس حملة كبيرة للقضاء على الثورة وأقام محاصراً للمدينة بقية العام ولكن نتيجة لحصانة المدينة وتوفر المواد الغذائية بها، خصوصاً ثروتها السمكية، حتى شاع

(242) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 160.
(243) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 110.
(244) انظر الحميري: الروض المعطار ص 143.
(245) البكري: المسالك ص 40، مجهول: الاستبصار ص 121، الحموي: معجم البلدان 2: 61.
(246) اليعقوبي: البلدان ص 101.
(247) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 110.
(248) عياض: تراجم أغلبية ص 109.

بين العامة مَثل «لولا البقونس (نوع من السمك)، لم يخالف أهل تونس»[249] لم يتمكن خفاجة من القضاء على الثورة.

وفي العام التالي (235هـ/849م) تولى القائد محمد بن موسى المعروف بعـربان قيادة الحرب ضد القويبع التجيبي ولكن الثائر التجيبي الذي خرج لمقابلة الجند الأغلبي أثار إعجاب موالي الأمير الأغلبي بشجاعته، حتى انضم الكثير منهم الى الثائر فهزم عربان وأسر أحد قواده وقتل كثير من أصحابه وتمكن ولد القويبع من قتل عربان بعد إصابته، وعاد بقية الجيش المنهزم الى مقر الأمير الأغلبي. وفي 236هـ/850م عاد خفـاجـة بن سفيان بن سوادة التميمي لمحـاربة الثائر بتونس ويبدو أن إنتصار الثائر السابق شجعه للخروج لملاقاة خفاجة وجيشه ولكنه هزم وقتل أصحابه وتمكن خفاجة من القبض عليه وقتله وحمـل رأسه إلى الأمير الأغلبي. واقتحم خفاجة مدينة تونس بالقوة في ربيع الأول 236هـ/850م. فاستبـاحـها وسبي نسـاءهـا وعاد إلى القيروان[250] ويرفقته قواده المنتصرين في موكب النصر منهم حاتم الجزري ومعه السبي الذي آل إليه من تونس مما أثـار القاضي سحنون فأمر أتباعه بتخليص السبي من حاتم وإطـلاق سراحهم إذ هم أحـرار ولا سبي عليهم وحينما راجعه الأمير الأغلبي أرسل إليه من يبلغه قوله: «جعل الله حاتماً شفيعك يوم القيامة!». وحينما بلغه أن القائد منصور عاد وبرفقة حرائر من سبي تونس، ركب إليه وانتزع منه ماكان بيده فاشتكاه للأمير الأغلبي، الذي غضب لقائده وصمم على إعادة الحرائر إليه ولكن سحنون أطلق سراح الحرائر. ولم يكتف سحنون بذلك فقط بل وأرسل الى الصوفية بجميع البوادي، يطلب مساعدتهم، فوفد عليه نحو ألف رجل منهم معلنين طاعتهم له. فطلب منهم إختيار مائة رجل من بينهم، كلفهم بالافراج عن الحرائر اللائي أخذن كسبايا بعد اقتحام مدينة تونس. وحينما أثار عمل فرقة الانقاذ الصوفية بالقيروان الأمير الأغلبي، اضطر

(249) انظر البكري: المسالك ص 41، الحميري: الروض المعطار ص 144.

(250) ابن الأثير: الكامل 7: 44، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 110.

القاضي سحنون أن يهدد بالاستقالة، مما دفع الأمير الأغلبي الى التروي في معالجة موضوع سبايا تونس. وحق للامير الأغلبي أن يقول في قضيته مع سحنون «أن سحنون لم يركب لنا دابة، ولا ثقل كمه بصره، ولا أخذ منا رزقاً، ولا تعرض إلينا في مسألة حاجة، فلم يخافنا؟»[251].

أما بالنسبة لنشاط العرب بالجبهة الصقلية في عهد محمد بن الأغلب (226 ـ 242هـ) فقد عمل بنو الفضل بن جعفر الهمداني على استكمال الفتح العربي لجزيرة صقلية، كما تمكنوا من مد النفوذ العربي الى شبه الجزيرة الايطالية. وهمدان بطن من كهلان من القحطانية. وهم بنو همدان بن مالك ابن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن زيد بن كهلان. وديار همدان بشرق اليمن وكانوا شيعة لعلي بن أبي طالب خلال الصراع حول الخلافة مع معاوية ابن أبي سفيان الأموي. ويبدو أن بعضهم انتقل إلى بلاد المغرب ضمن القبائل اليمنية سواء خلال مرحلة الفتوحات أم مرحلة حكم الولاة في العصرين الأموي والعباسي وعملوا بالأسطول البحري[252]، إذ كان عرب اليمن وحضرموت، منذ العصر الجاهلي قد برعوا في ركوب البحر بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية، والمحيط الهندي جنوباً، وبحكم إشتغالهم بالتجارة في البر والبحر في مراحل تاريخهم[253].

ففي 228هـ/843م أرسل الأمير الأغلبي حملة بحرية بقيادة الفضل ابن جعفر الهمداني تمكنت من محاصرة ميناء مسيني، وفي نفس الوقت أرسل الفضل السرايا للاغارة على جنوب شبه الجزيرة الأيطالية، حيث تمكن بعضها

(251) عياض: تراجم أغلبية ص 107، 108، 111، 112، 113.

(252) انظر ابن خلدون: العبر 2: 302، 303، القلقشندي: نهاية الأرب ص 389.

(253) انظر Aly Mohamed Fahmy : Muslim Sea-Power in the Esatern Mediterranean (Cairo 1966) p. 41, 48 ، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ص 13-14.

من مهاجمة مدينة نابل (نابلي) وإرغام أهلها على تقديم المساعدة للعرب، لفتح ميناء مسيني والسيطرة على المضيق الذي يربط الجزيرة بجنوب إيطاليا[254].

وفي 229هـ/43 ـ 844م زحف أبو الأغلب العباس بن الفضل ابن جعفر الهمداني إلى مدينة بثيرة Butera ، حيث أوقع بالروم الهزيمة وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف رجل. وفي 232هـ/46 ـ 847م زحف الفضل بن جعفر الهمداني الى مدينة لنتيني Lentini بصقلية وتمكن من إعداد كمين لمقاتلي المدينة، أفناهم ولم ينج إلاّ القليل منهم، فأسلموا المدينة مقابل الأمان. كما إجتاح العرب جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة طارنت ووصلت غاراتهم حتى مدينة روما[255].

وبتولية العباس بن الفضل بن جعفر بن يعقوب الهمداني إمارة صقلية في 236هـ/851م بدأت مرحلة جديدة بصقلية يصفها ابن عذاري بأن الوالي الجديد «جاهد كثيراً، وغزا طويلا، وكان له في الروم مواقف إذلهم بها»[256]. فقد زحف على رأس حملة في 237هـ/851م الى قصريانة، كما أرسل سرية بقيادة عمه رباح الى قلعة أبي ثور، نجحت في مهاجمة القلعة ثم لحقت بالعباس محمله بالأسرى والمغانم، لتشارك في محاصرة المدينة وإيقاع الدمار بنواحيها. وتوالت حملات العباس المتعددة على مدينة قصريانة التي اتخذها الروم عاصمة لهم، بدلا من سرقوسة المعرضة للغارات البحرية، حتى كادت أن تكون سنوية حتى وفاة الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب في 242هـ/856م[257].

---

(254) ابن الأثير: الكامل 7: 2، ابن خلدون: العبر 4: 257.، أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ص 71، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي 2: 242ـ243.

(255) ابن الأثير: الكامل 7: 2ـ3، ابن خلدون: العبر 4: 257، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي 2: 244ـ245 Vonderheyden : La Berberie Orientale p. 278 .

(256) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 111.

(257) ابن الأثير: الكامل 7: 23، 24، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 111ـ112، وقارن ابن خلدون: العبر 4: 257ـ258.

فخلفه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، (242 ـ 249هـ/856 ـ 863م) ابن أخيه، إذ أن الأمير محمد بن الأغلب كان كوسجا أي وجهه، وجه خصي ليس فيه إلاّ شعيرات يسيرة، عقيمًا[258].

وفي بداية عهــده، ثار خوارج الـبربـر من الأبـاضية بطرابلس سنـة 245هـ/859م، وامتنعوا عن دفع العشور والصدقات، لوالي المدينة عبد الله ابن محمد بن الأغلب أخو الأمير الأغلبي الذي حاربهم ولكنهم هزموه واضطروه الى الانسحاب الى حصن لَبْدَة[259]. «وهو حصن من بنيان الأول، بالحجر والآجر» حيث احتمى بسكانه «من العرب، جملتهم نحو ألف فارس، وهم محاربـون لجميع من يجاورهم من قبـائـل الـبربـر»[260]. «ولا يعطون طاعة لأحد»[261]. وأرسل عبد الله يستمد أخاه المعونة، فأسرع بإرسال الامدادات المطلوبة بقيادة أخيه زيادة الله. وتمكنت الجيوش الأغلبية وفرقة الفرسان العربية من إخضاع الثوار الأباضية من البربر، بعد أن تفشى القتل في البربر وحُرق معسكرهم، فأعطوا رهائنهم كدليل على الطاعة، وأدوا العشور والصدقات[262].

(258) ويروي ابن الأبار أن الأمير محمد بن الأغلب، كان له أخ آخر يسمى أيضا محمد ويكنى أبا عبد الله، كان واليًا على طرابلس من قبله ومات بها في أيامه سنة 233هـ، ومن ولده أمراء بني الأغلب الـولاة بعـد أبي العباس وهذا يصحح ما أورده كل من ابن خلدون والنويري وما ورد بمعجم الأنسـاب للأسرات الحاكمة لزامباور فأحمد هذا ابن أخيه واسمه محمد أيضاً ـ ولقد فطن ابن عذاري لذلك فيروي بعد وفاة محمد «وولى بعده ابن أخيه، أبي ابراهيم أحمد بن محمد» انظر الحلة السيراء 1: 169، البيان المغرب 1: 112، العبر 4: 256، معجم الأنساب 1: 105 وكذلك لم يتنبه لهذا الخطأ فوندرهايدن الذي ألف كتابا ضخمًا عن الأغالبة ص 213ـ216.

(259) ابن الأثير: الكامل 7: 91.

(260) البكري: المسالك ص 9.

(261) الحمُوي: معجم البلدان 5: 10 (مادة لبدة).

(262) ابن الأثير: الكامل 7: 91، النويري: نهاية الأرب 22: 270ـ271، ابن خلدون: العبر 4: 256.

كما تم فتح مدينة قصريانة Castrogiovanni بصقلية، ففي 244هـ/858م زحف العباس بن الفضل الهمداني على رأس حملة برية الى المدينة، حيث تمكن من تدمير نواحيها، كما أرسل حملة بحرية بقيادة أخيه علي ابن الفضل الهمداني الى سرقوسة حيث إلتقت بالأسطول الرومي بقيادة الاقريطشي، فهزم الروم وأخذ العرب عشر شلنديات[263] رومية برجالها. وفي نفس العام أرسل العباس سرية الى قصريانة فاجئت أهلها شتاءاً ونهبت الاقليم وأسرت بعض وجهاء الروم وعادو الى بلرم وحينها أمر العباس بقتلهم، عرض أحدهم إدخال العرب المدينة مقابل حياته.

شكل العباس حملة من ألف فارس، وسبعمائة راجل[264]، من انجاد رجاله، وجعل على كل عشرة رجال مقدماً وزحف بهم الى المدينة ليلا حتى نزل بالقرب من جبل الغدير حيث ثغره بأسوار المدينة، كان يخرج منها ماء نهرها محملا بالأوساخ. فأرسل العباس عمه رباح على رأس خيار أصحابه مع العلج، للتسلل من هذه الثغرة الى المدينة وبقي مع بقية الحملة مستترا ونجح رباح في التسلل مع أصحابه وفاجأ الحرس النائمين وقتلوهم وفتحوا أبواب المدينة فأسرع العباس وجيشه لاقتحام المدينة وقتل جندها وأسر أبناء ملوك الروم وسبي بنات البطارقة وغنم ما لا يحصى من الأموال وذلك في شوال 244هـ/859م[265].

(263) الشلندي كان من المراكب الحربية، التي استعملت في البحر الأبيض المتوسط استخدمه البيزنطيون (الروم) أولا ثم عرفته الدول الاسلامية فيما بعد. وجمعها شلنديات، وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح، وتستخدم كذلك في نقل البضائع. أنظر درويش النخيلي: السفن الاسلامية ص 78ـ81.

(264) يروي ابن الأثير أن عدد هذه الحملة ألفين انظر الكامل 7: ـ24.

(265) انظر ابن الأثير: الكامل 7: 24، النويري: نهاية الأرب 22: 465ـ466، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 112ـ113، ابن خلدون: العبر 4: 258.

ويروي النويري أنه بعد دخول العرب المدينة «بنى العباس فيها مسجداً في يومه ونصب فيه منبراً وخطب عليه الخطيب يوم الجمعة»[266] مما يدل على أن العباس حول كنيسة المدينة إلى مسجد بعد أن تمكن العرب من إعداد منبراً من الخشب للخطيب خلال يومين.

واهتم العباس بقصريانة، فعمرها وحصنها وشحنها بالمقاتلة وتوالت غزواته في جميع أنحاء الجزيرة، ينكي في الروم، ويغنم أموالهم، وفي إحدى غزواته بمنطقة سرقوسة، إعتل في موضع غيران قرقنة Caltagirone ومات في جمادي الآخرة 247هـ/861م ودفن هناك ـ بالقرب من قبر أسد بن الفرات ـ ولكن الروم الذين لم يبالوا بوجود قبر ابن الفرات بأرضهم، نبشوا قبر القائد الهمداني وأخرجوا جثته وحرقوها، إنتقاماً لما أنزله بهم طوال سنوات ولايته للجزيرة التي إستمرت إحدى عشر سنة، داوم فيها جهادهم صيفاً وشتاءاً[267].

استمرت ولاية صقلية في بني الفضل الهمدانيين لمدة عام من 247هـ إلى 248هـ، تناصفها كل من أحمد بن يعقوب، ابن عم العباس، وعبد الله ابن العباس إبنه، لكن يبدو أن صراعاً حول السلطة بالجزيرة، نشأ بين زعماء الأسرة الهمدانية وأنصارهم من العرب، أدى الى تدخل أبو إبراهيم أحمد ابن محمد فنقل السلطة بالجزيرة الى عرب بني تميم، إذ عين خفاجة بن سفيان ابن سوادة التميمي والياً عليها فوصلها في جمادي الأولى 248هـ/862م ومعه ابنه محمد، استمر خفاجة في تنفيذ سياسة عرب بني همدان بالجزيرة والتي تميزت بالعمل على طرد النفوذ البيزنطي منها واستقرار العرب بها[268].

(266) النويري: نهاية الأرب 22: 466. ويروي ابن خلدون أن الأمير الأغلبي «بعث بفتحها الى المتوكل، وأهدى له من سبيها» انظر العبر 4: 256.

(267) انظر ابن الأثير: الكامل 7: 25، ابن خلدون: العبر 4: 258، النويري: نهاية الأرب 22: 466.

(268) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 466، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 113، ابن خلدون: العبر 4: 466، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 253ـ255.

ويذكر ابن خلدون أن الأمير الأغلبي «اتخذ العبيد جنداً» [269] ومن المعروف أن الأمير إبراهيم بن الأغلب هو أول من اتخذ العبيد حرساً له، فاستكثر منهم وجعلهم على خدمته وحراسته في مدينة القصر القديم [270]. حتى يتخلص من سيطرة الجند العربي. وكان هؤلاء العبيد من الخدم الصقالبة الـذين يجلبـون من الأنـدلس بالشراء أو صقلية وسردانية وقلورية ومـالـطة بالسبي [271] ومن الرقيق الأسود الذي يجلب من بلاد السودان التي «كانت وما يحاذيها من نواحي البحر خاضعة للأدارسة» [272] ويذكر الاصطخري أن هؤلاء السودان «ليسوا بنوبة ولا بزنج ولا من البجة، إلّا أنهم جنس على حدة أشد سواداً من الجميع وأصفى» [273] وكـانت بلاد الجريد في عصر الأغالبة مركزاً هاماً لهذه التجارة.

وكان الأمراء الأغالبة، يعلمونهم فنون القتال ليصبحوا جنداً. وقد حل هؤلاء العبيد تدريجياً محل جند العرب [274]. ويبدو أن الأمير أبو إبراهيم أحمد ابن محمد بن الأغلب، إتبع سياسة أسلافه تجاه الجند العربي ففي الوقت الذي زاد في اعطياتهم لضمان طاعتهم وهدوئهم، عمل على شراء العبيد وتحويلهم إلى جند للامارة الأغلبية.

وأهم مآثر أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب، أعماله المعمارية إذ «كـان مولعاًبالعمارة» [275]. ويروي كل من ابن الأثير وابن خلدون أنه «بنى

(269) انظر العبر 4: 256.
(270) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص 277، البكري: المسالك ص 28، النويري: نهاية الأرب 22: 253.
(271) الاصطخري: المسالك والممالك ص 34.
(272) ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص 89.
(273) الاصطخري: المسالك والممالك ص 34.
(274) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 420.
(275) ابن خلدون: العبر 4: 256.

بافريقية نحوا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد»[276]ورغم المبالغة الواضحة في هذه الرواية، إلّا أن النص يدل على إهتمام الأمير الأغلبي بتحصين البلاد. وقد يكون المقصود ببناء هذه الحصون ترميم سلسلة التحصينات التي كانت قد أقامها البيزنطيون على تخوم الصحراء إبتداء من طرابلس شرقاً حتى نوميديا غرباً. وكانت هذه التحصينات تشتمل على قلاع وأبراج تكاد تكون متصلة، ومن هذه القلاع، قلعة جلولاء وتقع على بعد نحو ثلاثين كيلومتر إلى الشمال الغربي من القيروان، وقلعة القصرين على الحدود الغربية لامارة الأغالبة[277]، وقلعة بلزمة ويروي البكري أنها كانت حصن قديم، وقلعة باغاية، وقلعة طبنة التي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزارمرد وسكنها العرب[278]، وحصون مدينة مقرة الكثيرة لعرب بني ضبة ويروي اليعقوبي أنه من مدينة صفاقس الى مدينة بنزرت، «مسيرة ثمانية أيام، وفي جميع المراحل، حصون متقاربة ينزلها العباد والمرابطون»[279]. مما يدل على أن الأمير الأغلبي، قام بتحصين سواحله، لحمايتها من الغزوات البيزنطية البحرية، كما قام بتحصين حدود البلاد الداخلية مع الدولة الرستمية، لحمايتها من البربر الأباضية.

ويروي النويري أن الأمير الأغلبي «زاد في جامع القيروان: البهو والمجنبات والقبة»[280] ويفسر سعد زغلول عبد الحميد بأن المقصود بالبهو، البلاطة المستعرضة في مؤخر بيت الصلاة من جهة الصحن، وما يحيط بالصحن من المجنبات ثم القبة فوق منتصف البهو لتقابل القبة الواقعة فوق المحراب،

(276) ابن الأثير: الكامل 6: 519، ابن خلدون: العبر 4: 246.

(277) انظر البكري: المسالك ص 31، ابن حوقل: المسالك والممالك ص 60 مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 119، الحموي: معجم البلدان 2: 156.، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 448.

(278) البكري: المسالك ص 50، الحميري: الروض المعطار ص 76-77، 103، 387.

(279) اليعقوبي: البلدان ص 102-103.

(280) النويري: نهاية الأرب 22: 271.

وبواسطة القبتين كان يمكن لأهل القيروان تحديد إتجاه القبلة بالخط المستقيم الواصل بينهما[281].

كما يضيف النويري أنه «بنى المسجد الجامع بمدينة تونس»[282]. ولكن الحقيقة أن الأمير الأغلبي أعاد بناء المسجد الجامع بمدينة تونس الذي أنشأه حسان بن النعمان الغساني وجدده ابن الحبحاب مولى بني سلول[283]. وأهميته ترجع الى إحتفاظه بعناصره المعمارية والزخرفية الأولى منذ نشأته، ثم لشهرته كجامعة علمية قديمة مازالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه. وقام أبو إبراهيم أحمد بن محمد بإعادة بناء المسجد في نهاية فترة حكمه وتوفي قبل إتمام البناء في 249هـ، فأتمه أخوه أبو محمد زيادة الله الثاني، الذي لم تطل فترة ولايته فتوفى بعد عام في ذي القعدة 250هـ/864م[284].

كما إهتم الأمير الاغلبي بمدينة سوسة، التي كانت قاعدة بحرية هامة، ويحيط البحر بها من ثلاث نواح: الشمال والجنوب والشرق. فأمر في 245هـ/859م ببناء سورها من الصخر المنيع الحصين المتقن البناء، حتى يتحمل ضربات الموج، كما يحمي المدينة من تهديد الأساطيل البحرية المعادية[285].

ونظراً لاعتماد كل من مدينتي القيروان والقصر القديم (العباسية) على

---

(281) يروي ابن عذاري أن هذه الزيادات تمت في 248هـ، بينما يحددها سعد زغلول عبد الحميد في 242هـ انظر البيان المغرب 1: 113، تاريخ المغرب العربي 2: 101ـ102.

(282) النويري: نهاية الأرب 22: 271.

(283) البكري: المسالك ص 37، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس ص 16ـ17.

(284) ولعل ذلك هو السبب في أن أسمى هذين الأميرين لم يسجلا في النقش التذكاري بقبة المحراب: «بسم الله الرحمن الرحيم. مما أمر بعمله نصير مولاه، سنة 250هـ ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ـ صنعة فتح» فهو يحمل اسم الخليفة العباسي، والفتى الخادم نصير، والمهندس البناء فتح. انظر أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ص 255، 256، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 435ـ436.

(285) البكري: المسالك ص 34، الحموي: معجم البلدان 3: 281ـ282.، النويري: نهاية الأرب 22: 271، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 23.

مياه الأمطار، اهتم ولاة إفريقية ببناء المواجل (الصهاريج)، والخزانات، والقناطر، لتوفير المياه اللازمة للسكان. ولما آل حكم إفريقية للأغالبة، حرص أمراؤها على ذلك ويعتبر أبو إبراهيم أحمد بن محمد أكثر بناة هذه الأسرة نشاطاً ففي سنة 246هـ/860م بدأ بناء الماجل الكبير بباب تونس بالقيروان. وتم في 248هـ/862م وكان على شكل صهريج عظيم مستدير الشكل، يبلغ قطره نحو مائة وخمسين متراً. ويروي صاحب الاستبصار «في وسطه صومعة مثمنة، وفي أعلاها قبة مفتحة على أبواب، فإذا وقف الرامي على ضفته، ورمي بأشد ما يكون من القسي، لايدرك الصومعة التي في وسطه. وكان على ذلك الماجل قصر عظيم فيه من البناء العجيب والغرف المشرفة على ذلك الماجل كل شيء غريب»[286]. وتكسو سطوحه من الداخل طبقة من الملاط شديد الصلابة، وكانت مياه الأودية تجرى اليه وتصب فيه[287] وحينما هطلت السيول بشدة في 247هـ/861م وهدمت قنطرة أبي ربيع التي قام بإنشائها زيادة الله الأول والتي كانت تحمل الماء من الجبل القريب من القيروان الى المدينة[288]، أمر أبو إبراهيم أحمد بإعادة إصلاحها وتجديد وبناء الماجل الذي كانت تصب فيه المياه بباب أبي ربيع[289]. ويروي النويري «وكان آخر ما عمل الماجل الذي بالقصر القديم، فلما فرغ اعتل أبو ابراهيم، فكان يسأل هل دخله الماء، الى أن دخله، فعرفوه فسر به وأمرهم أن يأتوه بكأس مملوءة منه فشربها. وقال: «الحمد لله الذي لم أمت حتى كمل أمره»[290].

---

(286) انظر الاستبصار في عجائب الامصار ص 115

(287) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 113، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 23 حاشية (1)، حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص 68، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: 458.

(288) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 113.

(289) النويري: نهاية الأرب 22: 271.

(290) النويري: نهاية الأرب 22: 271.

وساعد الأمير الأغلبي، للقيام بهذا النشاط العمراني، المغانم والاسلاب التي غنمهـا العـرب من جزيرة صقلية وجنـوب إيطاليا، ففي حوليات ابن عذاري[291] السنوية، خلال إمارة أبي إبراهيم أحمد، لم يمر عام، إلاّ وسبى العرب وغنموا وعند الاستيلاء على قصريانة «وجد المسلمون بها ما لايحصى من الأموال»[292]. وأصابوا «فيها ما يعجز الوصف عنه» حتى زف الأمير الأغلبي خبر فتحها الى الخليفة المتوكل على الله العباسي «وأهدى له من سبيها» وفي الوقت الذي زاد في عطاء جند إفريقية من العرب وغيرهم[293]. يروي كل من ابن عذاري والنويري أن الأمير، كان يركب خلال ليالي شعبان وشهر رمضان وبـين يديه الشمـوع، ويخرج من القصر القديم، حتى يدخل من باب أبي الربيع بالقيروان، ومعه دواب محملة دراهم فيأمر بإعطاء من لقيه حتى ينتهي الى المسجد الجامع بالقيروان. كما كان يقصد دور العلماء والصالحين بالقيروان فيأمر بقرع أبوابهم، فإذا خرجوا إليه أمر بإعطائهم من ذلك المال.[294] ولذلك حق لأهل القيروان وضيوفهم أن يترحموا عليه بعد وفاته في ذي القعدة 249هـ/863م[295].

وخلفه أخوه **أبو محمد زيادة الله (الثاني) بن محمد بن الأغلب المعروف بالأصغر** (249 ـ 250هـ/ 863 ـ 864م) فكانت ولايته سنة واحدة وسبعة أيام وتتفق المصـادر أنـه «كـان عالمـاً، عاقـلاً، جميلاً، حسن السيرة، جميل الأفعال، ذا رأي ونجدة، وجود وشجاعة»[296] أما عن أعماله فهو الذي أتم

(291) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 112ـ113.

(292) النويري: نهاية الأرب 22: 466.

(293) انظر ابن خلدون: العبر 4: 256، 258.

(294) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 112، النويري: نهاية الأرب 22: 272.

(295) النويري: نهاية الأرب 22: 271.

(296) النويري: نهاية الأرب 22: 272، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 114، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 3: 24ـ25.

أعمال أخيه المعمارية للمسجد الجامع بمدينة تونس، كما كتب الى خفاجة ابن سفيان بن سوادة التميمي بإقراره على ولاية صقلية وحروبها وخلع عليه[297].

وتولى الامارة بعده **أبي عبد الله محمد ابن الأمير السابق أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب** (250 ـ 261هـ / 864 ـ 875م) الذي عرف بأبي الغرانيق، نسبه لشغفه بصيدها[298].

ويذكر النويري ـ الذي ينفرد بهذه الرواية ـ «وكان في أيامه حروب منها إضطراب ثغر الزاب»[299] أي أن بلاد الزاب التي تقع على حدود إمارة الأغالبة الغربية، كانت جبهة قتال، لمتاخمتها للدولة الرستمية. وإذا علمنا أن هذه المنطقة، كانت مجال لاستقرار بعض بطون قبيلة هوارة من البربر البتر، وأن قبيلة هوارة «كان فيهم تشيع قديم»[300]. كما كان بعضهم «على رأي الخوارج الأباضية»[301] أدركنا أسباب ثورة بلاد الزاب، التي تعتبر حلقة في سلسلة الصراع بين الامارة الأغلبية السنية، والدولة الرستمية الأباضية.

ولذلك أرسل الأمير الأغلبي قائده أبا خفاجة محمد بن إسماعيل على رأس حملة كبيرة لاخضاع بلاد الزاب. وصلت أولا الى بلاد الجريد ومدنها تهودة وبسكرة حيث أعلن أهلها الطاعة ثم زحف إلى طبنة عاصمة الزاب ومقر ولاتها، حيث إنضم إليه حي بن مالك البلوي[302]. نسبه إلى قبيلة بلي، بطن

(297) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 113ـ114.

(298) الغرانيق، طائر مائي عريض الجناح، طويل الساق، ولذلك بني الأمير الأغلبي قصرا في السهلين لصيدها انفق فيه ثلاثين ألف دينار. انظر النويري: نهاية الأرب 22: 272.

(299) النويري: نهاية الأرب: 22: 272.

(300) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 167.

(301) الحميري: الروض المعطار ص 126. ولذلك حينما نشأت ثورة ابي يزيد الخارجي ضد الدولة الفاطمية انضم بنو كملان من بربر هوارة الى الثورة الخارجية ضد الفاطميين. انظر ابن خلدون: العبر 4: 53، 56.

(302) النويري: نهاية الأرب 22: 273.

من قضـاعة من القحطانية[303]. على رأس فرسان عرب مدينة بلزمة[304]. ويروي اليعقوبي أن «أهلها قوم من بني تميم، وموالي لبني تميم»[305]. ويرجح إستقـرار أقلية يمنية بجوار الأغلبية القيسية التميمية، مما يفسر وصول أحد زعماء اليمنية لقيادة فرسان بني تميم.

زحف القائد الأغلبي مع جنده وفرسان بلزمة من العرب إلى مدينة أبة وهـي «آخـــر مدن الـــزاب. . . في آخـــر عمـــل بني الأغلب ولم يجاوزهـــا المسودة»[306]. فنازلها فأعلن البربر الطاعة وبذلوا له الرهائن والخراج والعشور والصـدقـات، فلم يقبل منهم وصمم القائد الأغلبي على إخضاع بربر بني كمـلان من هوارة ورئيسهم مهلب بن صولات بالقـوة. وحـاول بنو كملان الحصول على الأمان مقابل دفع ما يفرضه عليهم القائد الأغلبي من ضرائب ولكنه صمم على مقاتلتهم. وما أن إندلعت المعركة حتى هزم القائد الأغلبي وقتل ومعه جماعة من القواد وكثير من الناس وانسحب بقية الجيش الى مدينة طبنة. ويروي النويري أن سبب الهزيمة «حي بن مالك من أهل بلزمة»[307] مما يدل أن عرب بلزمة لم يعدوا يعطون الود خالصاً لعصبيتهم بني تميم بالقيروان.

أما الجبهة الصقلية، فبينما كان الأمير الأغلبي، غارقاً في اللهو والطرب والاشتغال بالصيد واللذات والشراب[308] وقع عبء استكمال فتح الجزيرة على بني سفيان التميميين مثل واليها خفاجة بن سفيان بن سوادة. وابنه محمد ابن خفاجة. وأخوه عبد الله بن سفيان بن سوادة. وتوالت حملات وسرايا العرب

(303) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 170، 171.

(304) النويري : نهاية الأرب 22: 273.

(305) اليعقوبي : البلدان ص 103.

(306) يطلق عليها اليعقوبي أربة أنظر البلدان ص 103، الحموي: معجم البلدان 1: 85، النويري: نهاية الأرب 22: 273.

(307) النويري : نهاية الأرب 22: 273.

(308) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 114، النويري: نهاية الأرب 22: 274

بالجـزيرة بصفـة دورية سنـوية اعتبـاراً من 251هـ/865م إلى رجب 255هـ/869م حيث تم اغتيال خفـاجـة بن سفيان بيد خلفـون بن زياد الهواري. والغريب في الأمر أن القاتل نجح في الهرب ولجأ الى الروم بمدينة سرقوسة[309] مما يرجح أن الأمر لا يخلو من مؤامرة دبرها الروم، لوضع السَفِين بين عناصر الفتح المشكلة من العرب والبربر وغيرهم كما أن ابنه محمد ابن خفاجة الذي آلت إليه ولاية الجزيرة بترشيح زعماء الجند العربي وموافقة الأمير الأغلبي لمدة سنتين من 255هـ/869م إلى 257هـ/871م، تم خلالهما فتح جزيرة مالـطة على يد أحمـد بن عمـر بن عبـد الله بن الأغلب في سنـة 255هـ/869م وكسب العـرب نفـوذاً جديداً في البحـر المتـوسط وتـأكدت سيطرتهم الكاملة على المضايق الواقعة بين صقلية وإفريقية[310]. والاغارة على إقليم سرقوسة بقيادة عبد الله بن سفيان بن سوادة، إلاّ أن خدام القائد محمد ابن خفاجة التميمي من الخصيان، نجحوا في إغتيال والي صقلية وهربوا ولكن عصبيته تمكنت من القبض عليهم وقتلهم[311].

بإنتهاء مرحلة حكم بني سفيان التميميين عادت صقلية مرة أخرى الى قيادة بني الفضـل الهمدانيين، إذ عندما قرر زعماء قواد عرب صقلية ترشيح محمد بن أبي الحسين وكتبوا الى افريقية بذلك، اعترض الأمير الأغلبي وعين عوضاً عنه القائد رباح بن يعقوب على صقلية، وأخوه عبد الله بن يعقوب على الأرض الكبـيرة (أي جنـوب ايطاليا). وهذا يعني أن الممتلكات العربية في إيطاليا، أصبحت من الاتساع والأهمية، بحيث أصبح من الضروري تعين والي خاص، مستقل عن صقلية. ولكن سرعان ما توفي رباح بن يعقوب في

(309) النويري : نهاية الارب 22: 446، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 115.

(310) Ostrogorosky (G) : History of the Byzantine State P. 210 ، أرشيبالـد لويس : القـوى البحـرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص 217..

(311) ابن الاثير: الكامل 7: 41، 99، النويري: نهاية الأرب 22: 273، 466، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 115، ابن خلدون: العبر 4: 257.

المحرم 258هـ/871م، ثم لحق به أخوه عبد الله في الشهر التالي بإيطاليا. وعندما إختار القواد العرب أبا العباس بن عبد الله بن يعقوب لأمارة الجزيرة، لم يلبث إلّا أشهراً ثم مات، فعهدوا بقيادتهم إلى أخيه، ولكن الأمير الأغلبي عين الحسين بن رباح - ابن عم المعزول - بدلا منه، ثم استبدله بعبد الله ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب التميمي اعتباراً من شوال 259هـ/873م.(312).

أما عن الحركة المعمارية في عهده فيذكر النويري أن الأمير الأغلبي «بنى قصراً في السهلين لصيد الغرانيق، أنفق فيه ثلاثين ألف دينار»(313) ويضيف ابن عذاري أنه في 252هـ/866م بنى محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي المعافري(314) أو الجذامى(315) (وكلاهما من اليمن) المسجد الشريف المنسوب إليه بالقيروان، ويعرف بمسجد الأبواب الثلاثة، بناه بالآجر والجص والرخام، وتعتبر زخارف واجهته من أروع الزخارف المنسوبة إلى عصر الأغالبة، كما بنى فيه جباباً للماء (الصهاريج)(316). ثم يروي ابن خلدون «وبنى محمد حصوناً

(312) النويري: نهاية الأرب 22: 466-467، وقارن ابن الأثير: الكامل 7: 99، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 115.

(313) أنظر البيان المغرب 1: 114.

(314) نفس المصدر والصفحة.

(315) يروي ابن حيان عن محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق أن بني حمدون الجذاميين دخل جدهم عبد الحميد الأندلس واستقر في كورة إلبيرة بإحدى قرى قلعة يحصب ثم انتقل حفيده حمدون الى قرية قسطلنانة بجوار موقع مدينة بجاية، واستقر بها ونسله من بعده، ومحمد بن حمدون بن سماك الأندلسي، أحد زعمائهم، يبدو أنه استقر في وقت ما بالقيروان في مرحلة الشباب، إذ نراه خلال بداية الدولة الفاطمية، يعتبر أحد زعماء الشيعة ويعرف بأبي عبد الله الأندلسي ويروي القاضي النعمان أنه كان يعمل معلما بسوجمار من أرض سماتة، وكان له فهم وحده ومعرفة، وصار إلى درجة العلماء. واستقبل أبو عبد الله الداعي الشيعي وصحبه إلى أرض كتامة أنظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 68، 70، ابن حيان: المقتبس (قطعة حجي) ص 33-34، ابن خلدون: العبر 4: 42.

(316) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 114. Marçais (G) : l'Architecture musulmane d'occident p. 47-48

ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة الى جهة المغرب وهي الآن معروفة»[317] ويعني تكرار قيام الأمراء الأغالبة ببناء الحصون والمحارس والرباطات على ساحل البحر وداخل البلاد بصفة دورية، ما يفيد قيامهم بإصلاحها وترميمها، خصوصاً أن الأمير الأغلبي مر بتجربة بحرية قاسية، إذ يروي أن الأمير خلال إحدى رحلات الصيد التي شغف بها بمدينة سوسة شرب الأمير حتى ثمل وما أن أفاق حتى وجد نفسه بجزيرة قوصرة وهي تقع بين صقلية وإفريقية، وكانت مكمن للغزاة من المسلمين والروم، فعاد الى سوسة مذعورا خوفاً من الوقوع بأيدي الروم أسيراً.[318] خصوصاً وأن الأساطيل البيزنطية هددت ـ فعلا ـ شواطىء إفريقية[319]

كما تميزت فترة حكم الأمير الأغلبي، بظهور التنافس بين فقهاء المالكية بقيادة كل من محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي اليمني، فقيه إفريقية،[320]، ومحمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير، مولى قريش[321]. والحنفية بقيادة أبي الربيع سليمان بن عمران بن أبي هاشم العراقي الملقب بخروفة قاضي القيروان[322] وابن أبي الحواجب صاحب الصلاة.

ويروي القاضي عياض أن محمد بن سحنون هو الذي رشح سليمان ابن عمران لشغل وظيفة الكتابة عند أبيه ثم ولاه قضاء باجة، فلما مات سحنون وتولى سليمان قضاء القيروان، تدهورت العلاقات بينهما، وتطورت حتى اضطر

(317) ابن خلدون العبر 4: 257.

(318) انظر البكري : المسالك ص 45، الحموي: معجم البلدان 4: 413، النويري: نهاية الأرب 22: 274، الحميري: الروض المعطار ص 485 ـ 486.

(319) Runciman (S) : Byzantine civilisation p. 39.

(320) أنظر الخشني: الطبقات ص 129ـ133، القاضي عياض: ترتيب المدارك 4: 204ـ222، تراجم أغلبية 170ـ188، الدباغ: معالم الايمان 2: 122ـ136.

(321) القاضي عياض: ترتيب المدارك 4: 222ـ228.

(322) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 112.

ابن سحنـون الى طلب أمـان الأمـير الأغلبي، خوفاً على حياته من صديقه القديم. ولكن صاحب الصلاة - زميل القاضي - تابع ابن سحنون بالمضايقة والسب، حتى دفـع ابن سحنـون، للتـآمـر مع الـوزير أحمـد بن محمـد الحضرمي[323]، من قبيلة حضرمـوت القحـطانية اليمنية، [324]للعمـل على التخلص من منافسيه، فعزل ابن أبي الحواجب صاحب الصلاة، وعين عبد الله بن أحمد بن طالب بن سفيان بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، من عصبية الأمير الأغلبي وقريبه عوضاً عنه[325].

وسرعـان ما تمكن ابن طالب التميمي[326] من شغـل وظيفـة قاضي القـيروان وعـزل سليمان. وخلال فترة قضائه «كان وجه ابن طالب إلى ابن سحنون، وقلبه الى ابن عبدوس» أي كان يشاورهما في أحكامه وفيما يعرض عليه من قضايا وهكذا حقق فقهاء المالكية نصراً، لن يدوم إذ سوف يعزل ابن طالب التميمي ويبدو أن ذلك أثار سخط الفقيه الزاهد ابن عبدوس فسخط على الأمـير الأغلبي، الى أن مرض لمدة طويلة حتى لقب بالميت، وتوفي في جمادي الأولى 261هـ/875م[327].

وآلت إمارة افريقية الى أبي اسحق **إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن الأغلب** (261 - 289هـ / 875 - 902م). بناء على طلب عرب القيروان، وشيوخ أهل إفريقية ووجوهها من العرب بشكل عام وجماعة بني الأغلب التميميين بشكل خاص. إذ كان أبو الغرانيق قد بايع لابنه أبي

(323) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 178-180.
(324) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 218.
(325) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 178-180.
(326) المالكي: رياض النفوس 1: 474-478، القاضي عياض: ترتيب المدارك 4: 308-331. الدباغ: معالم الايمان 2: 159-174.
(327) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 190، 192، 208، النويري: نهاية الأرب 22: 272.

العقال من بعده، واستحلف إبراهيم بن أحمد أخاه خمسين يمنيا بجامع مدينة القيروان أن لا ينازعه في ملكه وذلك بحضرة شيوخ بني الأغلب وقضاة القيروان وفقهائها. فلما مات أبو الغرانيق، كان إبراهيم والياً للقيروان.[328]، فأتاه أهلها «من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان» وغيرهم من السكان[329] معلنين كارهيتهم لامارة أبي العقال الذي كان لاشك طفلا[330] وعارضين عليه الامارة «فبايعه مشايخ أهل إفريقية ووجوهها، وبايعه جماعة بني الأغلب»[331]. وهكذا أتى ابراهيم إلى عرش الامارة على أكتاف العرب.

وأولى أعماله، بناء مدينة رَقّادَة وتتفق المصادر الجغرافية[332] بأنها كانت تقع على بعد أربعة أميال من القيروان، شرع إبراهيم بن أحمد في تأسيسها سنة 263هـ/876م[333]، وهي الحاضرة الثانية للامارة الأغلبية، وأصبحت منذ إتمام بناءها مقر أمراء بني الأغلب حتى انقراض دولتهم.

أما عن سبب تسمية العاصمة الجديدة، وأسباب بنائها بجوار العاصمة الأولى (العباسية) فتتفق المصادر أن أحد أمراء بني الأغلب أرق وشرد عنه النوم أياماً، فعالجه إسحاق المتطبب وأمره بالخروج والتنزه والمشي، فلما وصل الى موضع رقادة نام فسميت من يومئذ، واتخذت موضع فرجة ومتنزها للامراء. إذ لم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا أعدل نسيمًا وأرق تربة منها ولذلك بنى إبراهيم

(328) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 116، النويري: نهاية الأرب 22: 274.

(329) اليعقوبي: البلدان ص 100.

(330) إذ يروي النويري أن أبا الغرانيق توفي وهو ابن أربع وعشرين سنة وبالتالي فلن يتجاوز ابنه العاشرة أنظر نهاية الأرب 22: 273.

(331) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 116.

(332) ما عدا اليعقوبي الذي يحدد المسافة بثمانية أميال والحميري الذي يذكر المسافة بأربعة أيام أنظر البلدان ص 100، البكري: المسالك ص 27، مجهول: الاستبصار ص 116، معجم البلدان 3 : 55، الحميري : الروض المعطار ص 271.

(333) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 117، النويري: نهاية الأرب 22: 275.

عاصمته بها وجعلها دار مملكته ومسكنه[334]. ويضيف كل من البكري وياقوت الحموي أن أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري زعيم الخوارج الأباضية بطرابلس، لما زحف لقتال ورفجومة بالقيروان بعد ان تغلبوا عليها، التقى بهم بموضع رقادة وهي إذ ذاك منية، فقتلهم هناك قتلا ذريعاً، فسميت رقادة، لرقاد قتلاهم بعضهم فوق بعض[335]. وإذا كان إبراهيم الأول أسس مدينة العباسية (القصر القديم) لكي يتخلص من سيطرة الجند العربي بالقيروان، فقد قام إبراهيم الثاني بتأسيس رقادة لكي يتخلص من عنصر الصقالبة والفتيان الذين تسرب نفوذهم الى قصور أمراء الأغالبة بالقصر القديم. ويبدو أنه قرر استبدالهم بالجند من السودان، كما سبق واستبدل الخليفة المعتصم العباسي العنصر الفارسي، بالعنصر التركي.

وهذا لا يمنع أن الأمير الأغلبي، قد أراد التخلص كذلك من العنصر العربي ممثلا في عصبيته من بني تميم المستقرين بالقصر القديم والذين إزداد عددهم بمرور الوقت حتى شكلوا مركز قوة[336]. وكذا التخلص من نفوذ علماء وفقهاء أهل السنة بالقيروان من العرب ومواليهم الذين أثاروا المشاكل للامارة بوقوفهم كمدافعين عن حقوق العامة من الناس.[337].

ويروي الرقيق أن تخطيط المدينة تم على مساحة أربعة عشر ألف ذراع[338] بينما تجمع أغلبية المصادر أن مساحة المدينة، كانت أربعة وعشرون ألف ذراع[339]. مما يرجح أن الرواية الأولى، تشكل مساحة المدينة في بدايتها

(334) أنظر البكري: المسالك ص 27، مجهول: الاستبصار ص 116، الحموي: معجم البلدان 3: 55، الحميري: الروض المعطار ص 271.

(335) أنظر معجم البلدان 3: 55 والمسالك ص 28.

(336) أنظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 209، النويري: نهاية الأرب 22: 276.

(337) أنظر المالكي: رياض النفوس 1: 447، 453، 485، 489.

(338) أنظر النويري: نهاية الأرب 22: 275.

(339) البكري: المسالك ص 27، مجهول: الاستبصار ص 116، الحموي: معجم البلدان 3: 55، الحميري: الروض المعطار ص 271.

كمدينة عسكرية يقيم بها جند الأمير الأغلبي وعبيده، أما الرواية الثانية فهي تحدد مساحة المدينة عند ازدهارها واتساعها. ورغم المبالغة في مساحة المدينة، إلّا أنه يمكن قبولها، لأن أغلبية مساحة المدينة «أكثرها بساتين» أما بقية المساحة «قصوراً عديدة، وجامعا، وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق»[340]. وكان من قصورها: قصر بغداد، والمختار، والفتح، وقصر البحر، وقصر العروس، وقصر الصحن[341] حتى صارت رقادة، قبل نهاية عهده، أكبر من القيروان[342].

ويروي القاضي النعمان أنه عند تأسيس المدينة وطوال عهد الأمير إبراهيم بن أحمد، لم يكن عليها سور، وإنما كان عليها خندق وأبواب فقط، ولما انتقل زيادة الله الثالث اليها لمقاومة النفوذ الفاطمي في أواخر الامارة الأغلبية «أبتني سورها»[343] وإليه كذلك ينسب إنشاء الصهريج الكبير والقصر المواجه له، اللذين كان من مفاخر رقادة. وكان طول الصهريج خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع حتى سمي بالبحر. أما عن قصر البحر والذي سمي «العروس» فكان مكون من أربع طوابق انفق فيه 232 ألف دينار وكان مضرب المثل في الفخامة والأبهة[344]. حتى «كان عبيد الله الشيعي يقول: رأيت بافريقية شيئين ما رأيت مثلهما بالمشرق. الحفير (الماجل) بباب تونس من القيروان، يعني الماجل الكبير، والقصر الذي برقادة المعروف بقصر البحر»[345].

ولذلك ما أن انتقل الأمير الأغلبي الى قصر الفتح بعد اكتمال بنائه بمدينة رقادة في 264هـ/877م حتى ثار الموالي من الصقالبة بالقصر القديم،

(340) البكري: المسالك ص 27.
(341) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير 2: ج7 4.
(342) أنظر ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 176
(343) أنظر رسالة افتتاح الدعوة ص 148.
(344) انظر ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 176.
(345) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 115.

وعندما أمر إبراهيم بقتل زعيمهم مطروح بن أم بادر، إزدادت ثورتهم وقطعوا الـطريق بين القيروان ورقادة ومنعوا الاتصال بينهما. وحرض الأمير الاغلبي عرب القيروان وغيرهم على مواليه لعصيانهم وقطعهم الطريق وتهديد مصالح العامة. فخرج أهل القيروان لمهاجمة الموالي بالقصر القديم. وما أن أدرك الموالي أنه لا قبل لهم بمواجهة أهل القيروان، حتى طلبوا الأمان من الأمير الأغلبي، فتظاهر بإعطائهم إياه. فلما جاء وقت قبض أرزاقهم، حينما يتقدم الرجل منهم للحصـول على مرتبـة، يجرد من سلاحـه، حتى أصبحوا جميعاً بلا سلاح، فحبس بعضهم بسجن القيروان حتى ماتوا فيه، وقتل بعضهم ضرباً بالسياط وصلبوا. أما من بقي منهم فقد نفي الى جزيرة صقلية(346).

ويروي النـويري أن الأمـير الأغلبي استعـاض بمـواليه من الصقالبة «بشراء العبيد، فاشـترى منهم عدد كثير، وحملهم وكسـاهم، وأخرجهم في الحـروب فظهـر منهم شجاعة وجد وقوة(347) وسياسة إبراهيم الثاني هنا هي إمتداد لسياسة الأمراء الأغالبة مثل إبراهيم الأول وأبو إبراهيم أحمد بن محمد في الاكثار من شراء العبيد سواء كانوا من الصقالبة أو السودان بهدف القضاء على سيطرة الجند العربي، ولم يقتصر هذا الأمر على إمارة الأغالبة بإفريقية فقط بل نجده كذلك في الأندلس إذ أن الأمويين استخدموا مماليكهم من الصقالبة في الادارة والجيش للحـد من نفوذ الارستقراطية العربية في الحكم واضعاف سيطرة الجند العربي(348). وهكذا نرى أن الأمير الأغلبي إعتمد على العبيد من السودان في جيشه بدلا من الصقالبة. أي على رقيق جنوب الصحراء بإفريقيا. بدلا من رقيق أوربا وصقلية الذي استمر ـ بشكل محدود ـ في قصور الأغالبة كخـدم ونـدمـاء وحـرس وفي الادارة كحجاب وغيرها من الوظائف المتعلقة بالقصر. ولكن يبدو أن الصقالبة لم يكن ودهم خالصاً للأمير الأغلبي، اذ نرى

(346) النويري: نهاية الأرب 22: 276.

(347) أنظر نهاية الأرب 22: 276.

(348) أنظر أحمد مختار العبادي: الصقالبة في اسبانيا ص 12.

إبراهيم بن أحمد يأمر بضرب فتح حاجبه بالسياط حتى الموت، كما يصدق ما يروجه المنجمون والكهنة «أنه يقتله رجل ناقص العقل» فتتبع خدامه من الصقالبة، يقتل كل فتى «فيه حركة ونشاط وحدة»(349) حتى تآمر جماعة من الخدام والصقالبة للتخلص من الأمير الأغلبي ووالدته، ولكنه إكتشف مؤامرتهم ونكل بهم وقتلهم.

واستكثر إبراهيم بن أحمد من شراء السودان، لاستخدامهم عوضا عن الصقالبة ويروي النويري في أحداث سنة 278هـ/891م «أمر إبراهيم بشراء العبيد السودان، فبلغت عدتهم مائة ألف، فكساهم وألزمهم بابه، وجعل عليهم ميموناً وراشداً»(350) ولاشك أن النويري يبالغ كثيراً في هذا العدد الذي يمكن إنقاصه الى العشر. وهذا ما ترجحه رواية المصادر الأخرى فابن عذاري يروي أنه «جمع منهم خمسة آلاف»(351). وابن خلدون يذكر أنه «استركب العبيد السودان، واستكثر منهم فبلغوا ثلاثة آلاف»(352). ويبدو أن الكثير منهم من بقايا الحملة الطولونية الفاشلة على إفريقية. إذ بعد عودة جندها إلى مصر، فضل بعضهم الهروب إلى إفريقية والعمل كجند بالجيش الأغلبي، خوفاً من عقاب والي مصر القوي أحمد بن طولون.

إذ في 265هـ/878م تعرضت حدود إفريقية الشرقية، لمغامرة عسكرية طولونية (353)، فقد حاول العباس بن أحمد بن طولون تأسيس إمارة مستقلة

(349) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 122ـ123.
(350) النويري: نهاية الأرب 22: 278 ـ 279.
(351) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.
(352) ابن خلدون: العبر 4: 260.
(353) إذ استغل العباس بن أحمد بن طولون غياب والده بالشام وقام بانقلاب ساعده فيه عدد من كبار القواد واستولى على ما كان في بيت المال في مصر من أموال وخرج على رأس ثمانمائة فارس وعشرة آلاف راجل من السودان، معهم خمسة آلاف جمل في ربيع الأول 265 هـ/878 م حيث استقر في مدينة برقة لمدة عام تقريبا. أنظر ابن الأثير: الكامل 7: 324، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 118.

بإقليم برقة الذي كان تابعا لولاية مصر الطولونية وغيره من أقاليم الامارة الأغلبية الشرقية مثل طرابلس وغيرها. وما يهمنا من هذه المغامرة العسكرية أن مجالها المكاني الذي كان منطقة استقرار للقبائل العربية، ودور هذه القبائل في هذه الحملة.

إذ بعد وصول الحملة الى برقة ومكاتبة العباس بن أحمد بن طولون لزعماء القبائل البربرية والعربية المستقرة بالمنطقة كتب الى الأمير الأغلبي مدعيا «أن أمير المؤمنين (العباسي) قد قلدني أمر افريقية وأعمالها» وفتح حصن لبدة أبوابه للأمير الطولوني في جمادى الأولى سنة 266هـ/879م دون مقاومة[354]. مما يرجح استجابة العرب المستقرين بالحصن لدعوة العباس بن أحمد بن طولون، إذ يروي البكري أن الحصن كان في غاية المتانة والحصانة كما أن العرب المستقرين به تمكنوا من تجنيد ألف فارس مجهزين بالسلاح كمحاربين للدفاع عن الحصن وحماية استقلاله، وفرضوا سيطرتهم على من جاورهم من قبائل البربر ومقاتليهم البالغ عددهم عشرين ألف ما بين راجل وفارس[355] وبدلا من إستئلاف العباس لزعماء العرب بالحصن، أساء رجاله من السودان معاملة أهل لبدة أسوأ المعاملة ونهبوهم. كما أن الأمير الطولوني عندما زحف الى مدينة طرابلس وقام بمحاصرتها لمدة شهر ونصف تقريباً، كان جنده من السودان يغيرون على أهل البوادي في نواحي المدينة ويسيئون معاملتهم، حتى قيل أنهم اعتدوا على الحرم وهتكوا الستر[356] وإذا علمنا أن المدينة كانت منطقة لاستقرار العرب[357]، أدركنا أن عرب طرابلس ونواحيها سنوف ينضمون لمقاومة الحملة

(354) أنظر الكندي: الولاة والقضاة ص 222، ابن الأثير: الكامل 7: 324، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 118ـ119.

(355) أنظر البكري: المسالك ص 9، وقارن الحموي الذي يحدد مقاتلي البربر بمائة ألف ما بين فارس وراجل. أنظر معجم البلدان 5: 10.

(356) أنظر ابن الأثير: الكامل 7: 324، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 119.

(357) أنظر اليعقوبي الذي يذكر سكان المدينة «وأهلها أخلاط من الناس» وكذا الحموي الذي يقدم بعض تراجم العلماء بطرابلس خلال القرنين الثاني والثالث وينتسبون إلى عرب عجيلة وبني هاشم وغافق. البلدان ص 99، معجم البلدان 1: 217ـ218، 4: 25ـ26.

الطولونية، بجانب جيوش الأغالبة، وأباضية نفوسة، مما أدى إلى فشل الحملة وانسحاب العباس مهزوماً إلى برقة[358]. «بعد انتهاب أهل طرابلس لجميع عسكره»[359].

وفي 275هـ/888م يروي ابن عذاري «أن ابراهيم بن أحمد، ضرب الدراهم الصحاح، وقطع ما كان يتعامل به من القطع» اذ حرص أمراء بني الأغلب على قوة عملتهم وجودتها، فحافظ الدينار الذهبي على وزنه 4,20 جرام أو 4,25 جرام، وهو يساوي في نهاية القرن الثالث الهجري، عشرة دراهم فضة وفي الدرهم ستة عشر خروبة، وضرب في العصر الأغلبي ربع الـدرهم، وثمن الـدرهم، وهذه النقود الصغيرة هي التي حدث فيها الغش والـزيف، فهنالك اشارة الى الدرهم الجيد، والدرهم الستوق، أي الدرهم الـزائف من النحاس، ولما انتشرت في افريقية هذه القطع الصغيرة وأضرت بالعملة الأغلبية قام الأمير الأغلبي بالاصلاح النقدي[360]. فألغى الأمير قطع النقود الصغيرة التي اعتادِ أهل القيروان التعامل بها، وقرر التعامل بالدراهم الصحاح من الفضة.

ومن الطبيعي أن تثير العملة الجديدة، بعض المتاعب في التعامل فثار التجار وأغلقوا الحوانيت وتجمهروا ويبدو أنهم زحفوا كوفد الى رقادة لاعلان اعـتراضهم على الاصـلاح المـالي الجـديد واجتمعوا بالمسجد الجامع للمدينة الملكية ولكن الأمير الأغلبي أمر بحبسهم داخل المسجد. وما أن علم أهل القـيروان، وأغلبيتهم من العنـاصر العـربية، تجمعوا وقرروا مقاومة السلطة الأغلبية، فأرسـل الأمير الأغلبي وزيره أبا عبد الله بن أبي اسحاق لتسكين

---

(358) ابن الأثير: الكامل 7: 324، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 119 النويري: نهاية الأرب 22: 276.

(359) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 119.

(360) الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3ـ4هـ) ص 76ـ77،

سكان القيروان الثائرين ولكنهم رموه بالحجارة وسبوه. فسار الأمير الأغلبي ومعه حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند الى القيروان ولكن عرب مدينة عقبة وغيرهم قرروا المقاومة والقتال. واشتبك الجند مع أهل القيروان ولكن الأمير الأغلبي أمر الجند بوقف القتال، ونزل بمصلي القيروان حيث اجتمع بالفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مغيث ويبدو أنه أقنع الفقيه بأهمية الاصلاح المالي وفائدته للعامة والتجار، اذ نرى الفقيه يرافق الوزير أبا عبد الله الى داخل مدينة القيروان لتهدئة أهلها الثائرين. وعاد الأمير الأغلبي الى رقادة، حيث أطلق سراح المحبوسين من التجار واستمر الاصلاح المالي «وانقطعت النقود والقطع من افريقية» منذ ذلك الوقت[361]

وأبرز أعمال الأمير الأغلبي أثراً في إمارته، هو قيامه بمذبحة زعماء عرب بلزمة، ورغم أن الأمير كان يهدف ـ لاشك ـ الى التخلص من معارضيه والثائرين عليه، إلّا أن نجاحه الذي أثلج صدره، أدى ـ دون أن يدري ـ الى بداية التصدع في الامارة الأغلبية العربية بإفريقية.

ففي سنة 278هـ/ 891م بدء الخلاف بين عرب بلزمة والأمير الأغلبي[362] وعرب بلزمة هم زعماء عرب منطقة الزاب التي اشتهرت بالاستقلال الذاتي طوال عصر الولاة والامارة الأغلبية، اذ أن عرب الزاب تمكنوا من إخضاع القبائل البربرية المستقرة في المنطقة مثل كتامة, واستقر عرب الزاب في مدن ميلة وسطيف وبلزمة ويروي اليعقوبي ان مدينة ميلة «عامرة محصنة، لم يلها وال قط ولها حصن، دون حصن فيه رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب» أما سطيف «بها

(361) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 130ـ131، حسن حسني عبد الوهاب: الورقات 1: 432، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 128ـ129.

(362) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 278 ويروي ابن عذاري ان ذلك حدث في 280هـ انظر البيان المغرب 1: 123.

قوم من بني أسد بن خزيمة عمال من قبل ابن الأغلب» وبلزمة «أهلها قوم من بني تميم وموالى لبني تميم»[363] وأبناء الجند العربي الداخلين الى افريقية وكان أكثرهم من قيس، واقلهم من اليمن[364] ويضيف القاضي النعمان ان هذه الامصار: ميلة وسطيف وبلزمة تبعد عن عاصمة الامارة الأغلبية «مسيرة عشرة أيام» كما أن بها «رجال ملكوها ماله عندهم (الأمير الأغلبي) أكثر من الدعوة على المنابر، وهم له طاعة في معصية»[345].

ولذلك كانت بلزمة العربية ملاذا ومأوى لمعارضي الامارة الأغلبية والمغضوب عليهم. ومنهم الشاعر محمد بن رمضان وكان من أهل نفطة، شيعي المذهب وحينما تابعه والي المدينة، فر الى بلزمة ولجأ الى عرب بني مالك مستجيرا بهم وكان يمدحهم فحموه ومنعوه. وكذلك كريم بن زرزور[366] من مدينة باغاية وهي من مدنِ الزاب القديمة، وأهلها مشكلون من الجند العربي والخراساني وبقايا الروم[367] نقم الأمير ابراهيم على كريم، فحبسه، ولكنه تمكن من الهروب وأتى بني مالك ببلزمة مستجيرا بهم من ابراهيم بن أحمد فأجاروه. فأرسل الأمير الأغلبي، بعض اعوانه في طلب السجين الهارب فرفض عرب بني مالك تسليمه، فاضطر الأمير الى الخروج بنفسه على رأس عسكره لمقاتلة عرب بلزمة، ولكنه فوجىء بحصانة المدينة، ووفره مقاتليها واتحاد كلمة زعماء القبائل العربية ببلاد الزاب وهم: موسى بن عياش صاحب ميلة، وعلي ابن عسلوجة صاحب سطيف وحي بن تميم صاحب بلزمة «وهؤلاء أمراء هذه

(363) اليعقوبي: البلدان ص 103.
(364) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.
(365) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 64-65.
(366) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 88-89.
(367) اليعقوبي: البلدان ص 102.

المدائن الذين عندهم العدة وفيهم النجدة، ولديهم العدد والقوة، وفي أيديهم الأموال الكثيرة»[368].

ولذلك لجأ الأمير الأغلبي الى الحيلة، بعد أن خذلته القوة، فأظهر لهم الصفح والعفو، وانسحب الى رقادة، وما أن أتاه قوم منهم حتى كساهم وحملهم وأحسن اليهم وولاهم الولايات، وأسرف في كرمهم، فسمع بقية زعماء عرب الزاب بذلك فتساربوا اليه، كل يطمع في كرم الأمير الأغلبي المفاجيء وهو لا يخيب رجاء أحد منهم، حتى اجتمع من زعماء عرب الزاب، ألف رجل يروي النعمان انه «انزلهم برقادة في مكان أدار عليه سورا وجعل عليه بابا، وكان بقرب فندق البلزميين»[369] ويضيف ابن عذاري انه بنى «لهم دارا كبيرة تشتمل على دور ترجع الى باب واحد»[370] يصفها النويري بأنها «عظيمة كالفندق»[371] ويمرور الوقت أنس زعماء العرب الى سكنهم الجديد واطمأنوا، واستغل الأمير الأغلبي، فرصة تجمع جنده لاستلام مرتباتهم، حتى لايثير شك عرب الزاب، وأرسلهم بقيادة ابنه عبد الله لمفاجئة زعماء العرب في الصباح الباكر، ولكن العرب الذين تمرسوا بمحاربة قبائل كتامة البربرية، تمكنوا من الصمود والمقاومة حتى عصر اليوم نفسه، الى أن هزموا وقتلوا عن آخرهم[372].

وأدى التخلص من زعماء عرب الزاب، الى نتيجة خطيرة بالنسبة للامارة الأغلبية فنظراً لوقوع اقليم الزاب على الحدود الأغلبية الرستمية من جهة وبعيدا عن مركز الدولة برقادة من جهة ثانية، وقع عبء السيطرة على قبائل الزاب البربرية على عاتق القبائل العربية المستقرة بالزاب «حتى أذلوا كتامة واتخذوهم

(368) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 88، 94.
(369) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 88.
(370) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.
(371) النويري: نهاية الأرب 22: 278.
(372) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.

خولا وعبيداً وفرضوا عليهم العشور والصدقات، وأن يحملوا ذلك على أعناقهم» ولكن بعد اغتيال زعماء القبائل العربية، حدث نوع من فراغ القوى والرئاسة في النطقة، استغله زعماء الدعوة الشيعة وتسربوا الى قبيلة كتامة، حيث نجحوا في نشر دعوتهم واثارة المشاكل للامارة الأغلبية[373].

لم تنتج عن مذبحة عرب الزاب، نجاح دعاة الفاطميين بالمنطقة فقط، بل واندلعت ثورات الزعماء العرب في جميع انحاء افريقية كذلك، ويروى النويري «فخالفه أهل تونس والجزيرة وصطفورة وباجة وقمودة والأربس وذلك في شهر رجب (278هـ/891م) ولم يجتمع أهل هذه الكور بمكان واحد، بل أقام كل رئيس بمكانه»[374] ولم يبق بيد ابراهيم من افريقية وكورها، الا الساحل والشرق الى طرابلس.[375]. واذا علمنا أن أهل هذه الكور من مختلف القبائل العربية مثل رهط عمر بن الخطاب بالجزيرة وقوم من قريش ومن قضاعة بصطفورة وجند بني هاشم بباجة واخلاط من العرب بالأربس[376]، أدركنا أنها كانت ثورة عربية، نتيجة لما حدث لزعماء عرب الزاب ولما انزله بهم من ظلم اذ «أخذ عبيدهم وخيلهم، وجار عليهم»[377].

ولذلك يأمر الأمير الأغلبي، بحفر خندق حول رقادة، وينصب على جسور الخندق أبواب الحديد، لحماية المدينة من هجوم الثائرين. كما تمكن من حشد خمسة آلاف مقاتل من السودان، لحماية قصره وللدفاع عن العاصمة وفي نفس الوقت استدعى زعيم عرب بنى عامر بن نافع من عرب مذحج اليمني

(373) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ص 93ـ94، النويري: نهاية الأرب 22: 278، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.

(374) النويري: نهاية الأرب 22: 278.

(375) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.

(376) انظر اليعقوبي: البلدان ص 100ـ101.

(377) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.

وشاوره في أمره فقال له الزعيم اليمني: «ان عاجلوك قبل ان تختلف كلمتهم، خفت ان ينالوا منك، وان صبروا أمكنك منهم ماتريد» وأدرك الأمير الأغلبي، القيمة الكبرى، لنصيحة الزعيم اليمني، ولذلك أمر ابنه ابي العباس عبد الله بالقبض على الزعيم اليمني واعتقاله بقصره، حتى لا تتسرب النصيحة الى الثوار. وأسرع بإرسال جنده للقضاء على ثورة أهل قمودة، ثم تمكن من اخماد ثورة الجزيرة وأخذ رئيسها ابن أبي أحمد أسيرا فقتله ابراهيم وصلبه، ثم قضى على تمرد عرب صطفورة وقتل منهم كثيرا وأخيرا اقتحم الجند الأغلبي مدينة تونس بعد مقاومة عنيدة في رمضان سنة 278هـ/892م[378].

وانتقم الأمير الأغلبي، من الثائرين أسوأ انتقام، إذ حينما علم بأن جنده أسروا «ألف ومائتي أسير وهم أكابر القوم ورؤساؤهم» بمدينة تونس، لاشك أنهم كانوا من العرب، بعث الى قائده أن لا يقطع رأس قتيل ودخلت جثث القتلى محمولة على العجل ويرفقتهم الأسرى كموكب نصر عبر سماط القيروان، ليثير الرعب والخوف في نفوس من يفكر في الخروج على طاعته، كما أباح مدن الثائرين وبيوتهم لجنده من السودان «فانتهبت الأموال، وسبيت الذرية، واستحلت الفروج»[379] ففي خلال تولي الفقيه عبد الله بن طالب بن سفيان ابن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، من بني عم بني الأغلب، خطة القضاء بالقيروان لثاني مرة (267ـ275هـ/880ـ888م) أباح نساء أهل إبيانة وهي قرية تقع على 12 كلم في جنوبي ـ شرقي تونس، لجنده من السودان فأتت امرأة بفرعة ابنتها في ثوب فألقته بين يدي القاضي التميمي فتوجع وقال: «ما أرى هذا يؤمن بالله، إن هذا فعل الدهرية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر» كما في خلال ولاية عيسى بن مسكين بن منصور بن حديج بن محمد الافريقي ـ مولى قريش ـ لخطة القضاء، سمع صياح قوم يستغيثون وهو بجامع رقادة

(378) انظر النويري: نهاية الأرب 22: 279، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123.

(379) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 123ـ124، النويري: نهاية الأرب 22: 279.

فقال: لمن حوله: انظروا من هؤلاء؟. قالوا: نهب تونس. فأمر بإمساكهم فشكاه الذي نهبهم الى الأمير ابراهيم، فأرسل اليه في إطلاقهم فكتب اليه «يا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار. . . الى قوله : بصير بالعباد» مما دفع الأمير الأغلبي بالموافقة على إطلاق سراحهم[380].

ورغم ذلك لم يستكين عرب تونس للطاعة ففي 281هـ/894م يرسل الأمير ابراهيم بن أحمد قائده ميمونا الحبشي الى تونس فيقتل جماعة من عرب بني تميم وغيرهم ويصلبهم على أبوابها ويعود الى رقادة بشيوخ المدينة المستعصية الثائرة دائمًا، ليعلنون الطاعة والولاء للأمير الأغلبي. الذي قرر اتخاذ مدينة تونس عاصمة للبلاد حتى يتمكن من فرض سيطرته على شمال إمارته، فانتقل اليها في رجب سنة 281هـ/894م. كما قام بتعيين أبنائه كولاة على جميع أنحاء البلاد[381] ولكن اقامة الأمير الأغلبي بتونس لم تدم طويلا، إذ بعد عام ونصف تقريباً، إضطر للخروج من تونس بسبب اضطرابات قبائل نفوسة الأباضية بطرابلس من جهة، والتفكير في إعداد حملة لتأمين حدوده الشرقية مع الدولة الطولونية[382] ومن الجدير بالذكر أنه خلال هذه الحملة قام الأمير

(380) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 208، 225، 239.

(381) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 129.

(382) بالرغم من اعتقاد بعض الباحثين بعدم احتمالية محاربة ابراهيم بن أحمد لابن طولون بمصر فهناك العديد من العوامل التي تجعل مثل هذه الحملة على حدود مصر الغربية ممكنة، بل ومطلوبة ففي ذي الحجة سنة 282هـ توفي خمارويه بن أحمد بن طولون، صهر الخليفة العباسي المعتضد، وتولى ابنه أبو العساكر جيش ولاية مصر من بعده، فأشعل نار الفتن والثورات وقتل عمه مضر بن أحمد ابن طولون، فتنكر له كبار الجند وفرّ بعضهم الى الخليفة العباسي لاجارتهم منه مما لا يستبعد معه كتابة الخليفة العباسي لابراهيم بن أحمد بتجهيز حملة لمهاجمة حدود مصر الغربية.
أما العامل الثاني فهو يتمثل في موقف الأباضية من حملة ابراهيم بن أحمد وتصميمهم على منعه من الجواز، عبر أراضيهم، الى مصر، مما يدل على عدم خروج الحملة من أجل أباضية جبل نفوسة. والعامل الثالث وهو استمرار الحملة في زحفها شرقا بعد موقعة مانو وعند تاورغا «انفض الناس عنه فلما رأى ذلك، خشي أن يبقى وحده، فرجع الى تونس» انظر سير الأئمة واخبارهم ص 103 ابن الأثير: الكامل 7: 474-475، 478، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 129-130، النويري: نهاية الأرب 22: 280-281.

الأغلبي بقتـل محمـد بن زيادة الله، ابن عمـه، وعـامله على طرابلس في 283هـ/896م الذي اشتهر بالأدب والظرف وكانت له بعض التواليف. إذ حينما تكررت شكوى زعماء العرب من ابراهيم للخليفة العباسي المعتضد، كتب الى ابـراهيم «ان انتهيت عن أخلاقك هذه، وإلّا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله» مما أثار حفيظه الأمير الآغلبي الذي كان كثير الحسد لابن عمه منذ صغره لعلمه وأدبه، فقتله وصلبه[383].

ويبدو أن بعض زعماء عرب تونس سافروا كوفد الى بغداد حيث قابلوا الخليفة المعتضد ويبدو أن المقابلة كانت عاصفة إذ صاح زعماء تونس في حضرة الخليفـة وقالوا له «أهدي إليك نساؤنا وبناتنا» مما أثار الخليفة العباسي فأوفد رسولا له على وجه السرعة الى ابراهيم بن أحمد حيث اجتمع به خارج مدينة تونس على انفراد وأبلغه قرارات الخليفة العباسي الشفوية وهو اعتزال الامارة، وتولية ابنه أبا العباس عبد الله أميراً على البلاد، وضرورة سفره الى بغداد لمقابلة الخليفة[384].

ويبـدو أن الأمـير الأغلبي، لم يتقبـل هذه الشروط طواعية، إذ كان المعتضد العباسي في أوج قوته «وسالمه كل مخالف، وكان مظفراً قد دانت له الأمور، وانفتح له الشرق والغرب، وأديل له في أكثر المخالفين عليه والمنابذين له»[385] كما أن الـدعـوة الفاطمية نجحت بين قبائل كتامة بالزاب. ولذلك

---

(383) ابن عذاري: البيان المغـرب 1: 129، ابن الابار: الحلة السيراء 1: 180، النويري: نهاية الأرب: 22: 281.

(384) النويري: نهاية الأرب 22: 282 وقارن قدوم أهل البصرة من العرب على المعتضد يشكون جور العـمال ومـوقف المعتضد، المسعودي: مروج الذهب 4: 150 أما بالنسبة لتاريخ زيارة رسول الخليفـة العباسي فيحددها ابن الأثير في 287هـ وابن خلدون في 288هـ ويتفق النويري وابن عذاري أنها كانت في 289هـ وهذا ما نرجحه انظر الكامل 7: 507، 513، العبر 4: 260، البيان المغرب 1: 131.

(385) انظر المسعودي: مروج الذهب 4: 143.

انحنى لرياح التغيير ووافق على شروط الخليفة وأراد أن يرضى العامة ويستميل قلوب الخاصة، فرد المظالم، وأسقط القبالات (المكوس)، وأخذ العشر طعاما، بدلا من الضريبة المالية الثابتة، وترك لأهل الضياع خراج سنة وسماها سنة العدل، واعتق مماليكه، وأعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالا عظيمة، ليفرقوها في الضعفاء والمساكين[386] وأمر بإطلاق سراح من في سجونه[387].

واستدعى إبراهيم بن أحمد إبنه أبا العباس عبد الله من صقلية، وسلم إليه الامارة، وأظهر التوبة ولبس الخشن من الثياب والمجاورة بمكة والحج، ولكن وفاة الخليفة المعتضد العباسي في ربيع الآخر 289هـ/902م، دفعته إلى تغيير ما انتواه من الحج إلى الجهاد في صقلية. التي انعكست عليها أحداث إفريقية[388].

ففي 264هـ/77 ـ 878م تمكن العرب من فتح مدينة سرقوسة بقيادة والي صقلية جعفر بن محمد، بعد حصار دام تسعة أشهر، فدخلها العرب عنوة وقتل من أهلها أكثر من أربعة آلاف رجل في رمضان 264هـ/ مايو 878م وأقام العرب بالمدينة لمدة شهرين ثم قاموا بتدمير المدينة الحصينة وانسحبوا الى عاصمتهم بلرم. ولكن يبدو أن ثورة الصقالبة بالقصر القديم بإفريقية، امتدت الى جزيرة صقلية. فقد تآمر غلمان الوالي من الصقالبة مع أمراء الأغالبة، الذي غضب عليهم الأمير الأغلبي وأرسلهم الى الجزيرة مثل الأغلب بن محمد ابن الأغلب الملقب «خرج الرعونة» وأبي عقال الأغلب بن محمد بن أحمد ـ ولي العهد السابق ـ وتمكنوا من قتل والي صقلية والاستيلاء على بلرم ولكن عرب صقلية، قاوموا الانقلاب وطردوا أمراء الأغالبة وأعادوا ولاية الجزيرة إلى أحد زعماء عرب همدان وهو الحسن بن رباح مما يرجح انتماء الوالي المقتول الى بني

(386) ابن عذاري: البيان المغب 1: 131ـ132.

(387) النويري: نهاية الأرب 22: 282.

(388) المسعودي: مروج الذهب 4: 143، النويري: نهاية الأرب 22: 282.

جعفر الهمدانيين. وتوالى زعمائهم على ولاية الجزيرة مثل الحسين بن العباس ومحمد بن الفضل، والحسين بن أحمد حتى وفاته في 271هـ/84 ـ 885م[389].

وآلت ولاية الجزيرة الى سوادة بن محمد بن خفاجة التميمي وسرعان ما ثار ضده أهل بلرم من العرب فقبضوا عليه وعلى أخيه وبعض رجاله من بني تميم وأرسلوهم مقيدين الى إفريقية وأقاموا عوضاً عنه أبا العباس بن علي مما يدل على زيادة قوة الجند العربي بالجزيرة وعملهم على الاستقلال بها عن الأغالبة[390]. لذلك عين الأمير الأغلبي ابا مالك أحمد بن عمر بن عبد الله ابن إبراهيم بن الأغلب التميمي المعروف بحبشي والياً على صقلية في 274هـ/887م[391] وأعاد معه بني تميم المطرودين الى الجزيرة. وانشغل الجند الأغلبي من العرب والبربر في اتمام فتح جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ولكن اضطرابات افريقية ونجاح الدعوة الفاطمية بقبائل كتامة ومذبحة عرب الزاب، انعكست اصداؤها على مسرح الأحداث بصقلية.

. ففي سنة 285هـ/898م «كانت فتنة بصقلية، بين عربها وبربرها» وحينما علم الأمير بها أرسل يؤمن جميع المساهمين فيها، ماعدا أبا الحسن ابن يزيد وولديه والحضرمي مما يرجح انهم كانوا زعماء هذه الفتنة وأنَّ ابا الحسن ابن يزيد وولديه من زعماء البربر والحضرمي الذي ينتسب الى حضرموت من زعماء العرب. تم القبض على زعماء الثائرين وأرسلوا الى افريقية وفضل أبو الحسن بن يزيد الموت بالسم على احتمال فنون الأمير الأغلبي في التعذيب، الذي أمر بقتل ولديه. أما الحضرمي فقد أمر إبراهيم مضحكيه بمحاولة

---

(389) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 117، 119.

(390) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 120.

(391) يذكر النويري أنه كان ولياً على صقلية منذ 261هـ/874م حتى 287هـ/900م أي لمدة ستة وعشرون عاما انظر نهاية الأرب 22: 467.

إضحاكه، سخرية منه ولكن الثائر العربي قال له: «ليس هذا وقت هزل» فأمر إبراهيم بقتله فقتل بالمقارع بين يديه.[392]

وتتفق المصادر أن أبا العباس عبد الله بن إبراهيم ـ ولي العهد ـ تولى إمارة صقلية في 287هـ/900م وأنه خرج على رأس أسطول كبير مكون من مائة وعشرين مركباً، وأربعين حربية، للقضاء على فتنة العرب والبربر، التي تهدأ لتندلع مرة أخرى أشد عنفاً وضراوة، وساعد على ذلك أن العرب استقروا بعاصمة الجزيرة الاسلامية بلرم واستقر البربر في مدينة جرجنت. وبينما كان أبو العباس عبد الله وحملته البحرية تطأ أرض صقلية عند مدينة طرابنش، كان عرب بلرم محاصرين لبربر جرجنت، فأسرع العرب بالانسحاب الى العاصمة بلرم وشكلوا وفداً برئاسة قاضي المدينة لمقابلة ولي العهد واعلان الطاعة والاعتذار عن قتال أهل جرجنت من المسلمين. ولكن أبا العباس عبد الله اعتقل زعماء العرب وسمح لقاضي بلرم بالعودة، وأرسل ثمانية من مشايخ أهل إفريقية لأهل بلرم لتسليم بعض زعمائهم، الذين يثيرون الفتنة ويضمرون الثورة ويتظاهرون بالطاعة[393]. رفض عرب بلرم طلب الوفد الافريقي وقاموا باعتقاله، اسوة بعمل ولي العهد وقرروا محاربة الجند الأغلبي الافريقي وزحفوا في شعبان نحو طرابنش براً بقيادة ركموية وعلى مقدمتهم مسعود الباجي، وبحراً بأسطول مكون من ثلاثين قطعة.

وفشلت حملة عرب بلرم فقد تحطم معظم أسطولهم بسبب هياج البحر، كما هزموا أمام قوات أبي العباس وتتبعهم الى بلرم براً و بحراً. وحاول عرب بلرم، رغم هزيمتهم، المقاومة فجندوا القادرين على حمل السلاح من أهل المدينة ولكنهم هزموا، رغم المقاومة الباسلة، واستولى أبو العباس عبد الله على

(392) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 130ـ131.

(393) ابن الأثير: الكامل 7: 200، النويري: نهاية الأرب 22: 467، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 131، ابن خلدون: العبر 4: 260.

بلرم وتفشي القتل في العرب المجاهدين الثوار، وانتهبت أموالهم ويبدو أن الأمير الأغلبي أباح المدينة للمقاتلين المنتصرين من جنوده من البربر والسودان مما دفع كثير من رجال العرب ونسائهم الى الهرب، لاجئين لدى الروم بجنوب إيطاليا، لاحقين بزعماء الفتنة مثل «ركموية» وزملائه[394].

واستمرت ولاية أبي العباس عبد الله لصقلية حتى 289هـ/902م لمدة عامين تقريباً، تمكن خلالها من القضاء على فتن العرب والبربر وإعادة إرسال الحملات العربية إلى جنوب إيطاليا، إلى أن استدعاه أبوه إبراهيم ليكون نائباً عنه بإفريقية، بعد أن قرر الجهاد ضد الروم بصقلية وجنوب إيطاليا[395].

وفي 289هـ/901 ـ 902 أبحـر إبـراهيم بن أحمـد على رأس حملته البحرية إلى صقلية، وما أن وصل الى بلرم حتى أمر برد المظالم، وأعطى أهل المـدينـة ومن كانْ بها من الغـزاة البحـريين الأرزاق محاولا استئلاف العرب بها[396]، حتى يذكر بروكلمان أن الشقاق بين مختلف القبائل العربية بصقلية كان كبيراً بالغ الأثر كما كان في الأندلس، حتى لقد اضطر ابراهيم بن أحمد، الى أن يقصد بنفسه الى صقلية، إقراراً لسلطة دولته وهيبتها هناك[397]. فتمكن العرب من فتح مدينة طبرمين ثم أرسلت السرايا بقيادة زيادة الله بن عبد الله الى ميقش والثانية بقيادة أبي الأغلب الى دمنش، والثالثة بقيادة ابي مضر الى رمـطة، والرابعة بقيادة سعدون الجلوي الى الياج. وأخيراً أمر إبراهيم قواته

(394) ابن الأثير: الكامل 7: 200، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 131، ابن خلدون: العبر 4: 260.

(395) ابن الأثير: الكامل 7: 201 وقارن ابن عذاري: البيان المغرب 1: 131.

(396) ويروي النويري أنه قام بمدينة طرابُنُش الصقلية لمدة سبعة عشر يوما يعطي الأرزاق لمن معه، ثم رحل فدخل مدينة بلرم لليلتين بقيتا من شهر رجب. وأقام بصقلية أربعة عشر يوما يعطي أهلها (من العرب) ومن بها من البحريين الأرزاق انظر نهاية الأرب 22: 283.

(397) انظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ص 249.

بالعبور الى الساحل الايطالي حيث قام بمحاصرة مدينة كسنتة ولكنه مرض خلال الحصار وتوفي في ذي القعدة سنة 289هـ/902م[398].

وهكذا آلت ولاية إفريقية **لابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد ابن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب** (289 - 290هـ/ 901 - 903م) وكان الأمير الأغلبي الجديد «شجاعاً بطلا، ملمّا بالحرب» كما كان عالماً، جالس أهل العلم وشاورهم وحاول إصلاح الأمور «فجلس للناس المظالم، ولبس الصوف وأظهر العدل والاحسان والانصاف» كما تعفف عن سكنى قصور أبيه، حتى لا تطارده ذكريات تصرفات أبيه الشاذة وسوء أخلاقه، مما اضطره الى أن يظهر له من التذلل مالا يتناسب وكرامة الرجال. ولكي يبتعد عن مؤامرات الخدم والحاشية، الذين يموج بهم قصر أبيه فاشترى لنفسه داراً خاصة إستقر بها مع حاشيته، ومع ذلك لم ينم إلاّ والسيف تحت رأسه[399].

أما أعماله خلال فترة ولايته التي استمرت لمدة عام ونصف تقريباً. فقد قام بإسترجاع المال الذي دفعه أبوه الى الفقهاء ووجوه الناس ليصرفوه في المساكين. وخاطبهم بقوله «اغتنمتم الفرصة في المال لمرض الأمير أبي، ومغيبي عنه» إذ أعطيت لمن لم يستحقها، وانفقت في اللذات، وصرفت في الشهوات كما قام بعزل عمال أبيه وتوليه آخرين مقربين إليه[400]. ويروي القاضي عياض أن أبا العباس عبد الله «كتب السجلات بخلق القرآن وأمر بقراءتها على المنابر، وأن يحمل الناس عليها» لأنه كان حسن النظر في الجدل إذ تتلمذ على يد عبد الله بن الأشج الذي كان على مذهب أهل الكوفة ومن أهل الجدل والكلام. مما أثار سخط أهل السنة من المالكية[401]. وأخيراً ما أن وشي إليه أن ابنه زيادة

(398) النويري: نهاية الأرب 22: 283-284.

(399) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 174، ابن الأثير: الكامل 7: 520، النويري: نهاية الأرب 22: 288-289، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 134.

(400) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 132-133.

(401) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 244.

الله يعمل في الخروج عليه، حتى استدعاه من صقلية وأمر بإعتقاله داخل قصره، كما أمر بسجن حاشيته، خوفاً من تآمرهم عليه. ولكن هذا العمل الأخير، كان سبباً في قتله، إذ استغل خادمان من الصقالبة نومه بعد حمام ساخن، وقتلاه تقريباً لابنه زيادة الله في قصره بمدينة تونس في شعبان 290هـ/ يوليه 903م[402].

وتولى **أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب** (290 ـ 296هـ/ 903 ـ 909م) وهو آخر أمراء الأغالبة ويدأ زيادة الله حكمه بإطلاق سراح حاشيته التي سجنت بسببه مثل عبد الله بن الصائغ، وأبو مسلم منصور بن اسماعيل، كما أرسل في طلب عبد الله بن أبي طالب وقام زيادة الله ـ بناء على نصيحة حاشيته ـ باستدعاء أعمامه من عرب بني تميم، ووجوه الرجال والقواد من العرب وغيرهم. وبينما قام زيادة الله بادخال وجوه الرجال والقواد للمبايعة والانصراف بعد استلام كل منهم خمسين مثقالا من الذهب، استبقى تسعة وعشرين رجلا من إخوته وأعمامه، وماطلهم حتى الليل، فأمر بتقييدهم، وأرسلهم الى جزيرة الكراث على... اثنى عشر ميلاً من تونس، حيث ضربت أعناقهم في رمضان 290هـ/903م[403]، كما أرسل زيادة الله، قائده فتوح الرومي على رأس خمسين فارسا، لاستدعاء أخيه ابي عبد الله الأحول قائد الجبهة الغربية ضد الداعي الشيعي وانصاره من قبيلة كتامة وما أن وصل الى تونس حتى أمر بقتله[404]، ولم يسلم من مذبحه زيادة الله حتى عمه أبو الأغلب الزاهد الذي استقر بسوسة مرابطاً[405]. وكما قضت مذبحة بلرمة، في عهد الجد (إبراهيم)، على زعماء العرب، الذين تطورت الامارة وانشأت آثارها المعمارية، وفتوحاتها

(402) النويري: نهاية الأرب 22: 289، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 134.

(403) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 135، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 3: 37ـ38.

(404) النويري: نهاية الأرب 22: 290.

(405) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 136.

في صقلية، بفضـل سيوفهم التي اخضعت قبائل كتامة وفرضت السلم على حدودها الغربية. كذلك حرمت مذبحة الحفيد لزعماء بني تميم، الامارة من الاستفـادة من خبره واخلاص عصبيته العربية، في وقت عصيب، كانت في أشد الحاجة إليها بسبب الخطر الشيعي.

أما بالنسبة لعامة الجند من العرب وغيرهم من الموالي فقد نودي في الجند «أصبحوا لأخذ عطياتكم» وفي الصباح تجمع الجند والموالي أمام قصر الأمير الأغلبي لأخذ الصلات، فلما مضي صدر من النهار، قيل لهم «انصرفوا فإنه يوم شغـل» ثم أتـوا في الغـد وتكـرر حضـورهم حتى «بـردت قلوبهم وملوا الاختلاف» وزهدوا كذلك في الصلات(406).

ويروي النويري أن زيادة الله ولى حاشيته مناصب الدولة. فعين عبد الله بن الصـايغ وزيراً له بالاضافة الى خطة البريد، وأبا مسلم منصور ابن إسـماعيل خطة الخراج، واستبدل القاضي محمد بن الأسود الصديني، الذي كان يقـول بخلق القـرآن بقـولـه «إني قد عزلت عنكم الجافي الخلق المبتدع المتعسف» وعين عوضاً عنه القاضي حماس بن مروان بن سماك الهمداني(407)، من عرب همدان اليمنيين الذين دخلوا إفريقية كجند في عصر الولاة. وكان ورعا عالماً بمذهب مالك محاولا ارضاء أهل السنة(408). كما ولى علي بن أبي الفوارس التميمي عمالة القيروان(409).

وقام الأمير الأغلبي بتعيين القائد إبراهيم بن حبشي التميمي لمحاربة أبي عبد الله الشيعي، كما نقل عاصمته من تونس الى القيروان ورقادة ليكون قريباً من إقليم الزاب، حيث جبهة القتال، وخوفاً من زحف أبو عبد الله الشيعي

(406) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 135.

(407) النويري: نهاية الأرب 22: 290، القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 340.

(408) القاضي عياض: تراجم أغلبية ص 344ـ345.

(409) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 136ـ137.

الى رقادة والاستيلا عليها[410]. وفي مطلع سنة 292هـ/904م وصل أبو مسلم منصور بن إسماعيل، صاحب الخراج الى رقادة حيث قام باصلاح القصور الملكية، وتجديد سور المدينة، تمهيداً لوصول الأمير الأغلبي[411].

وصل زيادة الله الى رقادة، في شهر ربيع الآخر من نفس السنة، وبدأ بحشد «وجوه الرجال وانجاد العرب والموالي» من الجند، كما أخذ في جمع السلاح وآلات الحرب وتمكن من حشد أربعين ألف رجل برئاسة القائد إبراهيم ابن حبشي التميمي، الذي زحف بهم لمحاربة أبي عبد الله الشيعي وكتامة بالقرب من مدينة قسطنطينة. ويروي ابن عذاري أن المعركة «كانت بينهما ملحمة عظيمة، تطاعنوا فيها بالرماح حتى تحطمت، وتجالدوا بالسيوف حتى تقطعت، من أول النهار إلى آخره» حيث هزم الجند الأغلبي، ووقع القتل فيهم، فذهب كثير منهم ونجا باقيهم متستراً بظلام الليل، لانشغال كتامة بالمغانم. ونتيجة لهذه الهزيمة انتشرت الروح الانهزامية بين أهل إفريقية، وداخلهم الوهن والجزع بينما ارتفعت الروح المعنوية لقبيلة كتامة لما غنموه من الأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتعة، التي خلفها جند افريقية، خلال فرارهم[412] والحقيقة أنه منذ تلك المعركة، أصبح الصراع بين الأغالبة وبين الشيعي وأنصاره من كتامة، عبارة عن سلسلة من الهزائم المتوالية للجند الأغلبي.

وفي هذه الظروف العصيبة اتجه زيادة الله الى الخلافة بالمشرق طلباً للمعونة، فازداد التقارب مع بغداد، وليس من شك في أن الأمراء الأغالبة اظهروا تمسكهم بالخلافة أكثر من ذي قبل انقاذا لدولتهم من تهديد الشيعة فالأمير الأغلبي، بالغ في تكريم الخليفة المكتفي العباسي، بإرسال الهدايا.

(410) النويري: نهاية الأرب 22: 290.
(411) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 137-138.
(412) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 138.

ويروي المسعودي أنـه بعث إليه «مـائتي خادم أسـود وأبيض، ومائة وخمسين جارية، ومائة من الخيل العربية، وغير ذلك من اللطائف»[413]مثل اللبوذ المغربية من الصوف ألف ومائتان، وعشرة آلاف درهم، في كل درهم عشرة دراهم، وعشرة آلاف دينار، كان وزن الدينار منها عشرة مثاقيل، أي عشرة دنانير. سكت خصيصاً للخليفة[414].

ولا ريب أن الأمير الأغلبي كان يطمع في مؤازرة الخليفة، عن طريق جيش يوقف تقدم الشيعة الذين نجحت جيوشهم في الاستيلاء على كثير من قلاع إفـريقية وحصونها، لكن الخلافة العباسية لم يكن بوسعها تجنيد قوات تحارب في المغرب، فاكتفى المكتفى بإرسال الرسل يحضون سكان إفريقية على الاستبسال في حرب الشيعة. ففي 293هـ/905 ـ 906م ورد كتاب المكتفي بالله، يحث أهل إفريقية على نصرة زيادة الله، ومحاربة الشيعي، وقرىء كتابه على الناس.

ثم خرج زيادة الله إلى الأربس، التي اتخـذهـا قاعدة لتجنيد الجند و ارسال الحملات الى الولايات ويروي ابن عذاري انه «اجتمعت إليه عساكر كثيرة وأعطى بها الأموال جزافاً بالصحاف، كيلا بلا وزن، لكل رجل صحفة توضـع له في كسـائـه دنـانير، ويحمل على فرس، ثم يخرج الرجل فلا يرى بعدها»[415] وإذا كان أغلبية الفارين من الجند العربي وغيرهم الذين سرهم سقوط هذه الامارة، التي فتكت بزعمائهم، فقد نجح زيادة الله في ضم بعض هؤلاء العرب الى جيوشه التي أرسالها الى مدينتي باغاية وطبنة عاصمة الزاب، لذلك شحنها بالرجال والعتاد لمقاومة الشيعة بقيادة حاجبه أبي المقارع حسن بن أحمد بن نافذ وشبيب بن أبي شداد القمودي وخفاجة العبسي، وكانوا من أهل

(413) المسعودي: مروج الذهب 4: 200ـ201.
(414) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 178، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 137.
(415) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 140.

البسالة وأمرهم بشن الغارات على كتامة ولكن يبدو أنهم فشلوا في تحقيق ذلك إذ في 293هـ/906م سقطت مدينة بلزمة ثم طبنة التي دخلها الشيعي بالأمان[416] وتوالى سقوط المدن. وفي نفس الوقت توفي الخليفة العباسي المكتفي في 295هـ/908م، دون تحقيق رجاء زيادة الله، وخلفه أخوه المقتدر بالله[417]. وضاعت نداءات زيادة الله الى المقتدر، فلم تجد الهدايا والأموال الطائلة التي أرسلها إليه للقيام بعمل حاسم في افريقية[418] إلى أن سقطت الأربس في جمادى الآخرة في 296هـ/ مارس 909م بعد هزيمة ابراهيم بن أحمد بن أبي الأغلب التميمي في عساكر إفريقية وجمهور أجنادها الذين بلغوا أربعين ألف رجل فانهارت الامارة الأغلبية، ولما أدرك زيادة الله استحالة مقاومة الشيعة، جمع أمواله وفر هارباً الى المشرق[419].

ورغم إنهيار أسرة الأغيالبة التميمية العربية، وسقوط إمارتهم التي استمرت لمدة مائة واثنتي عشرة سنة وأياماً، إلاّ أنه خلال هذه الفترة تم إنتقال افريقية من بلد لاتيني اللغة، مسيحي الدين في الغالب، الى بلد عربي اللغة، إسلامي الدين. وهو إنقلاب سريع تام ربما لم يكن له مثيل في جميع البلدان التي فتحها العرب[420].

(416) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 140-141.

(417) المسعودي: مروج الذهب 4: 202.

(418) القلقشندي: صبح الأعشى 3: 161، محمود اسماعيل: الأغالبة ص 61.

(419) ابن الأبار: الحلة السيراء 1: 175، ابن الأثير: الكامل 8: 17، النويري: نهاية الأرب 22: 290-291، ابن عذاري: البيان المغرب 1: 146-147. ابن خلدون: العبر 4: 263-264.

(420) انظر Lane-Poole (s) The Mohammadan Dynasteis p. 37، فليب حتى: تاريخ العرب 2: 543.

الفصل السابع :

# دور العرب في الدويلات الخارجية

لقد أسفرت ثورات الخوارج عن قيام دولتين ببلاد المغرب، أحدهما للصفرية سنة 140هـ/757م ومركزها سجلماسة، والأخرى للأباضية وعاصمتها تاهرت سنة 161هـ/777م، ولذلك اعتبر بعض الباحثين أن قيام دولة الأغالبة في إفريقية سنة 184هـ/800م كان بمثابة رد الفعل العربي لقيام دول من البربر، ولتحول دون زوال نفوذ الخلافة العباسية في إفريقية، ولتقف حاجزاً أمام خطر الدولة الادريسية العلوية والدولتين الخارجيتين المدرارية والرستمية.

وما يهمنا من هذا الموضوع، هو دور العرب في الحركة الخارجية، سواء بالنسبة لجهود دعاة الحركة العراقيين، وكيفية إنتقالهم الى بلاد المغرب، ثم إلقاء الأضواء على دور العرب في الدول الخارجية (أباضية وصفرية).

وأغلبية الخوارج بالمشرق، ينتمون الى قبائل عربية، أقل مكانة من قريش وثقيف والأنصار، إندمجت في الاسلام، بعد حرب الردة، وأقامت في مدينتي الكوفة والبصرة. والمعلومات المتوفرة عن أصول زعمائهم، تلقي الضوء على نوعية هذه القبائل. فكان منهم كثير من بني تميم وتيم الرباب الذين لحقوا ببني تميم. بالاضافة الى قبائل أخرى. فمن المضريين: فروة بن نوفل الأشجعي، وشريح بن أبي أوفى العبسي، وعبد الله بن شجرة السلمي، وحمزة ابن سنان الأسدي وكثير من المحاربين، ومن الطائيين: زيد بن الحسين، ومعاذ ابن جوين، وطرفة بن عدي بن حاتم. ومن اليمنيين: يزيد بن قيس الأرحبي، وابن وهب الراسي الأزدي، أول خلفائهم، وابن ملجم المرادي، قاتل علي ابن أبي طالب. ومن بني ربيعة، ومن بني الأزد. وكان الزعماء الثلاثة

30

الأول للخوارج، هم ابرز رجال القبائل العظمى في الكوفة: تميم وبكر وهمدان[1].

أما بدء دعوة الخوارج بالمغرب فقد تضاربت حولها الروايات. فابن حوقل يرجع بداية الدعوة الى معركة النهروان سنة 38هـ/658م فيذكر أن «عبد الله ابن وهب الراسبي (الأزدي) وعبد الله بن أباض (السعدي التميمي) لجآ إلى جبل نفوسة منذ وقت انصرافهم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومن سلم معهم من أهل النهروان وأقاموا هذا الجبل، دار هجرة». ولكن الراسبي قتل في المعركة، كما أن عبد الله بن أباض لم يثبت إشتراكه فيها، الأمر الذي يشكك في صحة هذه الرواية. وليس ببعيد أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان، قد اعتصموا بجبل نفوسة، لكنهم لم يتركوا هناك آثراً يذكر، إذ أن الانتشار الحقيقي لمذهب الخوارج في بلاد المغرب يعود إلى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين[2].

وتروي المصادر الأباضية أن أول من وفد إلى بلاد المغرب لنشر مذهب الخوارج: سلمة بن سعيد وعكرمة مولى عبد الله بن عباس، إذ يروي أبو زكريا «أول من جاء بهذه الصفة، يريد مذهب الأباضية، ونحن بقيروان إفريقية. سلمة بن سعيد، قدم علينا من أرض البصرة، وهو وعكرمة مولى ابن عباس، وهما راكبان على جمل واحد حملا عليه زادهما، سلمة بن سعد (سعيد) يدعو الى الأباضية، وعكرمة (مولى) ابن عباس يدعو الى الصفرية»[3].

---

(1) تاريخ خليفة خياط 1: 224، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2: 121 ـ 145 الطبري: الرسل والملوك 6: 100 ـ 101، 104 ـ 120، 172 ـ 174 الدينوري: المعارف 180 ـ 181، فلهوزن: الخوارج والشيعة ص 26، 34 تعليق(2).

(2) ابن حوقل: المسالك والممالك ص 68، المسعودي: مروج الذهب 3: 47، ابن خلدون: العبر 3: 178 وما بعدها

(3) أبو زكريا: سير الائمة وأخبارهم ص 25 ـ 26

وكان عكرمة عبداً لابن عباس ومات وعكرمة عبد، فاعتقه علي بن عبد الله بن عباس[4] ويروي أنه كان من أصل مغربي ولكنه من موالي قريش. وقام بنشر مذهب الصفرية بالقيروان حتى وفاته في 105هـ/723م أو 107/725م[5] وبينما يذكر الفردبل أنه لا يدري من أين جاء إسم فرقه الصفرية، يذكر المبرد ان المؤرخين «اختلفوا في تسميتهم، فقال قوم سموا بابن صفار، وقال آخرون، وأكثر المتكلمين عليه: هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم» ويضيف كل من ابن حزم وابن خلدون، أنها تنسب الى عبد الله بن الصفار التميمي، الذي اختلف مع نافع بن الأزرق حول مسألة العقيدة في 65هـ/684م.[6] وهو الأرجح.

ولم يقتصر نشر مذهب الصفرية، على البربر وحدهم، بل تعداهم الى بعض القبائل العربية التي استقرت ببلاد المغرب، كما أن بعض العرب المقيمين بافريقية دانوا بالمذهب الصفري وقد تسرب هؤلاء الى المغرب بصحبة الجيوش القادمة من المشرق، حتى ذاع عن بعض الولاة اعتناقهم لهذا المذهب أو على الأقل تعاطفهم مع معتنقيه[7] فقد اتهم يزيد بن أبي مسلم مولى ثقيف بأنه من الخوارج الصفرية وإن كان لم يستطع الجهر بذلك خوفاً وتقية حتى قيل بأنه

(4) يروي الدينوري أنه لما مات الفقيه عبد الله بن عباس، باع ابنه علي بن عبد الله، عكرمة الى خالد ابن يزيد بن معاوية الأموي بأربعة آلاف دينار. فقال عكرمة له: بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار، أي أن عكرمة نتيجة لملازمته عبد الله بن عباس حفظ عنه علمه وفقه، ففسخ علي بن عبد الله عقد بيع عكرمة واعتقه، انظر المعارف ص 201.

(5) انظر الدينوري: المعارف ص 201 ويروي خليفة بن خياط ان عكرمة قتل في ثورات الخوارج في أواخر الدولة الأموية في سنة 127هـ انظر تاريخه 2: 571.

(6) انظر المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2: 202، ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص 207، ابن خلدون: العبر2: 378، 3: 182، الفردبل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي 145.

(7) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2: 159، 170

«يعلم الحق ويكتمه»[8] وموسى بن أبي خالد مولى تجيب، عامل تلمسان[9] وعكاشة بن أيوب الفزاري المضري قائد طليعة أهل الشام بجيش الوالي عبيد الله بن الحبحاب[10].

ونتيجة لاهتمام الخلافة العباسية بأمور بلاد المغرب وحرصها على دعم نفوذها في إفريقية، وتوالي حملاتهم بقيادة قواد من العرب الأكفاء أمثال ابن الأشعث الخزاعي والأغلب بن سالم التميمي وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم الازديان، استحال نشاط الخوارج في افريقية وخاصة بعد قيام حكم آل المهلب الأزديين، عندئذ اتخذت حركات الخوارج طابعاً عملياً فعزفوا عن مناطق النفوذ العربي نهائيا، واتجهوا الى المناطق الصحراوية النائية بالمغربين الأقصى والأوسط حيث أقام الصفرية دولة في جنوبي المغرب الأقصى كانت سجلماسة عاصمة لها، بينما نجح الأباضية في إقامة دولتهم في المغرب الأوسط واتخذوا من مدينة تاهرت عاصمة لها.[11].

أما عن دور العرب في الدولة الصفرية بسجلماسة التي تأسست في 140هـ/757م، فقد كان محدوداً إذ اعتمدت الدولة على عناصر بربر مكناسة وصنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين وعن طريق الطائفة الأخيرة، يحتمل تسرب بعض العناصر العربية. كما كان عيسى ابن يزيد الأسود، أول إمام بالدولة الصفرية مولى من موالي العرب[12] وحينما

---

(8) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 96

(9) النويري: نهاية الأرب 22: 217.

(10) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 71، 74، 75، 78، 156، 196، محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 81 ـ 82.

(11) انظر ابن خلدون: العبر 6: 172

(12) البكري: المسالك ص 149 ويرجح سعد زغلول عبد الحميد أن يكون أبو حاتم الأباضي أو عبد الرحمن بن رستم هو الذي أمر صفرية سجلماسة بعزل إمامهم وقتله إذ أن أبا الخطاب المعافري قتل في 144 هـ/761 م. أنظر المغرب العربي 2: 411.

سخط صفرية مكناسة على عيسى بن يزيد أمامهم يروي البكري أن ذلك كان بسبب أبي الخطاب المعافري إذ قال لأصحابه في مجلس عيسى «السودان كلهم سراق، حتى هذا، وأشار على عيسى. فأخذوه وشدوه وثاقاً الى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض» وهكذا كان الزعيم الأباضي العربي السبب في قتل الزعيم الصفري[13]. وكما ساهم الربضيون ومنهم العرب في إزدهار مدينة سجلماسة عن طريق حركة العمران الكبيرة من بناء القصور والدور والمصانع وبناء سور لحماية المدينة في 208هـ/823م والتي جعلت المدينة بحق عاصمة الجنوب[14]. كذلك ساهم العرب في تنمية الثروة الحيوانية الرعوية، والتي كانت تمثل نشاط السكان الرئيسي في ذلك الوقت إذ يصف البكري نواحي سجلماسة «ومنه... حصن يرارة عامر آهل به سوق وجامع وله جدول ماء، وهو بلد يحسن فيه الغنم ويقال إن أصول اغنامهم من قيس... وصوفها من أجود الأصواف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين متقالا»[15] مما يدل على وجود العناصر العربية القيسية بهذه النواحي. ومما يرجح ذلك نجاح أحد الأمراء الأدارسة وهو عبد الله بن ادريس بن ادريس من بناء مدينة تامدلت حيث يتوفر معدن الفضة، شمال دولة سجلماسة[16]، وكذا تسرب بعض بني أمية إلى بلاد سوس شرق إمارة سجلماسة إذ يروي «أن الذي جلب الساقية الى مدينة السوس، عبد الرحمن بن مروان، أخو محمد الجعدي، وأنه هو الذي عمر وادي السوس، الى وادي ماست مسيرة يومين، عليه قرى كثيرة»[17].

(13) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 201، محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 91.

(14) البكري: المسالك ص 147.

(15) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ص 213، البكري: المسالك ص 163.

(16) البكري: المسالك ص 161.

(17) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 216، ابن خلدون: العبر 2: 378، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 287.

ومذهب الأباضية، الذي انتشر ببلاد المغرب، واتخذته الدولة الرستمية مذهباً لها، ينسب الى عبد الله بن أباض المقاعسي المري التميمي[18] من عرب بني مرة، كان معـاصراً لمعاوية وعاش في أواخر عبد الملك بن مروان[19] أما سلمة بن سعيد الذي قام بنشر مذهبه بالقيروان فهو تلميذ أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي، أحد فقهاء المذهب بمدينة البصرة ويبدو أن الأستاذ وتلميذه، كانا من أصل فارسي، وانتميا الى قبيلة تميم العربية بالولاء[20].

وتجمع المصادر الأباضية على حماس سلمة الشديد في نشر المذهب حتى أنه «كان يتمنى ظهوره يوماً واحداً ويموت في آخره» ويبدو أنه اتخذ من بلاد المغرب الأدنى (افريقية) ميداناً لنشاطه، حيث استطاع أن يكسب أنصاراً في إقليم طرابلس وجبل نفوسة[21] فتكونت جماعة من الأباضية في طرابلس تزعمها قائد عربي يدعى عبد الله بن مسعود التجيبي الكندي اليمني. وتبعته قبيلة هوارة البربرية وما أن قتله عامل طرابلس، حتى آلت زعامة الأباضية بطرابلس الى زعيمين عربيين، الأول عبد الجبار بن قيس المرادي، والثاني الحارث ابن تليد الحضرمي وكـلاهـما من عرب اليمن[22]. وتحت رئاسة هذين الزعيمين أصبحت طرابلس عاصمـة للمـذهب الأبـاضي، إلى أن ظهر الخلاف بينهما فاقتتلا وقتل كل منهما الآخر في سنة 131هـ/748 ـ 749م[23].

وحينما تدهورت الدعوة الأباضية بالمغرب الأدنى، أرسل أبو عبيدة مسلم

(18) أنظر سير الشماخي ص 77.

(19) راجع مادة أباضية بدائرة المعارف الاسلامية، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ض 5.

(20) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 26، الشماخي: السير ص 98،

(21) وبنو مراد بطن من كهلان من القحطانية ويذكر ابن خلدون أن مراداً بطنا من مذحج. وبنو حضرموت قبيلة من القحطانية وبهم عرفت مدينة حضرموت من أرض اليمن انظر القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ض 218، 373.

(22) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص 225.

(23) انظر كتاب ابن سلام الأباضي ص 139.

ابن أبي كريمة التميمي، بعثة جديدة من حملة العلم، مشكلة من خمسة دعاة، ينتمون الى البربر والفرس والعرب الى المغرب، ورغم ذلك فقد اختار أبو عبيدة، أحدهم من العرب اليمنية ويدعى أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، رئيساً عليهم، ليتولى «إمامة الظهور» اذا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وسرعان ما تمكن أبو الخطاب من الاستيلاء على مدينة طرابلس وولايتها، ثم استخلص مدينة القيروان حاضرة افريقية العربية من أيدي خوارج ورفجومة الصفرية وتمكن من تأسيس دولة أباضية قوية تمتد حدودها من برقة شرقاً عبر طرابلس ونفوسة الى قسطنطينة وسطيف غرباً، ومال إليه بعض العرب بطرابلس والقيروان إذ يروي ابن سلام الأباضي ان «من عيون جند أبي الخطاب، رجلان من قريش»[24] مما يدل على انضمام بعض بيوتاتهم إليه. إلاّ أن هذه الدولة سرعان ما سقطت أمام حملة محمد بن الأشعث الخزاعي الذي هزم جيش أبي الخطاب في تورغا بشرق طرابلس وقتل الزعيم المعافري في 144هـ/761م[25].

وفي 151هـ/768م حينما قامت ثورة اشترك فيها الأباضية والصفرية بقيادة أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي النسب، الكندي بالولاء، ونجح في الاستيلاء على القيروان و «أجلى... من بها من بقية جند ابن الأشعث (العربي) فاعطى لكل خمسة منهم قربة وخشبة يحملون عليهم قربتهم، وأعطاهم خنجراً يصلحون به نعالهم، وأعطى لكل واحد من الخمسة رغيفاً من خبز لزادهم، فتفرق أولئك الأسارى وانصرفوا الى المشرق»[26].

أما الدولة الخارجية الثانية، فهي الدولة الرستمية الأباضية التي قامت في

(24) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 35، 46، الشماخي: السير 123 ـ 132 ابن الأثير: الكامل 5: 316.

(25) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 48 ـ 49.

(26) ابن عذاري: البيان المغرب 1: 157، 196

المغرب الأوسط سنة 161هـ/777م ورغم أن مؤسس هذه الدولة رجل فارسي الأصل ـ كما يقال ـ وهو عبد الرحمن بن رستم بن بهراما، يروي ابن عذاري أن بهراما جد عبد الرحمن كان من موالي عثمان بن عفان الأموي وان عبد الرحمن أطلق على ابنته إسم أروى[27]. ويضيف الجهشياري أن والدة الخليفة عثمان بن عفان كانت تسمى بهذا الاسم[28] مما يدل أن الامام الاباضي سمي ابنته على اسم والدة مولى أسرته الأموي.

وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة تاهرت التي بناها عبد الرحمن بن رستم سنة 161هـ/777 ـ 778م[29] ولم تلبث هذه المدينة أن إزدهرت وهاجر إليها التجار والعلماء والطلبة من جميع أنحاء العالم الاسلامي وخاصة من العراق والقيروان ولا شك أن نسبة كبيرة من المهاجرين كانت من عرب البصرة والكوفة والقيروان حتى أطلق اليعقوبي على المدينة «عراق المغرب» لأن أهلها أخلاط من الناس[30] خصوصاً أن أباضية مدينة البصرة العربية لم تنقطع علاقاتهم بأباضية المغرب الأوسط، إذ عملوا على دعمهم مادياً وروحياً[31] ولا يستبعد كذلك بشرياً، ففي خلال سنوات قليلة ما أن ينزل أحد عرب العراق والقيروان مدينة تاهرت حتى يستوطن بها، ويروي ابن الصغير: «حتى لا ترى داراً إلاّ قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي. وهذا مسجد

(27) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 259.

(28) وتذكر بعض الروايات ان ابن رستم بعد هزيمة الأباضية في 144هـ فر إلى المغرب الأوسط حيث أسس تاهرت في نفس العام ولكن يبدو أن ابن رستم لم يفكر في ذلك إلا بعد فشل محاولته في العودة إلى إفريقية واستعادة إمارة أبي الخطاب المعافري ولذلك فتاريخ تخطيط المدينة الذي يقدمه ابن عذاري في 161هـ أقرب الى المعقول. انظر النويري: نهاية الارب 22: 229، ابن خلدون: العبر 6: 147.

(29) انظر اليعقوبي: البلدان ص 104 ـ 105

(30) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ص 14، أبو زكريا: سير الائمة وأخبارهم ص 54، الشماخي: السير ص 162.

(31) ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين ص 12 ـ 13.

القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين»[32] مما يعني أن عرب مدينتي البصرة والكوفة حيث مركز الدعوة الأول لمذهب الخوارج، وكذا عرب القيروان، حيث نشأ أقطاب الدعوة الأوائل وجاهدوا في سبيل إقامة المذهب، سارعوا الى الهجرة الى الدولة الرستمية بعد ظهورها.

ويضيف البكري أن فرقة الواصلية، التي يطلق عليهم الدرجيني إسم «المعتزلة»، كانت تقيم بجوار تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفاً في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها[33] وإذا علمنا أن سكنى البربر كانت المداشر وكهوف الجبال[34] أدركنا أنه من المحتمل وجود هجرات عربية قليلة العدد الى المغرب الأوسط اثرت في قبائل البربر من زناتة. فاتخذوا الخيام لسكناهم، والأغنام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها، ويتخذون الأثاث من أوبارها وأشعارها، ويحملون أثقالهم على ظهورها[35] خصوصاً وقد جاور الرستميين إمارات علوية عربية صغيرة في متيجة ومدكرة والخضراء وسوق إبراهيم[36]، لاشك أن أمرائها نقلوا معهم عادات وتقاليد الحجاز الى المغرب الأوسط.

توفي عبد الرحمن بن رستم في 168هـ/784م وترك لكبار أصحابه إختيار خلف له وتروي المصادر الأباضية أنه ترك الأمر شورى في ستة من أصحابه وسابعهم إبنه عبد الوهاب اسوة بعمر بن الخطاب الخليفة الراشدي، منهم عمران بن مروان الأندلسي، ومسعود الأندلسي، وانتهى الأمر بالمفاضلة بين الأخير الذي يصفه أبو زكريا بأنه «كان رجلا فاضلا، فقيهاً ورعا من شيوخ المسلمين» وعبد الوهاب بن رستم. ويبدو أن الأندلسيان كانا من العرب، إذ

(32) البكري: المسالك ص 67، الدرجيني: طبقات الأباضية 1: 57، 60.
(33) السلاوي: الاستقصا 2: 145.
(34) الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب 1: 13 ـ 14.
(35) انظر اليعقوبي: البلدان ص 104 ـ 105.
(36) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 54، 55، 56 وتعليق(1).

أن أبو قدامة يزيد بن فندين، أحد أصحاب الشورى وزعيم يفرن، لما أيقن أنه لن يصل الى الامامة، مال الى عبد الوهاب لصلة الرحم لأن أمه يفرنية بربرية من قبيلته وقال: «هو أقرب منا رحماً من غيره، ولعل ذلك ان يعطفه علينا. . . فرجوا فيه أن يؤثرهم في الأمور»[37].

وفي خلال فترة حكم الامـام عبـد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الطويلة (168 ـ 198هـ/784 ـ 814م)، تعددت ثورة الجزء الشرقي للدولة الرستمية مما أسفر عن ثاني الانشقاقات الأباضية، بسبب اجماع أهل نواحي طرابلس على تولية بني أبي الخطاب المعافري اليمني، أمورهم ورئاستهم.

إذ نتيجة للتوتر في منطقة طرابلس، انتقل الامام عبد الوهاب إلى جبل نفـوسـة وهو أحد مواطن الدعوة الرئيسية، لانه ولو الأمور، وأراد الامام تولية بعض أعوانه على نواحي طرابلس ولكن أهلها رفضوا وطلبوا تولية السمح ابن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني عليهم، مما يدل على وجود قبائل عربية استقرت بالمنطقة، إذ يروي أبو زكريا أن السمح «هو ابن إمامهم أبي الخطاب» وبعد وفاة أبي الخطاب، اتخذ الامام عبد الوهاب، السمح بن أبي الخـطاب وزيراً له ولـذلـك وافق بعـد تردد وخـاطبهم بقوله: «يا معشر المسلمين، إنكم علمتم أن السمح وزيري، وأحب الناس إلي، وأنصحهم، ولن أريد مفارقته، فإذا أردتم ان استعمله عليكم، فاني قد آثرتكم على نفسي» وأحسن الزعيم اليمني الى رعيته كما «استعمل في طرابلس وحيزها عمالا كثيرة تحته»[38].

ولذلك ما أن توفي القائد اليمني الأباضي، حتى قامت رعيته بتولية ابنه

(37) أنـظر أبـو زكـريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 79، وقارن الدرجيني: طبقات الأباضية1: 67، الشماخي.: السير ص 162.

(38) الشماخي؛ السير ص 123 ـ 132، 163، ابن الاثير: الكامل 5: 316، ابن عذاري: البيان المغرب1: 70 ـ ٧٠، الدرجيني: طبقات الأباضية 1: 67،2: 22 ـ 35.

خلف بن السمح. ويبدو أن حفيد الأسرة اليمنية، تطلع الى الاستقلال بالجزء الشرقي من الدولة الرستمية، معتمداً على تاريخ أسرته اليمنية في الدعوة الأباضية، فهو حفيد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري «أول أئمة الظهور» وأبوه السمح بن أبي الخطاب، وزير الامام عبد الوهاب وساعده الأيمن، وعامله على جبل نفوسة، لذلك إكتسب آل ابي الخطاب المعافريين منزلة كبيرة بين أباضية المغرب الأدنى من البربر ومن مال الى الأباضية من القبائل العربية التى استقرت بالمنطقة.[39].

وخشي الامام عبد الوهاب على نفوذه في هذه النواحي من جراء قيام حكم وراثي فيها. فانكر على آل أبي الخطاب ما استباحوه لأنفسهم من الخروج على مبدأ الاختيار الى مبدأ الوراثة في الحكم. ومن ثم لم يقر شرعية ولاية خلف ابن السمح، كما ضرب صفحاً عن توسلات أباضية الجبل لابقائه والياً عليهم من قبله[40].

أصرت غالبية الأباضية على التمسك بولاية خلف، فخلعوا أمامه عبد الوهاب، وبايعوه بالامامة، محتجين بجواز ازدواج الامامة اذا وجد ما يفصل بين أتباع المذهب، أو لصعوبة الاتصال وطول المسافة بينهم وبين تاهرت، أما من تمسك من الأباضية بإمامة عبد الوهاب فقد ولى عليهم أحدهم ويدعى أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني ويروي أبو زكريا أن عبد الوهاب كتب الى من تمسكوا بإمامته وحلف لهم بالله «بالعربية و «برديو»[41] بالحضرية، وابيكيش بالبربرية، لا أقلد أمور المسلمين إلاّ رجلا يقول: أنا ضعيف، أنا ضعيف»

(39) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 80.

(40) يذكر محقق سير الأئمة ان كلمة «بريديو» قد تكون تحريفا من النساخ بزيادة الراء لكلمة «ديو» اللاتينية فتكون Pardieu اذ أن اللغة اللاتينية كانت لاتزال مستعملة في أواخر القرن الثاني الهجري في بعض أوساط المدن في ذلك العهد انظر أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 84 تعليق (2).

(41) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص 82.

مادحاً الجناوني الذي اعتذر عن الولاية لضعفه وبالطبع معرضا بخلف بن السمح الذي تطلع الى الولاية[42]. ولكن ما يهمنا هذا القسم المتعدد اللغات، والذي يدل ان من تمسك بإمامة عبد الوهاب كان من البربر والعرب والأفارقة الذين يتكلمون اللغة اللاتينية. مما يدل أن أغلبية عرب المنطقة انضموا الى حفيد الأسرة المعافرية اليمنية، والأقلية منهم كانوا في المعسكر المعادي. وهكذا حدث الانشقاق الثاني لفرقة الأباضية.

ومات عبد الوهاب وتولى ابنه أفلح (198 ـ 247هـ/784 ـ 861م) ومعظم أجزاء الدولة الشرقية في حوزة خلف بن السمح المعافري. واستمرت حركة خلف وتفاقم خطرها خلال نحو عشرين عاماً من حكم أفلح بن عبد الوهاب، كان خلالها خلف يسعى لضم كافة الأقاليم التي كانت في نطاق حكم جده أبي الخطاب وقد تمكن بالفعل من مد نفوذه حتى بلده تيمتي وما وراءها شرقاً. وظل خلف يتمتع بنفوذ في معظم جهات طرابلس وجبل نفوسة حتى وفاته وأن أنصاره من نفوسة وزواغة الذين عرفوا «بالخلفية» ظلوا موالين لابنه المعروف بالطيب حتى أواخر عهد الدولة الرستمية[43].

لم يقتصر دور العرب، على تعمير تاهرت والاشتراك في إدارة الدولة والمسؤولية عن الانشقاق الثاني وظهور ما يعرف بفرقة «الخلفية» فقط، بل تطور هذا الدور بازدياد العنصر العربي في الدولة الرستمية، حتى صبغت المرحلة الثانية من تاريخ الدولة خلال عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي يقظان محمد (258 ـ 281هـ/873 ـ 895م) بالصراع القبلي والعنصري مما أدى إلى سقوط الدولة الرستمية[44].

(42) أبو زكريا: سير الائمة وأخبارهم ص 83 ـ 89، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي 122 ـ 123.

(43) انظر محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 115، 126.

(44) احسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين ص 23.

ففي وقت قصير نسبياً تعقد التكوين الاجتماعي في تاهرت، على أساس الانتماء المذهبي والقبلي والعرقي والاقتصادي، وتعددت ضروب الولاء وأنواع التحالفات، وكثرت الانقسامات والتوجهات بحسب ماتمليه المصالح المختلفة، وكان مما حال دون انصهار هذه العناصر، لاتشبثها بانتماءاتها القديمة، وتباعد المسافات بين تلك الانتماءات وحسب. بل استقلال كل منها في حي خاص في المدينة، ولجوء كل منها ـ بدافع الخوف والحذر ـ الى بناء الحصون التي تأوى إليها إذا شبت نار الفتنة بينها.[45].

ويروي ابن الصغير أنه نتيجة لتوطيد الأمور في الدولة، وازدياد ثروة القبائل التي استقرت بجوار مدينة تاهرت، بسبب النشاط التجاري المتزايد، بدأ يظهر الترف والبطر والفساد ولكي يحتفظ الامام بسلطته على جميع القبائل لجأ الى سياسة فرق تسد، فأثار العداوات بين القبائل وكذا النعرات بين الجند وبين العجم حتى تنافرت النفوس وقامت الحروب[46]. إذ ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر، فضلا عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الافريقي[47]. إذ وفدت على العاصمة الرستمية جموع من العرب والجند بعد فشل ثوراتهم على الأمراء الأغالبة[48]، فأقبلوا على سكنى تاهرت هرباً من

(45) ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين ص 27.

(46) من الفئات التي اعتمد عليها بنو رستم، بعد ضعف القبائل، فئة الجند، التي تضامنت مع العرب في الانتفاضات ضد العجم ونفوسة، وهي فئة تأتمر بأوامر الامام وتقيم في القصبة المعصومة وهي أبرز أثر معماري في خطط تاهرت اذ كانت حصن عسكري شديد التحصين، لتكون معصومة فعلا من كل هجوم ضد الرستميين، كما كانت تستعمل كنزل لاستقبال ضيوف الائمة أو يقام فيها مجلس القاضي للفصل في بعض القضايا. وهؤلاء الجند هم الذين ثاروا ضد الأغالبة بافريقية ثم اضطروا الى الفرار نحو الغرب ولجؤوا الى تاهرت ولذلك هم من القبائل العربية وهذا هو سبب وقوفهم مع العرب في الصراع مع الفئات الأخرى انظر ابن الصغير: أخبار الائمة ص 47.
G. Marcais: l'architecture musulmane d'occident p. 28-29.

(47) النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية 2: 231.

(48) وفي نص ابن الصغير ترد لفظة «المسيحيين» وانهم كانوا في خاصة الامام أبي بكر، وانهم كانوا من

بطش هؤلاء الأمراء من ناحية، وطمعاً في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي إزدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية أخرى، فضلا عن أتباع السمح ابن أبي الخطاب الذين انشقوا على خلف بن السمح وهربوا إلى تاهرت ودخلوا في خدمة بني رستم، وعرفوا لذلك «بالسمحية»[49].

وفي أواخر فترة حكم أفلح بن عبد الوهاب، كان يمكن تقسيم القوى بالدولة الرستمية الى قسم موالي للامامة الرستمية ويشمل نفوسة والفرس والرستمية ومن انضم إليهم من العرب «السمحية». والآخر مناوىء لها يضم العرب والجند الافريقي فضلا عن بعض القبائل الضاربة حول تاهرت. وان تأرجحت بعض هذه القوى بين الولاء والعداء لبني رستم أحياناً[50].

آلت الامامة بعد أفلح الى ابنه أبي بكر (247 ـ 260هـ/861 ـ 873م) بناء على تأييد قبيلة نفوسة، رغم اعتراض الفقهاء، نتيجة لاختلافه عن آبائه الورعين إذ «كان سمحاً جواداً لين العريكة ويسامح أهل المروات ويشايع على مرواتهم ويحب الآداب والاشعار وأخبار الماضين» أي ميالا الى الترف والملذات زاهداً في الادارة والحكم ولذلك حاول الاستعانة بإحدي القوى الموجودة بتاهرت من دون نفوسة التي كانت تمقتها بقية العناصر الأخرى، فوطد صلاته بالجند والعرب وصاهر زعيمهم محمد بن عرفة وسلم

= وجوه أهل البلد، واشتهر منهم فارس إسمه «بكر بن عبد الواحد» ولذلك زعم جورج مارسية انهم من البربر الذين بقوا متمسكين بدينهم المسيحي، وتبعه في ذلك كثير من الباحثين، مستشرقين وعرب. وفي الحقيقة أن موقع اللفظة غريب لأنا لم نألف إستعمالها، انها تورد المصادر بدلها لفظ «النصارى» على التحديد، أو لفظ الروم أو الفرنجة وقد قرأها سليمان الباروني السمحيين مما يحتمل أن المقصود جماعة ممن رفضوا انشقاق خلف بن السمح وهاجروا إلى تاهرت وسندوا الدولة الشرعية. انظر ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 36، مارسيه مادة بني رستم، دائرة المعارف الاسلامية 1: 94، الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 128 وتعليق (74).

(49) محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي ص 127 ـ 128.

(50) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ص 31.

اليه مقاليد الدولة، وركن الى الدعة والخمول، واستبد ابن عرفة بتصريف شؤون الامامة من دون الامام «حتى كانت الامارة بالاسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة»[51].

والذي يفهم من النصوص أن محمد بن عرفة كان يتمتع بصفات عظيمة، جعلته في مصاف رجال تاهرت المرموقين، منذ أيام الامام أفلح، الذي أوفده بسفارة وهدية الى ملك السودان: فنجح في مهمته وحاز إعجاب ملك السودان بفروسيته وحسن خصاله، إذ كان ابن عرفة يتمتع بالوسامة والجود والسماحة الى جانب الهيبة والفروسية وحسن الأفعال ولذلك يبدو أنه حدث إعجاب متبادل بين الامام ووزيره ابن عرفة فتصاهرا وتبادلا أخت كل منهما، إذ تزوج الامام اخت ابن عرفه، وتزوج الأخير أخت الامام. ولا شك أن رابطة النسب ساعدت على تقوية أواصر القربى بين الامام ووزيره، الذي تحول بسرعة حتى أصبح أشبه بالممثل الشخصي للامام. ويستطيع الدخول عليه في أي وقت يشاء وفي أي مكان دون موعد سابق أو إذن[52]. مما يرجح أن مكانة العرب إرتفعت في الدولة.

ولكن سرعان ما أتت الرياح بغير ما تشتهي سفن زعماء العرب، إذ عاد أبو اليقظان محمد، الأخ الأكبر للامام، الى عاصمة الدولة الرستمية، وكان سار الى المشرق لأداء فريضة الحج والتفقه على شيوخ المذهب، في خلال فترة حكم أبيه أفلح ولكن قبض العباسيون عليه وحبسه الخليفة المتوكل العباسي في سجن قصره الذي كان فيه ابن الخليفة المغضوب عليه وتزامل الأميران في السجن إلى أن قتل المتوكل في 247هـ/861م وعين الأمير العباسي، خليفة، وهو المنتصر بن المتوكل[53] فأفرج المنتصر عن زميله وأعاده الى تاهرت مكرماً.

(51) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ص 31، 33، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 356.

(52) انظر خلافة المتوكل وإبنه المنتصر، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص 320 ـ 330.

(53) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 28 ـ 30

عاد أبو اليقظان محمد بن أفلح الى تاهرت، ورغم أنه كان أكبر أبناء أفلح، وولي عهده عند سفره الى المشرق، وما تمتع به من خبرة خلال رحلته المشرقية من علم ومعاناة السجن، وصله بالخلافة العباسية، إلاّ أنه رضى بالأمر الواقع ولم يتطلع الى منازعة أخيه أبي بكر الامامة ولذلك «استعان (الامام) بأخيه أبي اليقظان محمد في الحكم فعهد إليه بالنظر في أمور تاهرت وأحوازها: وأظهر أبو اليقظان ما كان يتمتع به من الكفاية في شؤون الادارة بالاضافة الى ما اكتسبه من أدب المشرق، والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم»[54] وهكذا آلت أمور الامام الى نائبيه القويين: محمد ابن عرفة زعيم عرب تاهرت وصهره. وأبو اليقظان محمد أخيه الأكبر، وكان من الطبيعي أن ينشأ صراع بين النائبين. فالأول إذ ركب من داره يريد الامام، مشي بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم لاشك أن أغلبيتهم من العرب. كما شغل بارتفاع مكانته وما كان فيه من «دوي وصيت عال، لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها، ولا ينظر بهيبة له أو إجلال أو حذر منه». بينما كان الثاني، يجول في المدينة، ويركب الى أعلى مسجد فيها، حيث يجلس للنظر في شؤون الناس، وفي آخر النهار يأتي باب أخيه أبي بكر، يستأذنه ليخبره بأحداث اليوم وقد يجده مشغولا فينصرف دون مقابلته. وهكذا بينما كان أبو اليقظان وعمومته وإخوته لا يصلون الى الامام إلاّ بعد الاستئذان، كان الزعيم العربي، لا يحجبه عن الوصول إليه حاجب.

أخذ أبو اليقظان وقرابته يتربصون بالزعيم العربي، ويعددون عليه فلتاته عند الامام، الى أن نجحوا في اثارة أبي بكر عليه، فأخذ يراقب صهره العربي، وما يتمتع به من سلطة، وهاله ما رأى من سلطان محمد بن عرفة، فدبر مقتله غدراً، عندما دعاه الى خلوه في بعض متنزهاته، واتفق مع أحد خدمه لقتله،

(54) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 32.

وما أن وقف الزعيم العربي وتهيأ لصلاة المغرب ورفع يديه للتكبير حتى طعنه الخادم بالرمح بين كتفيه فقتله[55].

وحاول مؤرخو الأباضية إنكار تدبير الامام لهذه المؤامرة، دفاعاً عن آل البيت الرستمي فأبو زكريا والدرجيني إكتفيا بالاشارة الى أن الناس فوجئوا بالزعيم العربي قتيلا دون أدنى إشارة الى ظروف مقتله[56]. أما النفوسي فيبرىء أبا اليقظان من تهمة التحريض على قتل ابن عرفة وينسبها الى أحد نصحاء الامام[57]. ولكن هذه الروايات جميعاً تضعف أمام رواية ابن الصغير المالكي الذي يؤكد أن أبا اليقظان دبر الحادث، وأن أبا بكر نفذه.

وكيفما كان الحال، فقد نتج عن اغتيال الزعيم العربي فوضى شملت الدولة الرستمية فقد هب العرب والجند بقيادة محمود بن الوليد[58] أو ابن الوليلي[59] مطالبين بثأر زعيمهم ابن عرفة. كما انضم إليهم العامة. والخاصة والنساء والصبيان، ممن كانوا يعرفون لمحمد بن عرفة أياديه البيضاء عليهم. وبمجرد أن نادي المنادي: « الا أن القتيل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه» حتى هاجت الفتنة بتاهرت.

ولم تقتصر الثورة على العنصر العربي فقط، بل وساهم فيها موالي العرب، مثل خلف الخادم الثري - مولى تميم - الذي استخدم ثراءه في سند الفئات العربية خلال الثورة[60].

تجمع العرب والجند ومن انضم إليهم بموضع الكنيسة بأعلى العاصمة

---

(55) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 33، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي 2: 358.
(56) أبو زكريا: سير الأئمة ص 96، الدرجيني: طبقات الأباضية 2: 83.
(57) النفوسي: الأزهار الرياضية في الأئمة وملوك الأباضية 2: 223 - 226.
(58) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 36.
(59) النفوسي: الأزهار الرياضية 2: 230.
(60) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 35 - 37.

الرستمية وعندما أدرك الامام خطورة الموقف حشد أنصاره من الرستمية وحلفائه من السمحيين المعافريين وغيرهم وزحف الى الثوار واستعد كل فريق للحرب بالدروع على الأجساد والبيض على الرؤوس واتخذت كل جماعة راياتها المميزة بها، وسرعان ما نشب القتال بين الفريقين، وكانت ملحمة مروعة صبر الناس فيها حتى تطايرت أيدي المقاتلة وأرجلهم وانقلعت هاماتهم، وعندما تعبوا من الضرب تماسكوا بالأيدي وتقاذفوا السباب. وقتل من الطرفين خلق كثير[61].

استغل الفرس (العجم) الفرصة وحاولوا الاستيلاء على تاهرت وقالوا: «قد أمكننا في العرب والجند ومواليهم وأتباعهم ما نريد، فقوموا بنا مع اشتغالهم بأنفسهم حتى نثب على طرف المدينة فنقتل مقاتلتهم ونخرب ديارهم، ونميل على سائرهم فنهلكهم، فيعنو لنا السلطان»[62]. عندئذ تضامن الرستمية وأحلافهم من السمحيين المعافريين مع الجند والعرب، إذ تركوا قتال بعضهم وتعانقوا، وتصدوا لقتال الفرس وأسروا منهم أعداداً غفيرة، بينما انسحب الامام والرستمية من حلبة الصراع، يبدو أن السمحيين المعافريين استمروا في القتال بجوار الجند والعرب وتمكنوا من الحاق عدة هزائم بالفرس وأضرموا النيران في منازلهم في «معركة يوم حربة» بجوار درب النفوسيين في تاهرت وخشي أبو يقظان ونفوسة من خطر الجند والعرب فانضموا للفرس «وصارت كلمتهم وكلمة العجم واحدة» وفي البداية حقق العجم ونفوسة انتصارات متعددة على الجند والعرب في موقعة قنطرة الدمنس، وقنطرة سليس

(61) ومن الجدير بالذكر أن وصف ابن الصغير لهذه المعركة، لا يختلف عن وصف صاحب أخبار مجموعة لموقعة شقندة في الأندلس بين اليمنية بقيادة يحيى بن حريث الجذامي والقيسية بقيادة يوسف بن عبد الرحمن الفهري ووزيره الصميل بن حاتم القيسي في 130هـ/747م، قارن ابن الصغير: أخبار الائمة،ص 36 ـ 37، مجهول: أخبار مجموعة ص 59.

(62) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 37

حيث فزع صناديد العرب ولكن سرعان ما أحرز العرب إنتصارهم الكبير في المعركة المعروفة «يوم الرد المعوج» حيث اضطرت نفوسة الى الفرار. وهكذا أسفر الصراع عن انتصار الجند والعرب وفرضوا سيطرتهم على العاصمة الرستمية في 260هـ/874م[63].

قام العرب بطرد أعدائهم من العجم ونفوسة خارج المدينة وتمكنت نفوسة من التحصن في إحدى الحصون القوية بعدوة نفوسة بنواحي المدينة مما دفع العرب والجند للقيام ببناء حصن لمواجهة خطر مقاتلي الحصن البربري ويروي ابن الصغير أن تكلفة بناء هذا الحصن تحملها التجار العرب الذين كانوا مستقرين بجوار حصن نفوسة وهم أبو محمد الصيرفي، وابن الواسطي وغيرهما من وجوه التجار أصحاب الأموال كما أنه لم يكن يفصل بين الحصن العربي والبربري، إلاّ مقدار رميه سهم وأن العرب كانوا يبنون الحصن «والنبل تصيبهم فيجعلون لهم ستارة، حتى استدار الحصن وركبوا أبوابه وعلته أبرجته، والحرب لا تفتر ليلا ولا نهاراً»[64].

ولكن العرب والجند لم ينعموا طويلا بالسيطرة على زمام الأمور في تاهرت، إذ سرعان ما استغلت قبيلة هوارة فرصة ضعف جميع القوى بالعاصمة الرستمية واقتحمت المدينة دون مقاومة. وقضت على سيطرة العرب عليها[65].

وبعد أن تمكن أبو اليقظان محمد بن أفلح من فرض نفسه إماماً للدولة الرستمية (260 ـ 281هـ/873 ـ 894م)، بدأ التأثير العربي المشرقي في الدولة الرستمية فابن الصغير يروي أن مجلس الصلح بين أبي يقظان وأهل تاهرت، تم في سرادق عظيم، أتى أبو يقظان به من بغداد، واقامه في ظاهر

(63) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 38

(64) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 38 ـ 39.

(65) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 39 ـ 40، النفوسي: الأزهار الرياضية 2: 236.

المدينة، وكان هذا السرادق أول سرادق مضروب يراه أهل المغرب الأوسط، إذ كانت لهم مضارب وقباب متواضعة يقيمونها في مثل تلك المناسبة[66].

كما اتخذ مجلساً للمشورة من شيوخ القبائل ووجهاء كافة العناصر المقيمة بمدينة تاهرت من عرب وغيرهم وتسامح مع اتباع المذاهب والفرق الأخرى من الكوفيين والصفرية والمعتزلة والمالكية، وأباح لهم الصلاة في المساجد جميعاً فيما عدا المسجد الجامع ويروى ابن الصغير أن شيوخ هذه الفرق كانوا يدخلون في محاورات ومناظرات مع فقهاء الأباضية في جو مفعم بالحرية والتسامح[67].

ويضيف ابن الصغير أن الامام، اصطفى لنفسه أحد شيوخ المذهب من العرب يسمى محمود بن بكر «كان أخص الناس به» والذي كان يؤلف الكتب في الرد على مخالفي الأباضية ويرد على الفرق في مقالاتهم.[68].

وما أن توفي أبو اليقظان حتى ظهرت نتائج التناحر القبلي، والصراع العنصري، إذ ضعفت شوكة جميع العصبيات، فانهارت هيبة الامامة التى اعتمدت على العصبية، حتى أصبح الأئمة وعزلهم لعبة في أيدي عامة المدينة. إذ يروي ابن الصغير أنه «لما مات أبو اليقظان قامت العوام، وأهل الحرف ومن لف لفهم، فقدموا ابنه أبا حاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم»[69] والمؤرخ السني حينما يتحدث عن العوام وأهل الحرف، انما يتحدث عن حركة مناهضة للأباضية، ولعل هذه القسمة تشير أيضا الى تمييز بين الأجناس فالقبائل بطبيعة الحال من البربر، والعوام وأهل الحرف يمثلون ـ فيما يبدو ـ عناصر غير بربرية من بينها العناصر العربية. ويرجع ذلك أن

(66) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 41.

(67) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 42 ـ 45.

(68) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 44.

(69) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 49

الامام الجديد أبا حاتم يوسف بن محمد أبي اليقظان (281 ـ 294هـ/894 ـ 907م) أصبح منقادا لتوجيهات فقيهين حنفيين هما أبو مسعود وأبو ذنون من الكوفة. ومعهما ثالث يدعى علوان بن علوان كانت له رئاسة في البلد، ومحبة عند العوام وكان هؤلاء كما يقول ابن الصغير المالكي «قد طمعوا أن يبدوا خبر الأباضية ويطفئوهم» مما يرجع أن بعضهم من العرب، إن لم يكن جلهم[70].

ويبدو أن سياسة الامام من جهة وازدياد عدد معارضيه من جهة ثانية أدى في النهاية الى خروجه في نحو مائة رجل من وجوه أعوانه من السمحيين المعافريين برئاسة بكر بن عبد الواحد، ومن حماة البلد برئاسة بكر بن يبيدي وكانا فارسي الغرب في ذلك الزمان.

واستدعى أهل تاهرت، يعقوب بن أفلح، وكان على غير اتفاق مع ابن أخيه أبي حاتم حتى أنه رحل منذ ولايته عن تاهرت، ونزل بزواغة، ونصبوه إماماً لهم في 282هـ/896م ونشأ صراع بين العم وابن أخيه حول السيطرة على تاهرت انتهى في 286هـ/900م بعودة أبي حاتم مرة ثانية إماما للمدينة ولكن شاركه في الحكم مشايخ المدينة «أباضية وغير أباضية» ولم تعد مناصب الدولة حكراً على نفوسة والعجم، بل برزت عناصر جديدة وتحولت السلطة الحقيقية في تاهرت الى هؤلاء العمال[71] ولا شك أن العرب شكلوا نسبة كبيرة من مشايخ المدينة وشاغلي مناصب الدولة في هذه الفترة.

ويبدو أن يعقوب بن أفلح ومن هرب معه من مشايخ عرب الكوفيين الى زواغة بأحواز طرابلس سنة 286هـ/900م، كانوا وراء حركة الطيب ابن خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، إذ كانت قبيلة زواعة لا تزال على ولائها لتعاليم خلف بن السمح المعافري، والتفت

(70) ابن الصغير: أخبار الأئمة 51.

(71) ابن الصغير: أخبار الأئمة ص 51 ـ 57.

حول ابنه الطيب بعد وفاته. وتمكن أبو منصور إلياس بن منصور والي جبل نفوسة من هزيمة الطيب وأنصاره من زواغة فلجأوا الى جزيرة جربة وتمكن الطيب من التحصن في أحد حصون جربة يسمى غرادية في جوار أحد الزواغيين ولكن رنين الذهب دفع الزعيم الزواغي، الى رد جوار الزعيم المعافري وتعلل في ذلك بقوله: «انزل أيها الأمير، فقد طالما أرملت نساء زواغة على يدك» فرد الزعيم المعافري والذي لم يكن يحسن البربرية بالرغم من نشأته بجوار قبائلها، مما يدل على أن نشأته في وسط عربي من عصبيته المعافرية قائلا: «ليتكم لم تسموني أميراً يا مشؤومات بالبربرية» ويعلق أبو زكريا المؤرخ الأباضي البربري على ذلك بأن الأمير «انتهم لأنه رجل عربي لم يحسن البربرية»[72].

قبض أبو منصور إلياس على الزعيم المعافري وسجنه بجبل نفوسة وكان الرجل مكرماً في سجنه معززاً لشرفه وعلمه وفقه، ولم يستنكف شيوخ الجبل من فتواه، حينما يختلفون حول مسألة، حتى تندر المعافري لوضعه الغريب بقوله: «سجنوني ويسألوني» وهكذا قضى على حركة المعافريين بطرابلس[73].

ولكن يبدو أن السمحية المعافرية لم يركنوا للدعة، بعد القبض على الطيب بن خلف وسجنه بجبل نفوسة على يد إلياس بن منصور عامل الجبل من قبل أبي حاتم، فقد اشتركوا مع أفراد البيت الرستمى المناوئين لامامه ابي حاتم في تدبير مؤامرة اغتياله بزعامة أبي الخطاب السمحي أحد حفدة أبي الخطاب، حتى تمت المؤامرة في 294هـ/907م على يد أبناء أخيه[74].

ويروي أبو زكريا أنه لما مات أبو الخطاب السمحي هذا قالت إمرأة معافرية من ذرية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح (الكبير) وهي تندبه وتبكيه

---

(72) أبو زكريا: سير الأئمة ص 99 ـ 100.

(73) أبو زكريا: سير الأئمة ص 101.

(74) أبو زكريا: سير الأئمة ص 131.

«مـات الحق وبقيتم ها هنـا يازواغـة، ببطون كالأخرجة، وعمائم كالأبرقة، وأحكام متعوجة» مما يدل على إستقرار عرب معافر مع بربر زواغة[75].

ويبدو أن آل أبا الخطاب المعافريون، لعبوا دوراً كبيراً في نشر الاسلام بمنطقة طرابلس وجبل نفوسة إذ يروي ابن سلام المؤرخ الأباضي والذي توفي بعد 273هـ/887م بقليل، أن أول من قام بتعليم قبائل نفوسة القرآن الكريم هو عمـر بن يمكتن بقرية إفاطمان بجبل نفوسة. وأن عمر تلقى علمه على أيدي العرب «ويقال ان عمر بن يمكتن إنما تعلم القرآن من طريق مغمداس، يتلقى فيها من رفاق العرب من المشرق فيكتب عنهم لوحة من القرآن وينصرف فإذا درس ما كتب وتعلم رجـع الى المحجـة فيكتب من المـارة الرفاق لوحة وينصرف. فأدى به ذلك التعلم للعلم والقرآن»[76].

وحينـما يذكر ابن سلام تسمية فقهاء وعلماء ومشايخ المذهب الأباضي ببـلاد المغـرب، يلقي لنـا أضـواء هامـة، لانتشار بعضهم بمدينة القيروان وحواليها، إذ كان يُعتقد أن هذه المناطق حكراً لمذاهب السنة فقط. منهم أبي سعيد عربي بالساحل في قبلة المرج، وله حوانيت عدة بالقيروان، ويروي أنه كشف سر طائفـة مارقـة يسميهم «المشركـون عابدو الكبش» كانت مستقرة بالقيروان فقتلهم والي المدينة[77].

وحـارث أبـو الغدير من قبيلة مهرة اليمنية، «فقيه مفت كبير معروف بدعوة المسلمين» استقر بمنزل أبي الأزهر الهواري بالسبخة قبلة سوسة غربي مدينة القيروان.

وسليمان بن جاس (ياسر) فقيه من علماء الأباضية، عربي منزله بقلوط

(75) أبو زكريا: سير الأئمة ص 132.

(76) كتاب ابن سلام الأباضي ص 149.

(77) كتاب ابن سلام الأباضي ص 157 ـ 158.

وهـو حوزة شرقي القيروان، غربي سوسة. وأبو حبيب وهو رجل عالم فقيه، عربي منزله بقفصة الساحل شرقي القيروان في قبلة سوسة[78].

كما يضيف ابن سلام أن مجموعة من علماء المذهب، نحو خمسمائة رجل من العرب انتقلت في منتصف القرن الثالث الهجري من تاهرت الى نواحي القيروان حيث استقروا «وهم حوزة وجماعة ومنازل عدة ومساجد كثيرة» وكان كبيرهم يوسف الفتاح وهو رجل بصير بالفقه، تولى رئاستهم، الى أن توفي في 260هـ/873 ـ 874م[79].

(78) كتاب ابن سلام الأباضي ص 158 ـ 159.

(79) كتاب ابن سلام الأباضي ص 158 وتعليق (9).

أولا ـ المصادر العربية

ثانيا ـ المراجع العربية الحديثة والمترجمة

ثالثا ـ المصادر الأجنبية

## أولا ـ المصادر العربية

- ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)
1 ـ الحلة السيراء، جزءان، تحقيق الدكتور حسين مؤنس (القاهرة 1963 ـ 1964م).

- ابن الأثير : عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت 630هـ / 1233م).
2 ـ الكامل في التاريخ (بيروت 1965م).
3 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق محمد صبيح (القاهرة 1964).

- الادريسي : أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف السبتي (ت 560هـ / 1164م).
4 ـ صفة المغرب وأرض السودان والأندلس من نزهة المشتاق تحقيق دوزي ودي خوية (أمستردام 1969م).
5 ـ وصف افريقيا الشمالية والصحراوية من نزهة المشتاق تحقيق هنري بيريس (الجزائر 1957م).

- الاصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي الاصطخري (ت 339هـ / 950م).
6 ـ المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة 1961م.

- الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأصفهاني (ت 356هـ / 967م).

7 ـ الأغاني، 20 جزء، بولاق 1285هـ.
8 ـ مقاتل الطالبيين، النجف 1353هـ.

ـ **الباجي** : محمد الباجي المسعودي (ت 1253هـ)
9 ـ الخلاصة النقية في أمراء افريقية (تونس 1283هـ)

ـ **البادسي** : عبد الحق بن اسماعيل (كان حيا في 722هـ / 1322م).
10 ـ المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد عراب، المطبعة الملكية بالرباط 1982م.

ـ **ابن بسام** : أبو الحسن علي الشنتريني (توفي حوالي 541 ـ 542هـ / 1147 ـ 1148م).
11 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، القاهرة 1939م.

ـ **البكري** : أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأونبي البكري (ت 487هـ / 1094م).
12 ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان De Slan ، باريس 1965م.

ـ **البلاذري** : أبو العباس أحمد ين يحيى بن جابر البغدادي (ت 279هـ / 892م)
13 ـ فتوح البلدان، بيروت 1978م.
14 ـ أنساب الأشراف، الجزء الأول تحقيق محمد حميد الله، القاهرة 1959م، الجزء الثالث تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت 1977م.

ـ **التجاني** : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني التونسي (كان حيا سنة 717هـ / 1217م).
15 ـ رحلة التجاني، قام بها في البلاد التونسية وطرابلس من سنة 706هـ الى سنة 708هـ، تحقيق وليم مرسيه وتقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1981م.

ـ **ابن تغري بردي** : أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت 874هـ / 1469م).
16 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة 1935م).

- **التنسي** : أبـو عبـد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني (ت 899هـ / 1494م).

17 ـ نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم والأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 1875 (القسم العربي).

- **الجربي** : محمد أبوراس الجربي (ت 1222هـ)

18 ـ مؤنس الأحبة في أخبار جربة، تحقيق محمد المرزوقي، تونس 1960م.

- **الجزنائي** : أبو الحسن علي الجزنائي (من أهل القرن الثامن الهجري).

19 ـ جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية بالرباط 1967م.

- **ابن الجوزي** : عبد الرحمن (ت 1200م)

20 ـ سيرة عمر بن عبد العزيز، القاهرة 1331م.

- **الجيشياري** : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 321هـ / 941م).

21 ـ الـوزراء والكتـاب، حققه مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة 1938م).

- **ابن حزم** : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي الظاهري (ت 456هـ / 1064م).

22 ـ جمهرة أنساب العرب، نشر عبد السلام محمد هارون، (القاهرة 1962م).

- **الحسن الوزان** : الحسن بن محمد الوزان الفاسي (توفي عبد عام 957هـ / 1550م).

23 ـ وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الرياض 1399هـ، وقد قام بترجمته ثانية (جزءان) محمد حجي، ومحمد الأخضر، الرباط 1980، 1982م.

- **الحموي** : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ / 1228م).

24 ـ معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان، خمسة أجزاء، دار احياء التراث العربي ببيروت (بدون تاريخ).

- **الحميري** : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (من أهل القرن التاسع الهجري).

25 ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت 1984م.

- **ابن حوقل** : أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (ت 380هـ / 990م).

26 ـ صورة الأرض أو كتاب المسالك والمهالك وذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان، بيروت 1962م.

- **ابن حيان** : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت 469هـ / 1076م).

27 ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس.

(أ) قطعة خاصة بعهد الأمير عبد الله بن محمد (275 ـ 300هـ / 888 ـ 912م) نشر المستشرق الاسباني الأب ملشور أنطونيا Melchor Antunia ، باريس 1937م.

(ب) قطعة خاصة بالثلاثين سنة الأولى (300 ـ 330هـ) من حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، تحقيق شالميتا وغيره، مدريد 1979م.

(ح) قطعة تتحدث عن خمس سنوات غير كاملة من أيام الحكم الثاني المستنصر بالله (350 ـ 366هـ / 961 ـ 977م) من سنة 360هـ حتى سنة 364هـ تحقيق عبد الرحمن علي حجي بيروت 1965م.

- **ابن خرداذبة** : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ / 912م).

28 ـ المسالك والمهالك، تحقيق دي غوية، المكتبة الجغرافية العربية ليدن 1889م.

- **الخشني** : أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (ت 361هـ / 971م)

29 ـ طبقات علماء افريقية، نشر في مجلد واحد مع طبقات أبي العرب، نشر محمد بن أبي شنب، الجزائر 1914م.

30 ـ قضاة قرطبة، المكتبة الأندلسية العربية، القاهرة 1966م.

- **ابن الخطيب** : لسان الدين أبو عبد الله (ت 776هـ / 1374م).

31 ـ أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام.

(أ) القسم الثاني، الخاص بالأندلس، نشر ليفي بروفنسال، بيروت 1956م.
(ب) القسم الثالث، الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، تحقيق أحمد مختار العبادي، ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء 1964م.

- **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)

32 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر خليل شحادة، بيروت 1981م.

- **ابن خلكان** : أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت 681هـ / 1282م).

33 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ثمانية أجزاء، تحقيق احسان عباس، بيروت 1968 - 1972م.

- **خليفة بن خياط** : أبو عمرو المعروف بشباب (ت 240هـ / 854م)

34 - تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن مخلد، جزءان، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1967 - 1968م.

35 - طبقات خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1966م.

- **الدباغ** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي (ت 696هـ / 1297م).

36 - معالم الايمان وروضات الرضوان، في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، نشر باسم معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، مذيل الروايات والأخبار والتراجم والآثار لابن ناجي وهو أبو القاسم بن عيسى التنوخي القيرواني ت 839هـ / 1441م في أربعة أجزاء بمجلدين، المطبعة الرسمية، تونس 1902م.

- **الدرجيني** : أبو العباس أحمد بن سعيد بن يخلف المزاتي (ت حوالي 670هـ / 1272م).

37 - طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلّاى (جزءان) قسنطينة 1974م.

- **ابن أبي دينار** : محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (كان حيا سنة 1110هـ).

38 - كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس 1967م.

- **الدينوري** : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ / 895م)
39 ـ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة 1960م.

- **الرقيق** : أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم القيرواني (توفي بعد 423هـ / 1032م).
40 ـ تاريخ افريقية والمغرب، قطعة من تاريخ الرقيق القيرواني، نشر المنجي الكعبي، تونس 1967م.

- **ابن أبي زرع** : علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (كان حيا سنة 726هـ).
41 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر وتحقيق دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م.

- **أبو زكرياء** : يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ / 1078م).
42 ـ كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق اسماعيل العربي (الجزائر 1979م).

- **ابن سعد** : محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت 230هـ / 845م).
43 ـ الطبقات الكبرى، في الكوفيين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم، بيروت بدون تاريخ.

- **ابن سعيد** : أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي وآخرون (ت 685هـ / 1286م).
44 ـ المغرب في حلى المغرب، القسم الثالث الخاص بالأندلس، الجزء الأول تحقيق شوقي ضيف، القاهرة 1964م.

- **ابن سلام الأباضي** : (توفي بعد 273هـ / 887م)
45 ـ كتاب ابن سلام الأباضي، الاسلام وتاريخه من وجهة نظر أباضية تحقيق ر. ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، بيروت 1985م.

- **ابن سلام** : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ / 838م)
46 ـ الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة 1975م.

- **السيوطي** : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي (ت 911هـ / 1505م).

47 ـ تاريخ الخلفاء، أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، دار الفكر ببيروت، دون تاريخ.
48 ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزءان، القاهرة 1327هـ.

ـ سعيد بن البطريق : البطريرك أوطيخيوس بطريرك الاسكندرية للملكيين (ت 328هـ / 940م).
49 ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت 1905م.

ـ ابن الشباط : محمد بن علي بن محمد بن الشباط المصري التوزري (ت 681هـ / 1282م).
50 ـ وصف الأندلس، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، نشر معهد الدراسات الاسلامية، مدريد 1971م.

ـ الشماخي : أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد (ت 928هـ / 1522م)
51 ـ سير مشايخ جبل نفوسة، قسطينة بدون تاريخ.

ـ ابن الصغير المالكي : كان حيا سنة 290هـ / 903م).
52 ـ أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق Motylinsky بعنوان Chronique d'Ibn Saghir sur les imams rostémides de Tahert في أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين، باريس 1908م.

ـ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ / 923م)
53 ـ تاريخ الرسل والأمم والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، القاهرة 1966 ـ 1968م.

ـ ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري (ت 257هـ / 871م).
54 ـ فتوح افريقية والمغرب، نشرة جزئية لعبد الله أنيس الطباع، بيروت.
55 ـ فتوح مصر والمغرب، نشرة جزئية لماسيه H. Massé، القاهرة 1914م.

ـ ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي (ت 328هـ / 939م).

56 ـ العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابياري، القاهرة 1965م.

ـ **ابن عبد الملك المراكشي** : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 703هـ / 1303م).

57 ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، القسم الثاني، تحقيق محمد بن شريفة (الرباط 1984م).

ـ **ابن عذاري** : أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ / 1312م).

58 ـ البيان المغرب في أخبار المغرب، الجزء الأول، نشر كولان، وليفي بروفنسال، بيروت 1983م.

ـ **العذري** : أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ / 1085م).

59 ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك الى جميع المهالك، تحقيق عبد العزيز الاهواني ونشر المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد 1965م.

ـ **أبو العرب** : محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ / 944م).

60 ـ طبقات علماء افريقية، نشر محمد بن أبي شنب، ضمن منشورات كلية الأداب بجامعة الجزائر سنة 1332هـ / 1914م.

ـ **عياض** : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (ت 544هـ / 1150م).

61 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق مجموعة من العلماء المغاربة ونشر وزارة الأوقاف المغربية في ثمانية أجزاء (المحمدية 1980 ـ 1982).

62 ـ تراجم أغلبية، مستخرجة من ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق محمد الطالبي، تونس 1968م.

ـ **ابن غالب** : محمد بن أيوب الأندلسي (من أهل القرن السادس الهجري).

63 ـ فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع نشرت بمجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني (نوفمبر 1955م).

ـ **ابن الفرضي** : أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت 403هـ / 1013م).

64 ـ تاريخ علماء الأندلس، قسمان، المكتبة الأندلسية العربية، (القاهرة 1966م).

ـ **ابن القاضي** : أحمد بن محمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الزناتي الفاسي (ت 1029هـ / 1616م).

65 ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور بالرباط 1973 ـ 1974م.

ـ **ابن قتيبة** : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ / 889م).

66 ـ المعارف، نشر محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، بيروت 1970م.

67 ـ الامـامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء وينسب اليه، تحقيق طه محمد الزيني، مجلدان، بيروت 1967م.

ـ **القلقشندي** : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القاهري الشافعي (ت 821هـ / 1418م).

68 ـ صبح الأعشي في صناعة الانشا، الجزء الأول، والثالث (القاهرة 1963م).

69 ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، نشر ابراهيم الابياري، القاهرة 1959م، نشر بيروت 1984م.

ـ **ابن القوطية** : أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم القرطبي (ت 367هـ / 977م)

70 ـ تاريخ افتتاح الأندلس (مدريد 1926م).

ـ **ابن الكردبوس** : أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري التونسي (عاش أواخر القرن السادس الهجري).

71 ـ تاريخ الأندلس، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، نشر معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1971م.

- **الكندي** : أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت 350هـ / 961م).

72 ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة، طبعة روفن جست، مطبة الآباء اليسوعيين بيروت 1908م.

- **المالكي** : أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد المالكي (ت بعد سنة 453هـ / 1061م).

73 ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، الجزء الأول، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1951م، وأعاد نشره بشير البكوش في بيروت 1983م. الجزء الثاني وقام بتحقيقه ونشره لأول مرة بشير بكوش في بيروت 1981م.

- **الماوردي** : أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت 450هـ / 1058م).

74 ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت 1978م.

- **المبرد** : أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ / 898م).

75 ـ الكامل في اللغة والأدب، جزءان، في مجلد واحد، مكتبة المعارف ببيروت بدون تاريخ.

- **مجهول** :

76 ـ الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب. نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء 1985م.

77 ـ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر دار المنصور بالرباط 1972م.

78 ـ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، مدريد 1867م.

79 ـ فتح الأندلس، نشر المستشرق الاسباني خواكين جونثالث الجزائر 1889م.

- **مجهول** :

80 ـ بيوتات فاس الكبرا أو ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم مؤلفه غير مذكور، وينسبه البعض لاسماعيل بن الأحمر، ويعلق محمد المنوني على ذلك بقوله «على أن البعض أدمج فيه زيادات تتأخر عن عصر ابن الأحمر» وقد نشر في مجلة

البحث العلمي بالعدد الثالث والرابع والخامس على التوالي 1964 ـ 1965 بتحقيق عبد القادر زمامة، ثم نشر ـ على حدة ـ بدار المنصور بالرباط 1972م .

ـ **المسعودي** : أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ / 656م)
81 ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء في مجلدين، بيروت 1965م .

ـ **المقدسي** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 387هـ / 997م) .
82 ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، المكتبة الجغرافية العربية، مطبعة بريل، ليدن 1906م .

ـ **المقري** : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني (ت 1041هـ / 1633م) .
83 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت 1968م .

ـ **المقريزي** : تقي الدين أحمد علي بن عبد القادر بن محمد (ت 845هـ / 1441م) .
84 ـ الخطط أو المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة 1908 ـ 1909م .
85 ـ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب، نشر عبد المجيد عابدين مع دراسة في تاريخ العروبة في وادي النيل، القاهرة 1961م .

ـ **النعمان** : القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت 363هـ / 974م) .
86 ـ رسالة افتتاح الدعوة، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية ببلاد المغرب، تحقيق وداد القاضي، بيروت 1970م .

ـ **النويري** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ / 1332م) .
87 ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني والعشرون الخاص بالمغرب والأندلس وصقلية، نشره وحققه مصطفى أبو ضيف أحمد باسم تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء 1985م.

ـ **الواقدي** : محمد بن عمر بن واقد (ت 207 هـ / 822م)

88 ـ فتوح افريقية، ينسب اليه، جزءان، نشر التجاني المحمدي، تونس 1966م.
89 ـ كتاب المغازي، ثلاثة أجزاء، تحقيق مارسدن جونس، بيروت 1966م.

ـ **ابن هشام** : أبو محمد عبد المالك (ت 218 / 833م)
90 ـ السيرة النبوية، أربعة أجزاء في مجلدين، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة بدون تاريخ.

ـ **اليعقوبي** : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ / 987م).
91 ـ صفة المغرب نقلا عن كتاب البلدان، ليدن 1860م.
92 ـ كتاب البلدان، النجف 1957م.
93 ـ تاريخ اليعقوبي، جزءان، دار صادر بيروت بدون تاريخ.

## ثانيا ـ مراجع عربية حديثة

ـ **ابراهيم حركات** :
1 ـ المغرب عبر التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية، الجزء الأول الى نهاية دولة الموحدين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1984م.

ـ **أحمد بدر دكتور** :
2 ـ دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، من الفتح حتى الخلافة، الجزء الأول دمشق 1969م.
3 ـ تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، الجزء الثاني دمشق 1974م.

ـ **أحمد توفيق المدني** :
4 ـ المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، الجزائر 1365هـ.

- أحمد الشرباصي دكتور :
5 - المعجم الاقتصادي الاسلامي، بيروت 1981م..

- أحمد فكري دكتور :
6 - المسجد الجامع بالقيروان، دار المعارف، القاهرة 1936م.

- أحمد مختار العبادي دكتور :
7 - الصقالبة في اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية، مدريد 1953م.
8 - مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)، الاسكندرية 1983م.
9 - في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت 1971م.
10 - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية 1968م.
11 - دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية (مع آخرون)، الكويت 1985م.

- احمد المكناسي :
12 - المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب

- أرشيبالد لويس : Archibald R. Lewis
13 - القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 - 1100م)، ترجمة احمد عيسى، القاهرة 1960م.

- احسان عباس دكتور :
14 - المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مقاله بمجلة الأصالة (الجزائر)، السنة الخامسة 1395هـ/1975م العدد رقم 45.

- اسماعيل العربي :
15 - دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، بيروت.

- الألوسي : السيد محمود شكري الألوسي البغدادي
16 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ثلاثة أجزاء، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، بيروت 1314هـ.

- بروكلمان (كارل) :
17 ـ تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت 1979م.

- توماس أرنولد : Thomas W. Arnold
18 ـ الدعوة الى الاسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الاسلامية، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، واسماعيل النحراوي، القاهرة 1971م.

- الحبيب الجنحاني دكتور :
19 ـ المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، تونس 1978م.

- جوليان (شارل اندري) :
20 ـ تاريخ افريقيا الشمالية، تونس والجزائر، والمغرب الأقصى من الفتح الاسلامي الى احتلال الفرنسيين للجزائر، ترجمة محمد مزالي، والبشير بن سلامة، تونس 1971م..

- حسان علي حلاق :
21 ـ تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، القاهرة 1978م.

- حسن ابراهيم حسن دكتور :
22 ـ تاريخ الاسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الأول والثاني، القاهرة 1964م.

- حسن حسني عبد الوهاب :
23 ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (تونس 1965م).

حسين مؤنس دكتور :
24 ـ فتح العرب للمغرب، القاهرة 1947م.
25 ـ فجر الأندلس، القاهرة 1959.

26 ـ شيوخ العصر في الأندلس، العدد 146، المكتبة الثقافية، القاهرة 1965م.

27 ـ رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، المجلد 18، سنة 74ـ1975.

28 ـ غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي 229هـ، 245هـ، بالمجلة التاريخية المصرية، مايو 1949، عدد 1، مجلد 2.

29 ـ المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط الى الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مجلد 4 عدد 1.

ـ حسين (مولوي):

30 ـ الادارة العربية، ترجمة ابراهيم العدوي، القاهرة 1958م.

ـ دانييل دينيت:

31 ـ الجزية والاسلام، ترجمة فوزي فهمي فهيم، بيروت 1960م.

ـ درويش النخيلي دكتور:

32 ـ السفن الاسلامية على حروف المعجم، الاسكندرية 1979م.

ـ دوزي (رينهرت):

33 ـ تاريخ مسلمي اسبانيا، الجزء الأول، ترجمة حسن حبشي، القاهرة 1963م.

ـ الطاهر أحمد الزواوي:

34 ـ تاريخ الفتح العربي في ليبيا، القاهرة 1954م.

ـ سعد زغلول عبد الحميد دكتور:

35 ـ تاريخ المغرب العربي

أ) الجزء الأول، من الفتح العربي الى بداية عصور الاستقلال، الاسكندرية 1979م.

ب) الجزء الثاني، تاريخ الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، الاسكندرية 1979م.

- السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ / 1897م)
36 ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تسعة أجزاء، تحقيق أبناء المؤلف جعفر ومحمد الناصري، الجزء الأول، الدار البيضاء 1954م.

- السيد عبد العزيز سالم دكتور :
37 ـ تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، (مع أحمد مختار العبادي)، بيروت 1969م.
38 ـ تاريخ المغرب الكبير، الجزء الثاني، العصر الاسلامي، الاسكندرية 1966م.

سيدة اسماعيل كاشف دكتورة :
39 ـ مصر في فجر الاسلام، القاهرة 1947م.

- شكيب أرسلان : (ت 1366هـ / 1946م)
40 ـ الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، ثلاثة أجزاء، بيروت 1965م.

- عبد الرحمن زكي دكتور :
41 ـ الفسطاط وضاحيتها العسكر والقطائع، المكتبة الثقافية رقم 158، القاهرة 1966م.

- عبد الله خورشيد البري دكتور :
42 ـ القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، القاهرة 1967م.

- عبد المنعم ماجد دكتور :
43 ـ التاريخ السياسي للدولة العربية، جزءان، القاهرة 1979م.

- عبد الهادي التازي دكتور :
44 ـ الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1984م.

- **النفوسي** : سليمان بن عبد الله الباروني (ت 1359هـ)
45 - الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، الجزء الثاني، مطبعة الأزهار البارونية.

- **ألفرد بل** (A. Bell) :
46 - الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت 1981م.

- **فلهوزن** (يوليوس) Dr. Julius Wellhousen :
47 - الخوارج والشيعة، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت 1978م.

- **فليب حتي دكتور** :
48 - تاريخ العرب، جزءان، ترجمة فليب حتى، وأدورد جرجي، وجبرائيل جبور، بيروت 1965م.

- **كحالة** (عمر رضا) :
49 - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الجزء الثالث، بيروت 1968م.

- **لوتورنو** (روجيه) دكتور :
50 - فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، بيروت 1967م.

- **ليفي بروفنسال دكتور** :
51 - نص جديد عن فتح العرب للمغرب، لعبيد الله بن صالح بن عبد الحليم، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد الثاني، مدريد 1954م.
52 - الاسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح حلمي، سلسلة الألف كتاب رقم 98، القاهرة 1956م.

- **ليون الافريقي** : أنظر الحسن الوزان

- متز (آدم) دكتور :
53 ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، جزءان القاهرة 1967م.

محمد بن تاويت :
54 ـ تاريخ سبتة، منذ الفتح وحتى الاحتلال، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء 1984م.

- محمد بن شريفة دكتور :
55 ـ مقالة «من منافرات العدوتين» مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، العدد الأول، يناير 1977م.

- محمد كرد علي :
56 ـ الادارة الاسلامية في عز العرب، القاهرة 1934م.

- محمود ولد داداة:
57 ـ مفهوم الملك في المغرب، من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي، بيروت 1977م.

- محمود اسماعيل دكتور :
58 ـ الأغالبة وسياستهم الخارجية (184 ـ 296هـ)، فاس 1978م.
59 ـ الخوارج في المغرب الاسلامي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا)، القاهرة 1976م.

- مصطفى أبو ضيف أحمد دكتور :
60 ـ دراسات في تاريخ الدولة العربية، عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين، (1ـ132هـ) الدار البيضاء 1984م.
61 ـ أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، خلال عصري الموحدين وبني مرين، الدار البيضاء 1982م.
62 ـ القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الدولة الأموية (91ـ422هـ)، الدار البيضاء 1983م.

## ثالث ـ المصادر الأجنبية :


— **Basset, Rene :**
1) Les sanctuaires du Djebel Nefousa. Journal Asiatique, Tomes 13, 14 Paris 1899.

— **Biquet, Faure :**
2) Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane. Paris.

— **Bury : J.B. :**
3) A History of the Eastern Roman empire, London 1931.

— **Creswell, K.A.C. :**
4) A short accaunt of early Muslim architecture Pelican Books, London 1958.

— **Dozy , Reinhart :**
5) Histoire des Musulmans d'Espagne, 3 Vols, éd. Leyde 1861.

— **Fahmy (Aly Mohammed) :**
6) Muslim Sea-Power in the Eastern Mediterranean, from the seventh to the tenth century, Cairo 1966.

— **Fournel (H) :**
7) Les Berbéres - Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes.

— **Gautier :**
8) Le passé de l'Afrique du Nord.

— **Guillaume :**
9) Legacy of Islam.

— **Isidari Pacencis :**
10) Chronicon Espana.

— **Lavodix (H) :**
11) Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale. T II : Espagne et Afrique du Nord, Paris 1887.

— **L'evi - Provençal :**
12) L'Espagne musulmane au Xe siecle. Institutions et vie sociale, Paris, 1932.

— **Lewicki (T) :**
13) Etudes Ibadites Nord Africaine. Wars-zaw, 1955.

— **Lone - Poole (S) :**
14) The Mohammadan Dynasteis.

— **Marcais (G) :**
15) La berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-age, Paris 1946.
16) L'Architecture musulmane d'Occident, Paris 1954.

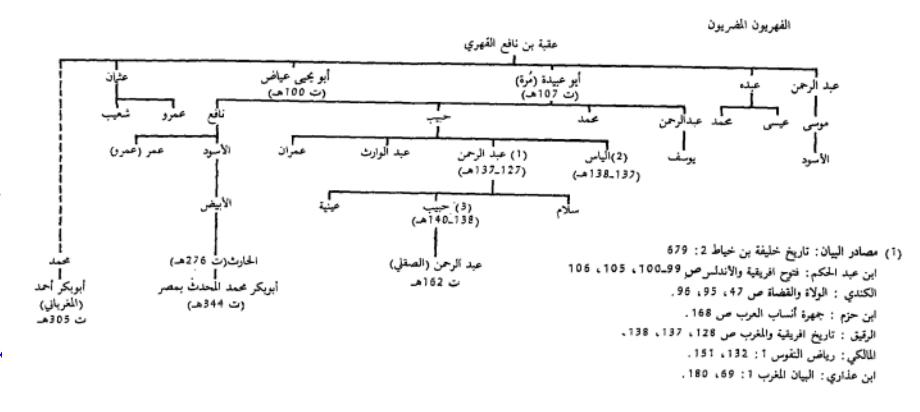
— **Mercier (Ernest) :**
17) Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), 2 Tomos, Paris 1888.

— **Motylinski :**
18) Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Rostimides de Tahart. Actes

du 14 congrès internationales des orientalistes. Algérie 1905, vol. 3, Part. 2.
— **Ostrogarosky (Georges) :**
19) History of the Byzantine state.
— **Scott. S.P. :**
20) History of the Moorish empire Europe. vol. 2, London, 1904.
— **Slousch (Nahoum) :**
21) L'Empire des Bargawâta, dans revue du Monde musulman 8, N° 3, 1910.
— **Terrasse (Henri) :**
22) Histoire du Maroc, des origines à l'établissement du Protectorat français, 2 vol, Casablanca, 1949-1950.
— **Vonderheyden. M. :**
23) La Berbérie orientale sous la dynastie des Bnous L'Arlab (800 - 909), Paris, 1927.

# بيان الأسر العربية الحاكمة
# والخرائط

الفهريون المضريون




(1) مصادر البيان: تاريخ خليفة بن خياط 2: 679

ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص 99ـ100، 105، 106

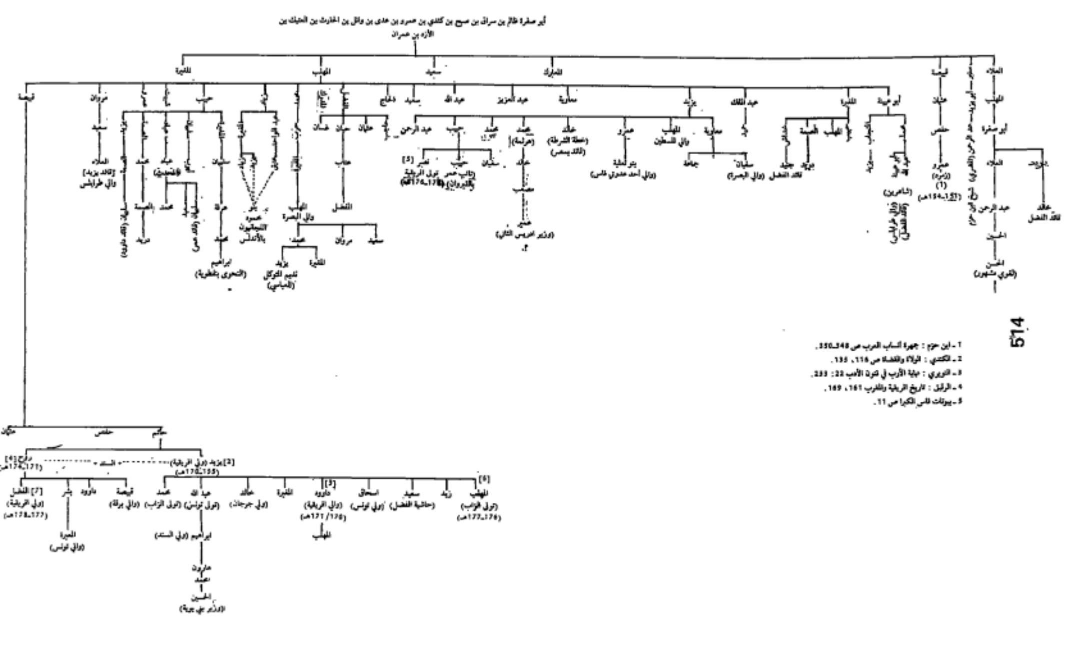
الكندي : الولاة والقضاة ص 47، 95، 96.

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 168.

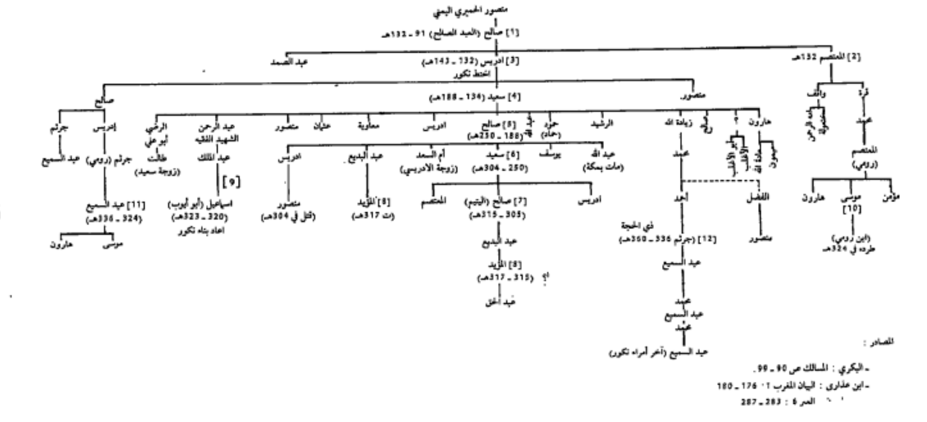
الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 128، 137، 138،

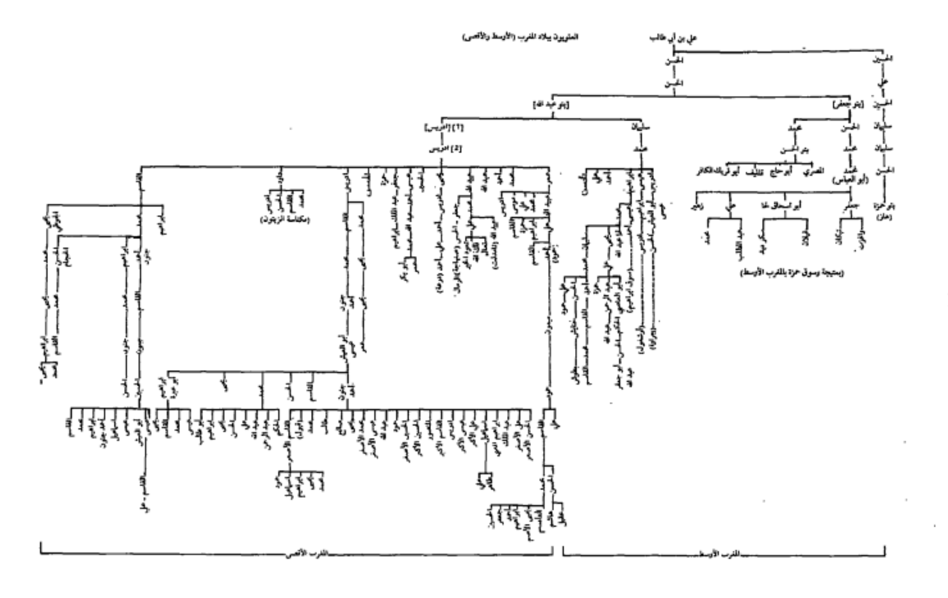
المالكي: رياض النفوس 1: 132، 151.

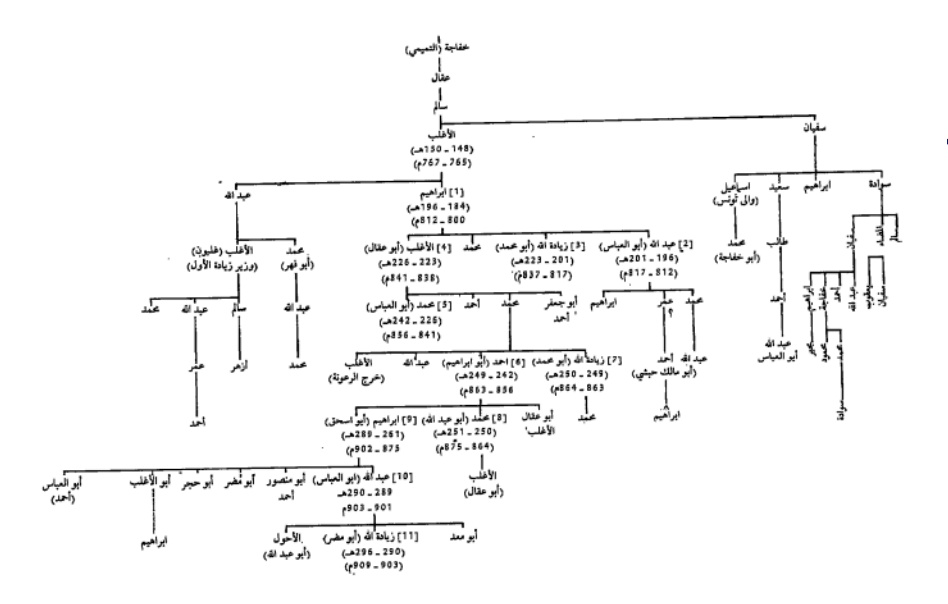
ابن عذاري: البيان المغرب 1: 69، 180.

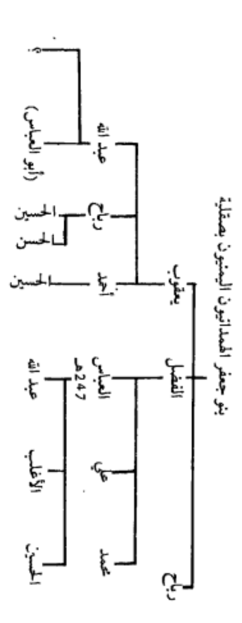


أبو صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن
الأزد بن عمران
المغيرة
المهلب
سعيد
المبارك
قبيصة
العلاء
1 ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 348ـ350 .
2 ـ الكندي : الولاة والقضاة ص 116 ، 135 .
3 ـ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب 22 : 233 .
4 ـ الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب 161 ، 169 .
5 ـ بيوتات فاس الكبرى ص 11 .


منصور الحميري اليمني
[1] صالح (العبد الصالح) 91 ـ 132هـ
[2] المعتصم 132هـ
[3] ادريس (132 ـ 143هـ)
اختط تكور
عبد الصمد
منصور
صالح
[4] سعيد (134 ـ 188هـ)
قرة
واثق
محمد
المعتصم
(رومي)
مؤمن
موسى
[10]
هارون
(ابن رومي)
طرده في 324هـ
هارون
زيادة الله
الرشيد
حود
(حماد)
[5] صالح
(188 ـ 250هـ)
ادريس
معاوية
عثمان
منصور
عبد الرحمن
الشهيد الفقيه
الرضي
أبو علي
طالت
(زوجة سعيد)
عبد الملك
[9]
اسماعيل (أبو أيوب)
(320 ـ 323هـ)
اعاد بناء تكور
جرثم
ادريس
جرثم (رومي)
عبد السميع
[11] عبد السميع
(324 ـ 336هـ)
موسى
هارون
عبد الله
(مات بمكة)
يوسف
[6] سعيد
(250 ـ 304هـ)
أم السعد
(زوجة الادريسي)
عبد البديع
[8] المؤيد
(ت 317هـ)
ادريس
منصور
(قتل في 304هـ)
ادريس
[7] صالح (اليتيم)
(305 ـ 315هـ)
المعتصم
عبد البديع
[8] المؤيد
(315 ـ 317هـ)
عبد الحق
محمد
أحمد
الفضل
منصور
[12] (جرثم 336 ـ 350هـ)
في الحجة
عبد السميع
محمد
عبد السميع
محمد
عبد السميع (آخر أمراء تكور)
المصادر :
ـ البكري : المسالك ص 90 ـ 99.
ـ ابن عذاري : البيان المغرب 1، 176 ـ 180
العبر 6 : 283 ـ 287


العلويون ببلاد المغرب (الأوسط والأقصى)
علي بن أبي طالب
(بمتيجة وسوق حمزة بالمغرب الأوسط)
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط


خفاجة (التميمي)
عقال
سالم
الأغلب
(148 ـ 150هـ)
(765 ـ 767م)
سفيان
سوادة
ابراهيم
سعيد
اسماعيل
(والي تونس)
طالب
أحمد
عبد الله
أبو العباس
محمد
(أبو خفاجة)
عبد الله
[1] ابراهيم
(184 ـ 196هـ)
(800 ـ 812م)
[2] عبد الله (أبو العباس)
(196 ـ 201هـ)
(812 ـ 817م)
[3] زيادة الله (أبو محمد)
(201 ـ 223هـ)
(817 ـ 837م)
محمد
[4] الأغلب (أبو عقال)
(223 ـ 226هـ)
(838 ـ 841م)
محمد
عمر
ابراهيم
عبد الله
أحمد
(أبو مالك حبشي)
ابراهيم
أبو جعفر
أحمد
محمد
أحمد
[5] محمد (أبو العباس)
(226 ـ 242هـ)
(841 ـ 856م)
[7] زيادة الله (أبو محمد)
(249 ـ 250هـ)
(863 ـ 864م)
محمد
[6] احمد (أبو ابراهيم)
(242 ـ 249هـ)
(856 ـ 863م)
عبد الله
الأغلب
(خرج الزعونة)
أبو عقال
الأغلب
[8] محمد (أبو عبد الله)
(250 ـ 251هـ)
(864 ـ 875م)
الأغلب
(أبو عقال)
[9] ابراهيم (أبو اسحق)
(261 ـ 289هـ)
(875 ـ 902م)
[10] عبد الله (ابو العباس)
289 ـ 290هـ
901 ـ 903م
أبو منصور
أحمد
أبو مضر
أبو حجر
أبو الأغلب
ابراهيم
أبو العباس
(أحمد)
أبو معد
[11] زيادة الله (أبو مضر)
(290 ـ 296هـ)
(903 ـ 909م)
الأحول
(أبو عبد الله)
محمد
(أبو فهر)
عبد الله
محمد
الأغلب (غلبون)
(وزير زيادة الأول)
سالم
أزهر
عبد الله
عمر
أحمد
محمد


بنو جعفر الهمدانيون اليمنيون بصقلية
رباح
الفضل
يعقوب
محمد
علي
العباس
247هـ
الحسن
الأغلب
عبد الله
أحمد
رباح
عبد الله
الحسين
الحسن
الحسين
(أبو العباس)

# فهرس

# فهـرس الموضوعـات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ـ المقدمة | 7 |
| ـ المصادر ومراجع البحث | 13 |

الفصل الأول

القبائل العربية وفتح المغرب

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ـ عرب الفسطاط والاسكندرية | 28 |
| ـ فتح برقة وطرابلس | 30 |
| ـ حملة العبادلة وتكوينها | 36 |
| ـ ولاية معاوية بن حديج الكندي واستقرار العرب ببرقة وطرابلس | 44 |
| ـ ولاية عقبة بن نافع الفهري وتأسيس القيروان | 47 |
| ـ أبو المهاجر دينار مولى الأنصار وسياسة المسالمة | 53 |
| ـ ولاية عقبة بن نافع الفهري الثانية والزحف الى المغرب الأقصى | 55 |
| ـ استيلاء البربر على القيروان وموقف العرب | 61 |
| ـ ولاية زهير بن قيس البلوي | 62 |
| ـ ولاية حسان بن النعمان الغساني والتعمير وانشاء الدواوين | 65 |
| ـ ولاية موسى بن نصير اللخمي وتطور الادارة العربية ببلاد المغرب | 80 |

الفصل الثاني

القبائل العربية والولاة الأمويون

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ـ ولاية محمد بن يزيد القرشي | 88 |
| ـ ولاية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي | 89 |
| ● اصلاح أحوال البربر ونشر الاسلام | 90 |
| ـ ولاية يزيد بن أبي مسلم وديوان الجند بإفريقية ومؤامرة اليمنية | 96 |

- ولاية بشر بن صفوان الكلبي وازدهار اليمنية ........ 99
- ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي واضطهاد اليمنية ........ 102
- ولاية عبيد الله بن الحبحاب السلولي ونشاطه المعماري والبحري ........ 105
  - ثورة الخوارج، الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ........ 109
  - وفد المغاربة بدمشق ........ 113
  - انتشار الخوارج ببلاد المغرب ........ 115
  - السبب المباشر للثورة وهزيمة العرب ........ 118
  - موقف الخلافة ونقل القبائل العربية الى المغرب ........ 123
- حملة كلثوم بن عياض المضري ........ 126
  - النزاع بين عرب الشام وعرب افريقية ........ 127
  - هزيمة العرب بقدورة والنتائج ........ 130
  - ثورة عكاشة الفزاري بقابس ........ 132
- حملة حنظلة الكلبي اليمني ........ 133
  - تحريض العلماء والنساء للمقاتلين من العرب ........ 135
  - معركتي الأصنام والقرن ........ 136


## الفصل الثالث
## افريقية ما بين المضرية واليمنية والولاة العباسيون


أولا : الفهريون المضريون ........ 141

- ولاية عبد الرحمن بن حبيب ........ 142
  - القضاء على المعارضة القيسية ........ 147
  - القضاء على المعارضة اليمنية ........ 148
  - ثورة الصقر الفزاري بتلمسان ........ 153
  - سقوط الدولة الأموية وهروب بني أمية الى افريقية ........ 154
- ولاية إلياس بن حبيب بافريقية ........ 158
  - الصراع بين بني حبيب ........ 159
- ولاية حبيب بن عبد الرحمن ........ 161
  - الصراع مع خوارج ورفجومة واستلائهم على القيروان ........ 162
  - اضطهاد العرب بإفريقية وموقف الأباضية ........ 164
- حملة ابن الأشعث الخزاعي لاسترداد افريقية للعباسيين ........ 168
  - ثورة زعماء الجند المضري ........ 172
- ولاية الأغلب بن سالم التميمي ........ 173

• ثورة الحسن بن حرب الكندي اليمني ........ 174
• مقتل ابن الأغلب وولاية المخارق الطائي ........ 176

ثانيا : المهلبيون اليمنيون :

- ولاية أبو جعفر عمر بن حفص الأزدي ........ 178
• ثورة الخوارج بطرابلس والمغرب الأوسط ........ 180
• محاصرة العرب بالقيروان ومقتل عمر بن حفص ........ 184
- ولاية يزيد بن حاتم الأزدي ........ 188
• انتصار العرب واخضاع جبل نفوسة ........ 193
• اخضاع ورفجومة ........ 195
- ولاية داود بن يزيد بن حاتم الأزدي ........ 196
- ولاية روح بن حاتم الأزدي ........ 197
- ولاية نصر بن حبيب بن يزيد بن المهلب الأزدي ........ 201
- ولاية الفضل بن روح بن حاتم الأزدي ........ 202
• احتفال أهل افريقية بولايته ........ 203
• عزل زعماء القبائل وتولية عصبيته ........ 204
• ثورة جند تونس ........ 205
• ثورة عبد الله بن الجارود العبدي المضري ........ 206
• الصراع بين عرب الشام وعرب خراسان ........ 209
• قتل الفضل وانتهاء حكم المهالبة ........ 214
- ولاية هرثمة بن أعين الضبي ........ 216
- ولاية محمد بن مقاتل العكي بافريقية ........ 222
• أعمال العكي وثورة زعماء الجند الشامي ........ 225
• دور ابراهيم بن الأغلب والي الزاب في تدعيم العكي ........ 228
- انقسام بلاد المغرب الى دول مستقلة ........ 233


## الفصل الرابع
## الحميريون اليمنيون ببلاد الريف


- مصادر وجغرافية وسكان بلاد الريف ........ 237
- صالح بن منصور الحميري وتأسيس الامارة ........ 240
• ثورة الرندي الخارجية ........ 242
- امارة ادريس بن صالح ........ 244
- امارة سعيد بن ادريس وبناء نكور ........ 245

- نشر الاسلام وتنمية الثروة الرعوية والزراعية ........ 246
- الأطماع الخارجية والنورمان ........ 248
- الثورات الداخلية وهجرة ربض قرطبة وقبيلة غمارة ........ 250
- الصراع في البيت الحميري وثورة مكناسة ........ 253

- امارة سعيد بن صالح ........ 255
  - ثورة الصقالبة ........ 256
  - العلاقات مع الأمويين ........ 258
  - العلاقات مع الأدارسة ........ 260
  - الصراع مع الفاطميين ........ 261
- هروب بنو صالح الى الأندلس والعودة وحاميم المتنبيء ........ 268
- امارة المؤيد بن البديع ومكناسة ........ 272
- امارة أبو أيوب اسماعيل والغزو الفاطمي الثاني ........ 273
- امارة موسى بن المعتصم ومقاومة الفاطميون ........ 274
- امارة عبد السميع وبنو جرثم وسقوط الامارة ........ 275
- الهجرة الهلالية وبلاد الريف ........ 278


## الفصل الخامس
## دور العرب في الدولة الادريسية


- ادريس بن عبد الله وأسباب دخول الأدارسة بلاد المغرب ........ 292
  - وليلي العاصمة الأولى ونشر الاسلام بالمغرب الأقصى والأوسط ........ 295
- قتل ادريس ووصاية راشد الكناني ثم يزيد بن إلياس العبدي ........ 298
- ادريس الثاني ........ 303
  - بناء مدينة فاس واستقرار العرب ........ 305
  - تشكيل الحكومة العربية ........ 306
  - البيوتات القيسية والمضرية بفاس ........ 313
  - البيوتات اليمنية بفاس ........ 315
  - البطون العربية من العراق ........ 318
  - الربضيون والقيروانيون ........ 320
- محمد بن ادريس الثاني وتقسيم الدولة ........ 327
- علي بن محمد بن ادريس الثاني ........ 331
- يحيى بن محمد بن ادريس الثاني ........ 332
  - هجرة العرب من افريقية والأندلس والأسباب ........ 333
  - تطور مدينة فاس المعماري ........ 335

- يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس الثاني ........ 336
• ثورة عامة فاس بقيادة الجذامي ........ 337
• ثورة عبد الرزاق الفهري الخارجية ........ 339
- انهيار دولة الأدارسة بفاس والانتقال الى قلعة حجر النسر ........ 340
- انتقال الأدارسة الى قرطبة ثم الى مصر والعودة الى المغرب الأقصى ........ 350
- العلويون بالمغرب الأوسط ........ 354

## الفصل السادس
## الأغالبة التميميون في افريقية وصقلية

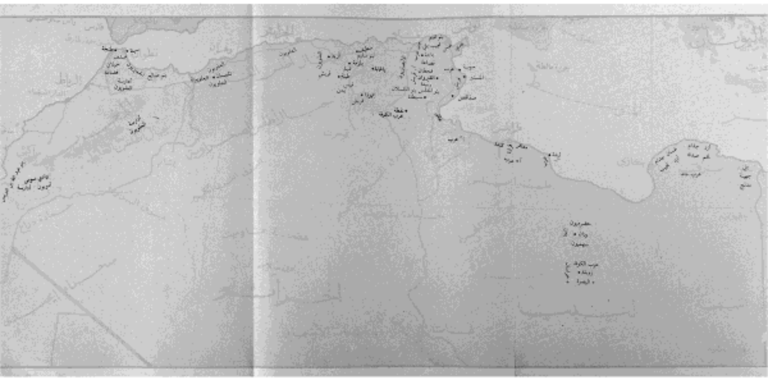
- أسباب قيام امارة الأغالبة والمؤسس ابراهيم بن الأغلب ........ 360
• بناء العباسية ........ 363
• ثورة خريش الكندي ........ 366
• ثورة العرب البلدية بطرابلس ........ 368
• ثورة عمران بن مخالد الربعي ........ 369
• اضطهاد القبائل العربية بإفريقية والهجرة الى المغرب الأقصى ........ 373
• مظاهر العصبية العربية بإفريقية ........ 374
- أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ........ 376
• العلاقة مع صقلية ........ 377
• علاقته بأخيه زيادة الله وتعديل السياسة المالية ........ 378
- زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب ........ 381
• ثورة ابن الصقلية ........ 382
• ثورة عمرو بن معاوية القيسي ........ 383
• ثورة الطنبذي وانتشارها بإفريقية ........ 384
• الجهاد بصقلية والقضاء على ثورة الجند العربي ........ 398
• مساهمة العرب في بناء الرباطات ........ 399
• أعمال زيادة الله المعمارية وتعصبه لقيسيته ........ 405
- أبو عقال الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب والاصلاحات الداخلية ........ 410
- أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ........ 412
• انشاء العباسية بالمغرب الأوسط ........ 413
• بنو حميد التميميون والصراع بين الأغالبة ونتائجه ........ 414
• ثورة تونس والقويبع التجيبي ........ 420
• دور بنو الفضل الهمدانيون في صقلية ........ 422
- أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ........ 424

- • نشر الاسلام بصقلية ........ 426
- • تجنيد الجند من العبيد الصقالبة والسودان ........ 427
- • بناء الحصون والمواجل والمساجد ........ 428
- ـ أبو محمد زياد الله (الثاني) بن محمد بن الأغلب ........ 431
- ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب ........ 432
- • ثورة الزاب ........ 433
- • بنو سفيان التميميون وصقلية ........ 434
- • الحركة المعمارية وبناء الحصون والمحارس ........ 435
- ـ أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ........ 437
- • بناء مدينة رقادة ........ 438
- • ثورة الصقالبة والاعتماد على السودان ........ 441
- • حملة العباس بن أحمد بن طولون ........ 443
- • ثورة الدراهم ........ 444
- • مذبحة زعماء عرب بلزمة ونتائجها ........ 445
- • اعتزال الأمير الامارة والجهاد في صقلية ........ 451
- • فتنة العرب والبربر بصقلية ........ 453
- ـ أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد ........ 456
- ـ أبو مضر زيادة الله (الثالث) بن عبد الله بن ابراهيم ........ 457
- • مذبحة زعماء بن تميم بتونس ........ 458
- • انتشار الدعوة الفاطمية بين كتامة ........ 459
- • هروب زيادة الله الثالث الى المشرق ........ 461


## الفصل السابع
## دور العرب في الدويلات الخارجية


- ـ نسب خوارج المشرق العربي ........ 465
- ـ دور العرب في دعوة الخوارج بالمغرب ........ 466
- ـ دور العرب في الدولة الصفرية بسلجماسة ........ 468
- ـ عبد الله بن أباض التميمي ........ 470
- ـ أبو الخطاب عبد الأعلي بن السمح المعافري ........ 471
- ـ هجرة العرب الى تاهرت عاصمة الرستميين ........ 472
- ـ بنو أبي الخطاب المعافري بطرابلس ........ 474
- ـ ازدياد دور العرب في الدولة الرستمية ........ 476

● زعامة محمد بن عرفة للعرب بتاهرت ........................ 478
● الصراع بين الزعيم العربي وأمراء الرستميين .................... 480
● التأثير العربي المشرقي ............................ 483
● الصراع العنصري وانهيار الدولة الرستمية .................... 485
ـ حركة حفيد آل الخطاب بن السمح المعافري بطرابلس ................ 486
● دورهم في نشر الاسلام ............................ 487
ـ مصادر ومراجع البحث ............................ 491
ـ بيان الأسر العربية الحاكمة والخرائط ........................ 511



نشر وطبع
دار النشر المغربية
الدار البيضاء

الثمن 50 درهما